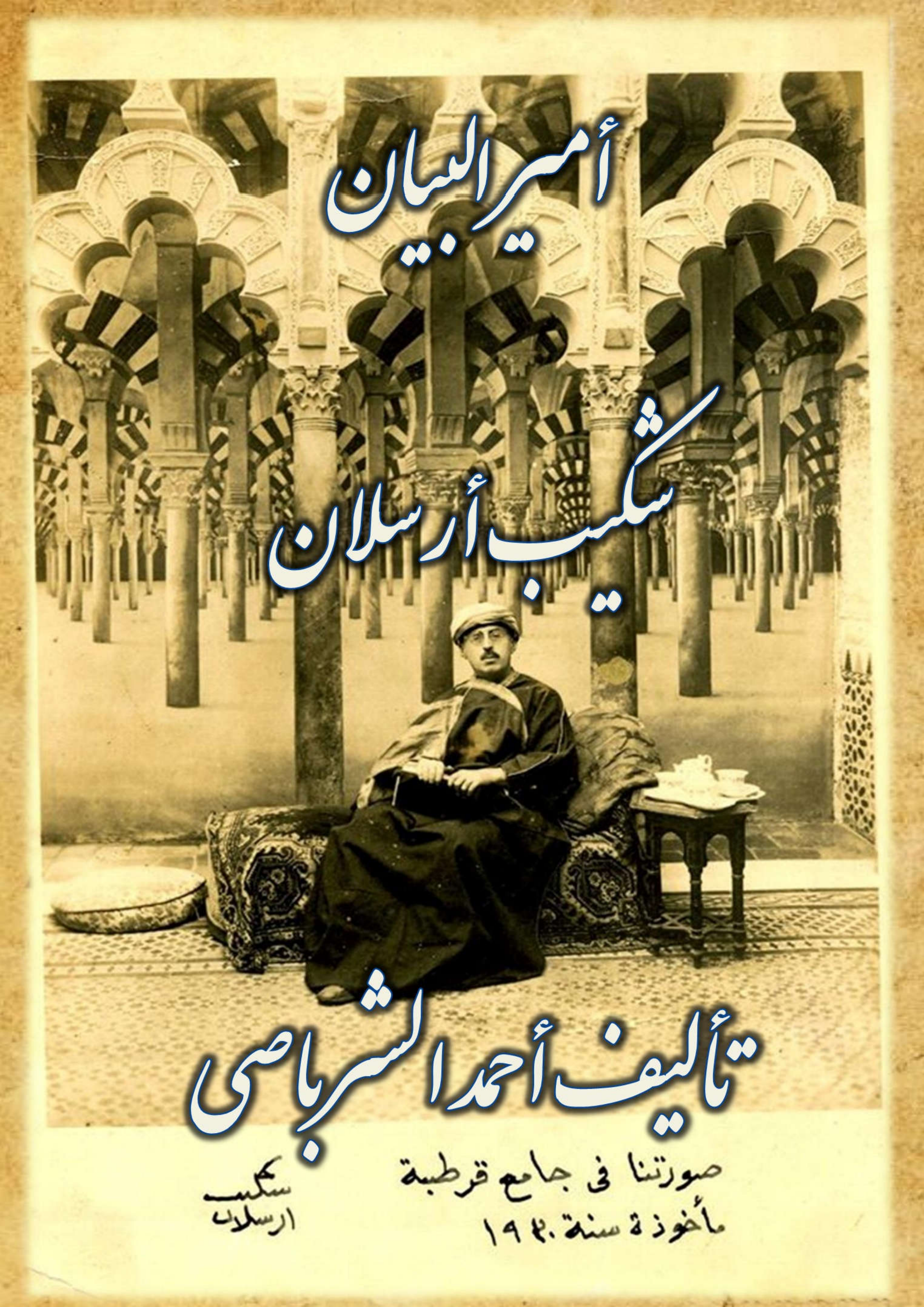
أمير البيان

شكيب أرسلان

تأليف أحمد الشرباصي



أمير البيان

شكيب أرسلان

تأليف
أحمد الشرباصي

الجزء الثاني

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

الطبعة الأولى

١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلى وأسلم على أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد وآله ، وصحبه وأتباعه ، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين ، وأستفتح بالذى هو خير :

« رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »

مقدمة

هذا هو الجزء الثانى من دراستى الأدبية اللغوية عن أمير البيان شكيب أرسلان ، وكانت هذه الدراسة هى الرسالة التى تقدمت بها لنيل شهادة « الماجستير » من معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ؛ ونوقشت هـذه الرسالة مساء ٨ يناير ١٩٦٣ ، ونال صاحبها الشهادة المذكورة ، بدرجة « ممتاز » ، مع تقرير طبع الرسالة على نفقة المعهد تقديراً لها .

وقد تضمن الجزء الأول من هذه الدراسة ستة أبواب هى :

عصر شكيب ، حياة شكيب ، شكيب الناثر ، شكيب الشاعر ، شكيب الناقد ، شكيب اللغوى ؛ وجعلت فى آخر الجزء الأول فهرساً لموضوعاته فقط ، ناوياً بمشيئة الله أن أذيل هذا الجزء الثانى من الدراسة بفهارس أوفَى وأوسع . ولذلك جعلت أرقام الصفحات فى الجزءين مسلسلةً ومتوالية ، ليسهل الرجوعُ إلى الصفحات عن طريق الفهرس ؛ وستكون فى طليعة الفهارس قائمةُ المصادر والمراجع التى جاء ذكرها خلال الدراسة .

والجزء الذى بين يديك سيضم ـ بمشيئة الله تعالى ـ أربعة أقسام من الدراسة ، الأول : هو الباب السابع والأخير من الأبواب ، وموضوعه كتب شكيب وآثاره ، والثانى : عن شكيب فى ذمة التاريخ ، مع نتائج البحث ، والثالث : هو الملحق الأول للرسالة ، وهو مجموعة من رسائل شكيب إلى رشيد رضا ، والرابع والأخير : هو مجموعة من قصائد شكيب وأبياته لم تُنشر فى ديوانه .

هذا وقد استبحت لنفسى فى بعض المواطن من حديثى عن كتب شكيب وآثاره ، وفى بعض المواطن القليلة الأخرى التى مرت ، أن أعيد الاستشهاد بنص

أو بجزء منه ، لأن المناسبة اقتضت هذه الإعادة ، ولأن الإحالة على نصوص سابقة متناثرة هنا وهناك يصعب معها تجلية المراد من النص من جهة ، وتحوج إلى تلخيص هذا النص من جهة أخرى ، وربما تقاصر التلخيص عن الوفاء بالمراد . كما أن ذاكرة الباحث وذاكرة المطالع لا تسعفهما بصفة دائمة بتذكر النص السابق على الوجه المطلوب .

والله جل جلاله المسئول — بفضله ومنّه — أن يرشد على الطريق ، ويهدى إلى سواء السبيل .

أحمد الشرباصي

الباب السابع

كتب شكيب وآثاره

الفصل الأول

المطبوعات والمنشورات

الفصل الثاني

المخطوطات

الفصل الثالث

كتب مقترحة أو كانت فى النية

الفصل الأول

المطبوعات والمنشورات

لشكيب آثار كثيرة ، منها الكتاب المؤلَّف ، والمترجَم ، والمحقَّق ، والمشروح ، والملَّق عليه ؛ ومنها المقالة ، والرسالة ، والمحاضرة ، والبيان السياسى ؛ ومنها المطبوع ، والمخطوط الموجود ، والمجهول المصير ، وقد ظل شكيب نحو ستين عاماً يكتب ويخطب ويحاضر ويراسل ، فلا عجب إذا ترك هذه الآثار الكثيرة المختلفة .

وسأذكر هنا آثارَ شكيب ، مع تعريفٍ بها وملاحظات عليها. وسأرتب كتبه ومنشوراته بحسب تتابعها الزمنى ، ثم أذكر المخطوطات التى لم تنشر ، ثم الكتب التى كان ينوى تأليفها ولا ندرى مصيرها .

(١) باكورة

هذا الكتاب هو أول كتاب ظهر لشكيب أرسلان ، وهو يضم مجموعة من قصائده الشعرية ، وهو غير ديوانه الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، وإن كانت هذه الباكورة تعتبر أصلا للديوان ، لأن شكيب حذف من الباكورة بعض القصائد وبعض الأبيات من قصائد أخرى ، ثم ضم الباقى إلى الديوان .

وقد كُتب على ظهر الكتاب هذا العنوان : « باكورة نظم الأمير شكيب أرسلان عُفى عنه » . وطُبعت الباكورة بالمطبعة الأدبية فى بيروت سنة ١٨٨٧ ، وهى فى نحو تسعين صفحة من الحجم الكبير ، وتحت يدى نسخة طالعها شكيب ، وأحدث فيها بعضَ التعديلات ، وشطب منها بعض الأبيات .

وقد قدم لها ، كما أشرنا من قبل ، بهذه الكلمات :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى سيدنا محمد وآله أفضل الصلاة والتسليم ، وبعد . فقد جمعت بعضَ ما وقع لدىَّ من باكورة نظمى وأنا فى رَوْق الشبيبة ، ولُدون الحداثة القشيبة ، حديث العهد بهذه الصنعة ، قريب الوِرْد بهذه الشِّرْعة ، متطفل على ما ليس فى طوق قبل أن أشب عن الطوق ، متطاول إلى ما هو فوق دون أن أضمن لنفسى الفَوْق ، انتخبتها وليس من مقصدى نشر ديوان ، ولا التلبس بحالة من هذا الشأن ، بل إجابة لطلب بعض الإخوان ، كنت أعتذر إليهم بأنها من عهد الطلب ، وهزة الاقتبال والطرب ، وتطفل الحديث على الأدب ، بل عبث الوليد إذا شب .

فلما لم أر لعرضهم صدًّا ، ولم أجد من إجابتهم بدًّا ، اقتصرت على هذه الأنموذجات ، وأحسبنى تطاولت جدا ، فإن صادفت من الإقبال محلا ، ولاقت قبولا فذاك وإلا

فقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان مالا يلائمه »[1]

وجعل شكيب إهداء الباكورة « لحضرة العالم العامل الفيلسوف الكامل ، واسطة عقد الحكماء ، ودرة تاج البلغاء ، الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده المصرى أيده الله تعالى » . ووجَّه إلى الإمام الشيخ محمد عبده قصيدةَ إهداء ، قال فى مطلعها :

لو هاج مثلُ الفضل خاطرَ شاعر ألقيت بين يدى سواكَ بواكرى
أو لو وجدت بمثل فضلك عاذلا كان الكمال إذا سلوتك عاذرى
لكن سطوتَ على القريض بأسره وغدوتَ أعذبَ منهلٍ للخاطر[2] ... إلخ

ويختم القصيدة بقوله :

أهديتها لا كى تليق ، وطالما قَبِلَ الكبير هديةً من صاغر

---

(١) باكورة ، ص ٢ .
(٢) باكورة ، ص ٣ .

هي دون ما يهدى إليك ، وإنما مثلى على ما فاق ليس بقادر[١]

وفى آخر « باكورة » قال شكيب : « فهذا أثر مما سمح به الخاطر والعمرُ فى أول أطواره ، وجواد القريحة فى بدء مضماره . رسمتُ به النفس على حالتها تلك والمرء مولع بآثاره ، والفتى كَلِفٌ بأبكاره . راجياً ممن تردى برداء الأدب واستثمر بثماره ، أن يتلقى الخلل بواسع حلمه ، ويتغمد الزلل بوارف ستاره ، على أنه لما كانت الباكورة مجموعَ منتخبات ، ومقتطف أنموذجات ، اقتضى أن أودعها أحاسنَ قصائدى ، وأطوى الباقى على غِرّه ، سائلا الله تعالى ما يسددنى إلى طرق الصواب ، وينكب بى عن مداحض الارتياب ، وأن يرشدنى إلى الحق ، ويهدينى بمناره ، ثم الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على محمد بن عبد الله رسوله الأمين ، وعلى آله المقرّبين . وأصحابه المكرّمين ، وأعوانه وأنصاره ، آمين »[٢] .

هذا وقد ذكر عارف النكدى أن « باكورة » شكيب طبعت مرتين[٣] .

(٢) الدرة اليتيمة

بكر شكيب فى حبه التنقيب عن المخطوطات والآثار الأدبية والعلمية ، وذلك على الرغم من شواغله السياسية والاجتماعية والفكرية ، وقد كان هذا الحب سبباً فى أن ينشر أكثرَ من كتاب قديم ، مثل كتاب الدرة اليتيمة لابن المقفع ، ورسائل الصابى ، وكتاب عن الإمام الأوزاعى ، وكتاب أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر ، وغيره .

وقد عثر شكيب على كتاب « الدرة اليتيمة » فى إحدى خزائن استنبول ،

(١) الباكورة ، ص ٤ و ٥ .
(٢) باكورة ، ص ٩٢ .
(٣) مجلة المجمع العلمى العربى — المجلد الثانى والعشرون ، ص ٨٩ .

وهى مكتبة « بنى جامع » فنسخه بخط يده (١) ، وهذا الكتاب — كما جاء على غلاف الطبعة الأولى — « من حكم الأديب المصقع عبد الله بن المقفع ، الكاتب المشهور ، مصححة بقلم عزتلو الأمير شكيب أرسلان عُفى عنه » .

وقد طبعه أول طبعة فى بيروت سنة ١٨٩٣ ، ثم طُبِع طبعة ثانية فى المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٨٩٧ (٢) ، ثم طبع طبعة ثالثة ببيروت سنة ١٩١٠ (٣) .

وقد ظهر الكتاب فى ست وأربعين صفحة من القطع الكبير (٤) . وفى أوله مقدمة بقلم شكيب، بدأها بالإشارة إلى عناية طلاب العربية فى عهده بالإقبال عليها، والاجتهاد فى تحصيلها،* وأنهم يحاولون ذلك بالنظر فى كتب السلف ومنشآت الأولين ، حتى تتكون لهم الملكة الراسخة ، ثم يشير إلى أن العناية بصناعة الإنشاء أجدرُ ما تُصرف إليه الهمة ، ولا سيما فى هذا العصر الذى تمددت فيه مناحى الكتابة ، وتكاثرت الموضوعات ، وتشابكت الأمم والمدارك ، حتى كأن الأمم أمةٌ واحدة ، وكأن الأمة فرد واحد .

ويشير إلى أن المعانى إذا كثرت على الألفاظ ضاق دونها ذرعُ الكتبة ، فذهبوا فى إبرازها مذاهب الضعف أو السخف ، وإذا كثرت الألفاظ على المعانى

---

(١) حاضر العالم الإسلامى ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) مجلة المشرق — السنة الثالثة — العدد ٢ — ١٥ كانون الثانى سنة ١٩٠٠ . وفى محاضرات الدكتور الدهان عن شكيب مايشعر بأن الكتاب نشر سنة ١٩١٠ لأول مرة ، وهذا غير صحيح . انظر ص ٩٣ من محاضرات عن الأمير شكيب .

(٣) محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ، ص ١٦٠ . وقد طبع الكتاب بعد هذا طبعات كثيرة ، بدليل أن « المنار » يذكر أن الكتاب طبع الطبعة الخامسة فى مطبعة الرغائب فى أواخر سنة ١٩١٠ . انظر عدد المنار الصادر بتاريخ ٣٠ يناير ١٩١١ ص ٧٤ .

(٤) نشر الأستاذ محمد كرد على فى مجلة المقتبس (المجلد الثالث سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م) هذه اليتيمة فى ص ١٧٨ — ٢٠٢ ثم علق عليها بكلمة ، وقال إن هناك يتيمة ثانية لابن المقفع ، ثم ساق هذه اليتيمة الثانية فى ص ٢٠٦ ومابعدها ، ونلاحظ أن بعض الباحثين يسمى الكتاب « اليتيمة » ، وبعضهم يسميه « الدرة اليتيمة » .

بين قوم سادت بينهم الصناعة اللفظية ، ولا بد من تناسب القوتين وتضارع المادتين ، حتى يتوافر لكل معنى نديده من اللفظ . وهذه غاية بعيدة وعقبة عنود ، ويمكن اجتيازها بالتطبع على بلاغة الأولين ، وتقليد مناهج السالفين .

ويرى أن أهم مانخدم به اللغة نشرُ كنوزها واستخراج جواهرها ، إذ لم يصلنا منها إلا النزر اليسير ، ثم ينتقل إلى إظهار شغفه بنشر الآثار الأدبية مع كثرة الأعمال والأشغال .

ويذكر أنه عثر على كتاب ابن المقفَّع فى دار الخلافة العظمى مع جملة كتب ، فاستحسن نشرَه ، لما فيه من بلاغة وحكمة وحجة ، مما لم يتضمنه كتاب قبله ، ويُطنب فى الثناء على الرسالة ، وعلى صاحبها ابن المقفَّع ،فيقول : «ولعمرى لو استفرغ مجتهد وُسْعَه فى إهداء أرباب الأقلام طُرفةً تعجبهم ، فقصاراه نشر كلام مثل ابن المقفَّع » (١) .

وينوهِّ شكيب بقيمة الاختيار ، وأنه لا يقل قيمة ولا جهداً عن التأليف والإنشاء ، فيقول : « فقد يكون من فضل المرء فى حسن انتقائه ما يربو على فضله فى حسن إنشائه ، إذ كان من الاختيار ما هو أنطق بالفضل ، وأدل على العقل ، على حد قول القائل :

قد عرفناك باختيارك ، إذ كا ن دليلاً على اللبيب اختيارُه » (٢)

ثم يورد ملخصَ ما ذكره ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » فى ترجمة ابن المقفَّع ، وذلك فى نحو ثلاث صفحات .

ويبدأ كتاب ابن المقفَّع الذى نراه يفتتحه بالثناء على السابقين ، وأنهم ولجوا كل باب من أبواب العلم ، وأنه سيذكر شيئاً من أبواب الأدب مشتقاً من حِكَم

---

(١) الدرة اليتيمة ، ص ٥ .

(٢) المرجع السابق .

الأولين ، ثم يتحدث عن الأخلاق والآداب اللازمة للإنسان والسلطان ، ثم عن الآداب اللازمة لمن يصحب الملوك ، ثم يتكلم عن أخلاق الصديق .

وبحسبنا أن نورد مثالين موجزين من أسلوب الكتاب ، الأول هو :

« وأصل الأمر في البأس ألا تحدث نفسك بالإدبار وأصحابك مقبلون على عدوهم ، ثم إن قدرت أن تكون أولَ حامل وآخرَ منصرِف من غير تضييع للحذر فهو أفضل » (١) .

والنموذج الثاني هو :

« لا تتركن مباشرةَ جميع أمورك ، فيعود شأنك صغيراً ، ولا تلزم نفسك مباشرةَ الصغير فيصير الكبير ضائعاً . اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ، ففرغه للمهم ، وأن مالك لا يغني الناس كلَّهم ، فاختصَّ به ذوي الحقوق ، وأن كرامتك لا تطيق العامة ، فتوخَّ بها أهلَ الفضائل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وإن دأبت فيهما ، وأنه ليس لك إلى أدائها سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما ، فأحسن قسمتهما بين دَعَتِك وعملك .

واعلم أنك ما شغلت من رأيك بغير المهم أزرى بالمهم ، وما صرفت من مالك بالباطل فقدتَه حين تريده للحق ، وما عدلت به من كرامتك إلى أهل النقص أضرَّ بك في العجز عن أهل الفضل ، وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة » (٢) .

ولا شك أن نشر هذا الكتاب عمل مشكور ، لأنه قطعة من الأدب الجليل ، فهو طبقة عالية في البلاغة ، ودرجة سامية في الحكمة ، بلا سجع ولا تكلف ، وقد بذل شكيب في تحقيقها جهداً .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣ .

ولكن يمكن أن نلاحظ الملاحظات التالية :

١ — أهمل شكيب « الترقيم » مع احتياج عبارة ابن المقفَّع أكثرَ من غيرها إلى الترقيم ، والترقيم مما لا ينبغى التساهل فيه ، وإن بدا أمراً شكلياً ، لأن فهم المعنى يتوقف أحياناً على ضبط الترقيم .

٢ — كان يمكن وضع عناوين — ولو فى جوانب الصفحات — بدل أن تأتى الرسالة سرداً ، اللهم إلا عنواناً واحداً فى الصفحة السابعة والعشرين من عمل ابن المقفَّع ، وهو « باب الصديق » .

٣ — هناك كثير من الكلمات تحتاج إلى الضبط والشكل ، وكثير من العبارات تحتاج إلى الإيضاح ، لما فى كلام ابن المقفع أحياناً من التقديم والتأخير .

٤ — اقتصرت التعليقات على شرح لغوى وجيز لبعض الألفاظ ؛ ومجموع هذا الشرح لايتجاوز — إن جمع — صفحتين . مع أن هناك مواطنَ كان ينبغى أن نسمع فيها رأى شكيب ، فابن المقفع مثلاً ينهى عن مجالسة المغضوب عليه من الوالى[١] ، فهل يوافق شكيب على هذا ولو كان المغضوب عليه كريماً ومُحِقّاً ؟ .

ويدعو ابن المقفَّع إلى احتمال ما خالفَ من رأى الولاة[٢] ؛ فما رأى شكيب ؟ .

ويدعو ابن المقفع إلى السكوت عن تصحيح أخطاء الأصدقاء[٣] ، فهل يرتضى ذلك شكيب ؟ .

ويقول ابن المقفع إنه « لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك »[٤] ، فهل هذا مسلَّم ؟ وما مدى اتفاقه مع القول القائل : «أحبب حبيبك هوناً ما » ؟! .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦ .
(٢) ص ٢٥ .
(٣) ص ٢٨ .
(٤) ص ٣٠ .

ويدعو ابن المقفَّع إلى الرضا بأفضلية الغير[1] ، فهل يُرضى هـذا طموحَ شكيب ؟ . .

• • •

وبعد ظهور الـكتاب كتب المستشرق « بروكلمان » فى المجـلة العلمية الشرقية الألمانية يقول إنه يظن أن « الدرة اليتيمة » هى كتاب « الآداب » لابن المقفَّع ، وأن تسمية « الدرة اليتيمة » من عمل بعض النساخ ، والدليل على ذلك أن « الفهرست » لابن النديم يلحق « اليتيمة » بالرسائل ، والدرة المطبوعة ليست من الرسائل ، وابن قتيبة فى المجلد الأول من « عيون الأخبار » يذكر قطعة من « اليتيمة » لاتوجد فى الرسالة التى طبعها شكيب ، وكذلك تـكلم الفهرست عن تأليفين تحت عنوان « الآداب » لابن المقفَّع ، أحدهما كبير ، والآخر صغير .

وقد ردَّ شكيب على المستشرق شاكراً له عنايتَه ، وقال إن ما ذهب إليه المستشرق « وإن كان غير بعيد من الصواب لا يمكن الجزم به ، لما سيأتيك من اختلاف أسماء تآليف ابن المقفَّع ، وتباين نسختين من بعض كتبه فى نصهما واتفاقهما فى الاسم ، أو اتحادهما فى النص واختلافهما فى الاسم ، مما يحيِّرُ الفكرَ فى هذه القضية ، وإن كان يرجح أن النساخ هم مصدر هذا الاختلاف » .

ويذكر شكيب اتفاق مترجمى ابن المقفع على ذكر كتاب « اليتيمة » ، وأن الشيخ محمد عبده كتب إليـه بأنه يوجد فى « الـكتبخانة الخديوية » بمصر كتاب اسمه « كتاب الأدب » لابن المقفَّع ، وهو حِكَمٌ منثورة أصغر من اليتيمة ، وأنه يوجد فى دمياط كتاب لابن المقفع اسمه « الأدب الجامع » هو اليتيمة بعينها التى طبعها شكيب .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ .

يقول الإمام محمد عبده فى رسالته : « ومن هذا يتبين أن له كتابين : الأدب ، والأدب الجامع ، والأول غير اليتيمة ، والثانى هو هى » .

ثم يقول شكيب : « فأنت تنظر مقدارَ الصعوبة فى حصر اليتيمة ، ومعرفة أى كتاب من كتب الرجل هى » .

ثم يذكر النسخ التى جاء فيها اسم « الدرة اليتيمة » ، والاختلافات الموجودة بينها ، ثم يقول إنه طبع الكتاب كما وجده بدون تحريف ، والنقل أمانة(١) .

وهناك من الباحثين من يجزم بأن كتاب « اليتيمة » هو كتاب « الأدب الكبير » . فقد كتب الأستاذ طه الحاجرى فصلا عن « كتاب اليتيمة لابن المقفَّع » ، يقول فيه :

« لا أقصد فى هذا الفصل أن أتحدث عن الكتاب الذى نشره الأمير شكيب أرسلان فى أواخر القرن التاسع عشر ، باسم (الدرة اليتيمة) تبعاً للمخطوطة التى نشره عنها ، ثم نشره الأستاذ كرد على بهذا الاسم أيضاً ، فى مجموعة (رسائل البلغاء) ، فليس هناك شك فى أن الاسم الصحيح لهذا الكتاب هو الأدب الكبير أو الآداب ، كما كان ابن قتيبة يسميه فيما ينقل عنه فى كتابه (عيون الأخبار) .

وإنما أعنى كتاب اليتيمة الذى كان يُطلَق عليه هذا الاسم فى العصر الذى وُضع فيه ، والذى تعرَّض لما تعرَّض له معظمُ كتب ابن المقفع من طغيان العصور وآفات الزمن ، فضاع فيما ضاع من ذلك التراث الأدبى ، ثم انفرد من دونها بكثير من الغموض والإبهام »(٢) .

---

(١) مجلة المشرق — بيروت — السنة الثالثة — عدد ١٥ كانون الثانى سنة ١٩٥٠ — مقال « يتيمة ابن المقفع » .

(٢) مجلة الكاتب المصرى — المجلد ٣ . العدد ١٠ — ص ٢٦٥ — شعبان ١٣٦٥ — يوليه ١٩٤٦ .

و كتاب الدرة قد قيل عنه إن صاحبه ابن المقفع قد عارض به القرآن ، ولكن هذا القول لم يسنده دليل مقبول ، وهذا هو الباقلانى يقول :

« وقد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن ، وإنما فزعوا إلى الدرة واليتيمة. وهما كتابان : أحدهما يتضمن حِكَماً منقولة ، توجد عند حكماء كل أمة مذكورة بالفضل ، فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى .

والآخر شيء من الديانات ، وقد تهوس فيه بما لا يخفى على متأمل . وكتابه الذى بيناه فى الحكم منسوخ من كتاب بزرجمهر فى الحكمة ، فأى صنع له فى ذلك ؟ وأى فضيلة حازها فيما جاء به » ؟[١] .

ونلاحظ هنا أن الباقلانى قد فرق بين « الدرة » و « اليتيمة » ، وقد جعل الدرة كتاباً مترجماً فى الحكمة ، وقد جعل اليتيمة كتاباً مؤلفاً فى الديانات .

ومصطفى صادق الرافعى ينفى عن ابن المقفَّع أنه عارض القرآن فى كتابه « الدرة اليتيمة » ، وقال عنه :

« طُبع هذا الكتاب مرارا ، وهو من الرسائل الممتعة ، يعد طبقةً من طبقات البلاغة العربية ، ولكنه فى المعارضة ليس هناك ، لاقصداً ولامقاربة ، ونحن لانرى فيه شيئاً لا يمكن أن يؤتى بأحسن منه ، وما كل ممتع ممتنع . وقال الباقلانى : إنه منسوخ من كتاب بزرجمهر فى الحكمة ، وهذا هو الرأى ، فإن ابن المقفَّع لم يكن إلا مترجما ، وكان ينحطُّ إذا كتب ، ويعلو إذا ترجمَ ، لأن له فى الأولى عقلَه ، وفى الثانيـة كلَّ العقول . . . . . . وفى اليتيمة عبارات وأساليب مسروقة من الإمام على »[٢] .

---

(١) كتاب إعجاز القرآن للباقلانى ، ص ١٢٥ .
(٢) كتاب إعجاز القرآن للرافعى ، ص ٢٠٣ . الطبعة الرابعة .

هذا وقد عاد الأستاذ جورجى شاهين عطية فطبع « الدرة اليتيمة » فى سنة ١٩٣٢ فى ثلاث وثمانين صفحة بمطبعة صادر ببيروت ، وأشارت مجلة « المشرق » إلى أنه أعاد النظر فى الدرة بعد طبعة شكيب الثانية لها ، وأن الأستاذ جورجى ضبطها وعلق عليها بعض الحواشى ، ووطأ لـكل ذلك بنبذة مختصرة فى حياة ابن المقفع وآثاره[١] .

(٣) رواية آخر بنى سراج

هذه قصة ترجمها شكيب عن الفرنسية . وهى من تأليف الفيكونت دو شاتو بريان الكاتب الفرنسى الشهير ، وشاتو بريان كما يقول عنه شكيب هو « أكتب كتاب فرنسة ، ويمتاز أسلوبه بعلو الطبقة والفخمية[٢] ، وغزارة التصورات ، ورقة الشعور ، وشفوف الحس ، ودقة الوصف ، ونصوع اللون ، وكان من رجال السياسة ، ونصب وزيراً للأمور الخارجية عند رجوع الحكم الملكى بعد الثورة[٣] » . وقد طبعت الرواية أولا بمطبعة الأهرام[٤] بالإسكندرية سنة ١٨٩٧م ، ثم أعيد طبعها بمطبعة « المنار » بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ — ١٩٢٥م .

والواقع أن هذا الكتاب يشمل أربعة أجزاء ، وإن كان فى مجلد واحد . الأول هو « رواية آخر بنى سراج » ، والجزء الثانى هو « خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة » بقلم شكيب ، والجزء الثالث هو كتاب « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » لمؤلف مجهول شهد وقائع سقوط الأندلس بنفسه ، والجزء الرابع « آثارة تاريخية رسمية فى أربعة كتب سلطانية أندلسية صادرة عن أبى الحسن

---

(١) مجلة المشرق ــ المجلد ٣٠ ــ ص ٨٧٩ . سنة ١٩٣٢ .
(٢) الفخمية (بضم الفاء وفتح الخاء) : التعظيم والاستعلاء .
(٣) أناتول فرانس فى مباذله . هامش ص ١٥٨ .
(٤) نشرت القصة أولا فى جريدة الأهرام ، ثم طبعت بمطبعتها فى كتاب مستقل ، انظر مجلة الزهراء ، المجلد الثانى سنة ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥م ص ٦٠ .

على بن أبى النصر بن أبى الأحمر إلى بعض فرسان الاسبانيول وزعمائهم بين سنتى ١٤٧٠ و ١٤٧٥م » . وأبو الحسن هـذا هو والد أبى عبد الله آخر ملوك العرب بالأندلس . وأكبر هذه الأجزاء حجما هو خلاصة تاريخ الأندلس ، لأنه يستغرق ثمانى وستين وثلاثمائة صفحة ، وأصغرها هو الأثارة التاريخية الرسمية لأنها تستغرق ست صفحات . والكتاب كله فى سبع عشرة وأربعمائة صفحة من القطع الكبير .

وهذه الرواية تدور « على سياحة شاب تام الرجولية ، باهر الفروسية ، من بقايا آل سراج الغرناطيين ، من أكرم بيوتات العرب الباقين ، كانوا بالأندلس لعهد خلوها من الإسلام ، ونبوّها عن حمر الأعلام ، هبَّ من تونس حيث كان جالية الأندلس قد نزل أكثرهم سائحاً إلى وطنه القديم ، متعللا بالمعظام الرميم ، طائعاً هوى النفس فى الذهاب أين ساقه التذكار والحنين : هائماً على وجهه فى تلك الأرض التى عمرها آباؤه مئين من السنين[1] » .

وهذا الفتى أحبَّ فتاةً من سريات الأسبانيول ، وحال دون اقترانهما إعجاب كل منهما بدينه ، ثم ما تبين لابن سراج من أن معشوقته من سلالة « آل بيفار » الذين فتكوا بآبائه عند جلائهم عن الأندلس .

وقد اختار شكيب نقلها إلى العربيـة « للطف معناها ، وشرف مغزاها ، وما تضمنته من آداب المحبين ، وإيثاراً لما فيها من مكارم الأخلاق ، ومزايا الأشراف من الفرسان ، واطلاعاً على كثير من الصفات الملكية متزحزحة عن أفق الملأ العلوى إلى عالم الإنسان ، استدلالاً على بديع صنع الله حين يجمع بين الحسن والإحسان ، ثم تعريفاً بحال الفروسية إذ ذاك ، وما انطوى من مكارم الأخلاق بين الإلجام والإسراج ، وتلذذاً بذكرى السلف ، واستقراء لآثار العرب ، على نحو الغرض الذى حدا بقية بنى سراج[2] » .

---

(١) رواية آخر بنى سراج ، المقدمة ، ص ٢ . والرميم : البالى .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣ .

وفى موطن آخر يتحدث شكيب عن السبب فى تذييل القصة بخلاصة عن تاريخ الأندلس ، فيقول : « إنما حدا بى إلى تذييل هذه الرواية أمران : الأول : إعانة القارئ على فهم الحوادث ومعرفة الوقائع بما تفقد بدونه لذة المطالعة ، والثانى : ما رأيته من اختصار جرم الرواية ، فآثرت إردافها بذيل يطيل من قدها ويزيد حجمها ، ويكون فيه من حقائق الوقائع التاريخية ما لا يقصر فكاهة عن موهوم الرواية الغرامية[1] » .

والتماس لكتابة الخلاصة بإطالة قد الرواية وزيادة حجمها لا نرتضيه سبباً قوياً ، لأن العبرة ليست بالكم ، وإنما هى بالكيف كما يقولون .

ويذكر شكيب أن كتب العرب لا تشير إلى شيء من هذه القصة ، ومعنى هذا أنها بنتُ خيال ، ولو كانت واقعيةً لما فات المقَّرِى صاحبَ « نفح الطيب » أن يذكرها .

وهذا ضياء باشا الأديب التركى يشير فى تاريخه للأندلس إلى هذه القصة ، ويبين استحالةَ وقوعها ، ويرجح أنها من أوهام الأسبانيول ، ويرى شكيب أنها إن كانت ذات أصل فلابد أن يكون ضعيفاً جدا[2] .

ويبدو أن أمير البيان لم يتمسك بنص الترجمة ، لأنه يستشهد خلال الرواية بأبيات وقطع من الشعر ليست من أصل الرواية ، مثل استشهاده فى وصف فتاة جميلة بقول الشاعر :

لها منظر قيدُ النواظر لم يزل يروح ويغدو فى خفارته الحب

وقول الآخر :

بأبى من هِمتُ فيـــه سَحَرا يتهـــادى كنسيم السحرِ

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٢) رواية آخر بنى سراج ، ص ٦٥ .

أقبس الصبح ضياء ساطعاً … فأضا والفجر لم ينفجر

واستمار الروضُ منه نفحةً … بثّها بين الصَّبا والزهر

أيهــا الطالع بَدرًا نيِّراً … لا حلتَ الدهر إلا بصرى[1]

وقد بذل شكيب جهداً واضحاً فى تحقيق الأعلام العربيــة والأسماء العربية المكتوبة فى أصل الرواية بالحروف اللاتينية ، وهو يشير إلى هــذه الناحية ، ويتحدث عن خطأ المعربين فى نقل الأسماء العربية المكتوبة بحروف لاتينية ، ثم يقول :

« ولقد عانيتُ من هذه الأسماء شدةً فى رواية (آخر بنى سراج) وذيلها ، لكثرة ما تتناوح الأعلام الأندلسية هناك بين العربية والأسبانية ، فوفقنى الله بعد الإمعان الطويل إلى تحقيق أكثرها ، ولكننى لا أزال فى ريبة مما لم أجد ما يقاربه فى العربى مما ينطبق عليه علامته الجغرافية ، لا سيما بعد أن تأملت كثيرا من الأسماء التى حققت أنهــا هى على ما بين لفظيها العربى والإفرنجى من البون البعيد »[2].

وقد لاحظ السيد رشيد رضا — فى بعض رسائله إلى شكيب — وجودَ كلمات تحتاج إلى تصحيح أو تغيير فى ترجمة (آخر بنى سراج)، وفى أثناء الطبع كان السيد رشيد متوليا التصحيح والإشراف على الطبع ، فأصلح جانباً من هذه الكلمات ، وفى الطبعة الثانية للرواية صحح شكيب ما يلزم تصحيحه[3] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣ . وقد تكرر مثل هذه الاستشهادات فى ص ١٥ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٦ و ٣٨ و ٣٩ إلخ .

(٢) مجلة المشرق (بيروت) — المجلد الأول — سنة ١٨٩٨ — العدد ١٩ ص ٨٧٢ مقال « الأعلام العربية باللغات الأجنبية » لشكيب . وتتناوح : تتقابل

(٣) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٣٤٨ و ٣٥١ و ٣٧٥ .

وقد كتبت الدكتورة سهير القلماوى مقالا عن القصة ، ولاحظت عليها الملاحظات التالية :

١ — القصة كلها لا أصل لها فى التاريخ .

٢ — الفكرة الدينية عنصر هام فيها .

٣ — تعد من مؤلفات شاتوبريان الثانوية ، ولكنها تؤثر فى نفس قارئها .

٤ — أبطال القصة مرتفعون بشهامتهم وشرفهم ارتفاعاً لا يقربهم إلى نفس القارئ .

٥ — الحادثات فى القصة متكلّفة بشكل غريب .

٦ — كان المؤلف وصّافاً أكثر منه قصصياً ، وغلب عليه الاهتمام بوصف « الحمراء » .

ثم حكمت على الترجمة بقولها : « ترجم القصة الفرنسية الكاتب المعروف شكيب أرسلان ، ولكن الترجمة حرفية ، وقد أخلّت حرفيتُها بكثير من معانيها ، وجعلت لها صبغةً غريبة لغرابة تراكيبها وتعابيرها ، ولو عمدت إلى نقل المواضع التى أفسدتها الترجمة الحرفية لأكثرتُ وأمللت[1] » .

ومن اللافت للنظر أن الأستاذ محمد عبد الله عنان كتب فصلاً عن هذه القصة ولكنه لم يشر إلى ترجمة شكيب لها[2] .

ويبدو أن شكيب لم يتقن ترجمةَ الرواية ، ولعل ذلك لأنها أول محاولة له فى الترجمة ، ولأنه لم يكن قد تمرس بعد بأسباب البيان كما توافر له هذا فيما بعد ،

---

(١) مجلة الرسالة — السنة الثانية — المجلد الأول — ص ٣٧٥ — ٢١ مايو ١٩٣٤ مقال « مغامرات آخر بنى سراج » لسهير القلماوى .

(٢) مجلة الكاتب المصرى — مجلد ٢ عدد ١٠ — شعبان ١٣٦٥ — يوليه ١٩٤٦ ص ٢٨٤ مقال « مأساة بنى سراج » لعنان .

وقد أشار إلى هذا السيد رشيد رضا فقال لشكيب : « إن عبارتها دون ما يعرفه العلماء والأدباء من كتابتك ، بأنها ترجمة ، وبأنها من أول العهد بتمرنك على الترجمة [1] » .

كما أن شكيب خلط بين الترجمة للأصل والزيادات التي دسها خلال الترجمة .

(٤) المختار من رسائل

أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابي

طُبع هذا الكتاب في المطبعة العثمانية في بعبدا بلبنان سنة ١٨٩٨م . وقد جاء على غلاف الكتاب أنه « الجزء الأول » ، وأنه قد « نقّحه وعلّق حواشيه جناب الأمير شكيب أرسلان أحد أعضاء الجمعية الآسيوية الفرنسية » . وظهر في ثمان وثمانين ومائتي صفحة من القطع المتوسط ، وبه مقدمة لشكيب ، وتعليقات لغوية وتاريخية ، وقد وقعت في الكتاب أغلاطٌ مطبعية كثيرة قيدها الناشر بآخر الكتاب ، وقال الأب لويس شيخو عن الكتاب : « ويا حبذا لو كانت المطبعة أخرجت هذا الأثر الخطير في معرض أبهى وأليق بشأنه ، وتجنبت بعض أغلاط تشوهً محاسنَه [2] » .

ويبدو أن شكيب قد قسم رسائل الصابي إلى جزأين ، ونشر الجزء الأول ، ومات قبل أن ينشر الجزء الآخر ، ولم يُنشر حتى الآن ، وكان شكيب قد عثر على الكتاب في خزانة « يني جامع » إحدى خزائن الكتب باستانبول [3] ، فنسخ الكتاب بخط يده .

ويبدأ شكيب مقدمة الكتاب بعبارة مسجوعة لا تخلو من صنعة ، وتشتمل على

---

(١) السيد رشيد رضا ، ص ٣٥١ من رسالة بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٤٣ - أول يناير ١٩٢٥ .

(٢) مجلة المشرق - السنة الثانية - العدد ١١ - أول حزيران ١٨٩٩ .

(٣) حاضر العالم الإسلامي ، ج ١ ص ٢٣٠ . ورسائل الصابي : ٤ ص .

الحمد لله والصلاة على الرسول والأنبياء ، ثم ينوه بمنزلة الصابى بين الأدباء ، ويقول :

« وإن كلاً من أصاب من الأدب ذَرْوًا ، وعرف للقلم بريًا ، وللمداد جريًا ، ليصبو إلى بيان الصابى ، وينتشى بإنشائه العالى ، فهو ينظر فيه من خطط البلاغة ومراسمها ، ما يعز الإتيانُ بمثل بدائعه على رائمها ، وتخفر عذارى خطبه دون خاطب كرائمها[1] » .

وبعد أن يقضى رغبته من هذا الثناء يشير إلى الكتاب ، وأنه عثر عليه فى أثناء تنقيبه فى (دار الخلافة) ، فاجتهد فى إبرازه ، وقسمه جزءين لكثرة ورقه ، ويقول :

« علقت عليه ما يناسب من شرح الوقائع ، وذيلته بما يلزم من تفسير الغريب ، تتميا للفائدة ، وإجزالا للعائدة ، ووقوفاً بالقارىء على أسرار الكلام وأنحائه ، وما يطوى من الحكم والنكت فى أثنائه ، خصوصاً وأن اكتناه الأسباب ضرورى لتفهّم المسائل ، وأن معرفة الوقائع التاريخية تزيد فى حلاوة الكتب والرسائل »[2] .

ثم يورد شكيب ترجمةً للصابى ، يأخذها عن أبى منصور الثعالبى وغيره ، مع تلخيص وتصرف كما يقول[3] ، ويستطرد عقب هذا فيسرد أخبارَ الفتنة بين الأتراك والديلم بالأهواز ، وبعد أن يتم سردها يقول : « وقد استوفينا شرحَ هذه القصة ، لأنها من أحسن ما رُوى فى الوفاء والبر بالأهل ، وهكذا وهكذا ، وإلا فلا »[4] .

ولا شك أن الأمير فى تعليقاته وشروحه وحواشيه أديب مؤرخ لغوى ،

---

(١) المختار من رسائل الصابى ، ص ٢ و ٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٠
(٤) المصدر السابق ، ص ١٤

وهو يستقبىء المراجع في تعليقاته ومراجعاته ، ويستعين فيها بالمعجمات والآيات والأحاديث والأمثال والأشعار وكتب التاريخ والأدب ، ويناقش الصابى أحياناً .

ولا شك أنه مشكور أيضاً شكراً جزيلا على سبقه في نشر هذه الآثار الأدبية ، في وقت قل فيه النشر ، وقلت وسائله ، ولم تكن الطباعة ولا وسائل النشر والتحقيق قد تيسرت بالشكل الذى نراه الآن .

ولكننا نلاحظ الاستطرادَ المتكرر عند شكيب ، فهو مثلا عند ما يأتى في الكتاب ذكرُ رسالة موجهة إلى القرامطة ، يسارع إلى الاستطراد الطويل جداً ، فيأتى على تاريخ القرامطة ، معولاً في أكثر كتابته على ابن الأثير ، ويستمر في ذلك حتى يستغرق أكثر من خمس عشرة صفحة[١] . وهذا يُعتبر بحثاً مستقلا ! تدع إليه مناسبةٌ سوى مجىء ذكر القرامطة ! .

ولكن الأمير يعلم أنه يستطرد ، ويرضى بهذا ، وإن كان يسوغه أحياناً . فهو يذكر « رسائل الصابى » في إحدى مقالاته ويذكر أنه طبعها وعلّق عليها حواشى ، ثم يعلل لذلك بقوله : « لأنه كُتِبَ علىَّ فيما يظهر أن أكون محشياً »[٢] .

ويقصِّر شكيب في التعليق أحياناً ، فعند ما يقول الصابى : « فإن المستحب في الحدود أن تقام بالبينات وتدرأ بالشبهات » يقتصر شكيب على تعليقه على كلمة « المستحب » بقوله : « وفي رواية ابن الأثير : فإن (الواجب) بدل (المستحب)[٣] » .

ويسكت شكيب ، وكان الواجب عليه أن يفرّق بين الروايتين ، وأن يعتمد روايةَ ابن الأثير لأنها هى الصحيحة ، إذ لا يستحب إقامةُ الحدود بالبينات ودرأها بالشبهات فقط ، بل إن ذلك واجب مفروض شرعاً .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ — ٢٦١ .

(٢) جريدة الشورى — ٢٠ أغسطس ١٩٢٥ — مقال « من القلب إلى القلب سبيل » .

(٣) رسائل الصابى ، ص ١٠٥ .

وبينما يُعنى شكيب بتفصيل القول فى شرح مفردات كثيرة نراه يترك غيرها بلا شرح ، وقد تكون المفردات التى تركها أكثر من غيرها حاجة إلى التفسير ، وذلك مثل الكلمات التالية : « يربها — الإدالة — الزيال — حوبائه — مَوْبِل — التوقل — العقوة — الثأى — استنطاف »[١] .

كما قد يقصر فى تفسير اللفظ ، مثل كلمة « الأمراس » فإنه يفسرها بقوله : « جمع مرس »[٢] ، ثم لا يفسر المرس ، وهو الحبل .

(٥) إلى العرب ، بيان للأمة العربية

طبع هذا البيان فى كتاب سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٣ م ، وعنوانه الكامل : « إلى العرب ، بيان للأمة العربية عن حزب اللامركزية » ، وقد ندد فيه شكيب بالعصبية الجنسية التى حاول البعضُ إثارة العرب بها على الدولة العثمانية .

هذا وقد أصدر شكيب أيضاً بياناً إلى الأمة العربية سنة ١٩٢٣ يدعو فيه إلى الجامعة العربية ، واشترك معه فيه إحسان الجابرى ، وقد وجّهاه إلى البلاد العربية وملوكها ، ووزعا منه آلاف النسخ ، وطالبا فيه تكوينَ كتلة عربية ، لأن الخطر شديد على البلاد لو بقى أبناؤها متخاذلين متفرقين[٣] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨ و ٢٧ و ٣٠ و ٤٠ و ٥٧ و ٥٩ و ٨٣ و ١٠٩ .
ويربها : يصلحها ، والإدالة : الغلبة . والزيال . المفارقة . والحوباء : النفس ، والموبل : الشديد من العصا الغليظة . والتوقل : الصعود فى الجبل . والعقوة . ماحول الدار ، والمحلة ، ونحو : والثأى . الإفساد والجراح والقتل . والاستنطاف : إسالة الماء .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(٣) مجلة الأديب — السنة السادسة — الجزء الثانى — شباط ١٩٤٧ .

(٦) أعمال الوفد السورى الفلسطينى

طُبع هذا الكتاب فى «المطبعة السلفية» بمصر، فى ثنتين وخمسين ومئة صفحة من القطع المتوسط، وذلك فى كانون الثانى (يناير) ١٩٢٣ م. وقد نشرت هذا الكتابَ اللجنةُ التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى بمصر.

واشترك فى مواد الكتاب مع شكيب زملاؤه أعضاء الوفد السورى الفلسطينى إلى مؤتمر (جنوى)، وهم: إحسان الجابرى، وميشيل لطف الله، وسليمان كنعان، وتوفيق اليازجى. والكتاب يضم البيانات والمذكرات والمطالب التى قدمها الوفد إلى مؤتمر (جنوى) وغيره فى القضية السورية، وذلك خلال المدة من آيار (مايو) سنة ١٩٢٢ إلى تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٢ م.

وشكيب كان السكرتير العام للوفد، فهو إذن الذى يكتب البيانات والمذكرات بحكم منصبه، ثم هو أكثر زملائه اشتغالا بالكتابة والبيان، ولذلك نرجِّح أنه الذى كتب هذه البيانات والمذكرات.

ومما يدل على ذلك أن شكيب كتب إلى رشيد رضا رسالة تاريخها ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩، يقول فيها:

«الشيء الذى طلبتموه فى كتابكم الماضى، وهو تلخيص عمل الوفد السورى من بعد انفضاض مؤتمر جنيف إلى الآن، سأعمله وأبعث به إليكم».

والمذكرات والبيانات السياسية التى أصدرها شكيب منفرداً أو بالاشتراك مع غيره كثيرة ضخمة، وهذا هو شكيب يقول فى رسالة لأحد أصدقائه: «وقد تكلمت مع زميلى إحسان بك الجابرى فى قضية ما قدمناه من التقارير إلى جمعية الأمم فى مدى هذه الخمس عشرة سنة دفاعاً عن سورية وفلسطين، وكلها تقارير مطبوعة لا يلزمها غير الجمع، فوجدناها تبلغ بضعةَ عشر مجلداً، وإن أردنا أن نضيف إليها

والكتابات التي صدرت منا إلى المقامات الرسمية الأخرى في موضوعي سورية وفلسطين أنافت هذه المجموعة على عشرين مجلداً »[1] .

وفي موطن آخر يقول : « وعند ما انعقد الاتفاق الأخير في السنة المنصرمة (١٩٣٦ م) بيننا وبين فرنسة ، وتألفت الحكومة الوطنية في دمشق ، أردنا جمع ما تقدم منا [يقصد وفد المؤتمر السوري الفلسطيني إلى أوربة] في الست عشرة سنة المذكورة من النداءات والمذكرات والاحتجاجات إلى جمعية الأمم ، وما وجهناه من المخاطبات إلى رجال الدول ، فوجدنا ذلك يقع في خمسة عشر إلى عشرين مجلداً ، مما تتعذر النفقة اللازمة لأجل طبعه ، فقررنا إهداء هذه الوثائق كلها إلى نظارة الخارجية السورية »[2] .

(٧) حاضر العالم الإسلامي

هذا الكتاب في الأصل من تأليف الكاتب الأمريكي « لوثروب ستودارد » .

وقد ألفه صاحبه ونشره سنة ١٩٢١ ، وتحدث فيه عن حاضر المسلمين ، وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض مساعد السكرتير العام للمجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين حينئذ ، وأمضى في ترجمته سنتين[3] ، ثم قدّمه إلى الأمير شكيب الذي علّق عليه تعليقات كثيرة ، ووضع له حواشيَ كبيرة حتى كاد يضيع أصل الكتاب بين فيضان التعليق والتحشية ، وأصبح الكتاب لا يُنسب إلى مؤلفه ، ولا إلى مترجمه ، بقدر ما يُنسب إلى الأمير شكيب .

وقد ظهرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٢٥ م — ١٣٤٣ هـ بالمطبعة السلفية بالقاهرة ، في ألف صفحة بحروف دقيقة في مجلدين .

---

(١) مجلة الشباب — العدد ٣٣٦ — ٣ مارس ١٩٣٧ .
(٢) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ١٥٨ .
(٣) جريدة الشورى ، عدد ١٦ إبريل ١٩٢٥ .

وفى فبراير سنة ١٩٢٧ زار الأمير شكيب صديقه العالم الاجتماعى الدكتور « لوثروب ستودارد » فى مدينة بوسطن فى أمريكة بدعوة منه ، وجرى بينهما حديثٌ عن الكتاب [1] .

وفى سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م أعيد طبعُ الكتاب فى مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، بعد أن ندرت نسخُ الكتاب ، وبيعت بأثمان عالية [2] ، وبعد أن عاد شكيب إلى النظر فى حواشيه ، وزاد فيها وتوسَّعَ ، فأطلق القلم فيها عِناناً ، وأرهف للتحقيق سِناناً ، ولذلك ظهرت هذه الطبعة فى أربعة أجزاء [3] بدلا من جزءين .

وقد جاءت تحت عنوان الكتاب هذه العبارة : « وفيه فصول وتعليقات وحواشٍ مستفيضة بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير الأمير شكيب أرسلان » .

ويقول شكيب عن الكتاب فى مقدمته للطبعة الثانية منه :

« أما كتابنا هذا فى أجزائه الأربعة هذه المرةَ فإنه — إلى أن يُتاح للإسلام حظُّ هذا العمل الكبير [4] — يكون من الكتب التى تفى بجانب من هذا العوز ، ويجوز أن يقال إنه مَعْلَمة إسلامية صغيرة ، بل هو فى المباحث الجغرافية والتاريخية والإحصائية عن أقطار الإسلام النائية وبقاعه المجهولة فذٌّ فى بابه .

وكذلك يمتاز هذا الكتاب بالمباحث السياسية التى قُيِّض لمحررها أن يعلها من عَين صافية ، وأن يقف على الرواية الوُثْقَى منها بطول خبرته ، وقرب سَنَده ، واستمرار مزاولته لهذه الأمور من سبع وأربعين سنة .

---

(١) جريدة الشورى — السنة الثالثة — عدد ١٧ مارس ١٩٢٧ .

(٢) حاضر العالم الإسلامى — ج ١ ص (ج) مقدمة الطبعة الثانية .

(٣) الجزء الأول فى ٣٧٥ صفحة ، والثانى فى ٤٠٧ ، والثالث فى ٣٩٨ ، والرابع فى ٤٠٨ من القطع الكبير ، فتكون صفحاته قد زادت عن ألف وخمسمائة صفحة .

(٤) يشير إلى اقتراحه بوضع معلمة إسلامية وافية (دائرة معارف — موسوعة) .

وفيه بعدُ تراجمُ وأخبار ، لم يسجلها كتاب ، ولا جرى بها قلم ، فلا يجدها الناشدُ في غيره ، إذ هي نتيجة مشاهدات الكاتب ، وما رآه بالعين ، وما سمعه بالأذن ، وما كان له فيه أخذ ورد »(١) .

* * *

ومن الواضح أن شكيب في تعليقاته قد استطرد أحياناً ، وتوسّع أحياناً ، وأطال أحياناً ، وكان يلخّص من هنا ، وينقل من هناك ، حتى يقول مثلاً عن الحبشة واضطهادها للمسلمين : « وأنا نفسي كتبت في هذا الموضوع ، في حواشي (حاضر العالم الإسلامي) أربعين صفحة ، هي زُبدة ما أخذته من التواريخ العربية والأوربية »(٢) .

وقد حدثني الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة (الفتح) أن أغلب تعليقات شكيب على كتاب (حاضر العالم الإسلامي) لم يكتبها خصيصاً للكتاب ، بل كانت عنده من قبل ، والتمسَ لها المناسباتِ في الكتاب ووضعها .

وهناك من أثنى على هذه التعليقات والحواشي ، كالأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي الذي أهدى إليه شكيب نسخةً من الكتاب ، فكتب إليه النشاشيبي يقول :

« ذكَّرتني هذه الحواشي بقولين لإمامين : قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته : ماذا تشتهي ؟ . قال : النظر في حواشي الكتب . وقال أستاذ الدنيا جار الله [الزمخشري] : الزيت مُخُّ الزيتون ، والحواشي مِخَخَةُ المتون »(٣) .

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ، ج ١ — المقدمة ، ص (هـ) .

(٢) مجلة الفتح ـ السنة التاسعة ـ العدد ٤٤٤ ـ ٦ صفر ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م مقال « فرصة لتحسين حال مسلمي الحبشة » .

(٣) كتاب أناتول فرانس في مباذله ، هامش ص ٩٠ . والمخخة (بكسر ففتحتين) : جمع مخ (القاموس) .

وهناك من حمّل على هذه التعليقات ، وانتقد طريقة تلك الحواشى . كالدكتور زكى نجيب محمود، الذى يقول : « أما حواشى الأمير فليس إلى حصرها سبيل ، وكلها شيّق ممتع ، ولكنها عندى قد خرجت بالكتاب عما يجب أن تكون عليه الكتب من تركز فى موضوع بعينه ، وأدنته من دوائر المعارف التى من شأنها أن تجمع بين دفاتها شتيتاً من ضروب العلم والمعرفة ، وهو يعترف بذلك فى المقدمة » .

ثم يقول : « ومهما يكن من أمر هـذه الفوضى فى التآليف التى لا نطمئن إليها ولا نرضاها ، فهو كتاب جليل القيمة كبير النفع[١] » .

والسيد رشيد رضا — وهو صديق شكيب وأخوه — يتلطف و يتدرج في نقد الطريقة التى سار عليها شكيب فى الكتاب ، فالسيد فى مقال له عن الكتاب يقول : إن مترجم الكتاب عرَضَه على الأمير فكتب له مقدمة ، « ولكنه أربَى فى الكرم ، فوضع على الكتاب حواشىَ وذيولاً لا يصح فى وصفها قول العرب : على التمرة مثلها زُبْدًا ، بل تربِى على صحائف الأصل عَدًا ، ولعلها أمدت مادته بضعفيها مدا ، فهى بطولها واستطرادها تضاهى الحواشىَ الأزهرية .

ولا غَرْوَ فروحُ الأمير العلمية والأدبية أغلبُ عليه من روحه الاقتصادية والاجتماعية ، فإنه لو جعل هذه الحواشىَ كتاباً مستقلاً لكان أليقَ بمقامه ، وأجدر بإفادتها من جعله إياها تابعةً لغيرها ، ولكان له منها ربح مالى يزيد على ربح الكتاب الأصلى ، بل ربما زاد عليه موشًّى وموشَّحًا بها أيضاً .

فإن أكثرها موضوعات مستقلة بنفسها ، وما فيها من إيضاح لبعض غوامض الكتاب ، أو استدراك عليه هو أقلها ، ولكنه — على ما يظهر من معرفته لقدر نفسه ، وعلى ما يقول بعض حسّاده أو مكبرى فضله من إعجابه بها — كثيراً

---

(١) مجلة الرسالة ، السنة الثانية — العدد ٤٣ — ٣٠ إبريل ١٩٣٤ ، مقال (حاضر العالم الإسلامى) .

ما يهضمها ، ويضعها تواضعه دون ما رفع الله من قدرها ، ومن ذلك ظنه أن جعل هذه الحقائق الثمينة ذيولاً لترجمة هذا الكتاب أحرى باستمالة الناس إلى مطالعتها ، كأنه لم يشعر بأنه أشهر من صاحب الكتاب لدى قراء العربية ، ولم يستشعر أن الثقة به فى شئون الإسلام أقوى من الثقة بذلك عند جميع الشعوب الإسلامية ، وغيرهم من الشعوب الشرقية ، وكثير من علماء البلاد الغربية[1] » .

ويعود السيد رشيد رضا بعد ذلك فى إحدى رسائله إلى شكيب ليقول له عن حواشى الكتاب إنها « بلغت من الطول المشذّب مبلغاً ترك الأصل الذى وضعت عليه أثراً بعد عيْن ، أو كهلال الشك لا تدركه كلُّ عين ، وصارت قراءة كل منهما مع الآخر مضيعةً لكل منهما ، وقراءتُه وحده لا ترتاح إليه الأنظار ارتياحَها لو لم يكن معه ما يشغل عنه » .

ثم شبه رشيد هذه الحواشى بشرح ديوان البارودى ، فإنَّ الشارح يشرح البيتَ بصفحة أو صفحات ، باستطرادات كثيرة ، ولذلك لم يَرُجْ الديوان .

ويقترح رشيد على شكيب جعلَ هذه الحواشى كتاباً مستقلاً فى تاريخ الإسلام[2] .

ويعلق شكيب على كلام رشيد بأنه ما كان ينوى هذا الطول ، ولكن الكلام أخذ يتسع تدريجاً ، وصارت التعليقات تزداد طولا ، بحيث صارت الحواشى ثلاثةَ أرباع المطبوع ، ويرى شكيب أنه لو أفرد هذه الحواشى بكتاب لَما راجت ، لِما « فى طباع الشرقيين عموماً من الاحتفال بكلام المؤلف الأوربى أو الأمريكى بنوع خاص » .

---

(١) مجلة المنار ، الجزء الثالث ، ص ٢٢٤ . وكتاب السيد رشيد رضا ، ص ٢٤٣ .
(٢) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٣٣٦ . من رسالة بتاريخ ٢٣ من المحرم ١٣٤٢ هـ . والمشذب : الطويل .

ثم يذكر شكيب تأييد لكلامه هذا أن الكتاب بحواشيه لاقى رواجاً كبيراً حتى نفدت نسخه، وأعاد طبعه، وضاعف حواشيه حتى صار متن الكتاب بمقدار الثمن[١] !.

ويعود رشيد ليلوم أخاه على إعادة طبع التعليقات مع الكتاب، ويعدل اقتراحه السابق، بأن يقسم شكيب التعليقات إلى موضوعات، وينشر كل موضوع فى كتاب مستقل، فيجعل موضوع «دعاة النصرانية» كتاباً، وما كتبه المستشرقون فى الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم كتاباً، وهكذا[٢].

* * *

ورأيى أن الكتاب متعب بصورته الحاضرة، وكان خطبه محتملا نوعاً ما فى طبعته الأولى، ولكن الاستطراد زاد، والحواشى امتدت، وليس من السهل أن نسلم لشكيب بأنه كتب التعليقات من أجل الكتاب، وأنها طالت على الرغم منه، ولكن المعقول أن كثيراً من هذه التعليقات كانت بحوثاً جاهزة، ونقلت برمتها إلى الكتاب، وقد ضاع على القارئ متابعة الكتاب الأصلى المترجم، لأنه غرق بين طوفان التعليق والتحشية، حتى يصعب على القارئ أحياناً التمييز بين الأصل والتعليق.

وليس فى هذا أى استهانة بقدر التعليقات، فإنها تدل على علم غزير، واطلاع واسع، وإدراك لأحوال المسلمين فى حاضرهم وماضيهم، ويظهر أن شكيب أراد أن يضع نواة لدائرة معارف إسلامية، ولكنه لم يلتزم — ولو من ناحية المنهج والشكل على أقل تقدير — طريقة وضع دوائر المعارف، ولذلك أؤيد الاقتراح الداعى إلى فصل التعليقات عن الأصل المترجم، بحيث لا يبقى منها سوى ما فيه جلاء لإبهام، أو تصحيح لخطأ، أو توضيح لغامض، ثم تطبع هذه التعليقات مستقلة، بعد ترتيبها وتنسيقها، وجمع الأشباه مع الأشباه، وربط النظائر بالنظائر.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٧ و ٣٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧١٦. من رسالة بتاريخ ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ.

(٨) أناتول فرانس فى مباذله

هذا الكتاب من تأليف « جان جاك بروسون » ، وهو يدور حول مذكرات الكاتب الفرنسى المشهور « أناتول فرانس » المولود سنة ١٨٤٤ م فى باريس ، والمتوفى فى أكتوبر سنة ١٩٢٤م .

وقد ترجمه شكيب ، وقدّم له وعلّق عليه ، وقد طبعته المطبعة المصرية بمصر فى ثلاثمائة وعشر صفحات من القطع الكبير ، وبهوامشه تراجم كثيرة أوربية ، ومعها صور أصحابها ، وفيه كذلك تعليقات لغوية وجيزة للناشر إلياس أنطون إلياس ، ويبدو أن شكيب ترجم هذا الكتاب سنة ١٩٢٥ ، لأن مقدمته مؤرّخة بهذا التاريخ : « مرسين فى ١٥ يوليو سنة ١٩٢٥ » ، وكان شكيب مسرعاً فى الترجمة والإعداد للطبع ، ولذلك يقول فى نهاية المقدمة :

« وقد وافقت هذه الترجمةُ أياما عدتنى فيها عُدَوَاء الانشغال عن إيفاء التنقيحِ حقَّه ، وإبلاغ التمحيص شأوَه ، بل كنت أنقله من النص الإفرنسى رأساً إلى المسودة المعَدَّة للطبع بدون تبييض ، حتى أخرجتهُ كلَّه فى ثلاثة أشهر لا غير ، وأنا أتمنى لو كان فى الوقت مُنْتَدَح أوسع ، فأبذل فيه أكثر مما بذلت من الجهد[1] » .

وقد ظهر الكتاب فى ربيع سنة ١٩٢٦ م .

وقد ترجم شكيب هذا الكتاب لعدة أسباب يراها ، منها :

١ — أن أناتول فرانس كان شديدَ المحافظة على القديم من اللغة ، مع كونه عصريَّ الأفكار ، والواجب أن ننسج فى بياننا على منوال السلف ، كما نسج أناتول .

---

(١) أناتول فرانس فى مباذله ، ص ٩٤ . والعدواء : الشغل يصرفك عن الشىء ، والأرض اليابسة الصلبة ، ومنتدح : سعة .

٢ — يتحتم على ناشئتنا السير مع العصر الحالي في كل ما يتمحص من الحقائق الكونية ، وتتقرر فائدته من المناحي الاجتماعية ، بلا إخلال بوحدة اللغة وصفائها ، فنجمع بين التالد والطريف .

٣ — إطلاع من لا يعرفون الفرنسية على خلاصة عن أكبر أديب فرنسي في هذا العصر ، لعجزهم عن مطالعتهم بالفرنسية .

٤ — التعريف بأعاظم الأوربيين وأعلامهم الذين جاء ذكرهم في الكتاب ، مع الإشارة إلى المسائل الاجتماعية والآراء الفلسفية المتداولة عندهم ، مما هو أحرى بكل أديب عصري ألا يفوته علمه ، وذلك في توسط ، وبلا إطالة .

ولكن هناك أسباباً كان من المتوقع أن تصرف شكيب عن ترجمة هذا الكتاب ، منها : أن أناتول فرانس « وافق بالقلم واللسان على مبادئ الشيوعية الروسية[1] » ، وشكيب لا يؤمن بهذه المبادئ ، ويعرف مخالفتها لمبادئ الإسلام . وقد ذكر هذا في الكتاب دون أن يعلق عليه[2] .

ومنها أن أناتول فرانس كان « منكراً للوحي ، قائلا بدين الطبيعة[3] » ، وشكيب يؤمن بالوحي ، ويقول بدين الله الإسلام ، وقد ترجم شكيب هذا ولم يردَّ عليه .

وقد ذكر أناتول في كتابه مجوناً كثيرة لم يستطع شكيب ترجمتها وإطلاعَ القارئ العربي عليها .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٩ و ٩٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٦ .

وأناتول نفسه يقول لكاتبه جان جاك بروسون : « وغاية ما أتقدم به إليك يا ولدى هو أن لا تنشر شيئاً من كل هذا[1] ما دمت أنا حياً ، لا سيا أنه ليس عليك أن تنتظر طويلا ، فإنك إن فعلت أوقعتها بينى وبين كثير من الناس ، فتى صرتُ مضطجعاً تحت البلاطة فاجعلنى أقول كلَّ ماتشاء »[2] . ولا عجب فهو ينكر التوحيد ، ويهزأ بالأديان ، ويسخر من الفضائل ، ويمجد الشهوات ، ولا يستحى ، وإنما يخشى الوقيعة بينه وبين الناس فقط ! .

ويرى أناتول أن المدنيـة انخرمت بظهور النصرانية ، ولم تظهر إلا فى عهد التجديد بإيطالية فى القرن الخامس عشر[3] . ولم يشر أناتول إلى « المدنية الإسلامية » ، وشكيب مؤمن بها ، ومع ذلك لم يُظهر هنا غضبته لحق هذه المدنية المهضوم .

ولكن يظهر أن كتابة أناتول فرانس التى حافظ فيها على القديم ، وعنايته الكبيرة باللغة ، وحرصه على مناهج السلف ، حتى يقول عنه الأديب الفرنسى « بول سوداى » : « كانت تتألق على كلامه ديباجة الأولين » — يظهر أن هذه الأسباب تغلبت عند شكيب على الأسباب السابقة التى كانت ينبغى أن تصرفه عن الترجمة ، ولو من وجهة نظر شكيب المتمثلة فى آرائه ومبادئه .

***

ويشير شكيب إلى آراء أناتول الدينية المتمردة ، ويذكر أنه تصرف فى الترجمة بالحذف قائلا : « وقد حذفنا كثيراً من الألفاظ التى استعملها فى هذ المقام »[4] .

---

(١) يقصد المذكرات .
(٢) المصدر السابق ، ص ٩٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٢ (بالهامش) .

وهو يحذف من الكتاب صفحات وموضوعات ، فتارة يحذف شيئاً لأنه لا يليق ، وتارة يحذف أشياء لأن الفضيلة تأباها ، وتارة يحذفها لأنها تفاصيل لاطائل فيها ، وهكذا [١] ، حتى إنه يقول : « كما طوينا كثيراً من الفصول برمتها ، واجتزأنا من بعضها بالقليل الذى يغنى عن الكثير » [٢] .

وكان ينبغى لشكيب أن ينصرف عن ترجمة الكتاب ما دامت فيه أجزاء لا ترضيه ، أو لا يريد ترجمتها ، لأن الحذف بهذه الصورة يجد من يعارضه بحجة الأمانة فى النقل . وما دام قد نفَّذ خطتَه ، فمن حقنا — بل من واجبنا — أن نقول إن الكتاب « مختارات من كتاب أناتول فرانس فى مباذله » .

ومع هذه الملاحظات نجد للكتاب أهميةً وقيمة أدبيــة كبيرة ، ذلك لأنه وَصَلَ للقراء العرب بالأدب الفرنسى فى وقت مبكر من عصر نهضة الترجمة ، لأن الكتاب مترجَم سنة ١٩٢٥ م . وفى الكتاب إشارة موجزة إلى المذاهب الأدبية المختلفة ، وفيه كثير من الألفاظ والمصطلحات اللغوية التى أوردها شكيب ، وفيه مناصرة للغة النقية والمحافظة على الأسلوب الجزل ، وفيه تراجم كتبها شكيب فى إيجاز لعشرات وعشرات من أدباء فرنسة وشعرائها .

ولذلك يقول الأستاذ أحمد حافظ عوض عن الكتاب : « وهو وإن يكن كتاباً مترجماً عن رجل فرنسى عظيم ، فإن التعليقات والشروح واختيار الألفاظ العربية فى الترجمة والتعبيرات ، تدل على أن الأمير فى هذا الكتاب قد قدم للغة العربية خدمةً عظيمة فى التعريب ، وفى شرح المعانى الفرنسية ، هذا غير ما زاد فيه من وصف وشرح » [٣] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٠ و ٩١ . وفى هاتين الصفحتين ذكر شكيب الصفحات والموضوعات التى حذفها ، وهى كثيرة .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٣) جريدة الأسبوع ، أول ديسمبر ١٩٤٦ نقلا عن كتاب ذكرى الأمير شكيب أرسلان ص ٨٥ . وجريدة الأسبوع هى مجلة أسبوعية كانت يصدرها بالقاهرة إدوارد عبده سعد من سنة ١٩٣٣ م إلى سنة ١٩٤٧ م .

ويقول المرحوم مصطفى صادق الرافعى لمحمود أبو رية من رسالة : :

« اشتر (أناتول فرانس فى مباذله) ، فإن لغة شكيب فى ترجمته موفقة فى ألفاظها ، كأنه نال له من القاموس نثلاً ، والكتاب فيما عدا أفكار الإلحاد محصول عقلى يفيدك جداً » (١) . .

ويظهر الفرق واضحاً بين أسلوب الترجمة فى « رواية آخر بنى سراج » وأسلوبها فى كتاب « أناتول فرانس فى مباذله » ، ففى هذا الكتاب الذى معنا تبدو الترجمة مشرقة ، وكأن الإنسان يقرأ كتاباً مؤلفاً ، وفى نحو ذلك يقول الأستاذ محمد كرد على : « وقد جوَّد الأمير الترجمةَ التى لا تشعر بأنك تقرأ كتاباً مترجماً ، وأحسنَ ما شاء الإحسان بتعليق حواشٍ على المتن تبيِّن الغامض ، ولا سيما من تراجم العظماء الذين وردت أسماؤهم فى كلام (فرانس) ، أو الوقائع التى أشار إليها ، بحيث لا يحتاج الناظر العربى فى الكتاب إلى الرجوع إلى شىء آخر لإدراك النص الأصلى والتشبع بروحه الحقيقى » (٢) .

ومن الملاحظات التى لاحظناها على الكتاب أنه أطال فى صدره بإيراد الكلمات والمراثى التى قيلت فى أناتول فرانس ، ونُشرت فى الصحف ، أو ألقيت فى حفلات التأبين ، حتى استغرق فى ذلك نحو خمسين صفحة ، وكان يمكن تذييل الكتاب بهذه الكلمات ، لا أن تتصدر فتشغل القارىء عن الموضوع الذى يشير إليه عنوان الكتاب .

وكذلك وضع بعد الكلمات السابقة خلاصةً لكتاب اسمه « محادثات مع أناتول فرانس ، أو هواجس العقل » لمؤلفه الكاتب الفرنسى « نقولا سيغور » ، ويعلل شكيب إيرادَ هذه الخلاصة بقوله : « لم نشأ إغفالَ هذا الكتاب من بين التراجم التى قرأناها لأناتول فرانس ، علماً بأن أحسن التواريخ وأوثق التراجم

(١) رسائل الرافعى ، ص ١٢٠ .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد السادس ، ص ٣٣٠ .

ما كان عن مشاهدة بالعيان ، وسماع بالآذان[1] ، وانتخبنا منه الخلاصة الآتية »[2].

واستغرقت هذه الخلاصة أربعين صفحة ، وكان يمكن وضعها كذلك ملحقاً للكتاب . ولم يبدأ كتاب جان جاك بروسون عن أناتول — وهو الأصل — إلا فى الصفحة الخامسة والتسعين !.

(٩) لأنحى إلى المسيو جوفنيل

فى عدد ١٤ يونيه سنة ١٩٢٨م من جريدة « الشورى » ذكر الأمير شكيب تحت عنوان : « لأنحى إلى المسيو جوفنيل[3] سنة ١٩٢٥ وافتراء المفترين من حولها » أن الأمير ميشيل لطف الله وجماعته أخذوا عليه أموراً كثيرة بما شاءت أهواؤهم ، ثم يقول : « وجدت من الواجب لعدم تهور الناس فى تصديق شىء من هذه الأضاليل أن أنشر ردًّا على بيان لطف الله وزُمرته ، ووضعت ردًّا مشبعاً على فرية من أقوالهم ، وجاء ذلك فى نحو ١٥٠ صفحة تضمنت أكثر الأشياء التى أدت إلى الخلاف بيننا وبين هؤلاء الجماعة » .

ثم يذكر أن كثيرين طلبوا وقفَ هذه المناقشات ، فطواها شكيب على غرها ، ولكن الطائفة ازدادت تمادياً فى التعرض لشكيب بالتلميح والتصريح ، فبدأ شكيب بنشر هذه الرسالة فى جريدة (الشورى) ابتداء من عدد ٢١ يونيه ١٩٢٨ بعنوان « من أسرار السياسة السورية » ، وبعد أربع حلَقات من الرسالة بدَّل العنوانَ وجعله « نظرة فى رد لطف الله وجماعته » ، ونشر تحت هذا العنوان أربع حلقات أخرى من الرسالة[4] .

---

(١) يظهر أن سيغور كان صديقاً لأناتول فرانس . انظر ص ٤٧ من كتاب « أناتول فرانس فى مباذله » .

(٢) المرجع السابق .

(٣) هو المفوض الفرنسى السامى فى سورية حينئذ .

(٤) انظر جريدة الشورى ، السنة الرابعة ، الأعداد ١٨٥ – ١٩٢ .

(١٠) مجلة الأمة العربية

هذه مجلة شهرية باللغة الفرنسية كان يصدرها شكيب في جنيف ، بالاشتراك مع زميله في الكفاح إحسان الجابرى ، دفاعاً عن العرب وقضاياهم ، وتعريفاً للذين يطالعون الفرنسية بأحوال الأمة العربية ، ولعله من هنا جاء اسمها .

وقد صدرت هذه المجلة في شهر مارس سنة ١٩٣٠ وشعارها أنها « مجلة سياسية أدبية انتقادية اجتماعية ، لسان الوفد السورى الفلسطينى لدى جمعية الأمم ، تخدم مصالح البلدان العربية ومصالح الشرق » ، وصفحاتها بين الأربعين والخمسين .

وقد اشتمل العدد الأول منها على الموضوعات التالية :

كانت مقدمة المجلة في (نشأة العرب المستأنفة) ، وتليها مقالة عن (حالة سورية السياسية) ، وتليها مقالة عن (السياسة الاقتصادية في لبنان وإلغاء المدارس فيه) ، وتليها (تصريحات للسيد عبد الحميد كرامى عميد طرابلس الشام) ، وبعدها مقالة عن ذكرى (استقلال سورية في ٨ مارس سنة ١٩٢٠) ، وتليها مقالة (تأمل قليل بمناسبة نازلة الجنوب الغربي من فرنسة) ، ثم بحث عنوانه (الصهيونية إلى الهاوية) ، ثم فصل عن (ظفر ابن سعود) ، ثم مقال (التجدد التركى والمدنية العربية) ، وختام العدد قطعة للكاتب الفرنسى الشهير « كلود فارير » عن (حمراء غرناطة) [١] .

وجاء في كتاب (عروة الاتحاد) عن المجلة هذه العبارة :

« وأما مجلة (لا ناسيون آراب) العربية المنهج الفرنسية الملهج ، التى كان يصدرها عطوفته [٢] وإحسان بك الجابرى من أعضاء الوفد السورى الفلسطينى ،

---

(١) جريدة الشورى ، السنة السادسة ـ العدد ٢٧٠ ـ ١٧ ذى القعدة ١٣٤٨ — ١٦ ابريل ١٩٣٠ .

(٢) يقصد الأمير شكيب .

ثم صار يصدرها وحده ، فإنها تصدر من عشر سنوات فى جنيف . والجزء الواحد منها كان يكلفهما خمسين جنيهاً ، وقلما كان يأتيهما من بدل الاشتراك ما يقوم بثلث مصاريف المجلة » (١) .

وفى رسالة من شكيب إلى رشيد بتاريخ ٧ من المحرم ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) يشكو من عسر حالته المالية ، وقلة الاشتراكات فى مجلة الأمة العربية ، ولهذا تأخر شكيب أربعةَ أشهر حتى أصدر العددَ الأخير من المجلة ، ويقول : « وربما آخر عدد إن لم تأتنا الاشتراكات المتأخرة » . وكان يوَزِّع منها فى أوربة نحو من ألف نسخة مجاناً بلا عوض ، وذلك على رجال الحكومات ، وعلى مشاهير السياسيين ، والنواب والشيوخ ، وأمهات الصحف الأوربية ، وكان يرسل منها ٥٠٠ نسخة إلى فرنسة وحدها (٢) .

ولما ثقلت وطأة الإنفاق على المجلة ، انتقد السيد رشيد الأميرَ فى رسالة له ، قال فيها : « وأنتقد كذلك أشدَّ الانتقاد هذه النفقات على مجلتكم الإفرنسية ، وهى فوق طاقتكم ، والأمة التى تخدمونها ، والوطن الذى تخصونه بخدمة هذه المجلة كنودٌ ، لايستحق أهلُه تضحية مثلكم فى كل هذا ، وثَمَّ ما هو خير له ولكم مما يدوم نفعه » (٣) .

وعلق شكيب على كلام رشيد بما يتضمن دفاع شكيب عن وجهة نظره فى إصدار المجلة ، وثناءه عليها وعلى أثرها ، فقال :

« هى مجلتنا (لاناسيون آراب) التى نشرناها أنا وزميلى إحسان بك الجابرى من سنة ١٩٣٠ م ، فأقبل الناس من المسلمين والأجانب على مطالعتها ، لأنهم رأوا

---

(١) كان اشتراكها عشرة فرنكات سويسرية ، أى نحو أربعين قرشا مصريا (المصدر السابق)
(٢) كتاب عروة الاتحاد ، ص ٨ .
(٣) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٥٧٦ . والكنود: الجحود .

فيها لسانَ حال العروبة والإسلام فى أوربة ، وكانت تظهر لنا علاماتُ اهتمام الدول الأوربية بما كان يُكتب إلينا من تلك الدول فى السؤال عن أعدادها ، والإلحاح فى إرسال ما يفقدونه منها .

ولما كنا نعلم أهمية وجود مجلة فى أوربة تتكلم بلسان الإسلام ، وتدافع عن حقوقه وحقائقه ، وهى محررة بأشهر لغة أوربية ، كنا ملتزمين إصدارَها لفائدتها السياسية والأدبية ، ولم تكن بدلات الاشتراك بها توازى نفقاتنا عليها ، كما هو معلوم من تقصير المسلمين فى تأدية بدلات الاشتراك فى الصحف ، وهذا مما كان يعلمه صاحب (المنار) أكثر من غيره ؛ فقد ضاع له عند المشتركين بالمنار أموالٌ لا تُحْصَى .

كما أننا من سبع سنوات ننفق أنا وزميلى من صُلْب مالنا الخاص على مجلتنا (لاناسيون آراب) ، لاسيما بعد أن منعت الحكومة الإفرنسية دخولَها إلى شمال أفريقية وإلى سورية ، ومنعت الحكومة الإنكليزية دخولها إلى فلسطين ، وقد كان قبل هذا المنع لا تقوم بنفقاتها ، فكيف من بعده »[1] ؟! .

(١١) لماذا تأخر المسلمون

ولماذا تقدم غيرهم ؟

فى شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٨هـ — ١٩٢٩م أرسل الشيخ محمد بسيونى عمران من « جاوه » إلى صاحب مجلة « المنار » رسالةً يثنى فيها على الأمير شكيب ، ويطرى كتاباته الإسلامية فى « المنار » وغيرها ، ويقترح عليه أن يبين لقراء « المنار » أسبابَ ما صار إليه المسلمون من الضعف والانحطاط والذل ، والأسباب

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧٧ .

التي ارتقى بها أهل أوربة وأمريكة واليابان ، وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء إذا اتبعوهم في أسبابه مع المحافظة على دينهم الإسلامي .

فأحال السيد رشيد رضا صاحبُ « المنار » الكتابَ إلى الأمير ، فأبطأ في الإجابة قليلا [١] بسبب رحلته في أسبانية ، ولما رجع منها كتب الجواب منفعلا بالمؤثرات التي أثرت في نفسه خلال رحلته ، ونُشر الكتاب أولا في « المنار » ثم طُبع في كتاب في أواخر سنة ١٩٣٠ م بمطبعة « المنار » ، وفي أوله مقدمة للسيد رشيد رضا ، وعلى الكتاب تعليقات منه ، كما وضع بعض العناوين خلال الكتاب ، لأن العناوين « كمحطات الطريق للسالكين » [٢] .

وطبع الكتاب طبعة ثانية سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م في مطبعة المنار أيضاً ، بعد أن أجرى فيه شكيب بعضَ الإصلاحات بناءً على ملاحظات أبداها السيد رشيد رضا ، ولم يوافقه على قليل من هذه الملاحظات ، وقد رد عليه شكيب في هوامش كتابه عن رشيد [٣] .

وقد طُبع الكتابُ للمرة الثالثة في مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م بعد أن أضاف إليه شكيب فصلا بعنوان : « أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير » [٤] .

ويقول السيد رشيد رضا عن هذه الرسالة :

« وهي هي الرسالة التي :

سارت بها الركبان تطوي نَفْنَفا فَنَفْنَفَا ، وسَبْسَباً فسبسبا

---

(١) صحيفة الفتح ، السنة السادسة ، العدد ٢٧٧ — ٩ رجب ١٣٩٠ هـ .
(٢) الكتاب ، ص ٥ .
(٣) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٥٧٨ — ٥٨٤ و ص ٥٨٧ — ٥٩٠ .
(٤) انظر الطبعة الثالثة : ص ١٣٥ — ١٦٤ .

فاضطربت بها بعض دول الاستعمار ، وزلزلت زلزالا شديداً ، حتى قيل لنا إنها أغرت حكومة سورية بمنع نشرها فيها ، وهى أحق بها وأهلها ، فانفردت بهذه المداوة للاسلام دون من أغروها بها » (١) .

وكذلك منعت فرنسة دخول هذه الرسالة الجزائر حينئذ ، وجعلت عقوبة لمن يطالعها (٢) .

وقد اقترح الأستاذ محمد تقى الدين الهلالى أستاذ اللغة العربية فى كلية ندوة العلماء بالهند تعميم نشر هذا الكتاب « مصححاً مضبوطاً مشكولا ، ليستوى فى مطالعته الخاصة والعامة ، وأن يسهم الأغنياء فى توزيع نسخه ، وأن يدرسه المدرسون للطلبة ، وأن يخطب به الخطباء مدة طويلة ، وأن يترجم إلى اللغات الأخرى » (٣) .

ونحب أن نلاحظ هنا أن شكيب مسبوق بالحديث عن انحطاط العالم الإسلامى فى عصره ، فقد سبقه عبد الرحمن الكواكبى فى كتابه « أم القرى » الصادر فى مصر سنة ١٣١٦ هـ — ١٨٩٨ م ، حيث يتكلم المؤلف فى كتابه هذا عن العوامل التى أدت إلى انحطاط العالم الإسلامى ، على شكل مناقشات تجرى بين مفكرين منتسبين إلى مختلف البلاد الإسلامية ، ويخرج من هذه المناقشات بالدعوة إلى إقامة خلافة عربية من مكة المكرمة (٤) .

---

(١) كتاب الارتسامات ، اللطاف مقدمة رشيد له ، ص ٩ . والنفف : الصحراء ، وكذلك السب .

(٢) كتاب عروة الاتحاد ، ص ٧٤ .

(٣) مجلة الفتح ، السنة السادسة ، العدد ٢٠٨ — ٢٣ صفر سنة ١٣٥٠ . وقد ترجم الكتاب إلى عدة لغات ، وطبع أكثر من مرة (انظر كتاب السيد رشيد رضا ، هامش ص ٥٥٣) . وانظر أيضا كتاب عروة الاتحاد بين أهل الجهاد ، ص ٧٤ ، ومن اللغات التى ترجم إليها الملايوية ، والهندية ، والسلافية .

(٤) وسائل تقدم المسلمين ، ص ١٤ .

وكذلك هو مسبوق بما كتبه «لوثروب ستودارد» فى كتابه «حاضر العالم الاسلامى» الذى طبع مترجماً أول مرة سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م، أى قبل كتاب شكيب بسنوات .

وشكيب قد اطلع على هذا الكتاب قطعاً ، لأنه علق عليه تعليقات كبيرة كما عرفنا ، وأغلب الظن أنه اطلع على كتاب الكواكبى ، إذ لا يخفى مثله على مثله ، ومع ذلك لم يشر شكيب إلى انتفاعه بالكتابين ، ولا يظهر لكتاب شكيب امتياز واضح عليهما ، ولعل السبب فى عدم الامتياز البارز هو أن شكيب كتب كتابه وهو مثقل بالأشغال ، وكتبه — كما يقول — فى ثلاثة أيام فقط [١] .

وقد يكون من الإنصاف لشكيب أن نقرر أنه أشاد بعد ذلك بكتاب «أم القرى» فى مكان آخر ، حيث كتب فى مجلة «الفتح» تحت عنوان : «نعم العبقرى الكواكبى» ، وأشار إلى العباقرة الذين يرون الأمور وهى فى صدورها وبدايتها كما يراها الناس وهى فى أعجازها وعواقبها ، ثم يقول :

«ومن هذا النمط السيد عبد الرحمن الكواكبى فى (أم القرى) يصف أمراضَ العالم الإسلامى منذ ثلاثين سنة أو أكثر ، بما لو شخصه جميع أطباء المجتمع الإسلامى اليوم لم يقدروا أن يزيدوا شيئاً» [٢] .

وقد ذكر الدكتور سامى الدهان أن كتاب شكيب هذا «رسالة كبيرة» [٣] ، وهذا محل نظر ، لأنها رسالة صغيرة لو نُشرت فى مجلة لكانت ثلاث مقالات أو أربع مقالات فقط ، ولعله انخدع بضخامة حروف الطبعة الثالثة من الكتاب .

ويقول أيضاً إن هذه الرسالة «آية من آيات بلاغته [٤] ارتفع بها إلى مستوى

---

(١) مجلة الفتح ، السنة السادسة ، العدد ٢٧٧ — ٩ رجب سنة ١٣٥٠ .
(٢) مجلة الفتح ، السنة السابعة ، العدد ٣٣٥ — ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٥١ .
(٣) كتاب الأمير شكيب أرسلان ، ص ١٥٠ .
(٤) يعنى شكيب .

العالم المصلح الكبير » ، وعندى أنها أشبه بخطبة طويلة النَّفَس ، فيها من الإثارة والتحميس أكثر مما فيها من البحث والإقناع .

ويقول كذلك: إن شكيب قد كتب الرسالة « وقد بلغ السبعين من العمر » وهذا غير صحيح ، بل كان فى حدود الستين ، لأن الكتاب طُبع سنة ١٩٣٠ م ، وشكيب ولد سنة ١٨٦٩ .

وذكر أيضاً أن آراء شكيب فى رسالته شبيهة بما كتبه الكواكبى [١] ، فلماذا لم يؤاخذ الدهان شكيب على إغفاله ذكر الكواكبى ؟ . . .

وملاحظاتنا العامة على الكتاب وله هى :

١ — أسلوب الكتاب خطابى صحفى ، ولعل السبب هو أنه كتبه ليُنشر فى مجلة ، وكتبه إجابةً على سؤال قارىء ، وكتبه فى زحمة أشغال ، وكتبه عقب رحلة تأثر بها وانفعل فيها لما رآه من أمجاد المسلمين القديمة .

٢ — يكثر من المقارنة بين المسلمين اليوم وأمس ، ليُظهر الفروقَ الواسعة بين هؤلاء وهؤلاء [٢] .

٣ — يُكثر إيرادَ الأمثلة من البلاد الأوربية ومن غير المسلمين ، لاستنهاض الهمم وابتعاث العزائم [٣] .

٤ — إذا كانت هناك أمور يعيبها الأوربيون على المسلمين بلا حق لجأ شكيب إلى الإتيان بأمور مماثلة عند الغربيين ، ليثبت تناقضهم وكذبهم على

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

(٢) انظر الصفحات ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٦ .

(٣) انظر الصفحات ١٢ و ١٧ و ١٩ و ٣٨ و ٤٧ و ٥٥ و ٥٩ .

المسلمين ، وكثيراً ما يبين أن الأوربيين هم المصابون بالداء لا أبناء الإسلام [١] .

٥ — يكثر من إيراد الآيات القرآنيـة لتأييد ما يقول [٢] ، والاستشهاد بالحديث قليل .

٦ — هناك بعض تـكرار فى المعانى [٣] .

٧ — يكثر شكيب من الاستشهاد بمطالعاته فى الصحف والـكتب والمراجع التاريخية [٤] .

٨ — يضرب الأمثلةَ من الأحداث التى يجب أن تلتفت إليها الأبصار ، ويواصل الحث على الاهتمام بها ، مثل قضية « الظهير البربرى » ، وفلسطين ، والحرب الطرابلسية [٥] .

٩ — يقع أحياناً فيما يشبه التناقض [٦] ، ففى موضع يؤكد أن الإسلام هو الذى خلق العرب وأنهضهم ، وفى موضع ثان [٧] يقول : « فليترك إذن بعضُ الناس جعلَ الأديان هى المعيار للتأخر والتقدم » . وفى موضع ثالث [٨] يقول : « إن إدخال الأديان فى هذا المعترك ، وجعلها هى معيار الترقى والتردى ليس من النصفة فى شىء » .

---

(١) انظر الصفحات ٢٤ و ٤١ و ٦٥ و ٧١ و ٨٤ .
(٢) انظر الصفحات ١٥ و ٣٥ و ٤٩ و ٦٧ و ٦٨ .
(٣) انظر مثلا صفحتى ١٢ و ٤٤ .
(٤) انظر الصفحات ١٢ و ٢٤ و ٥٥ و ٥٩ و ٨٩ .
(٥) انظر الصفحات ١٧ و ٢١ و ٢٥ و ٢٨ .
(٦) انظر ص ٨ و ٩ .
(٧) ص ٩١ .
(٨) ص ٩٣ .

(١٢) الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج
إلى أقدس مطاف

وهو كتاب يتحدث فيه شكيب عن رحلته لأداء فريضة الحج سنة ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م ، وعبر عن الكتاب ناشره — وهو السيد محمد رشيد رضا — بقوله : « هى الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادرة الزمان الأمير شكيب أرسلان »[١] ، كما أن رشيد قدَّم للكتاب وعلق عليه وصححه .

وقد طُبع الكتاب لأول مرة سنة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م فى مطبعة المنار ، فى مائتين وتسعين صفحة من الحجم الكبير . ويذكر مؤلفه أن الفراغ من تبييضه كان « بمدينة لوزان من بلاد سويسرة لأربع خلون من ذى الحجة ١٣٤٩ الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٩٣١ م »[٢] . وكتب المقدمة فى ٥ ذى الحجة الحرام ١٣٤٩ بلوزان[٣] .

وقد وصف شكيب فيه مشاهداته فى الحجاز ، كما ذكر التاريخ الماضى لما رأى من المشاهد ، وما ينبغى لها فى حاضرها ومستقبلها .

ويظهر أن غرابة كلمة « الارتسامات » جعلت الكثيرين يخطئون فى ذكرها ، فيقولونها « الابتسامات »[٤] .

ومن حسنات الكتاب أننا نرى صاحبه مولعاً بتتبع الكتابات القديمة المنقوشة على الصخور فى « الطائف » وما حولها ، وقد أحصى كثيراً من هذه

---

(١) انظر غلاف الكتاب .

(٢) الارتسامات ، ص ١٢٨١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥

(٤) انظر مثلا مجلة الأديب ، عدد كانون الثانى (يناير) ١٩٤٧ ، ص ٧٦ و ٢٣ .

الكتابات ، واستنتج منها نتائج تدل على بصر ودقة فهم [١] . وقد استبدت « الطائف » باهتمام شكيب ، مع وجود غيرها مما يستحق العناية ، ولعل ذلك لطيب هوائها وحلاوة ثمرها ، وقد كان مريضاً .

وكذلك لم يحدثنا عن تنظيم مؤتمر الحج الأكبر ، واستخدامه لفائدة الإسلام ومصلحة المسلمين ، مع أنه توسع فى أمور أخف وزناً من ذلك الأمر الجليل بكثير ، كحديثه عن الرحمة بالمطوِّفين [٢] .

ولم ينبسط حديثه عن النواحى الاجتماعية والأخلاقية والدينية ، ولم يكن لحديث الأدب والثقافة المعاصرة نصيب ملحوظ فى الكتاب ، وقد صاحَبَ هذا أنه اعتمد على التاريخ أكثر من اعتماده على المشاهدة ووصف الحاضر ، وتوسع فى إيراد التراجم للقدماء بمناسبة قوية أو ضعيفة [٣] .

وقد أكثر من الحديث عن الماء والآبار والعيون والينابيع ، بحيث استغرق ذلك نحو نصف الكتاب ، وهو يعتذر عن ذلك مراراً بقلة الماء فى الحجاز ، وغلائه ، ويظهر أن مرضه بسبب الحر ، واستشفاءه بالطائف ومياهها ، أغرياه بذلك الحديث .

وشكيب يستطرد فى كتابه كثيراً ، كما أشرنا فى غير هذا الموضع ، فهو يتحدث مثلا عن « عرفات » ، ثم يستطرد إلى سيرة الوزير الجواد الأصفهانى جمال الدين ، لأنه أجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم ، ولا يكتفى شكيب بالقليل ، بل يظل فى استطراده وترجمته ، حتى يشغل ما يزيد على أربع صفحات [٤] .

وهناك استطراد أطول وأوسع ، فإنه يعرض للحديث عن العمران فى الحجاز ، ثم يستطرد إلى أخبار أخرى فى موضوع العمران ، فيتحدث عن آثار عبد الرحمن

---

(١) الارتسامات ، ص ١٩٥ — ٢٠٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧١ وما بعدها.
(٣) انظر مثلا من ص ١٤٣ إلى ص ١٧١ .
(٤) من ص ٤٦ إلى ص ٥٠ .

الناصر ، وعن عبد المؤمن صاحب دولة الموحدين ، وعن المنصور السعدى صاحب المغرب ، وعن مولاى إسماعيل سلطان المغرب ، ويستغرق هذا ست عشر صفحة[1] !.

وهو لا يستطرد ساهياً ، ولذلك يعتذر عن استطراده ، فهو يتحدث عن « الطائف » ، ثم يستطرد إلى ذكر ما وقع بين « ابن سعود » وبين « ابن بجاد » و « الدرويش » ، ثم يقول :

« والذى أدَّى بنا إلى هذا البحث الذى بَعُدَ كثيراً عن أصل الموضوع خبر واقعة الطائف هذه التى كانت الضربة الثانية التى قضت على عمرانها ، والتى لو أغفلنا ذكرها وأسبابها لم يكن ذلك منا نُصْحاً للتاريخ، ولكنَّا مسئولين عن هذا الإغفال[2] ».

ويستطرد مرة أخرى حين يتحدث عن الطائف ، فيعرض لمسجد ابن عباس فيها وقبره بها ، ويسرد مناقب ابن عباس ، وبعد صفحات يعود ليعتذر فيقول :

« ولو شئنا استقصاء مناقبه لطال المقال جدا ، لا سيما أن كتابنا هو رحلة إلى الحجاز ، لا ترجمة لابن عباس رضى الله عنه ، وإنما أوردنا ما أوردنا منها ، لأن التراجم الزكية هى خير ما يطرف به الكاتبُ القراء ، ولا سيما القراء الناشئين الذين قد يقتدون بما فيها من الفضائل ، ويتعلمون مكارم الأخلاق ومعالى الأمور ، ونِعْمَ التاريخ الذى يزكى النفوس ويشحذ الألباب »[3] .

ويتحدث شكيب عن فتح النبى صلى الله عليه وسلم للطائف ، ثم يستطرد إلى الحديث عن أسلحة الحروب قديماً وحديثاً ، وقوة المسلمين فى الماضى وضعفهم الآن ، وفى النهاية يقول :

« وأرانى قد بعدت عن الموضوع الذى كنت فيه ، وليست هذه بأول مرة

---

(١) من ص ٥٥ إلى ص ٧٠ .
(٢) الارتسامات اللطاف ، ص ١٤٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

جرنا الاستطراد إلى ما هو بعيد عن المقام الذى نكون فيه ، ولكننا فى كل مرة لم نخرج إلى شىء غير مرتبط بأصل الموضوع »(١) .

وهذا تسليم أوضح من الاعتذارات السابقة ، ولو أننا أخذنا برأيه المذكور هنا فى آخر العبارة السابقة ، لما وقف سيل الاستطراد عند حد ، لأن التداعى سينتقل بنا من مجال إلى مجال لأقل مناسبة ، ومن الممكن أن نوجد أية مناسبة !.

ومع هذا الاستطراد المتكرر الذى لا تُلجىء إليه ضرورة ، ولا يحرّض عليه حافز ، نجد شكيب يترك التعليق الذى ينبغى أو يجب ، فهو مثلا يتحدث عن المسلمين غير العرب ، وتلقين المطوِّفين لهم صنوفَ الأدعية والابتهالات والجُمَل العربية الفصيحة التى تتشقق حلوقهم بقافاتها وحاآتها ، وتتلبك ألسنتهم بضاداتها وثاآتها.. « وكم من مرة يضطر أن يعيد له الكلمةَ أو الجملة ، وهو يقولها بعكسها ، ويقلبها عن معناها ، ويجعلها عن المراد أبعدَ من الأرض عن سماها ، وربما أعادها له المطوف ثلاثين مرة ، وهو لا يقيمها ولا يفتأ يغلط فيها(٢) » .

فلماذا لم ينقد شكيب هذا ؟ . أليس من الصواب أن يدعو الإنسان ربّه باللغة التى يعرفها حتى يدعو بما يريد ؟ . أفما كان الأحسن أن يقترح شكيب إيجادَ ترجمات لهذه الأدعية ؟ .

لقد ذكر شكيب نفسه أن هؤلاء المطوفين يعرفون لغات كثيرة(٣) ، فلماذا لم يلقنوا هذه الدعوات لغير العرب بلغاتهم التى يفهمونها ؟ .

وكنا ننتظر من شكيب أن يحدثنا فى كتابه عن اللهجات الموجودة فى هذه البلاد ، وعن لغة العامة ، وعن مستوى الثقافة ، ولكنه لم يفعل ذلك ، اللهم

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٣) الارتسامات ، ص ٧٥ .

الإشارة سريعة إلى فصاحة أهل « شقرا »[1] وهو أحد الوديان هناك ، وإلى نماء عربية « ثقيف »[2] أو نحو ذلك، مع أن هذا الموضوع كان يستحق استحواذه على عناية شكيب المحب للغة ، الباحث عن أسرارها .

(١٣) محاسن المساعى

فى مناقب الإمام أبى عمرو الأوزاعى

طبع هذا الكتاب بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر فى مئة وست وستين صفحة من الحجم المتوسط ، ومقدمة الكتاب بتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ — ١٩٣٣م ، وليس على الكتاب غير هذا مما يستدل به على وقت طبعه .

والكتاب من تأليف الشهاب أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر الشهير بابن زيد الموصلى الحنبلى المتوفى بدمشق سنة سبعين وثمانمائة . وهو فى ترجمة الإمام المشهور أبى عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعى إمام أهل الشام ، المولود ببعلبك سنة ثمان وثمانين هجرية ، وتوفى سنة سبع وخمسين ومائة ، ودفن ببيروت على شاطىء البحر .

وقد نشره شكيب بعد تنقيحه وتعليق حواشيه وتصديره ، وذكر لنا أنه عثر على أصل الكتاب مخطوطاً فى المكتبة الملوكية فى برلين ، وأن مؤلفه أكمله سنة ثمان وأربعين بعد الألف[3] ،

ويذكر شكيب فى أول الكتاب الأسبابَ التى دعته إلى نشره ، وهى أنه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(٣) يقول شكيب إن المخطوط يقول . « فى مناقب الإمام أبا عمرو الأوزاعى » ولا يعلم أهذا من خطأ الناسخ ، أم من نفس المؤلف عملا بلغة : « إن أباها وأبا أباها » . الارتسامات اللطاف ، ص ١٥٠ . والعجيب أنه لم يشر إلى هذا فى الكتاب .

الكتاب الوحيد الذى عثر عليه خاصاً بمناقب الأوزاعى ، وأن الأوزاعى من الطبقة الأولى فى مجتهدى الإسلام ، ولا يتأخر عن الأئمة الأربعة ، وأن الأوزاعى كان إمام أهل الشام ، وظلوا يعملون بمذهبه أكثر من مائتى سنة ، وأن الأوزاعى كان عالماً يطبق العلم بالعمل ، حتى كان يصلح للامامة ، وأنه كانت له جرأة على الخلفاء والأمراء يقل نظيرها ، وأنه دفين بيروت ، وهو مفخرة مسلمى بيروت ولبنان [١] .

ويقول شكيب أيضاً فى كتابه عن السيد رشيد رضا فيما يتعلق بسبب نشره لسيرة الأوزاعى :

« وقد قمتُ بهذا خدمةً لذكرى الأوزاعى الذى كان يقال له إمام أهل الشام ، وكان العمل بمذهبه فى الشام وفى الأندلس ، وكان إماماً لأجدادنا ، وبجوار مقامه مدفون كثير منهم » . وهو يذكر فى أثناء الكتاب محبة عائلته الأرسلانية للامام الأوزاعى ، كما يذكر منها الذين كانوا يختارون أن يدفنوا إلى جواره [٢] .

وفى مقدمة الكتاب يذكر شكيب معونةَ الأساتذة عبد القادر المغربى وعلال الفاسى والحسن أبو عياد [٣] ، وينسب إليهم أو إلى غيرهم ما أمدوه به من معلومات ، وحق لشكيب أن يفعل هذا ، فإنها أمانة العالم ، وهو نفسه قد أبدى إعجابه فى كتابه عن شوقى بأديب الأتراك عبد الحق حامد لأمانته وحفظ حقوق غيره ، فإن عبد الحق قال فى روايته عن طارق بن زياد : « إن الطبيعة من كتب الله المنزَّلة » ، فلما سمع ذلك شكيب منه قال : « ربما كانت أقدمها » فأعجب عبد الحق

---

(١) محاسن المساعى ، ص ٤ — ١٩ .

(٢) كتاب السيد رشيد رضا ، هامش ص ٦٢٤ . ومحاسن المساعى ، ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤ . وقد أشار إلى معوناتهم فى الصفحات ٧٣ و ٩٥ و ١١٩ و ١٢١ وغيرها .

حامد بهذا التعقيب ، وأثبت عبارة شكيب فى روايته حين طبعها ، وقال : « هذه الجملة هى من الأمير شكيب أرسلان » .

ويعلق شكيب قائلا : « فقضيت العجبَ من أمانة هذا الشاعر الكبير ، الذى أبى أن ينسب المعنى إلى نفسه ، وأصر على نسبته إلىَّ بالصراحة ، بينما كثير من الشعراء والأدباء ينتحلون أقوالا لم يكونوا هم قائليها » [١] .

ولكن الأمير لا يدوم على نسبة الأشياء لأصحابها ، ففى الكتاب نراه يذكر فى التراجم قوله : « وجاء من فاس » [٢] ، ولا ندرى من الذى كتب إليه من فاس ، وكان عليه أن يوضح ذلك .

* * *

وقد ثار نقاش طويل حول مؤلف الكتاب ، فإن الأمير قد نشره دون أن يذكر فيه اسم مؤلفه ، إذ لم يعثر فى المخطوط على اسم المؤلف [٣] .

وبعد ظهور الكتاب كتب الأستاذ علال الفاسى إلى شكيب يذكر أنه وجد فى فهرس دار الكتب المصرية أن هذا الكتاب تأليف الحافظ الكبير شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد المعروف بابن حجر الكنانى العسقلانى الشافعى المتوفى فى ذى الحجة سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة ، وأنه فرغ من تأليفه فى المحرم سنة خمسين وثمانمائة .

وأن النسخة الموجودة فى دار الكتب بخط عبد الغنى بن عبد الرحمن البنداق ، وفرغ من كتابتها فى الثانى عشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين بعد الألف .

ويستبعد الأستاذ علال نسبةَ الكتاب إلى ابن حجر ، لأن الكتاب من

---

(١) كتاب أحمد شوقى ، ص ١٨١ .
(٢) محاسن المساعى ، ص ١١١ و ١١٢ .
(٣) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٦٢٤ هامش .

الوجهة الحديثية ليس في مقام الحافظ، والذين ترجموا لابن حجر لم يذكروا هذا الكتاب بين تآليفه، ولو سلمنا بأنه من تأليفه، وأنه ألفه قبل وفاته بعامين، لكان معنى هذا أنه قد ألفه بعد أن بلغ غايتّه من العلم والتحرير، ولذلك يجب التثبت من هذه النسبة (١).

وكتب الشيخ محمد صبري عابدين في مجلة الرسالة يستنكر أن يكون مؤلف الكتاب هو ابن حجر، وأن مؤلفه هو أحمد بن محمد الموصلي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن زيد المولود سنة تسع ثمانين وسبع مائة، والمتوفي بدمشق سنة سبعين وثمانمائة، كما ذكر ذلك السخاوي في كتابه" الضوء اللامع " (٢).

ويرى الشيخ أن السبب فى نسبة الكتاب لابن حجر هو — والله أعلم — ما حدث من تحريف فى كلمة « ابن زيد » وتحويرها إلى « ابن حجر » بأيدى جهلة الناسخين ، ولا سيما أن ابن زيد اسمه أحمد ولقبه شهاب الدين ، وابن حجر كذلك فى الاسم واللقب ، على أن ابن زيد معاصر لابن حجر ، وسمع منه فى رحلته إلى دمشق كما نص على ذلك السخاوى (٣) .

وكذلك كتب الأستاذ محمد أحمد دهمان فى مجلة المجمع العلمى العربى يثبت أن مؤلف الكتاب هو « الشهاب أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر الشهير بابن زيد » . وكان ذلك تعليقاً على ما ذكره شكيب فى الكتاب(٤) من عدم عثوره على اسم مؤلفه(٥) .

---

(١) كتاب السيد رشيد رضا . ص ٦٢٤ و ٦٢٥ .

(٢) الضوء اللامع ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) مجلة الرسالة ، السنة ١٥ — العدد ٧٥٥ — ص ١٤١٩ — بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ مقال « مؤلف تاريخ الأوزاعى » .

(٤) ص ٣ و ١٦٥ .

(٥) مجلة المجمع العلمى العربى — من المجلد » — ص ١٨٧ .

وفعل مثل ذلك الأستاذ محمد راغب الطباخ[1] ، وذكر أنه أخبر الأمير بذلك ، فشكره ، ووعده بتدارك ذلك عند إنجازه الطبع .

ومما نلاحظه على عمل شكيب فى الكتاب أنه نقل تراجمَ كثيرة للأوزاعى ، عن وفيات الأعيان لابن خلكان ، وتاريخ أبى الفداء ، ودول الإسلام للذهبى ، ومعجم البلدان لياقوت ، ومروج الذهب للمسعودى ، وخطط الشام لمحمد كرد على ، وطبقات الحفاظ للذهبى ، والأنساب للسمعانى[2] .

وفى هذه التراجم تكرار وتشابه فى أغلب المعلومات ، وكان يكفى ذكر هذه المراجع مع الإتيان بما فى كل مصدر من شىء انفرد به فى ترجمة الأوزاعى . حتى لا يقع هذا التكرار وهذا التطويل ، وبخاصة أننا سنجد ترجمة مفصلة للأوزاعى فى محاسن المساعى .

وقد لاحظ مثل هذه الملاحظة السيد رشيد رضا حين قال لشكيب فى رسالة : « رأيتك بالغت فى استقصاء ترجمة الإمام الأوزاعى وتاريخه ، حتى لا يعد ترجمة ولا تاريخاً ، مما يجعل فى مقدمات التصدير » . ويضرب بعض الأمثلة على ذلك ثم يقول له : « وتركت أهمَّ ترجمة له على الإطلاق فى رأيى ، وهى ترجمة الحافظ الذهبى له فى (تذكرة الحفاظ) وهى ورقة أو تزيد ، ولا شك أنك لم تطلع عليها ، وأنك تأذن فى زيادتها[3] » .

ومما نلاحظه فى الكتاب استطراد شكيب فى التعليق ، ومن أمثلة ذلك أن يرد اسم « محمد بن إبراهيم » فيعلق عليه بأنه « محمد بن إبراهيم التيمى المدنى » ، ثم يستطرد فيترجم لمحمد بن إبراهيم بن عثمان بن حواشى العبسى الكوفى ، ثم

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) محاسن المساعى ، من ص ٢٥ إلى ص ٤٥ .

(٣) كان السيد رشيد يشرف على طبع الكتاب وتصحيحه ، وقد أضاف الترجمة فعلا ، انظر محاسن المساعى ، ص ٣٩ . وانظر أيضا كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٧٠٣ .

لمحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي العباسي المعروف بالإمام ، ثم لمحمد بن إبراهيم ابن معمر الهذلي[١] .

ومما نؤاخذ عليه الأمير أنه حذف قطعاً من الكتاب ، فهو يقول مثلا : « يلوح لنا دائماً أن في هذا الكتاب جملا ناقصة قد سقطت تكملتها من النسخ . ولهذا قد اضطررنا إلى طيّ بعض جمل برمتها ، وإبقاء أخرى على ما فيها من اضطراب ، والله أعلم بمكان الأصل[٢] » .

وليته أبقى الأصلَ مع محاولة تصحيحه والإشارة إلى ذلك ، وقد يمكن فيما بعد العثورُ على مراجع تقيم الأصل وتصححه وتكمله .

ويعود شكيب إلى الحذف ، فيُسقط من الكتاب المراثيَ التي قيلت في الأوزاعي ، ويعلق على ذلك بقوله : « هذه مراثي جماعة من المتأخرين ، قالوها في الأعصر الأخيرة ، لا عند موت الإمام الأوزاعي ، وهي من الشعر النازل الذي لا يليق بمثل الإمام ، وفيها لحن وفيها غلط ، وهي في آخر طبقة شعر الفقهاء ، فلذلك طويناها كلها ، واكتفينا منها بالمطالع لاغير[٣] » .

« ما هكذا تورد يا سعد الإبل » ! . كان يجب على الأمير أن يُبقي ما في الأصل .

ومع شغف شكيب بتفسير المفردات نراه يترك طائفة منها بلا تفسير ، مثل هذه الكلمات التي جاءت في عظة للأوزاعي : « الثَّواء — خَدَّدوا — رِكْزا — صُبَابة — أرسالُ فتن[٤] » .

---

(١) محاسن المساعي ، ص ٥٥ . ولو أنه شك في الاسم لكان له عذر في ترجمته لهؤلاء ، ولكنه ترجم الأول بما يفيد أنه المقصود ، فلم ترجم للباقين ؟ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٧ و ٨٨ . والثواء : الإقامة بالمكان . وخددوا : شقوا الأخاديد . والركز : الصوت الخفي . وصبابة : بقية وأرسال فتن : قطع متوالية من الفتن .

وقد يكرر شكيب بعض التراجم مع يسير من الاختلاف ، فهو يقول مثلا : «سعيد بن عبد العزيز التنوخي شيخ دمشق وفقيهها وعالمها ، كان يقول : ما قمت إلى صلاة قط إلا مثلت لى جهنم . قال الحاكم : هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة ، مات سنة ١٦٧ »[1] .

وبعد صفحات يعود ليقول : « سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، تقدم ذكره ، فقيه الشام بعد الأوزاعي ، أخذ عن مكحول وغيره ، وروى كثيراً عن البلاذرى فى فتوح البلدان ، وذكره ياقوت فى علماء بيروت[2] » .

وكان الأولى بشكيب أن يذكر كل هذه المعلومات — وهى قليلة — فى مكان واحد ، هو المكان الأول .

وشكيب لا يسير فى التراجم على طريقة واحدة ، فتارة يوجز ، وتارة يتوسط ، وتارة يطيل جداً ، ولا يضع لذلك قاعدةً ، ولا يذكر تسويغاً ، فبينما نراه يترجم للحسن وابن سيرين معاً فى أربعة أسطر فقط ، نراه يترجم للبخارى فى أكثر من صفحتين ، ويأتى مسلم عقب البخارى مباشرة فيترجم له فى أقل من ثلث صفحة ، مع أن هناك من يجعل البخارى ومسلم قرينين وفرسَىْ رهان .

ويأتى اسم أبى حنيفة فيترجم له بثلاث صفحات . وأعجب من هذا أن يأتى اسم أبى جعفر المنصور فيترجم له فى ست صفحات ! .

وقد يلجأ إلى ما يشبه التناقض ، إذ يرد مثلا اسمُ الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز ، فيورد شكيب ترجمةً له تستغرق أكثر من صفحة[3] ، وبعد قليل يرد

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
(٣) ص ٤٨

اسما الحسن وابن سيرين فيقول : « الحسن البصرى وابن سيرين من أكابر أولياء الله لا يحتاجان إلى تعريف[١] » .

أهذان لا يحتاجان إلى تعريف وعمر بن عبد العزيز الإمام المشهور والخليفة الراشد المعروف ، هو الذى يحتاج إلى تعريف ؟ .

والكتاب بحاجة إلى فهرس للموضوعات والتراجم ، حتى يسهل الانتفاع به .

وعلى الرغم من أن الأمير قد أورد نسبَ أسرته كاملاً فى ديوان أخيه « روض الشقيق » ، فقد انتهز فى محاسن المساعى أكثرَ من مناسبة لإعادة أجزاء من هذا النسب فيه[٢] .

ويظهر أن الأمير قد أعد كتاب « محاسن الأوزاعى » للنشر قبل كتابه « تاريخ غزوات العرب » ، إذ جاء فى الكتاب الأخير ذكرُ الإمام الأوزاعى فقال شكيب : « وقد استوفينا الكلامَ على ذلك فى الكتاب الذى حررناه عن الأوزاعى ، وهو الآن تحت الطبع[٣] » .

(١) المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٢) انظر مثلا الصفحات ١٩ و ٢٨ و ٩٨ و ١٦٢ .

(٣) تاريخ غزوات العرب ، ص ٦٦ .

(١٤) تاريخ غزوات العرب

فى فرنسة وسويسرة وإيطالية وجزائر البحر المتوسط

طُبع هذا الكتاب فى مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، ولم يُذكر على الكتاب تاريخ الطبع ، ولكن تاريخ المقدمة فى أول الكتاب هو ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ (المقابلة لسنة ١٩٣٣ م) . وفى هذا التاريخ ما يفيد أن شكيب كتب الكتاب فى « جنيف » ، وللمقدمة ملحق مذيل بهذا التاريخ : « جنيف ١٤ جمادى الثانية ١٣٥٢ هـ » . والكتاب فى ثلاثمائة وسبع صفحات من القطع الكبير .

ويذكر شكيب فى ملحق المقدمة أن الملك فيصل ملك العراق « كان قد سمع بخبر هذا التأليف ، وسألنى — واحسرتاه عليه — إذ كان مؤخراً فى (برن) عنه وعن مباحثه ، وعما أمكننى الاطلاع عليه من آثار العرب فى القرى السويسرية التى كان انتهى إلى سمعه أننى ذهبت إليها ونقبت فيها ، وكان مهتما بهذا الموضوع ، مرتاحا إلى نشر هذا الكتاب ، كما كان مرتاحا إلى نشر كل أثر عربى[1] » .

ويقول شكيب عن الكتاب : « وهو أول تأليف عربى مستقل فى هذا الموضوع[2] » .

وقد لاحظ شكيب أن مؤرخى العرب لم يعنوا بالحديث عن فتوحات العرب فى أوربة خارج الأندلس ، مع أن لهم فتوحات فى فرنسة وإيطالية وسويسرة والبحر المتوسط تطلبت من العرب همماً وعزائم وألواناً من الصبر ، ولذلك أقدم على تأليف هذا الكتاب ، ليكون إنصافاً للعرب ، وتحدثاً بأمجادهم ، وتخليداً لفتوحاتهم .

---

(١) تاريخ غزوات العرب ، ص ٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢ .

ويعتبر الكتاب تمهيداً أو فاتحة لحديث شكيب المسهب عن الأندلس، فإنه في سنة ١٣٤٨هـ — ١٩٣٠م اعتزم زيارة الأندلس لمشاهدة ما فيها من آثار العرب وللكتابة عن تاريخهم وأمجادهم فيها ، ولكنه اضطر أن يقصد إلى الأندلس عن طريق فرنسة التي حصل على رخصة المرور بها أياماً معدودات .

ولما كان غرضه الأصلي من الرحلة « اقتفاء آثار العرب كيف حلوا، وأنى ارتحلوا من هذه الديار الغربية » ، كان لابد له أولا من زيارة فرنسة « التي كانت فيها للعرب جولة ، بل كانت لهم في جنوبيها دولة وصولة ، وطالما عصفت ريحهم ببلاد الفرنجة ، بعد أن عصفت ببلاد القوط والجلالقة والباشكنس ، وغيرهم من أمم الغرب التي خفضوا دعائمها ، ونقضوا مرائرها ، وكادوا يلحقون بأولها آخرها[(١)] » .

وقد استعان شكيب في كتابه بما كتبه المستشرقون في هذا المجال ، وخاصة « رينو » الفرنسي ، و « كيلار » الألماني ، كما استعان بكتب المؤرخين العرب الذين كتبوا عن الأندلس أو المغرب ، ويضيف إلى ذلك مشاهداته الخاصة ، وهو نفسه يحدثنا بأنه اشترى من « مكتبة غوتنر » بباريس طائفة من الكتب التي يتعلق أكثرها بالأندلس[(٢)] .

وفي الصفحات الأولى من الكتاب[(٣)] نفهم أنه سيكون مشاهدات مرتحل، مع أداء حق التاريخ ، ثم نراه يتحدث عن مدينتي « طلوزة وقرقشونة[(٤)] » ، ثم ينتقل إلى ذكر مراجعه[(٥)] ، ثم يأخذ في تلخيص مقدمة كتاب « رينو » عن غزوات العرب في أوربة ، واسمه الكامل « غارات العرب على فرنسة ومن فرنسة على

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩ . والمرائر : جمع مريرة ، وهي الحبل الشديد الفتل .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠ .
(٣) انظر ص ٩ و ١٠ .
(٤) ص ١٣ و ١٤ .
(٥) ص ١٤ و ١٥ .

«فرنسا وبيمونت وسويسرة فى القرن الثامن والتاسع والعاشر من التاريخ المسيحى بحسب روايات المؤرخين المسيحيين والمسلمين[١] » .

وبعد عشر صفحات يستغرقها فى تلخيص مقدمة هذا الكتاب يقول : « انتهى ملخصاً كلام المستشرق الإفرنسى رينو فى مقدمة كتابه »[٢] . ثم يعود فيما بعد إلى التلخيص عنه .

ويتضح من هذا أن مرجع شكيب الأساسى هو هذا الكتاب الذى يقول عنه شكيب : « ولم نجد فى هذا البـــاب كتاباً أوعى من كتاب المسيو رينو المذكور لأنه وُضع خاصاً بتاريخ هذه الغارات ، ولأن واضعه هو من أشهر المحققين فى المسائل التاريخية[٣] ، والمطامين حق الاطلاع على اللغة العربية ، بحيث يمكنه عند كل رواية أن يقابل ما جاء عنها فى الكتب اللاتينية القديمة بما جاء فى الكتب العربية » . ثم يُثْنى شكيب على اطلاعه ودقته وتمحيصه ، ويقول : « ومن أجل ذلك كان أكثر اعتمادنا فى تاريخ هذه الوقائع على المستشرق المشار إليه » .

كما أن هناك مرجعاً أساسيا اعتمد عليه ، وهو كتاب « غارة العرب على سويسرة فى أواسط القرن العاشر » تأليف الدكتور فرديناند كيلار ، والكتاب من مطبوعات جمعية الآثار القديمة فى زوريخ .

ويقول شكيب : « كما أننا اعتمدنا فى تاريخ استيلاء العرب على قسم من شمالى إيطالية ومن أهالى سويسرة عليه[٤] ، وعلى مؤلف آخر من أهالى سويسرة الألمانية اسمه فرديناند كيلار ، سنأتى بتلخيص تأليفه بعد الانتهاء من تلخيص كتاب المسيو رينو ، وسنقابل جميع رواياتهم بما لدينا من التواريخ العربية الشهيرة[٥] » .

---

(١) ص ١٥ .

(٢) ص ٢٥ .

(٣) عاش رينو فى الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر (انظر كتاب شكيب ، ص ١٤).

(٤) يقصد كتاب رينو .

(٥) ص ١٦ .

وشكيب يصرح بأنه يعتبر كتابه « تاريخ غزوات العرب » جزءاً من كتابه « الحلل السندسية » . فيقول مثلا : « وسيأتى خبر موسى وطارق وغزواتهما مفصلا فى باطن هذا الجزء ، ثم الأجزاء المتعلقة بفتح العرب لأسبانية[1] » .

ولا شك أن الكتاب يحوى معلومات تاريخيةً ضخمة وهامة ، وهو يدل على سعة الاطلاع ، والصبر على القراءة والترجمة والدراسة والمشاهدة ، ولكننا نستطيع أن نقول فى الوقت نفسه إن الكتاب إلى باب الترجمة أقرب منه إلى باب التأليف ، ولا يعيب شكيب أن يكون مترجماً ، بل لعل الترجمة أشقُّ من التأليف فى كثير من الأحيان ، ولو وُضعت على غلاف الكتاب كلمة « ترجمة » بدل كلمة « تأليف » لكانت أقربَ إلى تصوير الواقع .

ومن حسنات الكتاب تتبعه لفتوحات العرب ، وتمجيده لبطولاتهم ، وتنويهه بالقواد والأعلام منهم ، وعنايته بتتبع الملامح العربية الباقية فى تلك البلاد التى كانت فى الماضى مجالا للحياة العربية ، وعنايته كذلك بتتبع الباقى من آثار العرب مهما دقَّ هذا الباقى كسُمْرة الوجوه ، أو بعض الأسماء العربية ، أو بعض الكتابات أو النقوش هنا أو هناك .

ومن حسناته كذلك مقابلتهُ روايات المستشرقين بروايات العرب ، مع التعليق على ذلك .

(١٥) روض الشقيق
فى الجزل الرقيق

هذا هو ديوان شقيق شكيب الأمير نسيب أرسلان المولود سنة ١٢٨٤ هـ — ١٨٦٧م قبل شكيب بسنة ونصف ، ونشآ معاً كأنهما توأمان ، وتعلم نسيب فى

(١) تاريخ غزوات العرب ، هامش ص ٢٨ ، ومثل هذا جاء فى هامش ص٢٩ و٣٠ و٣٣ .

المدارس التى تعلم فيها شكيب ، وتوفى فى ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦هـ — ١٩٢٧م . وقد نشر شكيب ديوان أخيه سنة ١٣٥٢هـ — ١٩٣٥م بعد أن جمعه وعلق عليه ، وصدره بترجمة للشاعر ، وذيله بنسب العائلة الأرسلانية .

وقد طُبع هـذا الديوان فى مطبعة ابن زيدون بدمشق ، ونلاحظ السجع الوجود فى العنوان ، وفى كلمة « الشقيق » تورية لا تخفى ، إذ لهـا معنيان : الأول قريب ، وهو الأخ لأب وأم ، والآخر بعيد ، وهو واحد شقائق النعمان ، وهو النبات المعروف(١) .

وفى المقدمة يشير شكيب إلى أن الديوان يضم قصائدَ اجتماعية ندر النظم فيها ، وقصائد سياسية فى الدستور العثمانى ، والحرب الطرابلسية ، والخلافة الإسلامية ، بأسلوب عربى حر ، ولغة نقية صافية ، لأن أخاه لم يكن يعرف الأسلوب الشعرى الجديد المباين لأساليب العرب(٢) .

ثم نقل شكيب ترجمةَ أخيه عن مجلة (الزهراء) بقلم الأستاذ محب الدين الخطيب ، ثم عقبها بكلمة منه عن شقيقه ، وبقصيدة له فى رثائه ، ثم أورد قصائد الديوان ، وأغلبها فى المناسبات ، وتبدو فيها الصنعة واضحة ، ولعل أجود القصائد هى القصيدة الفائية فى وصف الفقير ، وقد وصفها شكيب بأنها « فذة فى بابها » .

وتعليقات شكيب على الديوان قليلة ، وتكاد تقتصر على تفسير المفردات الغريبة ، وتحديد الأماكن أو البلاد التى ترد فى الشعر .

وحِرصُ شكيب على نشر الديوان يُعَدُّ مظهراً من مظاهر وفائه ، فإذا

---

(١) روض الشقيق فى الجزل الرقيق ، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤ و ٦ .

تذكرنا ما كتبه عن أحمد شوقى ، ورشيد رضا ، وغيرهما ، أمكننا أن نقول أن الأمير كان يحرص على الوفاء لذكرى أحبائه وأصدقائه .

وأما نسب العائلة الأرسلانية الذى جعله شكيب ذيلا للديوان، فقد توسع فيه وأفاض ، حتى استغرق أكثر من مائة وخمس وعشرين صفحة بحروف صغيرة[1] ، والأولى بهذا النسب أن ينفرد بكتاب ، ولذلك يعده بعض الأدباء كتابا لشكيب .

وقد ذكر شكيب فى صدر الكتاب أن أخاه نسيب نظيم هو فى مدرسة الحكمة رواية ذات أدوار على واقعة سيف بن ذى يزن الحميرى فى قيامه على الحبشة وطرده إياهم من اليمن ، وقال : « وسننشر له هذه الرواية فى جملة ما ننشره من آثاره »[2] .

ولكن شكيب لم ينشر شيئاً من الرواية فى الكتاب ، ولا نعرف أنه نشرها فى غير هذا الكتاب .

(١٦) ديوان الأمير شكيب أرسلان

طبع هذا الديوان سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م بمطبعة المنار بمصر ، ولكن يظهر أن الديوان لم يكمل طبعه إلا فى وسط عام ١٩٣٦ ، بدليل أن المقدمة التى كتبها خليل مطران للديوان مذيلة بتاريخ « ٢٥ مايو ١٩٣٦ » . وكُتب على الصفحة الأولى منه : « وهو ما أمكن العثور عليه من شعر أمير البيان فى خمسين سنة » . كما كتب عليها : « وَقَفَ على طبع القسم الأكبر من هذا الديوان

---

(١) المصدر السابق ، من ص ١٤٥ إلى صفحة ٢٧٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ .

وتصحيح ملازمه فقيدُ الشرق والإسلام المرحوم الإمام السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار » .

وعدد صفحات هذا الديوان مائتان وخمس صفحات من الحجم الكبير .

وكان شكيب يريد أن يسمى ديوانه « الصوت الغريض من أيام القريض » . ذكر ذلك فى رسالة خطية له هى بين يدىّ ، بعث بها إلى رشيد بتاريخ ١٥ رمضان سنة ١٣٥٣ ﻫ حيث يقول :

« ديوانى الذى سأطبعه إن شاء الله قريباً باسم (الصوت الغريض من أيام القريض) . . . . » .

ويظهر أن الأستاذ محمد على الطاهر اعترض على هذا العنوان لما فيه من سجع ، ولكن الأمير أصر عليه ، فقد كتب إلى السيد رشيد رضا خطاباً هو بين يدىّ — وهو بتاريخ ٨ ذى الحجة ١٣٥٣ ﻫ — وفيه حاشية تقول عن الطاهر : « أبو الحسن لا يحب السجع ، وقد أطعته فى أسماء بعض كتب ، ولكنى هذه المرة أريد أن أعصيه ، فديوانى يجب أن يبقى اسمه (الصوت الغريض من أيام القريض) . . . . » .

ولكن الديوان انتهى إلى عنوانه : « ديوان الأمير شكيب أرسلان » . وخضع الأمير لرأى أبى الحسن . ففى رسالة من شكيب إلى رشيد بتاريخ ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٥٣ ﻫ يقول شكيب : « خضعنا لأمر أبى الحسن المؤيَّد برأيك فى جعل اسم الديوان ساذجاً ، وهو (ديوان الأمير شكيب أرسلان) ، والحمد لله على أن ديوان أخى نسيب جارٍ طبعه فى دمشق ، أى ليس تحت انتداب أبى الحسن ، فأسجاعى هناك حرة طليقة » .

وكتب تصديراً لديوان « شاعر الأقطار العربية وشيخ الأدباء خليل بك مطران »[1]. وقال فى أول هذا التصدير :

« هذا ديوان أمير البيان ، أفِى حاجة أنا إلى تسمية صاحبه بعد هذا النعت الذى نعته به الإجماع فى الأمة العربية ؟ .

أتيح لى أن أصدِّره بهذه الكلمة ، وفى النفس داعٍ من الودِّ القديم ، وباعث من الإعجاب والإكبار ، فانتهزت الفرصةَ السانحة ، مغتبطاً بها ، ولا أبرىء اغتباطى من أثر فيه للأثَرَة ، فإن حظى من الفخر بهذا التصدير أضعاف حظ الصديق الكريم »[2].

ثم أشار خليل مطران إلى ديوان « باكورة » وذكر أن شكيب انصرف بعد إظهاره إلى الكتابة النثرية فى الموضوعات المختلفة ، فله فى الصحف والمجلات كل يوم » قلائد تزهى بها صفحاتها ، أو فرائد تزخر بها أنهارها » .

وتحدث عن تمكن شكيب من اللغة ، واطلاعه على مفرداتها وغرائبها وأساليب الفحول من الكتاب ، ثم يقول : « إذا كان قد رضى لنفسه فى الشعر أن يكون المُقِلَّ المُجيد ، فلا مشاحة فى أنه انفرد بين المترسلين بأنه المكثر المُجيد »[3].

وبعد التصدير تأتى مقدمة بقلم شكيب يفتتحها بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . هذا ديوان شعرى من أيام الصغر إلى أيام الكبر ، تتجلى فيه روحى حَدَثاً وشاباً ، وكهلا وشيخاً ، ويعرف القارىء أنها روح لم تزل يُشبه بعضها بعضاً فى جميع أدوار الحياة » .

---

(١) ديوان الأمير شكيب أرسلان ، ص ... (ج) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الديوان ، ص (هـ) . هذا وقد ذكرت مجلة « الشباب » فى العدد ٣٤٤ بتاريخ ٢١ إبريل ١٩٣٧ أن الشيخ رشيد رضا « هو الذى وضع للديوان مقدمة ، وشرح الغاية من نشره » . وهذا غير صحيح ، فقد رأينا أن صاحب التصدير هو خليل مطران .

ثم يذكر شكيب أنه لم ينشر ديوانه لمفاخرة أو إثبات براعة ، بل لأن الشعر لقائله كالولد لناجله ، وهو يخشى أن يُنسب إليه ما لم يقله ، أو ينسب كلامُه إلى سواه ، ولأن قصائده تتعلق « بوقائع تاريخية مشهورة ، وبعضها متضمن لمبادىء سياسية مأثورة » ، فنشرها جزء من التاريخ ، ولأن له أصدقاء طواهم الردى ، فبكاهم بشعره ورثاهم ، ثم نشر شعره فيهم ليكون تخليداً لذكراهم ، وليوفيهم بعض حقوق الوفاء .

ثم ذكر شكيب أنه قد ضمن الديوان أكثر ما فى « الباكورة » ، وأنه يمتز بما فيها من شعره ، ويقول : « قد رأيت الشباب أشعرَ من المشيب ، ووجدت أحسن القريض ماجاء فى العهد الغريض » ! . والغريض ؛ الطرى ، وهو يريد حداثة السن .

وقد جعل شكيب الديوان أقساماً ، فالقسم الأول هو المراسلات السامية ، أى التى كانت بينه وبين الشاعر محمود سامى البارودى « أمير الشعراء فى وقته » كما يعبرّ عنه شكيب .[1]

والقسم الثانى فى مساجلات شعرية ومفاكهات أدبية ، والقسم الثالث فى مراثى العلماء والأدباء والكبراء ، وقد رثى شكيب هؤلاء : أحمد فارس الشدياق ، وعبد الله فكرى ، ومحمود سامى البارودى ، وأمين فكرى ، ومحمد فريد ، وكامل الأسعد ، وأحمد تيمور ، وعبد العزيز جاويش ، وأحمد شوقى ، وعبد القادر الشيبى ، وعبد السلام بنونه ، ونسيب أرسلان[2] ، وإبراهيم اليازجى ، والأمير عبد القادر نجل الخديوى عباس حلمى ، وأحمد مختار بيهم ؛ وغيرهم .

والقسم الرابع فى المدائح السلطانية وشئون السياسة العثمانية ، ثم يأتى بعد

---

(١) الديوان ، ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢ .

ذلك ما أثبته فى الديوان من قصائد ديوانه الأول « باكورة »[(١)] .

هذا ، وقد وجدتُ بين رسائل شكيب الخطية إلى السيد رشيد رضا نبذةً تتعلق بالديوان والتعليق عليه ، بعث بها شكيب إلى رشيد ليثبتها فى موطنها من الديوان ، ولكن ذلك لم يتم ، وفيما يلى نص هذه النبذة :

« لا يخفى أن قصيدتنا فى وصف معركة حطين فيها أعلام من أسماء رجال وأماكن ، وعلى هذه الأعلام وضعنا بعض تفاسير فى الحاشية ، فإن كنتم لم تطبعوا الكراسة التى فيها هذه القصيدة طبعاً نهائياً ، فأرجو أن تجعلوا فى الحواشى ما يأتى :

عند ذكر الملك الذى سقط أسيراً فى يد صلاح الدين ، وهو ملك الإفرنج ، يكتب فى الحاشية ما يلى :

هو الملك أغوى دولزينان Guy Delusignan . وهذا الملك آل إليه الملك على الفرنج بواسطة امرأته ، وذلك أنه كان الملك بودوين الرابع المجذوم قد توفى بلا عقب ، فكانت الوارثة للملك بعده الأميرة « سيبيل Sibylle » أى شقيقته كونتة يافا ، فأرادوا تزويجها بأحد أمراء فرانسة ، ليساعدها على إدارة المملكة ، وتزاحم الأمراء على ذلك ، إلا أنها فضَّلت « أغوى دى لوزينان » ، لأنه كان أجمل شبان عصره .

فاستدعوه من فرنسة ، وزوَّجوه بها ، وبعد ذلك بايعوه بالملك خلافاً لرأى

---

(١) يبدو أن السيد رشيد رضا هو الذى قام بتقسيم الديوان وترتيب قصائده . انظر كتاب السيد رشيد رضا ص ٧٨٩ . وفى رسالة من شكيب إلى رشيد هى بين يدى ، وتاريخها ١٠ ذى الحجة ١٣٥٣ يقول شكيب : « ترتيب الديوان أنا تاركه لك ، تكرم بترتيبه على حروف الهجاء ، أو بوضع ما تراه مناسبا أولا فأولا ، ولكن بشرط أن يكون أبو الحسن حاضرا ، لأنى لا أخشى عليك من السهو فى معرفة اللغة ، ولكنى أخشى بسبب كثرة أشغالك من السهو فى الترتيب ، وهذا ما يقع لى مثله . أنت حر فى ترتيب الديوان كيف شئت ، وغاية ما أريد هى المجلة ، لأنى أؤمل إذا جرى طبع هذه الكتب بسرعة ترد علينا شيئا يسد بعض مصاريفى اليومية » .

ريموند الثالث كونت طرابلس الذى كان ابن عم بودوين الرابع ملك القدس ، وكان أعقل أمراء الصليبيين فى ذلك الوقت . قال عنه بهاء الدين بن شداد مؤرخ سيرة صلاح الدين — عند ذكر وقعة حطين — : « وكان القمص ذكيّ القوم وأطغاهم ، فرأى أمارة الخذلان قد نزلت بأهل دينه ، فهرب فى أوائل الأمر قبل اشتداده » .

ولهذا أشرت فى القصيدة بقولى :

وأدبر القمصُ معْ فوارسه ما غرَّه مثل غيرِه الغرر[1]

وكان العرب يقولون له : القمص ، لأن لفظة كونت كانت فى زمان الصليبيين يتبعها أحياناً حرف السين فى آخرها ، ويقول العماد الأصفهانى على عادته فى السجع والتجنيس :

« ولما أحس القمص بالكسرة ، حَسَرَ عن ذراع الحسرة ، واقتال[2] من العزيمة ، واحتال فى الهزيمة . وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام الجمر ، واحتداد الحرب ، واحتدام الحر ، فخرج بطابه يطلب الخروج ، واعوجَّ إلى الوادى وما ودَّ أن يعوج ، ومضى كومض البرق ، ووسَّع فى خُطى خرقه قبل اتساع الخرق . . . » إلخ .

وقوله : (خرج بطابه) معناه بجماعته ، فقد كانت هذه اللفظة تستعمل فى ذلك الوقت ، وكثيراً ما وردت فى تواريخ الحروب الصليبية ؛ فيقولون مثلا : جاء السلطان « ورتب الأطلاب » . يعنون بها جماعات الجند ، مفردها طَلَب محركة . وكان الطلب هو ما يقول له الأتراك (البلوك) وهو اسم جمع ، ومفرده طالب ، وهو الذى يحاول أخذ الشىء .

---

(١) هذا البيت فى ص ١١٩ من ديوان الأمير شكيب .
(٢) اقتال : مال واستراح .

وقد جاء فى لسان العرب وفى تاج العروس هذا اللفظ ، واستشهدوا بحديث يقال له حديث الهجرة ، وهو : قال سراقة : « فالله لكم أن أردّ عنكما الطلب » قال ابن الأثير [1] : هو جمع طالب ، أو مصدر أقيم مقامه ، أو على حذف المضاف ، أى أهل الطلب .

وفى حديث أبى بكر فى الهجرة ؛ قال له : « أمشى خلفك أخشى الطلب » .

وجاء فى لسان العرب وتاج العروس : « وعن ابن الأعرابى : الطَّلِبة الجماعة من الناس » ، وهى بالكسر ، والطُّلبة بالضم السفرة البعيدة ، نقله الصاغانى ، وطاب إذا اتبع ، وطَلِبَ كفرح إذا تباعد .

أردنا الاستقصاء عن هذه اللفظة لكثرة ما تدور فى تواريخ العرب فى تلك الحقبة .

هذا ، وكان القمص صاحب طرابلس معارضاً لملك أغوى ، وعدواً له ، وإنما وفّق بينهما جمهور الإفرنج قبل وقعة حطين . ولما اجتمعت الإفرنج فى صفورية لمقابلة صلاح الدين كان من رأى القمص المذكور عدم مناجزة صلاح الدين القتال ، والبقاء فى صفورية على قدم الدفاع ، لأنه كان يرى جيش صلاح الدين ضعف جيش الإفرنج فى العدد وربما أكثر ، فقد كان جيش الإفرنج على أصح الروايات ثلاثين ألف مقاتل ، وأقل ما حُزِرَ [2] به جيش صلاح الدين ستون ألفاً ، وقيل أكثر من ذلك .

ومع أن طبرية كانت تخص القمص صاحب طرابلس ، وكان صلاح الدين نزل عليها ودخلها ، وامتنعت القلعة ، وكانت فيها البرنسيسة امرأة القمص ، فلم

---

(١) يقصد فى كتابه « النهاية فى غريب الحديث والأثر » . انظر ج ٣ ص ٤١ .
(٢) أى أقل تقدير له .

يكن القمص بدهائه وأصالة رأيه يريد تقدم الجيش الإفرنجى إلى طبرية لاستخلاصها من يد صلاح الدين .

بل كان رأيه بقاء الفرنج فى صفورية مدافعين إذا هاجمهم السلطان ، وإنه هكذا صلاح الدين يمل من الانتظار ، فيعود إلى الشام ، وتتفرق عساكره ، وتعود إلى أوطانها ، ولكن الملك أغوى ومقدم الداوية أو الهيكليين أصرَّا على الحرب ، وزحفا صوب صلاح الدين الذى كان ينتظر المناجزة ، فكان ما كان فى حطين .

• • •

عند الوصول إلى ذكر البرنس أرناط فى تفسير قولنا :

وفى بأرناط نذره بيد إذ طالما لم تحك به النُّذُر
وقال إذ تَلَّه بصارمه: هأنذا للنبى أنتصر[1]

يكتب هكذا : (أرناط) هو الذى يقول له الإفرنج « رينوط دوشايتون» Renot de Chatillon . وهكذا كانوا يكتبونها فى زمان الصليبيين ، وصاروا يكتبون هذا الاسم الآن بالدال فى آخره بدلا عن التاء هكذا Renaud

وأما فى ذلك الوقت فكان هذا الاسم يلفظ بالتاء ، والعرب جعلوه (أرناط) لأن الإفرنج كانوا يلفظونها (رينوط) مع فتح الواو قليلا حتى تصير بين الواو والألف ، فجعلها العرب ألفا ، ومن عادة العرب أن يزيدوا الألف فى أول الأعلام الإفرنجية ، فيقولون مثلا للفرنسيس (الافرنسيس) .

وعلى هذه القاعدة جعلوا ألفاً فى أول اسم « رناط » فصارت « أرناط » .

هذا من جهة اسم هذا البرنس ، وأما من جهة فعله فقد كان ذميما جدا ، وكان

(١) البيتان فى ص ١٢٠ من ديوان الأمير .

يشنُّ الغارات دائما ولا يتقيد بهدنة ، وكان تزوج من قبل بأميرة أنطاكية ، وأدار أمور أنطاكية مدة طويلة ، وساءت سيرته حتى بين الصليبيين ، ثم أقطموه — في خبر ليس هنا محله — بلادَ شرق الأُرْدُنّ ، واعتصم بقلعة الكرك ، وكانت له هناك وقائع أفحشَ فيها النكاية في قلوب المسلمين ، وطالما قطع الطرق على القوافل بين مصر والشام ، وأراد غزوَ تيماء فلم يفلح .

وكانت تحدثه نفسه بغزو المدينة المنورة ، وجهز سفناً في بحر القلزم[1] ، ولكن لم يطل أمر دعارته[2] البحرية ، لأن الملك العادل أخا صلاح الدين أرسل أسطولا بقيادة لؤلؤ أمير البحر ، فقبض على سفن الصليبيين في بحر أيلة ودمرها ، وكان جماعة من الصليبيين نزلوا إلى البر ، وساروا في طريق المدينة بدلالة بعض البدو ، وإلى هذا أشار القاضي الفاضل بقوله :

(ودلهم على عورات البلاد من الأعراب مَنْ هم أشد كفراً ونفاقا) .

فأدركهم المسلمون وقبضوا عليهم ، وأمر صلاح الدين بقتل هؤلاء جميعاً ، حتى لا يبقى منهم من يعرف تلك الطريق .

ثم إن من أفعال البرنس أرناط أنه كان يقطع الطريق على الحجاج ، وفي إحدى المرار أخذهم وحبسهم في قلعة الكرك وقال لهم : قولوا لمحمد ينقذكم .

ومؤرخو الإفرنج بأجمعهم يعترفون بأن أعمال أرناط هذا كانت فوق تحمل النفوس البشرية ، ويعتقدون أنه هو الذى عجل بفظائع أعماله عزيمة صلاح الدين في حشد الجيوش ، والقضاء على مملكة الإفرنج في فلسطين وسورية .

وآخر مرة — وكان ذلك في سنة ١١٨٦ مسيحية — قبض أرناط على قافلة

---

(١) هو البحر الأحمر .

(٢) الدعارة : الفساد والخبث والفسق

قادمة من مصر إلى الشام ، ونهبها ، وألقى برجال القافلة فى السجن ، فأرسل السلطان فى بادىء الأمر إلى الملك أغوى دولوزينان صاحب بيت المقدس يطلب منه إعادة مانهبه البرنس أرناط ، فأرسل أغوى إلى أرناط يأمره بردّ السلب بأجمعه ، فلم يطعه .

وكان قد سبق لأرناط ما سبق من الأفاعيل المتكررة ، وكان بلغ السلطان — وهو فى بلاد الجزيرة — قذفُ أرناط بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فأقسم أنه إن وقع فى يده سيقتله بيده لا بيد أحدٍ سواه ، وقيل إن الفقهاء أخذوا منه موثقاً بذلك .

فلما وقع فى يد صلاح الدين فى واقعة حطين ملكُ الفرنج وأسراؤهم أجمع ، كان من جملتهم البرنس أرناط هذا ؛ وكان أعظم الأسرى مع الملك هم هؤلاء : رينوط دو شاتليون أمير الكرك ، وجرارت دو ريدفورت Jerard de Ridefort مقدم الداوية ، وأمير أنفروا الرابع من آل طورون Onfroi de Toron ، والمركيز غليوم الثالث دو مونفرات Guillaume III de Montferrat ، والقائد آمورى — والعرب يقولون مرى — دولوزينان أخو الملك أغوى Amaury de Risignan ، وهوغ — والعرب يقولون (أوك) — أمير جبيل Hugue de Jibélet . وبليبانوس أمير البطرون Plepanus de Boutron . وباليان بن بارزان ، والأفرنج يقولون Balian di Belin .

فلما جلسوا فى فسطاط السلطان — رحمه الله — بعد الوقعة أخذ السلطانُ يوبّخ أرناط على أفعاله ، وقال له : كم تحاف وتحنث ، وتعهد وتنكث ! . فقال أرناط للترجمان : بذلك قد جرت عادة الملوك .

وكان الملك يلهث ظمأً ، فجاءوا له بماء مثلوج ، فشرب ثم ناولَ منه البرنس أرناط ، فقال السلطان للترجمان : قل للملك أنت الذى سقيته ، وأما أنا فما سقيته .

قال ابن شداد : وكان على عادة جميل العرب وكريم أخلاقهم أن الأمير إذا أكل أو شرب من ماء لمن أسَرَه أَمِنَ بذلك ، جرياً على مكارم الأخلاق .

ثم أمرهم بمسيرهم إلى موضع عُيِّن لنزولهم ، فمضوا وأكلوا شيئاً، ثم عادوا فاستحضرهم ، ولم يبق عنده سوى بعض الخدم ، وأقعد الملك في الدهليز واستحضر البرنس أرناط ، وأوقفه على ما قال ، وقال له : هأنذا أنتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام .

ثم عرض عليه الإسلامَ فلم يفعل ، ثم سل النمجاة وضربه بها فحل كتفه ، وتمم عليه من حضر ، فأخذ ورُمى على باب الخيمة ، فلما رآه الملك قد خُرج به على تلك الصورة لم يشك أنه يثنّى به ، فاستحضره وطيّب قلبه ، وقال : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك .

وإلى هذا أشرت بقولى :

فأصبح المَلْك وهو مرتجف (١) إلخ . . .

وقد روى رينه غروسه René Grousset مؤلف أحدث تاريخ للحروب الصليبية وأجلّها وأعظمها تدقيقاً ، فى الجزء الثانى من تاريخه صحفة(٢) ٨٩٣ مابؤيد رواية أن الملك أغوى ناول البرنس أرناط الماء المثلوج ، وأن السلطان صلاح الدين قال للملك أغوى : أنت سقيته ، فأما أنا فلم آذن بذلك . ثم أخذ يقرع أرناط على أفعاله وأسره قافلة الحجاج فى حال السلم ، فأجابه أرناط بأنه هكذا جرت عادة الملوك .

قال غروسه : وبقى هذا الأمير — الذى هو المسئول أكثر من الجميع عن سقوط مملكة القدس — يأتى بأدلة على عدم فهمه أقلّ بديهيات الحق .

قال : وقد روى مؤرخ إفرنسى أن صلاح الدين سأل أرناط : كيف كنت تفعل لو كنتُ أنا وقعت فى يدك ؟ . فأجابه أرناط : كنت أقطع رأسك . فقال صلاح الدين : أيها الخنزير ، أنت الآن فى يدى ، وتجاوبنى بهذه القحة ؟ .

---

(١) البيت فى ص ١٢٠ من ديوان الأمير، وبقيته : « ما شك أن بالحسام يبتدر » .
(٢) هكذا بالأصل ، والصواب صفحة .

ثم هجم عليه ، وقطع كتفه بسيفه ، وأجهز عليه الحاضرون ، وجيء بجثته تحت رجلي الملك أغوى ، فصار الملك يرتعش ، فأسعفه صلاحُ الدين ، وقال له : إن الملوك لا يقتلون الملوك ، ولكن هذا الرجل تجاوز جميع حدود القحة والغدر » .

هنا تنتهي نبذة شكيب التي وجدتها بين رسائله الخطية إلى رشيد رضا أثبتُّها هنا بنصها .

(١٧) شوقي أو صداقة أربعين سنة

هذا الكتاب مطبوع لأول مرة في مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م ، وعدد صفحاته ثلاثمائة وأربع وخمسون صفحة من القطع الكبير . وقد ظهر هذا الكتاب يوم الثلاثاء ٩ صفر ١٣٥٦ هـ — ٢٠ إبريل ١٩٣٧ (١) .

وقد ذكر شكيب في أول الكتاب سببَ تأليفه له ، فقال إنه ما مرَّ عامان على وفاة شوقي حتى رأى الناس كأنهم نسوه ، وهي عادة الخَلْق ، وكان شكيب قد وعد عقب موت أمير الشعراء بإخراج كتاب عن ذكرياته مع شوقي ، ولكن الشواغل شغلته عن الوفاء بهذا الوعد ، فلما ذهب إلى فلسطين عقب ذلك التقى بالأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ، فاستنجزه النشاشيبي وعدَه — وكان النشاشيبي يعجَب كثيراً بشوقي ، ويشيد به — فحرص شكيب على الوفاء بالوعد ، وكتب الكتاب (٢) .

وقد جاء على غلاف الكتاب أنه « سبق نشرُ جانب من هذا الكتاب في جريدة الجهاد ، ولكن أعيد النظر فيه ، وتمثل في هذه الطبعة تاماً منقحاً » .

---

(١) مجلة الشباب ، العدد ٣٤٤ بتاريخ ٢١ إبريل ١٩٣٧ .

(٢) شوقي أو صداقة أربعين سنة ، ص ٣ و ٤ .

ويتحدث شكيب فى طلائع الكتاب عن مطالعته لشعر شوق ، وتعرفه به ، واتصال الود بينهما ، وتناشدهما أشعارهما ، ومعارضة شكيب لشوقى بعض قصائده ، ثم يأخذ شكيب فى عرض « أماثيل من شعر شوق »[١] ، ويعلق عليها تعليقاً خفيفاً سريعاً ، وتغلب عليه النزعة اللغوية فى تعليقه ، ويطيل فى إيراد الشواهد من شعر شوق ، ويعيد كلمات الإعجاب بشعره .

وهو يذكر فى صدر استشهاداته أن شعر شوق ثلاثة أقسام : الشعر المطرب (الغنائى) ، والشعر التاريخى أو شعر الوقائع (الملاحم) ، والشعر الروائى (المسرحى والقصصى) . ويذكر أن الشعر الشخصى هو الجانب الأوفر من شعر شوق[٢] .

ويحرص شكيب فى كتابه على أن يخبرنا بأنه كان يعارض شوق فى بعض الأحايين ، وأنه عارض قصيدته التى أولها : « رضى المسلمون والإسلام » بقصيدة جعل مطلعها :

هل لسانٌ أقوالُه الإلهامُ   أم بيانٌ آياته الإحكام ؟

ويحكم شكيب على قصيدة شوق بأنها « غير خالية من أبيات فيها غموض ، وأخرى فيها تعقيد ، ولكنها على كل حال عامرة بشوارد الأبيات » . ويمضى شكيب فى إخبارنا عن نتيجة المعارضة — وإن كان يتواضع فيقرر « أن الدُّرَّ لا يعارَض بالحصى » — فيذكر لنا أن هناك من فضّل قصيدته على قصيدة شوق ، كالشاعر الأديب داود عمون ، ثم يقول شكيب : « وعلى كل حال فلست أدَّعى سبقَ شوقى فى هذا الميدان »[٣] .

ولنلاحظ هنا أنه قَصَرَ عدم الادعاء على « سبق شوق » ، ويبقى أن نتساءل : هل معنى هذا أن الشاعرين متساويان ؟ .

---

(١) ابتداء من ص ١٠٨ حتى ص ٣٤٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
(٣) شوق أو صداقة أربعين سنة ، ص ٢٠ .

ذلك سؤال لم يجب عنه شكيب بصورة قاطعة !.

ومن هذا القبيل أن يتحدث شكيب عن قصيدة شوقى فى الحرب البلقانية التى مطلعها : « يا أختَ أندلسٍ عليك سلام » ثم يقول : « وفى هذه المسألة أرانى وشوقى متواردَيْن على رأى واحد ، وليست هذه بالمرة الوحيدة التى أجدنى فيها وإياه على وفاق ، كأن قلبينا قلب واحد ، وكأنا نفكر عن خلية دماغ واحدة » .

ويذكر قول شوقى فى تلك القصيدة :

صور العمى شتى ، وأقبحها إذا نظرتْ بغير عيونهن الهامُ

ويذكر شكيب أنه يقول من قصيدته فى « استرداد أدرنة » :

وكابرَ قوم ينظرون بأعين ألا عَمَهُ الألباب أعْمَى من العمى [1]

وهو يورد قول شوقى :

وسلا مصر : هل سلا القلب عنها أو أسا جرحَه الزمانُ المؤسى ؟

ويذكر أن شوقى قد جانس بين (سلا) من السؤال و (سلا) من السُّلُوِّ ، ثم يقول : « وقد سبق لى هذا الجناسُ نفسه ، ولم أكن اطلعت على شعر شوقى هذا ، وهو فى قولى فى رثاء الشيخ عبد القادر الشيبى سادن البيت الحرام رحمه الله :

سلانى : هل على بعد سلانى وهل كان الغياب سوى العيان » [2] .

* * *

(١) المصدر السابق ، ٢٧١ و ٢٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٣٠٩ . والبيت فى الديوان ، ٨١ ، وقد جاء فيه : « وهل كان المغيب » بدل : « وهل كان الغياب » .

ويذكر لنا شكيب أن شوقى عارض البارودى فى وصف الحمام ، وأن البارودى عارض أبا نواس ، كما عارض ابن دراج القسطلى أبا نواس من قبل[1] ، ويورد شكيب من شعر كل منهم أبياتاً ، ولكنه لا يتلبث ليحلل ، أو يقارن ، أو يحكم بأدلة وبراهين ، بل يعلق تعليقا خفيفا سريعا .

وكأنه يحس باعتراض القارىء عليه فيحاول دفع هذا الاعتراض بقوله : « إنى لو شئت أن أردف كلَّ بيت بما يبدو لى فيه لاستغرق ذلك أجلادا[2] » . ولكنه كما يقول لم يرد الشرح ولا التعليق ، وإنما أراد تجديدَ ذكرى شوقى ، وتسجيل علاقته مع أخ قديم إنجازاً لوعده ، وكأنما أراد أن يتحلل من هذا الوعد بصورةٍ ما ، فساق ما ساق .

يقول : « ولكن إن خطرت فى بالنا جملةٌ أرسلناها عفواً ، أو عنَّت ملاحظة يروق الأدباء قيدها لم نجمجم بها ، وسنتبع هذه الطريقة إلى الآخر[3] » .

وها هو ذا مثلا يعود إلى حديث المعارضة ، فيذكر معارضة شوقى للبحترى فى القصيدة الرائية ، ويورد نماذج للشاعرَيْن ، ولكنه لا يأخذ فى المقارنة أو التحليل ، ويكتفى بقوله : « من قرأ القصيدتين البحترية والشوقية لم يتردد فى أن يقول : إن القديم طبع ، والجديد تطبع ، وإن الأول توليد ، وإن الآخر تقليد[4] » .

وبعد صفحات كثيرة من الكتاب يخبرنا بأنه سيورد معارضةَ شوقى للبحترى فى سينيته مع سينية البحترى ، وأنه سيقابل بينهما ، ويستغرق فى استعراض القصيدتين وما ألحقه من استطرادات تاريخية وتعليقات لغوية نحو عشرين

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ — ١٣٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

صفحة[1] ، ثم لم نجد شيئاً من المقابلة أو المقارنة أو الحكم سوى كلمات عاجلة مثل قوله : إن شوقى قصر عن البحترى ، أو إنه نزل عنه أولا ، ثم ساواه فى الأوابد والملاحم ، أو إن شوقى أخذ جملة « يَحْسِرِ العيون ويُخسى » من كلام البحترى .

ولا ينسى شكيب هنا أن يذكر لنا معظمَ قصيدته الأندلسية . لماذا ؟ . لأن شوقى قد تحدث عن الأندلس فى سينيته ! .

والأعجب من ذلك أن شكيب تعرض لقصيدة شوقى فى (الروح) التى عارض بها ابن سينا ، ولكنه لم يعقد أية مقابلة أو مقارنة بينهما ولو بجملة واحدة ، ولم يذكر أيضاً شيئاً من المقابلة بين قصيدة شوقى النونية : « يا نائح الطلح » التى عارض بها قصيدة ابن زيدون : « أضحى التنائى بديلا من تدانينا » .

***

وشكيب كثير الاستطراد فى هذا الكتاب ، فهو يريد أن يتحدث عن جفوة وقعت بينه وبين شوقى ، فيستطرد إلى الحديث عن الحرب الطرابلسية ، وجهوده فيها ، وقدومه إلى مصر ، ومقابلاته للخديوى ، وعرض الخديوى عليه المال ، وإباء شكيب ذلك ، وبعد أن يستغرق فى الاستطراد أكثر من ثلاث صفحات يعود إلى الموضوع ، وهو أن شوقى لم يَسْعَ للقائه فى هذه الزيارة .

والعجيب أن شكيب نفسه يعترف بأن ذلك استطراد ، فيقول : « ليس هذا من موضوع شوقى فى شىء ، ولكنه جاء استطرادا » . ويقول : « وليس هذا الحديث بذى صلة مع ما نحن بسبيله[2] » .

---

(١) من ص ٣٠١ إلى ص ٣٢١ .

(٢) ص ٣٧ و ٣٨ .

فهو يستطرد عامداً متعمداً ، مع سبق الإصرار » .

وهو يذكر رثاء شوقى لأمين فكرى ، ثم يستطرد فيذكر قصيدة إسماعيل صبرى فى أمين ، وقصيدة شكيب فى أمين ، ثم يقول : « ولو فسح المجال لاستوفيت له ثلاثين مرثية ، وكان بها قمنا » . ثم يزيد فى الاستطراد ، فيورد ذكريات له ، ولابن عمه عارف أرسلان مع إسماعيل صبرى وأمين فكرى[١] .

وحينما ترد قصيدة شوقى : « كبار الحوادث فى وادى النيل » ، ويتعرض فيها لذكر الصليبيين ، يسارع شكيب إلى حبيبه وعزيزه « الاستطراد » ، فيحدثنا عن الصليبيين وأفاعيلهم فى البلاد الإسلامية ، ويستغرق فى ذلك أكثر من أربع صفحات ، وقد نجد لوناً من الصلة بين هذا وبين قصيدة شوقى ، ولكن شكيب يستطرد أكثر ، فيحدثنا عن قصيدة له فى صلاح الدين قاهر الصليبيين ، ثم يبين لنا : متى قيلت ؟ وأين نشرت ؟ ومتى تظهر مطبوعةً فى ديوانه ؟ .

ثم يقول : « ولا أجد داعياً لإعادتها هنا برمتها » إلا أنه يذكر أكثَرها مع شىء من التعليق عليها ، ويستغرق فى ذلك نحو أربع صفحات[٢] ! .

وتأتى إشارة إلى « الحرب البلقانية » فى قصيدة لشوقى ، فيستطرد شكيب إلى إيراد ذكريات شخصية له عن هذه الحروب ، ثم يدافع عن استطراده بقوله : « ولا بأس أن يكون للتاريخ مكان من كتاب أدب ، لاسيما إذا تعلق بالحمية والإنسانية[٣] » .

ومن غرائب الاستطراد عنده أن يتحدث عن سينية شوقى التى عارض بها سينية البحترى ، فيأتى على قصيدة البحترى بأكملها ، ويعلق عليها بعض التعليقات

---

(١) ص ١٦٧ — ١٧١ .

(٢) ص ١٩٣ — ٢٠١ .

(٣) ص ٢٨٠ .

اللغوية ، ثم يستطرد إلى أمداح البحترى ، وإشادته بمجد المعجم ، فيذكر منها نماذجَ ، ثم يستطارد إلى وصف البحترى لواقعة بحرية ، ثم يستطرد فيذكر نماذج من مدحه ليعقوب بن أحمد بن صالح والحسن ابن مخلد وإبراهيم بن المدبر وإسماعيل بن نيبخت[1] ، ثم يعود بعد هذه الاستطرادات كلِّها إلى سينية شوقى . . .

ليست هذه طريقة تأليف فى موضوع له منهج ، وإنما هى أحاديث وأسمار .

والذى يثير الدهشةَ أن شكيب مع هـذا لم يتحدث عن مسرحيات شوقى ولا عن كتابه ، « دول العرب والإسـلام » ، والحديث عن هذا كلِّه من صميم موضوع الكتاب ! . . .

* * *

وشكيب يبالغ فى أحكامه أحيانا خلال هذا الكتاب ، فهو مثلا يشير إلى القصيدة التى صاغها شوقى وقدمها إلى الكاتب الشهير « هول كين » ، ومطلعها : « آذار أقبل قم بنا يا صاح » .

ثم يقول شكيب : « وليس فى زهريات الشعراء أجمع ما يبزُّ زهرية شوقى هذه »[2] . فهل بَنَى شكيب هذا الحكمَ على دراسة ، ومراجعة ، واستقصاء ؟ . أليس فى كلمة : « الشعراء أجمع » لونٌ من التوسع والمبالغة ؟ .

قد يقال : فلِمَ لا تجعل من هذا الباب قولَ شكيب عن قصيدة شوقى فى النيل : « ومهما قيل فى النيل فهو قليل ، إلا أن شوقى جاء من وصف النيل بما يناسب جلاله وجماله ، ولا أظن شاعراً قديماً ولا حديثاً وصف النيل بمثل هذه الإجادة »[3] .

---

(١) ص ٣٠٣ — ٣٠٩ .
(٢) ص ٣٠٠ .
(٣) ص ٣٢٥ .

وأقول إن الشعر فى النيل بهذه الصورة التى رسمها شوقى قليل نادر ، وأما الزهريات فى الشعر العربى فكثيرة ، وبخاصة فى شعر الأندلسيين والعباسيين .

* * *

وشكيب يخطئه التوفيقُ فى النقد أحياناً ، فإنه مثلا يورد قول شوقى :

إن ملكتَ النفوسَ فابغِ رضاها   فلهـا ثورةٌ ، وفيها مضـاء
يسكن الوحشُ للوثوب من الأسـ   ـرِ ، فكيف الخلائقُ العقلاء ؟

ثم يعلِّق عليه قائلا :

« وليس لى اعتراض هنا إلا على قوله : يسكن الوحش للوثوب من الأسر . إلخ . فإن السكون والوثوب لا يقترنان ، ولو قال : ينزع الوحش للوثوب من الأسر لكان أقعد »[1] .

ومن قال إن السكون والوثوب هنا مقترنان يا أمير البيان ؟ . إنما يسكن الوحش أولا ، ثم يثب ، ففيم الاعتراض ؟ ! . .

ويذكر بيتَ شوقى :

وطنى لو شُغلتُ بالخُلْد عنه   نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

ويقول : « وكأنه يشير إلى بيت المتنبى :

خُلقتُ أَلُوفاً ، لو رجعتُ إلى الصِّبا   لفارقت شيبى موجعَ القلب باكيا »[2]

ومن الواضح أن كلاًّ من البيتين له وجهةٌ مستقلة ، فشوقى لا يعدل بوطنه شيئاً ، مهما غَلاَ أو علا ، ولو كان الخُلْدَ ، وأما أبو الطيب فيحدثنا عن روح الألفة فى نفسه ، فلو فارق ما تعارف الناس على بغضه — وهو الشَّيْب — لفارقه حزيناً ! .

---

(١) ص ١٨٢ و ١٨٣ .
(٢) ص ٣١ .

ويذكر شكيب قولَ شوقى فى قصيدته عن دمشق ومسجدها الأموى :

تغيّر المسجدُ المحزون ، واختلفت على المنابر أحرارٌ وعُبْدانُ
فلا الأذانُ أذانٌ فى منارته إذا تعالى ، ولا الآذانُ آذانُ

ويعلق شكيب قائلا : « الحقيقة أن الأذان لا يزال كما كان ، وإنما اختلف تأثيره فى الآذان ، وعسى كل شىء يعود إلى أصله »[١] .

وكأنه بهذه العبارة يريد أن يعترض على شوقى ، ولا محل للاعتراض ، لأن شوقى نفسه يريد تغيُّر الأذان عما كان عليه فى الماضى من جهة التأثير والتوجيه .

ولو مشينا على طريقة شكيب هنا لخطّأنا شوقى فى قوله : « ولا الآذان آذان » فإن الآذان ما زالت موجودة ! . .

ويورد قول شوقى فى دمشق :

آمنت بالله ، واستثنيت جنته دمشقُ رَوْحٌ وجنات وريحان

ويقول : « قال : آمنت بالله ، يقلد الدمشقيين فى كلماتهم ، لأنهم يستعملون هذه الجملة كثيراً فى موضع العجب »[٢] .

أفهذا ما أراده شوقى ، أم أنه أراد أن يتجنب حملاتِ المنتقدين ، فاحترسَ بتقديم ذكر الإيمان بالله واستثناء جنته ، بين يَدَىِ الحكم على دمشق بأنها جنات ، حتى لا يثور عليه ثائرون باسم الدين ، وهو رجل يحب المسالمة ، وبخاصة أنه سيعود فى القصيدة بعد أبيات منها ليقول :

خَلَقتُ لبنان جنات النعيم ، وما نبِّئت أن طريق الخلد لبنان

* * *

(١) ص ٣٢٣ .
(٢) ص ٣٢٤ .

وبينما يفعل شكيب هـذا يترك أشياء لشوقى بلا نقد ، فهو مثلا يورد قولَ شوقى يخاطب الخديوى :

مولاى ، ذا شهرُ الصيام انقضى   أحيـاكم الله إلى كل عام

وهذا تعبير نثرى شبيه بأسلوب العامة ، ولا يصله بلغـة الشعر نسب قوى ، فلم تركه شكيب بلا تعليق ؟ .

ويتحدث شكيب عما ذكره شوقى فى قصيدته عن النيـل من إلقاء فتاة عذراء فى النيل كل سنة فى يوم مخصوص ، ثم يقول شكيب : « ولقد أبطل الإسـلام عادةَ تقديم بِكْر كل سنة للنيل »[١] .

ومعنى هـذا أن شكيب يسلم بصحة القصة ، مع أن هناك من ينـكر وقوع هذه الحادثة ، كالأستاذ عبد القادر حمزة فى بحوثه عن التاريخ المصرى القديم . حيث قال فى كتابه : « على هامش التاريخ المصرى القديم » ما يلى :

« ومثل آخر من أمثلة الخرافات المـكذوبة على المصريين : زعم المؤرخون العرب أن للنيل عروساً كان المصريون يقدمونها له كل سنة . . . » .

ثم يقول : « نعم هى أكذوبة . . . » .

ثم يقول : « ثم إن فيما تركه لنا المصريون من الآثار وصفاً لاحتفالات دينية كانت تقام للنيل المرفوع إلى صف المعبودات ، وقصائد وجهها إليه الشعراء ، وأغانى تغنى فيها المغنون ، وهذه الاحتفالات والقصائد والأغانى خاليـة كلها من أية إشارة إلى إلقاء فتاة فيه تسمى عروس النيل ، ولو أن قصة هذه العروس صحيحة لما خلت منها »[٢] .

---

(١) ص ٣٢٦ و ٣٢٧ .
(٢) على هامش التاريخ المصرى القديم ، ص ١٦ و ١٧ .

وينبغى أن نلاحظ هنا أن شوقى شاعر ، لا يؤاخَذُ فى عُرْف الشعراء إذا قبل مثل هذه الأسطورة ، وأما شكيب فمؤرِّخ ، وهنا كان يحسن الاستطراد .

ويذكر شكيب قولَ شوقى فى قصيدته عن توت عنخ آمون :

والعلم (بَدْرِىُّ) أُحِلَّ لأهـــــله ما يصنعون

ويعلق شكيب قائلا : « يشير إلى ما ورد فى الأثر من أن أهل بدر مغفورة لهم ذنوبهم إلا الكبائر »[1] .

ولا أدرى من أين جاء شكيب بكلمة « الكبائر » فصيغة الحديث هى : « لعلَّ الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم ، فقد غفرت لكم »[2] .

* * *

ونخلص من هذا إلى أن كتاب شكيب عن شوقى لا يلتزم منهج البحث ، وإنما يسير على طريقة الأحاديث والأسمار ، ويُكثر فيه إيراد الشواهد الطويلة من شعر شوقى وغيره مع التعليق السريع ، كما يُكثر فيه الاستطرادَ لمناسبة قوية أو ضعيفة ، ويُكثر فيه إيرادَ الأحاديث الشخصية عن نفسه ، كما قد يتحدث عن أشياء لا تستحق الحديث .

ومع ذلك فالكتاب يحوى معلومات قيمة وكثيرة عن شوقى وعن الشعر والشعراء ، كما يحوى أخباراً تاريخية هامة ترتبط بالفترة التى عاشها شوقى وشكيب .

* * *

---

(١) ص ٣٣١ .

(٢) الحديث رواه الأربعة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى. التاج الجامع الأصول ، ج ٤ ص ٢٦٧ .

ويختم شكيب كتابه بهذه العبارة :

« ولقد فككنا والحمد لله هذه القيود [١] ؛ وبهذا ختمنا هذا الكتاب الذى كان ذمةً علىّ لأخ قديم ، رعيته ورعانى مدة أربعين سنة ، ولشاعر عظيم ، بايمناه جميعاً بإمارة الشعر فى هذا العصر ، وكان السيد الإمام صاحب (المنار) رحمه الله قد كتب أن شكيب أرسلان كان أول من لقَّب شوقى بأمير الشعراء ، وليس من سعادة للمرء فى هذه الحياة مثل أن يحب مَنْ يحترم ، وأن يحترم مَنْ يحب ، وقد كان هذا شأنى مع أحمد شوقى رحمه الله ، وأبقى كلماته على الدهر حليةً للأدب ، ومفخرة للغة العرب » [٢] .

(١٨) التعليق على تاريخ ابن خلدون

قام محمد المهدى الحبابى صاحب المكتبة التجارية بفاس وتطوان فى سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م بنشر كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى « كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ، وقام الأستاذان علال الفاسى وعبد العزيز بن إدريس بتصحيح الأصول ، وضبط الأعلام فى الكتاب ، وقام بالتعليق عليه « كاتب العصر الأكبر أمير البيان الأمير شكيب أرسلان » [٣] .

وطُبع الجزء الأول من الكتاب فى مطبعة النهضة بالقاهرة ، فى إحدى وخمسين وأربعمائة صفحة من القطع الكبير ، ومن بينها الفهارس ، وطُبع الجزء الثانى فى ستين وخمسمائة صفحة .

---

(١) يشير بهذا الى القيود التى صنعها الاستعمار للأمة العربية ، وقد ورد ذكرها فى بيت لشوقى جاء قبل هذه العبارة ، وهو :

وعاينا كما عليكم حديد ... تتنزى الليوث فى قضبانه

(٢) ص ٣٤٧ .

(٣) هكذا جاء على غلاف الكتاب .

وأما الجزء الثالث من الكتاب ، فهو فى الواقع ملحق للجزء الأول ، إذ يشمل تعليقاتِ الأمير على هذا الجزء الأول ، ويقع الجزء الثالث فى ثمان وأربعمائة صفحة ، وقد طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ، وفيه مقدمة طويلة لشكيب تاريخها هو : « جنيف ٢٦ شعبان المعظم ١٣٥٥ » (١) ، ثم تعليقاتٌ تدور حول الصقالبة ، والأنساب ، والخلافة واشتراط القرشية فيها ، ومذهب النشوء والارتقاء ، ونوح وولده ، وقضية الطوفان والسلائل البشرية ، والتوراة ووقوع التبديل فيها ، وتاريخ العرب الأولين ، ثم الترك .

وموضوع الترك هو أطول ما فى الكتاب ، ويكاد يكون كتاباً بمفرده ، إذ يشغل أكثر من ثلاثمائة صفحة (٢) ، وبه ينتهى الكتاب ، وكان يذكر فى تاريخ كل سلطان من نبغ فى عهده من العلماء والفقهاء والقضاة ، حتى استبدت هذه التراجمُ بأكثر الحديث . وقد ذكر شكيب خلاله أموراً تتعلق بشخصه ، ووقف نشرُ الكتاب عند هذا الحد .

ويشير ناشر الكتاب إلى الذين اشتركوا فى تصحيح الكتاب والتعليق عليه ويقول : « وكان فى طليعتهم نادرة الزمان وأمير البيان ، ورافع لواء الفضل والعرفان ، المحقق المدقق ، الثَّبْت الثقة ، سعادة الأمير شكيب أرسلان ، جزاه الله عنى وعن العروبة والشرق والإسلام أفضلَ ما جزى مجاهداً شجاعاً فى الحق » .

ثم يذكر الناشرُ الأستاذين علال الفاسى وعبد العزيز بن إدريس اللذين راجعا الكتاب ، وضبطا أعلامه ، وشرحا بعض العبارات ، ثم يعود إلى ذكر شكيب قائلا :

« فقد أمدنى أولهم بقدر ضافٍ من التعليقات والتوضيحات ، رأيت أن أجعلها

---

(١) انظر ص (غ) .

(٢) من ص ٨٨ إلى ص ٤٠٥ . ويظهر أنه كان معدا عند شكيب من قبل .

فى جزء مستقل ، على الأولَ من أجزاء الأصل ، وهى المثل الأعلى فى التحقيق ، على ما يراه القراء[1] » .

وكأن الناشر خاف أن تُجحف التعليقاتُ بالأصل — كما حدث فى كتاب حاضر العالم الإسلامى — فجعلها مستقلة ، ولعلّ له عذره ! .

وكثير من التعليقات يظهر فيها التلخيص ، والتعريب ، والنقل عن دائرة المعارف الإسلاميـــة ، وصبح الأعشى ، وكتب المستشرقين ، ومع ذلك تحوى معلومات غزيرة وحقائق كثيرة ، وتدل على الجهد المضنى الذى بذله شكيب فى إعدادها وكتابتها .

(١٩) الحلل السندسية

فى الأخبار والآثار الأندلسية

يُعدُّ هذا الـكتاب مَعْلَمةً تاريخية عربية إسلامية ، تحاول أن تضع بين يدى قارئها كلَّ ما يتعلق بالفردوس الإسلامى المفقود « الأندلس » .

وكان شكيب قد رسم لهذا الـكتاب خطة ، هى أن يصدر فى ثمانية أجزاء أو عشرة أجزاء ، يستوفى فيها الحديثَ عن الأندلس من ناحية الجغرافية ، والتاريخ ، والتراجم ، والعلوم ، والفنون ، والآداب وغيرها ، ولـكن لم يصدر من الـكتاب سوى ثلاثة أجزاء ، طُبعت بمطبعة الحلبى ، طَبع الأول سنة ١٩٣٦ م . والثانى سنة ١٩٣٩م . وهما عن شمالى الأندلس ، والثالث سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧م عن شرق

---

(١) انظر ج ١ ص (هـ) .

الأندلس[١]، ولسنا على يقين من مصير بقية الأجزاء : أ كَتَبَهَا شكيب وخلفها ضمن تراثه ، وهى الآن موجودة ، أم كتبها وخلفها وفقدت ؟ .

أم أنه جمع أصولها وموادها وتركها دون صياغة ؟ أم أنه انتواها فقط ، ولم يشرع فيها ؟ ... إن الذين يستطيعون إعطاءنا القولَ الفاصل فى هذا هم الذين سيطروا على مخلَّفات شكيب .

ويعتبر كتاب « الحلل السندسية » الخطوةَ الثانية بعد كتابه « تاريخ غزوات العرب » ، ولو أننا رجعنا إلى « تاريخ غزوات العرب » لوجدنا فى صدره ما يدلنا على السبب الذى دفع بشكيب إلى تأليف « الحلل السندسية » ، قال :

« ليس بعجيب أن يكون مثلى مغرماً بالأندلس ، وآثار العرب فيها ، وفيما جاورها من الأصقاع الأوربية ، فإن كل عربى صميم حقيق بأن يبحث عن آثار قومه ، ويتعلم مناقبَ أجداده ، ويتدارس معالم هممهم مع إخوانه ، ويترك من ذلك تراثاً خالداً لأعقابه ، ولعمرى إن آثار العرب فى الأندلس هى غرة شادخة[٢] ، وهمة شامخة فى تاريخ الأمة العربية .

بل نقول — ولا نخشى مغالطا — إنها من أنفَس ما أثره العرب ، بل من أنفس ما أثره البشر فى الأرض ، فلا عجب أن يُعْجَب بها العربى ، وينقِّب عنها ، ويشد الرحالَ إليها ، ويأخذ العبرةَ اللازمة منها[٣] » .

---

(١) أشرف على تصحيح هذا الجزء الثالث وترتيبه وضبط أعلامه الأستاذ محمد شوقى أمين . وهو مزين بالتصاوير التاريخية الأندلسية النادرة ، ويساوى تقريبا حجم المجلدين الأولين معا لأنه جاء فى ٦٦٤ صفحة بالقطع الكبير ، وبحروف صغيرة ، منها فهارس مطولة للموضوعات وأسماء الأعلام ، بلغت صفحاتها ١١١ صفحة . وأشرف الأمير بنفسه على طبع الجزء الثانى فى ربيع سنة ١٩٣٩ بمصر . وكان ينوى جعل الكتاب عشرة أجزاء . انظر مقال (مؤلفات المرحوم الأمير شكيب أرسلان) منبر الشرق ، عدد ٨ إبريل ١٩٠٥ .

(٢) غرة شادخة : أى منتشرة (القاموس) .

(٣) تاريخ غزوات العرب ، ص ٥ .

وفى نفس الموطن الذى يقول فيه هذا يذكر أيضاً غرامه منذ ريعان الشباب بحضارة الأندلس العربية ، حيث ترجم منذ أربع وثلاثين سنة قبل كتاب « غزوات العرب » رواية آخر بنى سراج ، لمؤلفها « دوشاتوبريان » ، وذيلها بملحقات تتعلق بتاريخ الأندلس .

ويتحدث شكيب فى فاتحة كتابه « تاريخ غزوات العرب » عن حاجة هذه الغزوات إلى من يتحدث عنها ، لأن ناشئة العرب لا تعرف عنها قليلا ولا كثيراً ، ثم يقول :

« فلهذا خصصت بهذا الموضوع كتاباً مستقلا أسميته (الخبيئة المنسية فى مقام العرب بجبال الألب والبلاد الأفرنسية) وجعلت هذا الكتاب أشبه بجزء من أجزاء كتابى الذى أنا مباشر تأليفه عن الأندلس باسم (الحلة السندسية ، فى الرحلة الأندلسية) وسيكون فيما أحْزِر أربعة أو خمسة أجزاء إن لم يكن أكثر[1] » .

والظاهر أن كتاب « الخبيئة المنسية » هو كتاب « تاريخ غزوات العرب » نفسه ، وذلك بدليل ماذكره شكيب بعد ذلك ، إذ يقول : « فكان هذا الكتاب وإن استقل باسم (تاريخ غزوات العرب فى فرنسة وسويسرة وإيطالية وجزائر البحر المتوسط) هو فى الحقيقة جزءاً من رحلتى الأندلسية التى نحن بسبيلها ، لأنها هى خاتمة مطاف العرب فى أوربة ، وفاتحة ما أفاضوا إليه من الممالك بعد فتحهم للأندلس[2] » .

وهكذا نجد أن الدافع الأقوى لشكيب إلى الكتابة عن الأندلس هو شعوره بحاجة هذا التاريخ إلى عرض جديد ، وبأن فتوح العرب فى الأندلس وفى أوربة فيها مفاخر لقومه تستحق التنويه ، وقد يقوى هذا الحافز أن شكيب ينتسب إلى

---

(١) تاريخ غزوات العرب ص ٧ — وأحزر : أقدر .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢ .

قبيلة « لخم » ، وهذه القبيلة كان عددٌ كبير من أبنائها فى الأندلس ، ثم نزحوا عنها تحت حكم الظروف القاهرة ، وشكيب يتذكر هذا ويأسَى منه ، ويريد أن ينصف قومه ، فيعرض صفحات تاريخهم الباهر .

ويظهر أن شكيب كان يريد أولا تسمية كتابه باسم « الحلة السندسية فى الرحلة الأندلسية(١) » ، ثم عدل عن هذه التسمية إلى اسم « الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية » . وقد تكون التسمية الأخيرة أدلَّ على موضوع الكتاب وأوفق له .

وقد قضى شكيب قرابة ست سنوات يجول فى أفق الأندلس ،يطالع تاريخها ، ثم يتطلع إلى حاضرها ، ثم يقارن بين الرؤية والرواية ، ثم يفى بحق هذه وتلك فى كتابته .

وهو فى الكتاب يكثر من النقل عن المؤرخين ـ عرباً كانوا أو مستشرقين ـ ويسرد الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية ، كما أورد كثيراً من تراجم الرجال على اختلاف مناهجهم ومسالكهم فى الحياة ، فهو يترجم للملوك ، والأمراء ، والفقهاء ، والأدباء ، وسواهم .

وقد سرد فى الكتاب أقوالَ القدماء والمحدثين عن الأندلس ، وما يتعلق بتاريخها وشئونها ، وقابلَ بين روايات العرب وروايات الإفرنج ، واستعان بمصادر كثيرة تدل على سعة اطلاعه وانفساح مطالعته .

وهو يتحدث فى كتابه بلغة الذاكر للماضى العربى الإسلامى وعظمته فى هذه الديار ، الباكى على الحاضر الذليل الذى لا يوائم هذا الماضى ، المحرِّض لقومه على أن يكونوا كأسلافهم ، وأن يستعيدوا ما كان لهم من قوة وعزّة .

---

(١) انظر مجلة الشورى ، العدد ٢٨٢ ، السنة السادسة — ١٦ يوليو ١٩٣٠ والعدد ٢٨٦ — ١٣ أغسطس ١٩٣٠ ، مقال « الرحلة إلى الأندلس » . والعدد ٢٨٧ — ٢٠ أغسطس ، مقال « رندة » .

ونلاحظ أن شكيب اهتم فى الجزء الأول بنقل أقوال السابقين — كياقوت ، والمسعودى ، ولسان الدين بن الخطيب — عن جغرافية الأندلس مع التعليق عليها ، وقد حدث تكرار خلال ذلك ، وهو يكرر ذكر الأعلام وأسماء البلاد باللغات الأسبانية والأفرنجية والعربية . وفى الجزء الثانى تحدث عن المدن ، وذكر من نبغ من أهل كل مدينة ، وفى الجزء الثالث تحدث عن شرق الأندلس من نواحيه المختلفة .

والأسلوب فى الكتاب سهل واضح ، يترسل فيه صاحبه ، والمقدمة هى التى تميزت بأسجاعها .

وقد ذكر شكيب أنه سيجعل الجزء الأخير من هذه الموسوعة باسم « الأصول المعرقة ، والغصون المورقة ، فى تاريخ جزيرة ميورقة » (١) .

* * *

وهنا يمكن أن نعتب عتباً خفيفاً على شكيب حينما نراه كالمتناقض مع نفسه ، فهو هنا يقرر ويؤكد أن تاريخ الأندلس مهم ، وأنه مجهول من قومه ، وأنه محتاج احتياجاً شديداً إلى التأليف فيه ، فهل يسهل عليه أو علينا التوفيق بين هذا الكلام وبين كلام يعارضه أو يناقضه قاله منذ أكثر من أربعين عاماً قبل صدور « الحلل السندسية » ، حيث نجده فى تذييله لترجمة رواية « آخر بنى سراج » (٢) يقول :

« وما أقصد بهذا الذيل استقصاء تاريخ الأندلس الإجمالى إلا ما اضطر إليه مساق الكلام ، فقد كنت منذ نشأتى ممن لا يحبون التأليف فيما كثر فيه التأليف ، وطال فيه المقال ، كأنما أعده تكراراً لسابق ، أو إعادةً لصدى ، وخلواً من كل براعة .

---

(١) جريدة الفتح ، السنة السادسة ، العدد ٢٦٨ — بتاريخ ٥ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ .
(٢) طبعت هذه الرواية أول طبعة بمطبعة الأهرام بالإسكندرية ، سنة ١٨٩٨ .

وأخبار الأندلس مستفيضة فى التواريخ شرقاً وغرباً ، ومعروفة عند الأدباء بما لا يكون التأليف فيه سوى زيادة فى عدد الكتب ، وإنما يستحب الإنشاء فيما ندر فيه الكلام ، وعزّ البحث ، وطمست الأعلام ، فإذا قرأته العامة — بل الخاصة — سقطت منه على جديد ذى طلاوة ، ولم تسأمه النفوس لعدم تداولها مطالعته المرة بعد الأخرى مدارسةَ كتب القواعد التى لا تتغير »[1] .

ومرور أكثر من أربعين عاماً على هذا الكلام لا يمكن أن يجعل أخبارَ الأندلس أقلَّ استفاضة ، بل المعقول أن تزيد استفاضتها على مرّ الأيام .

(٢٠) السيد رشيد رضا

أو إخاء أربعين سنة

طبع هذا الكتاب بمطبعة ابن زيدون فى دمشق سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م . وهو فى اثنتين وثلاثين وثمانمائة صفحة[2] من الحجم المتوسط ، وبآخره فهرس فى أكثر من عشرين صفحة ، وفى آخر الكتاب يقول شكيب :

« وقد وقف بنا القلم عند هذا الحد ، بعد الاشتغال بهذا التأليف مدة شهرين ونصف شهر ، واصلين فيه الليلَ بالنهار ، فنسأل الله أن يتقبل عملنا هذا الذى لم نقصد به رئاء ولا سمعة ، وإنما قصدنا القيام بواجب معرفةِ الفضل العظيمِ الذى كان للمترجَم السيد رشيد رضا على العالم الإسلامى ، وبخاصة على هذا الفقير إليه تعالى ، بالغين فى كتابنا هذا منتهى الطاقة من التدقيق والتحرى ، وكان الفراغ

---

(١) رواية آخر بنى سراج ، ص ٦٠ . الطبعة الثانية .

(٢) جاء فى كتاب الدكتور سامى الدهان عن شكيب (هامش ص ١٦٦) أن عدد صفحات الكتاب هو (١١٨ صفحة) ويبدو أن هذا سهو أو خطأ مطبعى .

من تأليفه فى التاسع من صفر الخير سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ٢١ من شهر إبريل ١٩٣٧ م ، وذلك فى مدينة جنيف فى سويسرة والحمد لله أولا وآخراً » [١] .

وقد فهمنا من العبارة السابقة أن شكيب قضى شهرين ونصف شهر فى تأليف الكتاب ، ولكن مقدمة الكتاب مذيلة بهذا التاريخ : « جنيف ٢٠ محرم سنة ١٣٥٦ » [٢] ، فإذا اعتبرنا المقدمةَ أول ما كتبه شكيب ، وقارنا بين تاريخ المقدمة وتاريخ الفراغ من التأليف كما ذكره شكيب وهو (٩ من صفر الخير ١٣٥٦) فإن النتيجة تكون هى أن شكيب ألَّف الكتاب فى أقل من شهر ، وليس هذا ببعيد ، فإن الكتاب ليس تأليفاً بالمعنى الصحيح للتأليف ، وإنما هو جمع ، إذ يضم الكتاب رسائل رشيد إلى شكيب ، ومقالات كتبها شكيب من قبل عن رشيد ، ومقالات نشرها رشيد من قبل عن شكيب .

ولكننا نعود فنقف أمام تحديد شكيب لمدة التأليف بشهرين ونصف شهر ، فنجد نصاً صريحاً يستحق الاعتبار ، فلعل خطأ قد وقع فى كتابة التاريخ فى المقدمة ، أو فى ذيل الكتاب ، أو لعلَّ شكيب كتب المقدمة خلال تأليف الكتاب لا فى أول تأليفه .

* * *

ويحدثنا شكيب عن السبب فى تأليف الكتاب بقوله : « قد كنتُ وعدت عند وفاة أخى شوقى رحمه الله بأنى أكتب فى ترجمة حاله وتحليل شعره وعلاقاتى الأخوية معه كتاباً أسميه (شوقى أو صداقة أربعين سنة) . وقد أنجزت وعدى بعونه تعالى ، وأهديت إلى روحه العبقرية هذه الريحانةَ الزكية التى روحت فيها من وجدانى ، وخففت من بثِّى ، وكذلك سأزف إلى روح الأستاذ الأكبر والمصلح

---

(١) السيد رشيد رضا ، ص ٨٠٢ .
(٢) السيد رشيد رضا ، ص ٣١ .

الأنور السيد رشيد رضا كتاباً يتضمن ما أعرفه من مناقبه ، وما أوثره من بدائعه وروائعه ، وأسميه أيضاً (السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة) ، فإني كنت قد عرفت شوقي قبل السيد رشيد — رحمهما الله تعالى — بسنتين أو أكثر قليلا ، فالآن مضى على إخائنا — واحسرتاه — أربعون سنة [1] ، كما كان مضى على إخائي لشوقي يوم وفاته أربعون سنة » [2] .

ويعود شكيب ويقول عن رشيد : « إنه قد سوَّد في خدمة هذه الأمة عشرات وعشرات ألوف من الصفحات ، فليس بكثير أن نخدم روحه بكتاب خاص » [3] .

* * *

ويبدأ شكيب كتابه بمقدمة عن غرض الكتاب وعن السيد رشيد وجهوده ومؤلفاته ، ثم يورد — في نحو مئة وأربعين صفحة — [4] ترجمة للسيد رشيد رضا بقلم رشيد نفسه ، وقد علق عليها شكيب تعليقات مفيدة متنوعة .

ويستطرد شكيب — على عادته — فيتحدث عن نفسه وعن أعماله ، لمناسبات قوية أو ضعيفة ، ثم يذكر في نحو خمسين صفحة [5] كلاماً للسيد رشيد عن علاقته بالشيخ محمد عبده ، وعن صلته بشكيب ، ثم يورد رثاء رشيد لأخي شكيب

---

(١) في ص ٢٧٩ يذكر أنه تعارف معه مدة اثنتين وأربعين سنة .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٧ نقلا عن جريدة الجهاد ، من مقال لشكيب في تأبين السيد رشيد رضا عقب وفاته .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

(٤) من ص ٢٣ الى ص ١٤٣ . وقد نشر السيد رشيد هذه الترجمة في كتابه « المنار والأزهر » الذي يقول عنه شكيب : « وفيه ترجمة السيد رشيد نفسه بقلمه ، ونحن ناقلوها بحروفها في كتابنا هذا ، وقد علقنا عليها حواشي وافية في تاريخ علاقتنا معه » ص ١٠ كتاب السيد رشيد رضا .

(٥) من ص ١٦٦ إلى ص ٢١٧ .

«نسيب أرسلان»[١]، ثم ينقل مقدمة رشيد لكتاب «الارتسامات اللطاف»[٢]، ثم ما كتبه رشيد عن كتاب شكيب «حاضر العالم الإسلامى»[٣].

وبعد استكمال استطراداته، يورد شكيب رسائل رشيد إليه، بعد أن يحذف منها ما يرى حذفه، ويكتب هوامش وتعليقات على الرسائل خلال الكتاب، ومنها ما يدور حول شكيب نفسه[٤].

ويمكن أن نقول إن الكتاب للسيد رشيد وليس لشكيب، فعمل شكيب فيه هو الجمع، والترتيب، والتعليق، والتقديم.

وقد دارت هذه الرسائل حول أمور كثيرة منها: الخلافة، والحكومة الكمالية، والاتحاد بين العرب والترك، والمؤتمر السورى الفلسطينى، والعلاقات بين الملك ابن سعود والإمام يحيى، والمسألة المصرية العربية، والسياسة الهاشمية فى الحجاز، والإصلاح الدينى، والقضية السورية، وثورة فلسطين، وكتب شكيب، وكتب رشيد، والوحدة العربية، وعظماء الإسلام، ومباحثات لغوية ودينية كثيرة.

والكتاب له قيمته الكبيرة، لما ضمه من معلومات ورسائل وتحقيقات لغوية ودينية، وتصوير لجوانب مختلفة من العصر الذى كتب فيه، ولكن الرسائل الموجودة فيه تحتاج إلى المحذوف منها، كما أن قيمتها تزداد حين تتكامل مع الردود عليها.

* * *

---

(١) من ص ٢١٨ إلى ص ٢٢١ .

(٢) من ص ٢٣٢ إلى ص ٢٤١ .

(٣) من ص ٢٤٢ إلى ص ٢٥١ .

(٤) انظر مثلا ص٨١و١١٢و٢١٨و٣٢٢و٣٢٧و٣٥٢و٣٦١و٥٢٥و٦٤٣... إلخ .

ونلاحظ هنا ملاحظة خفيفة :

لقد سمى شكيب كتابه عن شوقى « شوقى أو صداقة أربعين سنة » ، وسمى كتابه عن رشيد « السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة » ، فاستعمل كلمة « صداقة » مع شوقى ، وكلمة « إخاء » مع رشيد ، والناس قد جَرَوْا على التعبير بالإخاء إذا كانت الصداقة قوية بالغة ، فهل كانت الصداقة بين شكيب ورشيد أقوى من الصداقة التى بين شكيب وشوقى؟ .

ربما كان ذلك كذلك ، فإن صلة شكيب بشوقى عمادها الناحية الأدبية الشعرية ، وهى لم تكن طليعةً النواحى فى شخصية شكيب ، وبعد أن انصرف إلى الشئون الإسلامية والعربية بوجه خاص ، وأما صلته برشيد فقد كانت صلة يوثقها أكثر من رابط ، فهناك ناحية الدين ، وناحية الاشتغال بالمسائل العربية والإسلامية، وناحية التلاقى فى كثير من الآراء .

ومع ذلك لا يفوتنا أن نقول إن شكيب قد عبر عن شوقى بكلمة « أخى » أو مادتها فى كثير من الأحيان ، وقد مرت علينا منذ قليل العبارة التى يشرح فيها شكيب سبب وضعه كتابه عن رشيد ، وفى هذه العبارة ذكر شكيب شوقى بوصف الأخوة أكثر من مرة .

وفى كتاب شكيب عن شوقى جاء وصف شوقى بالأخوة لشكيب عدة مرات . فهو يقول مثلا : « ويعلم الله أن ملاقاة أخى شوقى بغية تُقْصَد ، ومنهل يُورَد ، وإنى لأحج إليها من بلد إلى بلد ، فكيف وهى على طرف الثُّمام ، وإنى لأحن إلى لقاء هذا الأخ الحميم[١] » . ويقول : « أخى شوقى الذى بينى وبينه من الإخاء والذِّمام مالا يكاد يوجد بين اثنين[٢] » .

---

(١) شوقى أو صداقة أربعين سنة ، ص ٧٩ والثمام واليثموم : نبت معروف . ويقال لما لا يعسر تناوله : على طرف الثمام ، لأنه نبات لا يطول

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٢ . والذمام: الحق والحرمة .

ويقول عن شوقي : « فإني لأبكيك بصفتين : صفة الأديب البَرّ بلغته ، الغيور على صناعته ، وصفة الأخ الضنين بأخوته ، الحريص على مروءته ، فأنا في مقدمة من لك من الإخوان والأتراب[1] » .

ويقول عن كتابه في شوقي : « وإنما هي رسالة توخينا فيها تجديدَ ذكرى شاعر كبير ، وتسجيل علاقاتنا مع أخ قديم ، إنجازاً لوعد قطعناه على أنفسنا يوم فُجعنا به ، والإخاء إخاءٌ في الحياة وبعد الممات[2] » .

ويقول مخاطباً روح شوقي : « فسلاماً يا أخي ومولاي ونورَ عيوني[3] » .

ومن يدري ، فلعل شكيب لم يلتفت إلى التفرقة بين العنوانين فجاءا هكذا .

ونلاحظ وجوهَ شبه بين علاقة شكيب بشوقي وعلاقة شكيب برشيد ، فكل من شوقي ورشيد كان يعجب بهما شكيب ويمدحهما ، ويضفي عليهما أفوافَ الثناء ، وكل منهما صادقه شكيب مدةً طويلة بلغت أربعين سنة ، وحفلت بالروابط والمودّات .

وكل منهما قد حدث بينه وبين شكيب جفوة عارضة ، ثم زالت[4] .

وإن كنا في الوقت نفسه نلاحظ أن شكيب يغلب عليه الاحترامُ لرشيد والحب لشوقي ، وكان بين شكيب ورشيد خلاف في مسائل وآراء ، ولكن الخلاف يقلُّ بين شكيب وشوقي .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٦ .

(٤) انظر ص ٣٨ من كتاب « شوقي أو صداقة أربعين سنة » و ٣٢٥ من كتاب « السيد رشيد رضا » . وانظر ص ١٥٥ .

(٢١) الوحدة العربية

هذا كتيب فى ست وعشرين صفحة من القطع الكبير ، طُبع بمطبعة الاعتدال بدمشق ، ونشره محمد ياسين عرفة صاحب مكتبة عرفة بدمشق ، وهو فى الأصل محاضرة ألقاها الأمير شكيب فى النادى العربى بدمشق مساء الاثنين ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٧ م .

(٢٢) النهضة العربية فى العصر الحاضر

طُبع هذا الكتاب فى مطبعة دار النشر بمصر ، وعُنيت بطبعه ونشره إدارة جريدة الجزيرة بدمشق ، وهو فى الأصل محاضرة ألقاها الأمير فى دار المجمع العلمى العربى بدمشق فى شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٣٧ م ، وقدَّم له بتقدمة قصيرة محمد تيسير ظبيان الكيلانى منشىء الجريدة ، وقد تحدث شكيب فى الكتاب — أو المحاضرة — عن نهضة العرب الحاضرة من النواحى العلمية والأدبية والصحافية ، وفيها وصف دقيق لليقظة الفكرية التى دبت فى نفوس العرب .

وقد أشار شكيب فى بدء المحاضرة إلى محاضرته التى نشرت باسم (الوحدة العربية) . يقول : « لقد تكلمنا منذ أيام فى النادى العربى عن نهضة العرب السياسية ، وسيرهم فى طريق الاتحاد فيما بينهم ، اقتداء بغيرهم من الأمم اللائى كنَّ مفككات مبعثَرات ، فما زلن يسعين فى الانضمام إلى أن أصبحن كتلة واحدة ، ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التى هى فى الواقع أساس النهضة السياسية ، مختارين لهذه المحاضرة مكانَ المجمع العلمى الذى هو المنبر الطبيعى للمباحث العلمية ، كما اخترنا النادى العربى منبراً للكلام عن الوحدة العربية التى هى من مباحثه »[١] .

---

(١) النهضة العربية ، ص ٥ .

(٢٣) عروة الاتحاد بين أهل الجهاد

هذا الكتاب مجموعة مقالات كتبها شكيب ونشرها فى صحف مختلفة ، ثم جمعتها وطبعتها إدارة جريدة « العَلَم العربى » التى تصدر فى « بوينس إيرس » ، وصاحبها الأستاذ عبد اللطيف الخشن ، وكان الطبع على نفقة إدارة الجريدة .

وقد ظهر من الكتاب الجزء الأول فقط ، وجاء على غلاف الكتاب: «وكان الفراغ من جمعه وطبعه فى شهر رجب سنة ١٣٦٠ هجرية ، الموافقة لشهر آب سنة ١٩٤١ ميلادية . طبع فى بونس إيرس عاصمة الجمهورية الفضية » .

والكتاب فى مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، تشغلها مقالات عربية ، ثم ألحق بها سبع وخمسون صفحة فيها مقالات باللغة الفرنسية .

وفى أول الكتاب صورة لشكيب كتب تحتها : « رسم أمير الجهاد ، وعميد الأحرار ، دعامة الوطن العربى المفدَّى ، صاحب هذه الآثار الخالدة ، والآيات البليغة ، والحكَم الجامعة الدامغة ، سعادة الأمير شكيب أرسلان ، الرابض فى (جنيف) والعامل لاستقلال بلاده » .

وبعد ذلك نجد مقدمة بقلم الدكتور تقى الدين الهلالى ، تحدث فيها عن « صفحة جهاد عبقرية من أعمال الأمير شكيب أرسلان » .

ثم يحدثنا الأستاذ الخشن عن « الأسباب التى دعت لطبع هذا الكتاب ومسبباتها » ويقول فيما يقول : « التمسنا من عطوفته (١) أمراً بطبع مقالاته التى نشرت فى العَلَم ، وفى الصحف العربية الاستقلالية الحرة فى الوطن ، والمهجر ، فتلطف وأمرنا بطبعها ، وتقديم رَيْعها إلى جريدة العلم العربى ، نظراً لخدماتها وثباتها وجرأتها الوطنية ، ومبدئها الاستقلالى » .

---

(١) يقصد الأمير شكيب .

وتدور فصول الكتاب حول الحرب العالمية الثانية، وعن قومه «آل معروف»، وعن الحلفاء وتمويههم، وفرنسة وألاعيبها الاستعمارية، وواجبات العرب والمسلمين تجاه الأحداث، والعروبة جامعة كلية بين المسلمين والمسيحيين، ومستقبل البلاد العربية، وضرورة عقد المؤتمر العربي فى المهجر . . . إلخ .

(٢٤) رسالة البلاشفة

كتب شكيب هذه الرسالة، ودفع بها إلى جريدة « الجهاد » المصرية فنشرتها تباعاً، ثم جُرِّدت منها لتطبع مستقلة [١] .

(٢٥) رسالة رحلة ألمانية

هذه مجموعة مقالات وصف فيها شكيب زيارته لألمانية، ونشرها تباعاً فى جريدة (الجهاد) المصرية، ثم جمعها لنشرها فى كتاب [٢] . ويذكر الأستاذ عارف النكدى أن ذلك لم يتم فى حياة شكيب [٣] .

(٢٦) رسالة عن ضرب الفرنسيين لدمشق

يتحدث شكيب فى كتابه عن شوقى عن قصيدة شوقى فى ضرب الفرنسيين لدمشق بالمدافع، ثم يقول : « وقد نشرت أنا فى ذلك رسالة بالإفرنسية، وطبعتها فى جنيف، ووزعتها فى الآفاق، واستحسنها الناس، وجاءنى من المستر ماكدونالد

---

(١) انظر كتاب السيد رشيد رضا ص ٧٧٩ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٩١ . والأستاذ عارف النكدى يقول إنها لم تطبع فى حياة شكيب — مجلة المجمع العلمى العربى — المجلد ٢٢ — ص ٩٠ .

(٢) كتاب السيد رشيد رضا، ص ٧٩٠ .

(٣) مجلة المجمع العلمى العربى — المجلد ٢٢ — ص ٩٠ — سنة ١٩٤٧ .

نفسه استفكار لتدمير دمشق ، وقد كان ذلك بعد رئاسته الأولى لنظارة انجلترة ، ولكن ماكدونالد هذا لم يكن بأقل ظلماً فى عمله لتهويد فلسطين التى فجيعتها لا تقاس بها فجيعة » (١) .

(٢٧) مقالات شكيب

يقول الأستاذ على الطنطاوى : إن شكيب « أعظم شخصية عربية » و « كان لسان الإسلام ومِدْرَهَ العرب » و « أحسب أن مقالاته لو جُمعت لجاء منها كتاب فى ضعف حجم الأغانى » (٢) .

ويقول الأستاذ محمد على الطاهر : « وأما مدوّناته السياسية ومذكراته بجمعية الأمم البائدة باللغة الفرنسية وحدها ، فيقدرها خلصاؤه بعشرين ألف صفحة ، وقد أهدى مجموعتها رحمه الله قبل وفاته إلى وزارة الخارجية السورية » (٣) .

وجاء فى كتاب « عروة الاتحاد » أنه يقدَّر ما كتبه شكيب من الكتب والمقالات بخمس وثلاثين ألف صفحة من الحجم الكبير ، وذلك عدا رسائله الخصوصية التى هى أشبه بمقالات الصحف ، فإنه ظل عشرين سنة يكتب فى كل سنة ما يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مكتوب ، والمقالات التى يحررها فى السنة من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ مقالة بالعربية والفرنسية (٤) .

ويقول الأستاذ محمود طاهر إن كتابات شكيب تبلغ عشرين مجلداً ، كل مجلد

---

(١) كتاب شوقى ، ص ٢٥٥ .

(٢) كتاب ذكرى الأمير شكيب أرسلان ، ص ٦٦ . والمدره : السيد الشريف ، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال (القاموس) .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٤) عروة الاتحاد ، ص ٧ و ٨ . والكتاب مطبوع سنة ١٩٤١ ، وشكيب توفى سنة ١٩٤٦ ولم ينقطع عن الكتابة فى سنواته الأخيرة إلا قبيل وفاته بأسابيع . انظر منبر الشرق ، عدد ٨ إبريل ١٩٥٥ .

ألف صفحة ، وتتكلف ثلاثة آلاف وخمسمائة صفحة ، كما يذكر أن الأمير كان ينوى اختيار طائفة من مقالاته فى المقتطف ، والمقتبس ، ومجلة المجمع العلمى ، والفتح ، والشورى ، والعهد الجديد ، والمؤيد ، وكوكب الشرق ، ليصدرها فى أجزاء متوسطة .

ويذكر أنه اقترح على الأمير جمعَ آثاره القلمية ، وذكر له أنه يمكن إصدار المجلد الأول من مجموعة آثاره ، وبعد ذلك تصير العناية بإصدار مجلد بعد مجلد ، واختار الأستاذ طاهر اسم « النمير المسلسل لأمير البيان المرسَل » عنواناً لهذه المجموعة . ويذكر أن الأمير وافق على ذلك الاقتراح بصفة مبدئية .

كما يذكر أن الأمير منذ سنة ١٣٤٠ ﻫ وهو يقيد محصول قلمه فى دفتر عنده ، سواء أكان مقالا أم رسالة .

وفى سنة ١٩٣٧ قال شكيب عن كتاباته : « حالتى الراهنة الآن من جهة الكتابة هى أنى أكتب فى الحَوْل ١٧٠٠ إلى ١٨٠٠ مكتوب خصوصى ، ونحواً من ٢٥٠ مقالة فى الصحف ، عدا التآليف المطبوعة التى تبلغ بالأقل ألفين إلى ٢٥٠٠ صفحة فى السنة[1] » .

* * *

وقد حدثتنى السيدة زوجته أن لدى أسرة شكيب خمسة وعشرين صندوقاً لم تُفتح ، فيها أوراق وكتابات لشكيب ، كما قالت إن الأمير قبل عودته الأخيرة إلى لبنان جمع كلَّ كُتبه المخطوطة ومذكراته ، ووضعها فى هذه الصناديق ، وأحضرها إلى لبنان ، وهذه الصناديق موجودة عند الأمير حسن شقيق شكيب ، وقد حاولتُ فى أثناء زيارتى له فى بيت أرسلان بالشويفات أن أطلع على شىء من هذه الآثار فلم أستطع .

---

(١) كتاب السيد رشيد رضا ، هامش ص ٥٢٦ .

وكذلك حاول الأستاذ محمد على الطاهر فى أثناء اصطيافه بلبنان سنة ١٩٥٣ العثورَ على مذكرات شكيب ، وبقية كتاب « الحلل السندسية » ، ولكنه لم يستطع[١] .

* * *

ومن فصوله المسهبة مقدمته لكتاب « النقد التحليلى » الذى ألّفه الأستاذ محمد أحمد الغمراوى فى الرد على كتاب « فى الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين ، وجعل شكيب موضوعَ مقدمته : « الشعر الجاهلى ، أمنحول أم صحيح النسبة » ، وهى فى خمس وخمسين صفحة ، وقد تحدثنا عنها فيما سبق ، وقد عدها الزركلى فى كتابه « الأعْلام » كتاباً مطبوعاً[٢] ، ولكنا لا نعرف أنها نُشرت مستقلة .

---

(١) مجلة منبر الشرق ، عدد ٨ إبريل ١٩٥٥ .

(٢) الأعلام ، ج ٣ ص ٢٥٢ .

الفصل الثاني

المخطوطات

(١) بيوتات العرب فى لبنان

هذا الكتاب أحد مخطوطات شكيب المهمة ، وهو يقع فى ثلاث وثلاثين كراسة ، ونسخته موجودة عند الأستاذ محمد على الطاهر الذى يحدثنا بأن الكتاب فيما يبدو لم يتم تماماً ، لأن آخر المخطوط فى الكراريس يدل على قطع السياق . فالظاهر أن الأمير كان ينوى المضىَّ فى إكمال كتابه عندما يستقر فى وطنه لبنان عقب عودته إليه من جنيف فى آخر أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ولكنه تُوفى فى العاشر من ديسمبر من السنة نفسها[١] .

ونذكر فيما يلى المقدمةَ التى كتبها شكيب للكتاب ، فى جنيف ، وهى مذيلة بتاريخ ١٩ تموز (يوليه) ١٩٤٦م ، وهى مع وجازتها تلخص موضوعات الكتاب ، وتوضح طريقته ، قال :

« الحمد لله سياجُ النعمة ، ومخافة الله رأسُ الحكمة ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، شهادةً نستفتح بها أبوابَ الرحمة ، ونلجأ إليها فى كل بادرة وأزمة ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، كاشف الغمة ، وسراج الظُّلْمة ، صلى الله عليه وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين الذين باتباع وصاياهم تمام العقل وكمال الشِّيْمَة[٢] .

وبعد ، فإننى منذ عشر سنوات نشرت ديوانَ المرحوم أخى نسيب أرسلان ،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الشيمة (بكسر فسكون) : الطبيعة (القاموس) .

وعلقت عليه بعضَ حواشٍ ، وصدرته بترجمة الناظم ونسبه ، وسلسلة نسب العائلة الأرسلانية ، وسميت ذلك الديوان « بروض الشقيق فى الجزل الرقيق » .

ولما كنت قد رأيت نشرَ سجل النسب المحفوظ عندنا بأجمعه شيئاً لا يتناسب مع حجم الديوان نفسه ، عدلت فيه إلى الاختصار بقدر الإمكان ، ولكنني لم أجد بُدًّا من ترجمة كثير من الأعلام المشهورين فى التاريخ ، ممن وقعوا على ذلك النسب ، وأتيت على ذكر حوادث كثيرة تتعلق بأخبار جبل لبنان والمدن الساحلية من بر الشام ، متوخياً فى ذلك كلّه الاختصار .

إلا أننى وجدت الموضوع المتعلق بهذه الحوادث من الأهمية بحيث أنه يجدر باستيعاب أوفى ، وتدقيق أشمل . ولما كنت من بداية نشأتى مغرماً بعلم التاريخ ، وقد حررت فيه تواريخ كثيرة للبلاد النائية عنا ، وجدت من الأحرى بشأنى أن أؤرِّخ حوادثَ بلادى ، وأبدى فيها وجهة نظرى ، مع التحرِّى التام ، والتمحيص البليغ الذى تستطيعه الأفهام .

فوضعت هذا الكتاب الذى أعطيته عنوان (بيوتات العرب فى لبنان) ، ونقلت فيه نسبَ عائلتى بنى أرسلان بتمامه ، مع تراجم جميع الأعلام الذين جاء ذكرهم فى هذه الإثباتات المتوالية منذ سنة ١٤٢ للهجرة إلى يومنا هذا ، ما استطعت إلى وجود الترجمة سبيلا .

وتعرضت للحوادث التاريخية بصورة تكشف القناعَ عن كثير من غوامضها ، وأتيت بالجملة على أخبار القبائل العربية التى أوطنت جنوب لبنان من صدر الفتح العربى إلى اليوم ، وذكرت أخبار الأُسَر المشهورة الذين عاصروا أجدادنا طويلا أو قصيراً من الزمن ، وكان لهم شأن فى إدارة أمور لبنان ، وذلك مثل الأمراء التنوخيين ، والأمراء من بنى عَلَم الدين ، والأمراء بنى العساف ، والأمراء بنى سيفا ، والأمراء اللمّعيين ، وذوى الإقطاعات المشهورة كالمشايخ الجانبلاطيين ،

والعماديين ، والنكديين ، وبنى تلحوق ، وبنى عبد الملك . وغيرهم من ذوى الشهرة فى هذا الوطن العزيز وما جاوره .

فجاء كتاباً وافياً بهذا الموضوع بقدر الاستطاعة ، وسلكت فيه سبيلَ التمحيص التى هى مزية المؤرّخ الذى يحترم نفسه ، ويريد أن يكون فى عداد المؤرّخين .

وما أبرئه نفسى من الخطأ ، إذ كانت العصمة لله وحده ، والله تعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب »[١] .

وقد يحسن أن نشير إلى أن الأمير قد أشار فى كتابه (الارتسامات اللطاف) إلى كتاب فى مثل هـذا الموضوع ، وهو كتاب « تاريخ الأعيان فى جبل لبنان » تأليف الشيخ طنيوس الشدياق (شقيق أحمد فارس الشدياق) والمعلم بطرس البستانى[٢] .

وشكيب قد استشهد كثيراً فى كتاب « روض الشقيق » بكتاب « تاريخ الأعيان فى جبل لبنان » لطنيوس ، ونقل عنه كثيراً[٣] ، وقال : « وإنما ننقل عنه لاطلاعه على أكثر تواريخ لبنان ومخطوطات نادرة »[٤] .

(٢) البيان عما شهدت بالعيان

وعمن شاهدت من الأعيان من إعلان الدستور العثمانى إلى الآن

هذا كله عنوان كتاب مخطوط لشكيب ، تحدث عنه وقال إنه قد نقل فيه كتابَ الإمام الأوزاعى إلى الأمير صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى أوائل

---

(١) نقلت المقدمة عن مجلة منبر الشرق ، عدد ٨ إبريل ١٩٥٥ من مقال للأستاذ محمد على الطاهر .

(٢) الارتسامات اللطاف ، ص ١٥١ . وفى كتاب الآداب العربية فى القرن التاسع عشر (ج ١ ص ١١١) أن اسم الكتاب « أخبار الأعيان فى جبل لبنان » .

(٣) انظر مثلا ص ١٤٦ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٦٩ و ١٧٠ و ٢٠١ و ٢١٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

الخلافة العباسية ، وذلك بمناسبة نظام الحكم فى لبنان : أهو استقلال أم امتياز (١)

وتحدث عنه قبل ذلك فى جريدة « الشورى » تحت عنوان : « لماذا لم يشترك الأمير شكيب أرسلان والشيخ عبد العزيز جاويش بالثورة العربية » . فذكر أنه لم يشترك فيها لأنه عرف أن البلاد العربية ستصبح نهباً مقسما بين انكلترة وفرنسة ، وتكون فلسطين وطناً قومياً لليهود ، ثم يقول :

« ولم يكن اعتقادنا أن البلاد صائرة إلى ما صارت إليه بعد الحرب عن مجرد حَدْس وتخمين ، وأخذ بالقرائن ، وإدراك طرف من خزائن الغيب ، كلا بل كنّا عدا القرائن والإرهاصات قد عرفنا تقسيم فرنسة وانكلترة لسورية وفلسطين سنة ١٩١٢ ، واطلعنا من ذلك على معلومات راهنة لا تقبل الرد ، وسأشرح هذه المسائل كلّها مع غيرها فى كتاب أنا مباشرٌ تحريرَه تحت اسم (البيان عما شهدته بالعيان ، وعمن شاهدته من الأعيان ، من إعلان الدستور العثمانى إلى الآن) ، وأن هذا التقسيم الذى وقع سنة ١٩١٢ اعترف به المسيو بوانكاريه سنة ١٩١٢ فى جواب أجاب به المسيو فيكتور بيرار فى مجلس السنات ، فهو أمر راهن ، لا يرجم بالغيب » (٢) .

وفى رسالة من شكيب لعلى الغاياتى بتاريخ ١١ إبريل ١٩١٩ يقول : « وأنا الآن أكتب خاطراتى تحت عنوان (البيان عمن شاهدت من الأعيان وشهدت بالعيان) فيه ذكر كل من عرفتهم فى حياتى ممن يستحق الذكر ، مرتبة أسماؤهم بحسب حروف الهجاء ، وكل هذه الأخبار تَرِدُ هناك ، ما يتعلق بكل واحد تحت اسمه ، وكل مسألة أبرهن عليها ، وآتى بأدلتها وشهودها (٣) » .

---

(١) جريدة الشورى ، السنة السادسة — العدد ٢٦٤ — ٢٧ رمضان ١٣٤٨ هـ — ٢٦ فبراير ١٩٣٠ م .

(٢) جريدة الشورى — السنة الخامسة — العدد ٢٢١ — ٣٠ شوال ١٣٤٧ — ١٠ إبريل ١٩٢٩ .

(٣) جريدة منبر الشرق ، عدد ٦ فبراير ١٩٥٣ .

(٣) تاريخ بلاد الجزائر

وأخبار المرحوم الأمير عبد القادر

لاحظ شكيب فى شبابه الاضطرابَ الذى يقع فى تعريب الأعلام العربية المكتوبة بحروف أجنبية ، فحاول أن يبذل مجهوداً لإصلاح ذلك ، وعبر عن ذلك المجهود بقوله :

« وقد كنت فى أوائل عهد المعاناة عرّبت تاريخاً لبلاد الجزائر وأخبار المرحوم الأمير عبد القادر ، فوجدت فيه كثيراً من الأعلام من أسماء وقبائل وأماكن لم أدر تماماً ما حقيقة أصلها ، فقيّدْتها كلها فى فهرس معى ، وعرضته على حضرة العلامة الشريف السيد محمد مرتضى الحسنى الجزائرى ابن أخى المرحوم الأمير عبد القادر أحد علماء المغرب فى المشرق ، فحقق لى ألفاظها .

وهكذا أمكننى ردها إلى أصلها ، لأنه إن أمكنت معرفة الأعلام المشهورة مثل (أوران) بأنها (وهران) ، فكيف تمكن — بدون موقِّف — معرفة (أين مدهى) بأنها (عين ماضى) وهلم جرا[١] » .

ولا ندرى مصيرَ هذا الكتاب المترجَم .

(٤) ما لم يرد فى متون اللغة

فى رسالة خطية بين يدىَّ من شكيب إلى رشيد بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) يقول : « وقريباً سأنشر رسالةً فيما جاء عن الذين يستشهد بعروبتهم ولم يرد فى متون اللغة » .

---

(١) مجلة المشرق (بيروت) — المجلد الأول — العدد ١٩ — ص ٨٧٣ — سنة ١٨٩٨ م

(٥) حياة شكيب بقلمه

كتب المرحوم شكيب أرسلان ترجمة حياته بقلمه ، وضمّنها مذكراته عن الأحداث السياسية والاجتماعية التى وقعت فى عصره ، واشترك فيها أو تأثر بها ، أو وقف على أخبارها وأسرارها .

وقد استودع هذه الترجمة مكتب المؤتمر الإسلامى بالقدس ، بعد الاحتياط له بالتصديق والتسجيل ، وذلك حتى تنشر الترجمة بعد وفاته[1] .

وكان هذا المؤتمر الإسلامى قد انعقد فى القدس سنة ١٣٥٠هـ — ١٩٣١م لبحث قضية فلسطين ، وكان له مكتب مستقل وسجلات خاصة فى المسجد الأقصى ، وقد سألتُ زوجةَ شكيب عن هذه الترجمة ، فقالت إنها سألت عنها الحاج أمين الحسينى فأجابها : إننى خلّفتها بالقدس . وسألتُ الحاج أمين عن الترجمة ، فأجابنى بأنه تركها فى مكتبة المؤتمر فى عهدة شخص اسمه « على » ، وأنه سيبعث للسؤال عنها .

وحاولتُ العثور على هذه الترجمة ، فكتبتُ فى أغسطس سنة ١٩٥٥ كتاباً إلى أخى الأستاذ عبد العزيز حسين — وكان مقيما بالقدس حينئذ فى زيارة موقوتة — ورجوته أن يعيننى فى البحث عن هذه الترجمة ، فجاءتنى منه رسالة بتاريخ ١٩٥٥/٨/٢٠ وفيها يقول :

« كلفتُ أكثرَ من واحد للحصول على ما أردت ، فاتضح أن المكتبة مقفلة ، وذكر أحدهم أنه سبق أن بحث عن الكتاب فلم يجده فى تلك المكتبة أو سواها ، والتقيت بالأستاذ محمود يوسف[2] ، فذكر لى أنه على علم بجدك

---

(١) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ١٦١ و ١٦٢ و ١٩٨ وهامش ص ٢٠١ .

(٢) الأستاذ محمود يوسف حبيه ، مدرس فلسطينى ، تخرج فى الأزهر الشريف ، وكنت قد كتبت إليه فى الموضوع نفسه .

فى الحصول على الكتاب ، أو على نبذة منه ، وأنه لم يتيسر ذلك ، وعلى كل حال فإنى طلبت من الأستاذ محمود ومن شخص آخر أن يحاولا محاولةً أخيرة ، فإذا جدّ شىء بلّغتك إياه » .

ثم كتبتُ إلى سماحة الشيخ عبد الله غوشة رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس ليبحث عن الترجمة ، فجاءتنى منه رسالة بتاريخ ١٧ صفر ١٣٧٥ هـ — ٤ أكتوبر ١٩٥٥ م وفيها يقول :

« بالإشارة إلى كتابكم الذى تطلبون فيه البحث عن ترجمة المرحوم الأمير شكيب أرسلان المكتوبة بخط يده ، والمودعة فى مكتب المؤتمر الإسلامى فى القدس أرجو أن أعلمكم أن الجهود التى بذلت للعثور على الترجمة المذكورة لم تُجْدِ نفعاً ، ذلك لأن أوراق المؤتمر والإضبارات الخاصة به قد وُضعت فى غرفة ، وتكدس بعضها فوق بعض ، بحيث أصبح من العسير فى الوقت الحاضر معرفة ما إذا كانت هذه الترجمة موجودة أم لا . .

وعلى كل فسوف أبذل جهوداً أخرى فى البحث والتنقيب ، وفرز الأوراق المبعثرة هنا وهناك ، لعلّى أصل إلى شىء ، وسأخبركم عن كل ما يجد فى الموضوع » .

وفى أكتوبر سنة ١٩٥٥ زرت القدس مشتركا فى « مؤتمر الخريجين العرب » . والتقيت بالأستاذ عارف العارف ، وسألته عن الترجمة ، فقال إنه يسمع بها ، وذهبت معه إلى المكتبة ، ودخلناها فإذا أوراق متناثرة ، وأضابير مشوشة ، وبحثنا طويلا بلاجدوى ، وكان معنا أحد العلماء هو الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية ، فوعدنى بمواصلة البحث ، فإذا عثر على الترجمة أعطاها للأستاذ صالح رجب الخميسى المبعوث من مصر للتدريس بالقدس ، لينقلها ويبعث بها إلىّ .

ثم جاءتنى رسالة من الأستاذ الخميسى بتاريخ ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥ م وفيها يقول :

« طالت غيبتى عنك ، وطال انتظارى إجابةً من سماحة القاضى فضيلة الشيخ السايح ، ثم كان لقاؤنا بعد نحو أسبوع من عودتك ، اتفقت معه على أن أزوره فى مكتبه ، ثم نقوم معاً إلى المشرف على مكتبة المؤتمر ، وذهبت إليه فى الموعد ، فأخبرنى أنه كان قد كلَّف المشرفَ البحث عن المخطوط ، وقد عاد إليه بنبأ غير سار ، هو أن المخطوط مفقود ، فطلب منه القاضى ورقة رسمية تثبت فقدانه ، فعاد المشرف فطلب مهلة ليبحث بدقة ، ثم كان موعد ثان ، فثالث ، فرابع .

وأخيراً عاد المشرف ليقول : إنه متأكد من فقدان المخطوط ، ولو أن فى بعض الغرف (دشتاً) من الأوراق مبعثراً ، والتنقيب فيه يحتاج إلى فسحة من الوقت غير قليلة ، ولعل المخطوط بين هذه الأوراق المهملة ، فصبراً » .

وصبرت حيناً ، ثم عدت فى صيف ١٩٥٦ فكتبت إلى الأستاذ روكس بن زائد العزيزى بعمان أسأله أن يتصل بالأستاذ عجاج نويهض لعل عنده معلومات عن حياة شكيب وترجمة حياته بيده ، فجاءتنى منه رسالة تاريخها ٢٨ أغسطس ١٩٥٦ م وفيها يقول :

« حال مرضى المفاجىء الذى ألزمنى المستشفى أياماً دون الاتصال بالأستاذ الكريم عجاج نويهض ، وفى اللحظة التى غادرت فيها الفراش ذهبت لزيارته ، وذكرت له أن سيادتك تبحث عن مراجع يمكن الاعتماد عليها بشأن المرحوم شكيب أرسلان ، وقد رحب حضرته بالفكرة ، ووعد بكل مساعدة ممكنة ، لكنه يرى أن تجودوا بالأسئلة التى تريدونها ، ليتولى هو الإجابة عما يستطيع الإجابة عليه .

أما مذكرات الأمير شكيب فقد ضاعت فى جملة ما ضاع من المجلس الإسلامى الأعلى ، لكنه يوجد منها نسخة عند ابنه غالب أرسلان . . » .

ثم ذكر الأستاذ روكس عبارة عن غالب ينتقده فيها ، لأنه حجز مذكرات أبيه ، وحجب مراسلاته وأوراقه عن النشر ، وهو أمر لا يليق بحق والده .

هذا وقد أطلعنى الأستاذ على رشدى الذى كان يراسل الأمير من القدس على بعض رسائل من شكيب إليه ، ومن هذه الرسائل نفهم أن شكيب كلَّفه بنسخ ترجمة حياته على الآلة الكاتبة ، وأنه يتأخر قليلا فى إرسال الترجمة إلى مكتب المؤتمر الإسلامى بسبب الثورة فى فلسطين .

ففى رسالة بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م كتب شكيب إلى على رشدى من جنيف يقول :

« قد تلقيت جميع ما أرسلتموه من نسخ ترجمة حياتى إلى آخر ما وصلنا فيها ، وهو صفحة ٨٧ بالآلة الكاتبة ، وقرأت جميع مكاتيبكم التى فى صحبة الترجمة ، وشكرت همتكم ، ولولا الحوادث الحاضرة فى فلسطين ، وشغل البال من جهتها ، لكنت باشرت إرسال التكملة قطعة بعد قطعة ، ولكن شغل البال بفلسطين من جهة ، ووجود أربعة كتب لى تحت الطبع من جهة أخرى — ولا بد من متابعة الإرسال إلى المطابع — كل ذلك جعلنى أتأخر هذه المدة عن إكمال الترجمة ، وسأشرع بذلك إن شاء الله بعد أن تتقدم المطبوعات فى طريق النجاز » .

وفى رسالة لشكيب من جنيف بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦م إلى الأستاذ رشدى — الذى كان حينئذ بالقاهرة — يقول شكيب :

« عرفت أن تأخرك عن جوابى هو بسبب الثورة فى فلسطين ، وهذا أيضاً هو السبب فى تأخيرى إعادةَ ترجمة حياتى إلى مكتب المؤتمر الإسلامى ، وعسى أن تجاب مطالب العرب ، وتهدأ الحال فى فلسطين ، وتعودوا إلى القدس ، فأبعث إليكم بالترجمة تحت التصديق ، ثم أباشر إكمالها ، لأنها ليست إلا الربع بالنسبة إلى الباقى » .

ونفهم من هذا أن الترجمة تبلغ نحو ثلاثمائة وخمسين صفحة من الحجم الكبير الذى اعتاد الناس الكتابة عليه بالآلة الكاتبة .

(٦) بحث عن طرابلس وبرقة

فى تعليقات الأمير شكيب على الطبعة الثانية من كتاب (حاضر العالم الإسلامى) يذكر أنه شرع فى بحث عن البلاد الطرابلسية ، فيقول :

« ولما كنا قد دخلنا فى بحث طرابلس وبرقة فقد رأينا أن نتم هذا الفصل بمعلومات إحصائية وجغرافية عن تلك البلاد كنا جمعناها فى أثناء ذهابنا بنفسنا إلى الجهاد فى برقة سنة ١٩١١ إلى ١٩١٢ ، وأجمعنا أن نحررها فى كتاب مستقل برأسه ، إلا أن العوائق الكثيرة من توالى الأسفار وتحرير الأسفار ، وغير ذلك من الأشغال والمهمات لم تتح لنا أن نبرز هذا الكتاب إلى الوجود .

فرأينا الآن أن نلخص هذه المعلومات هنا فى هذه الطبعة من هذا الكتاب ، كما أننا كنا فى الطبعة الأولى قد ذكرنا كثيراً منها فى عرض البحث عن السادة السنوسيين وزواياهم »(١) .

ويقول شكيب أيضاً فى شأن هذا الكتاب : « لعلنا فى يوم من الأيام ننشر كتاباً على حدة فى قضية طرابلس ، نثبت فيه جميعَ ماوقع بيننا وبين إيطالية فى هذا الموضوع بالوثائق الخَطِّيَّة ، وننشر جميع المكاتيب الواردة إلينا من الطرابلسيين ، غير محتجنين شيئاً سوى ما يجوز أن يقع من أجله ضرر بحق كاتبيه ، فإننا لا نرضى أن يصاب أحد بأقل ضرر لأجل إثبات حجتنا »(٢) .

---

(١) حاضر العالم الإسلامى ، ج ٢ ص ٨٥ .
(٢) مجلة الشباب — العدد ٣٧٦ — ١٢ شوال ١٣٥٦ هـ — ١٥ ديسمبر ١٩٣٧ .
وغير محتجنين : غير كاتمين أو محتجزين .

(٧) الحلة السنية فى الرحلة البوسنية

يقول شكيب فى تعليقه على تاريخ ابن خلدون : « ولنا رحلة إلى بلاد (بوسنة ـ وهرسك) جمعنا فيها كل المعلومات اللازمة عن أصل (البوشناق) وعن أصل (البوغوميل) ، ومرادُنا نشرُها فى أول فرصة » (١) .

وفى مكان آخر يقول : « وقريباً سأصدر كتاباً أسميه (الحلة السنية فى الرحلة البوسنية) أذكر فيه سياحتى فى هذه الأيام الأخيرة إلى بلاد المجر ويوغوسلافية ، وألخص فيه هذه المباحث إن شاء الله تعالى » (٢) .

وحينما يتحدث شكيب فى كتابه (تاريخ غزوات العرب) عن الإسماعيلية يقول : « وسنذكر شيئاً أوسع من هذا عن الإسماعيلية (أى مسلمى المجار) فى رحلتنا إلى بلاد المجر وبوسنة » (٣) .

ولما مات سالم أفندى مفتيج وجمال الدين أفندى جاويشو — وكانا رئيسين لمجلس علماء البوسنة والهرسك — رثاهما شكيب ، وقال فيما قال : « وإنى لكاتب هنا على العجلة ما يحضرنى بشأنهما ، ولا سيما بشأن أخى سالم أفندى مفتيج على أن تكون هذه العجالة مقدمة بين يدى كتاب خاص مجموعة عندى مواده عن سياحاتى الثلاث إلى يوغوسلافية ، ولم يؤخرنى عن ترتيبه وتمثيله سوى تراكم الشواغل وتزاحم الشواده » (٤) .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ، ملحق الجزء الأول — ص ١٣٥ .

(٢) مجلة الفتح — السنة السابعة — العدد ٣١٠ — ١٤ جادى الأولى ١٣٥١ ، مقال (أصل إسلام البوشناق) .

(٣) تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٠٨ .

(٤) مجلة الشباب — العدد ٤٠٥ — ٦ يوليو ١٩٣٨ . وفى القاموس : المشاده : الشواغل .

وفي رسالة خطية بين يديّ من شكيب إلى رشيد تاريخها ٩ سبتمبر ١٩٣٢م يقول في حاشية بأعلاها: "قريباً نضع رسالة عنوانها الحلة : السنية في الرحلة البوسنية، نطبعها عندكم إن شاء الله".

(٨) اختلاف العلم والدين

هذا كتاب ترجمه شكيب عن الفرنسية فى صدر شبابه ، ومؤلف الكتاب هو العلامة « درابر » الأمريكى المشهور ، وقد سبقت إشارة إليه ، وكان شكيب معجباً بهذا الكتاب ،ولذلك يقول عنه :

« ومن أعظم المؤلفين الذين أجادوا فى موضوع الإسلام العلامة (درابر) الأمريكى المشهور ، صاحب كتاب (اختلاف العلم والدين) ، فقد كتب كتاباً نادر المثال فى تاريخ الحركة الفكرية العلمية فى العالم ، وما كان بإزائها من العقائد والأديان ، وما وقع من المصارعة بين المبدأ العلمى والمبدأ الدينى .

وكنت اطلعت على هذا الكتاب ، إذ كنت فى الثامنة عشرة من العمر ، وأجمعت ترجمته إلى العربية ، ثم أنجزت ذلك نقلاً عن نسخته الإفرنسية التى كان يسهل على الترجمة عنها أكثر من اللغة الإنكليزية .

ثم إنى لأجل زيادة التدقيق والضبط أطلعتُ عليها العلامة الشهير أستاذ أساتيذ العصر الدكتور فانديك ، الذى كان لى عليه تردد كثير ، وكان له نحوى ميل شديد ، وكنت ممن يستضىء بآرائه ، فالدكتور فانديك والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده طيَّب الله ثراهما ، هما اللذان صححا عزمى على ترجمة هذا الكتاب ، وباشرت ذلك ، وصرت آتى من الترجمة إلى الدكتور بكراسٍ كراس ، وهو يطالعها ويراجعها ، ويصحح ما يراه محتاجاً إلى التصحيح .

وقد كان تصحيحه للألفاظ العلمية والاصطلاحات الفنية التى لم أكن لذلك

العهد أركن إلى نفسى فيها ، ولا تزال تصحيحات الدكتور فانديك بخط يده على حواشى المخطوط .

وإن يسّر الله طبعَ هذا الكتاب فسأطبع عبارات تصحيحه كما كتبها هو ، أى منذ ٤٣ سنة ، ولقد شهد لى الدكتور يومئذ بصحة الترجمة ، وقال لمن سأله عنى فيها هكذا : (جاء بالصنعة)[١] »

وقد ذكر شكيب فى (حاضر العالم الإسلامى) الفصل الرابع من هذا الكتاب وعنوانه : (فى تجدد العلوم فى الجنوب) . وقد استغرق أكثر من عشر صفحات[٢] .

وبعد أن ينقل شكيب هذا الفصل يقول : « هذا ما اخترنا نقله من ترجمة كتاب درابر (اختلاف العلم والدين) ، وهو كتاب شهير مشحون بالفوائد ، إذا انتدح الوقت قد نعيد النظر عليه ، ونطبعه مع تعليقات الدكتور فانديك الذى طالع الترجمة كلها »[٣] .

(٩) مدنية العرب

هذا كتاب ترجم خلاصتَه شكيب عن غوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسى المشهور ، ولم ينشره . وعنه يقول شكيب :

« وممن تكلم على مدنية العرب وأجاد ، واشتهر كتابه فى كل ناد ، الفيلسوف الإفرنسى الدكتور غوستاف لوبون الذى توفى منذ نحو شهرين أو ثلاثة عن ٩١ سنة ، جزاه الله عن العرب وعن الإسلام خيراً .

ولقد لخصت كتابه فى رسالة وجيزة تذكرة لنفسى ، ثم بلغنى أن الكاتب

---

(١) حاضر العالم الإسلامى ، ج ١ ص ١٤١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٢ — ١٥٥ .
(٣) المرجع السابق . وانتدح الوقت : اتسع ، إذ يقال ندحه كمنعه : أى وسعه (القاموس) .

المصري المعروف السيد محمد مسعود قد ترجم الكتاب إلى العربية ترجمة تامة، فلهذا فضلت طيَّ رسالتي هذه على غرِّها . منتظراً ظهور الترجمة الكاملة"(١)

(١٠) الجيش المعبا من تاريخ اوربا

في ملحق لرسالة من شكيب لرشيد بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م يقول: " فإنني لما ذهبت إلى أوربة شاباً سنة ١٨٩٢ كنت شرعت بكتاب أسميه: (الجيش المعبا من أخبار أوربا)

(١١) قضيتنا مع سمو الخديوى السابق

من أولها إلى آخرها

بين يدىَّ رسالة خطية من شكيب إلى رشيد ، وهى غير مؤرخة ، ولكن يترجح من سياق تتابع الرسائل أن هذه الرسالة كُتبت فى أوائل سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م . وفى هذه الرسالة يقول بعد أن أشار إلى خلافه مع الخديوى :

« لذلك أنا مباشر تأليف كتاب عنوانه (قضيتنا مع سمو الخديوى من أولها إلى آخرها) سأكتب فيه تاريخ علاقتى معه ، ومعرفتى به من يوم حرب طرابلس إلى اليوم ، ولا أتعرض إلا لما عرفته بنفسى ، وما تعلق بى ، إلا فى الأمور التى تسوقها شجون الحديث ، وسيخلو كتابى من أى كلمة طعن أو سب . وإنما سيذكر الأمور كما وقعت .

هو يريد أن يثبت أنى قبلت منه دراهم . نعم مع الأسف فى أوربة قبلت كلام بعض الأصحاب ، وقبلت منه الراتب ٣٠ جنيهاً فى الشهر ، ثم استعفيته منه ، فأصر عليه ، فقبلت ثانية حياء منه ، إلا أنى والحمد لله لم أسرق دراهم منه ولا من غيره .

(١) حاضر العالم الإسلامى ، ج ١ ص ١٠٥ .

قبلت معاونة أمير مسلم عظيم الثروة بعد إلحاحه بها ، وأنفقت هذه المعاونة على قضية وطنية عامة ، وأنفقت أكثر منها بكثير ، وبعت من أملاكى فى سبيلها ، وفى العام الماضى بعت بألف وأربعمائة جنيه ، ومن سنتين رهنت بألفى جنيه ، والآن أنا مديون بسبعمائة جنيه ، وحالتى المالية غير مجهولة .

فماذا يريد أن يثبت الخديوى بنشر هذه المكاتيب ؟ (١) .

أما جنابه العالى فلما قبض ذلك المبلغ من الألمان ليرشو به بعض صحافى فرنسة ، وأعطى منه جانباً إلى بولو . . . وافتضحت المسألة إلى أن أدت إلى شنق المذكور ، واضطر سموه إلى رد المال إلى الألمان ، أعاده ناقصاً ، يقال بنحو من النصف ، ويقال بقيمة الثلث ، وهذا الذى يعاب ، والذى يصح أن يكون فضيحة .

كون رجل خادم لقضية وطنية عامة يقبل رفداً بسيطاً من أمير غنى من أمراء الإسلام ، هذا ليس بعيب ، لا سيما إذا كان هذا الوطنى ليس بذى ثروة . أما أن يأتى أمير مسلم كان على عرش مصر فيجعل نفسه واسطة رشوة بين أجانب ، ويتسبب فى قتل صديق له ، ثم يعيد المال بعد أن يأكل منه جانباً كبيراً ، فهذا هو العيب ، وهذا هو العار .

ووثائق دعوى بولو موجودة ، ووثائق اتفاقه مع إيطالية على مسلمى طرابلس موجودة ، وهلم جرا .

أما فى كتابى سيكون كلامى بكل صراحة ، ومن هذا النمط . ولقد فاتنى بدون شك الاحتياط الذى عمله هو بحفظ مكاتيبى وإيداعها فى بنك مثل الكنوز ، مما يدل على سوء نيته من الأول ، ولكننى هذه المدة بحثت فى أوراقى فوجدت من أنطون مستشار الخديوى بقايا مكاتيب بأمر الخديوى ، نشرها يضر بالخديوى .

---

(١) يشير شكيب إلى مجموعة رسائل بعث بها إلى الخديوى ونشرها فى ذلك الوقت بسبب متاعب لشكيب ، وتفصيل القول عن الموضوع ليس هذا مجاله .

ووجدت مكاتيب من عبد الله البشرى بأمر سموه يثبت منها أنه كان يتعرض لنا بتقديم المساعدة ، ولم نكن نحن الذين نطلبها . كتابى سيكون مهماً ، ولكنى متربص الآن ، حتى أرى ماذا يريد أن يصنع » .

ويضع شكيب هامشاً على الرسالة يقول فيه : « على كل حال كتابى على قضيتى مع سموه ينبغى أن يكون حاضراً » .

(١٢) ذكريات الحرب

فى رسالة خطية بين يدىَّ من شكيب لرشيد بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٢١ يقول: « أما ما عملته أثناء الحرب من معاكسة جمال فى أمر القتل والتعذيب ، وما قمت به من خدمة أبناء الوطن بدون استثناء ، ومن مساعدتى حتى لأعدائى ... إلخ ، فكنت باشرت تحرير كتاب اسمه (ذكريات الحرب) أى كما يقول الأتراك (خاطرات الحرب) سيكون فيه كل شىء ، فصرت أعجِّل الآن فى تحريره وطبعه ليظهر كل شىء بالبرهان والدليل ، بل بالأسناد والوثائق ، لكن لما كنتم تطلبون شيئاً مختصراً مستعجلا ، هأنذا مقدِّم لكم خلاصةً صافية على حدة ، انشروها ، أو خذوا منها ما شئتم للمنار ، ثم أعطونى رأيكم فى اسم الكتاب هكذا ، هل هو موافق أم لا » .

وفى رسالة خطية بين يدىَّ منه إلى رشيد بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ يقول إنه مرسل معها جزءاً من ذكريات الحرب ، وأنه قدَّم منها عشرين صفحة ، وأنه سيكتب فصلا عن المجاعة ، وهو يقصد مجاعة لبنان فى أثناء الحرب .

وفى رسالة أخرى بتاريخ ٤ يناير ١٩٢٢ ما يفيد أنه أرسل حلقات من هذه الذكريات . وقد نشرت جريدة « المنار » معظم هذه المذكرات تحت عنوان « كوارث سورية فى سنوات الحرب » فى المجلدين الثانى والعشرين والثالث والعشرين .

(١٣) مخطوطات أخرى

كتب الأستاذ عارف النكدى فى مجلة المجمع العلمى العربى [١] مقالا يذكر فيه مخطوطات أخرى لشكيب منها :

١ — تاريخ لبنان ، وقال إن عنده نسخة منه . ويظهر أنه (بيوتات العرب فى لبنان) .

٢ — إصلاح العامية ، ويظهر أنه المسمَّى (القول الفصل ، فى رد العامى إلى الأصل) . وقد كتب شكيب فى مجلة المجمع العلمى العربى مقالا بعنوان « استطلاع واستفتاء » وفيه يقول : « ثم فى جبل لبنان يقولون (قندى) بمعنى ضعف واستخذى ، وقد بحثت عنها فى مشروع كتاب أتوخى وضعه فى ردِّ العامى إلى الأصل ، فلم أجد (قندى) ، وإنما وجدت (قندل) بمعنى ارتخى » [٢] . وقد ذكره الدكتور سامى الدهان بالاسم الأخير ، كما ذكر أن من مخطوطات شكيب كتاباً اسمه (اللهجات العربية) [٣] .

٣ — وهناك أيضاً كتاب (التعريف بمناقب سيدى أحمد الشريف) ، وهو فى تاريخ السيد أحمد الشريف السنوسى الذى كان شكيب صديقاً عزيزاً عليه ، وكانت بينهما مراسلات تدل على إخلاص وثقة ، وقد تم هذا الكتاب ولم يُطبع [٤] . ويقول شكيب عن هذا الكتاب إنه « فى ذمتى دَيْن مستحق لابد من تأديته إن شاء الله قبل الرحيل من هذه الدنيا » [٥] .

---

(١) المجلد ٢٢ — ص ٩٠ — سنة ١٩٤٧ .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد الرابع ، عدد حزيران ١٩٢٤ .

(٣) انظر محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ، هامش ص ١٩ .

(٤) جريدة منبر الشرق — ٨ إبريل ١٩٥٥ — والشباب — العدد ٣٨٣ — ٢٤ ذى القعدة ١٣٥٦ هـ — ٢٦ يناير ١٩٣٨ .

(٥) الشباب — العدد ٤٠٥ — ٦ يوليو ١٩٣٨ .

الفصل الثالث

كتب مقترحة أو كانت فى النية

---

(١) الفوضى الإسلامية

فى كتاب شكيب عن شوقى يقول : « وإن فُسح لى الوقت لأكتبنّ كتابا ، وأسميه : « الفوضى الإسلامية ، وما جنته على المسلمين ، والوحدة الإسلامية وما جنته للمسلمين[١] » . وهو يقصد بالفوضى هنا الشقاق والفرقة التى تقع بين أبناء الإسلام .

(٢) قطف العسلوج

حينما كان شكيب فى رحلته للحج أحس بالحرارة الشديدة والقيظ العنيف ، فكان يتطلب الماء البارد ، ويرجوه مثلوجا ، ويتغنى بذلك ، حتى قال : « فالثلج إذا اقتصد فى شربه روح للأرواح ، وشفاء للملتاح ، فى مثل الحجاز ، حاشا الطائف وجبالها ، حيث لا لزوم له البتة ، وكنت هممت بنشر رسالة اسمها : (قطف العُسْلُوج[٢] ، فى وصف الماء المثلوج ، بجوار البيت المحجوج) ، أصف فيها محاسن هذا الماء فى مكة أيام القيظ ، وأجعلها تقدمة للأستاذ الأكبر السيد محمد رشيد رضا[٣] » .

---

(١) شوق أو صداقة أربعين سنة ، ص ١٩٦ .

(٢) العسلوج (بضم فسكون) : مالان واخضر من القضبان ، وجارية عسلوجة النبات : ناعمة (القاموس) .

(٣) الارتسامات اللطاف ، ص ٢٠ .

وأما السر فى إهدائه هذا الكتاب إلى السيد رشيد فهو أن السيد يحب الماء المثلوج حباً جماً ، ولذلك يقول عنه شكيب :

« وقد كان رحمه الله مغرماً بالماء البارد ، يشرب به فى ساعة معلومة بعد الظهر ، كما يشرب الناس الشاى ، وتجد إبريق الزجاج أمامه مملوءاً بقطع الجَمَد[1] . وله فى ذلك لطائف يعرفها إخوانه .

ولما حج البيت الحرام لأول استيلاء ابن السعود على الحجاز كان الملك يرسل إليه يومياً بمقدار كبير من الجمد ، وكنا نداعبه فى هذا الأمر ، حتى إنى قلت فى جريدة الشورى إننى سأضع رسالة اسمها (قطف العسلوج ، فى وصف الماء المثلوج ، بجوار البيت المحجوج) وأُهدى هذه الرسالة للسيد رشيد رضا[2] » .

(٣) الحجر الكريم

يقول شكيب فى مقال له بجريدة الشورى عنوانه (إنها لا تعمى الأبصار) :

« وإنى لأتذكر مرة مجلساً لى مع العلامة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائرى قدّس الله روحه ، كنا نقرأ فيه كتاب تراجم ، وما تمر به صفحة إلا فيها ترجمة عالم حضرمى يقول عنه إنه وُلد بترِيم ، فما زال المؤلف يقول : ولد بتريم ، حتى قلت للشيخ طاهر : يا أستاذ ، دعنى أؤلف كتابا أسميه (الحجر الكريم فيمن ولد من العلماء بتريم[3] » .

---

(١) الجمد (بفتحتين) : الثلج (القاموس) .
(٢) السيد رشيد رضا ، ص ٣١٣ .
(٣) تريم : اسم مدينة حضرموت .

(٤) الديانة فى ألمانية

كتب شكيب فى جريدة الشورى يقول فى مقال بعنوان (الألمان والإنجليز رجعيون [١]) .

« بأول فرصة سننقل إلى اللغة العربية كتابا كبيراً اسمه (الديانة فى ألمانية) ، موضوعه شرح أحوال الكنائس الألمانية من بروتستانتية وكاثوليكية ، على ماهى عليه فى حالتها الحاضرة ، وذكر علاقاتها بالتعليم العام ، وبالأحزاب السياسية ، وبمبادىء العملة ، وبسير العلم والصناعة ، إلى غير ذلك مما يجدر بكل شرقى أن يعرفه عن أرقى أمة وأصعدها فى سلم المدنية الحديثة [٢] » .

(٥) سيرة صلاح الدين

يتحدث شكيب فى كتابه عن رشيد رضا عن سيرة صلاح الدين الأيوبى التى كتبها بهاء الدين بن شداد ، وينقل عنها وصيةَ صلاح الدين لابن الظاهر وهو متوجه إلى حلب بعد فتح القدس ، وبعد أن يورد شكيب جانباً من الوصية يخبرنا بأنه قد ترجم الوصية كلَّها إلى الأفرنسية ، ونشرها فى مجلته (لا ناسيون آراب) ، وأن فى نيته ومراده أن يترجم سيرة صلاح الدين كلها إلى الإفرنسية ، لأن الإفرنج بأجمعهم معجبون بأخلاق صلاح الدين الأيوبى ، ولكنهم يجهلون نوادره التى كسب بها هذه الشهرة [٣] .

(٦) العقد الثمين

من دقة ملاحظة شكيب أنه لاحظ وهو يقرأ كتب التراجم عند العرب ،

---

(١) الشورى — السنة السابعة — العدد ٣٢٠ – ١٠ إبريل ١٩٣١ .
(٢) الشورى – السنة الثالثة – العدد ١٣٨ – ١٠ محرم ١٣٤٦ – ١٤ يوليو ١٩٢٧ .
(٣) السيد رشيد رضا ، ص ٢٧٤ و ٢٧٥ .

ويتتبع أسنان أصحاب الأقلام منهم ، أن الثلثين منهم يتجاوزن الثمانين عاما ، ومثل ذلك عند الإفرنج .

ولذلك ذكر لبعض أصحابه أنه إن اتسع أمامه الوقت فسيؤلف كتابا يسميه : « العقد الثمين فيمن من العلماء تجاوز عقد الثمانين[1] » .

(٧) الإسلام فى المستعمرات الأوربية

فى رسالة خطية بين يدىَّ من شكيب لرشيد بتاريخ ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٣ يتحدث شكيب عن حواشيه وتعليقاته على « حاضر العالم الإسلامى » ، ويعترف بأنها طويلة ، ولكنها غير مملة ، ويَعِدُ بأنه على الرغم من ذلك سيختصر منها ، يقول : « نعم صرت أختصر نوعا ، واجعل الوفاء بالموضوع لكتاب خاص أضعه فى (الإسلام فى المستعمرات الأوربية) ، أو (الإسلام فى المستعمرات) » .

(٨) الحرب العامة

فى آخر كلام شكيب عن (الترك) عند تعليقه على تاريخ ابن خلدون أشار إلى بعض المسائل المتعلقة بالحرب العالمية الأولى ، وقال :

« وهذه مسائل عائدة إلى الحرب العامة وذيولها ، ونحن أحببنا الوقوف فى تاريخ الدولة العثمانية عند هذا الحد ، لأننا لو دخلنا فى موضوع الحرب العامة لطال بنا الموضوع جداً ، ولمَّا كنا نريد أن نُفرد الحربَ العامة وذيولها ، إلى أن انعقدت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ بتأليف خاص — إن شاء الله — لم نجد لزوماً للدخول فى هذا التاريخ بموضوع أكبر حرب عرفها العالم مما يجب أن يفرد بتأليف على حدة »[2] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون — ملحق الجزء الأول — ص ٤٠٥ .

(٩) دليل العالم الإسلامى

كان مكتب المؤتمر الإسلامى بالقدس قد قرر تأليفَ دليل جامع باسم (دليل العالم الإسلامى) ، يتضمن معلومات أكيدةً عن جميع الأقطار التى يوجد فيها مسلمون ، وطلب المكتب من الأمير أن يشارك فى تأليف هذا الدليل .

ومع مالدى شكيب من معلومات عن البلاد الإسلامية ، وما فى خزانة كتبه من التآليف الموضوعة عن المستعمرات الأوربية التى أكثر أهلها من المسلمين ، أحب أن يزيد الاستقصاء فى البحث ، فكتب إلى جهات كثيرة ، ومن جملتها الحبشة ، ليأخذ من أهلها معلومات يعتمد عليها فى تأليف هذا الكتاب [١] .

(١٠) بعض آثار شكيب بالألمانية

ذكر الأستاذ محمود طاهر فى مقال له بمجلة (الفتح) أنه كان يوجد فى (برن) أستاذ مستشرق ، وهو قسيس بروتستنتى فى الوقت نفسه ، اسمه الدكتور (فيدمار) ، وقد تعرف القسيس إلى شكيب ، وأعجب به ، وترجم بعض آثار شكيب إلى الألمانية ، ومنها مقدمته الواسعة لكتاب (النقد التحليلى) لمحمد أحمد الغمراوى ، ومقالة لشكيب عن (النهضة الشرقية) نشرها المقتطف ، ومقالة له عن الشعر ، وهى التى اختارها المنفلوطى فى مختاراته بعنوان : « حقيقة الشعر » ، وقد تحدثنا عنها طويلا فيما سبق .

وذكر الأستاذ طاهر أن المستشرق أتم الترجمة ، وصدّرها بترجمة لحياة شكيب ، وباشر طبع الكتاب [٢] .

---

(١) مجلة الفتح ، العددان ٣٥٨ و ٤٤٤ ــ ٦ صفر و ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٤ .

(٢) مجلة الفتح ــ السنة السادسة ــ العدد ٢٦٨ ــ ٥ جادى الأولى ١٣٥٠ .

خاتمــــة البحث

— فى ذمة التاريخ

— نتائج البحث

فى ذمة التـــاريخ

لقد أفضى شكيب إلى ربه ، وأصبح فى ذمة الله ، وذمة التاريخ ، وقد استعرضنا عصره وحياته ، ودرسنا نثره وشعره ، وعرضنا آراءه ونقده ، وعرفنا لغوياته ومساجلاته ، وذكرنا ما له وما عليه قدرَ طاقة البحث ، وآن لنا أن نضع قوله وعمله فى الميزان ، لنحدد مكانته ، ولنعرف ما صنعت الأيام بآرائه وتراثه .

إن شكيب من غير شك كاتب بليغ ، استطاع أن يقلد السابقين ، فنجح فى تقليده ، ثم تحرر واسترسل ، فكان أروعَ وأمتع ، وعنى باللغة فكان أحدَ الرواد القلائل الذين خدموا لغة العرب أجلَّ الخدمات فى مطلع القرن العشرين ، ولن تُنسى خدماتهم عند المنصفين على مرّ السنين .

وقال الشعر فلم يقصِّر عن شعراء عصره الأعلام ، وإن كان جزء كبير من هذا الشعر قد انتقل إلى ما يشبه « دار الآثار » ، كعثمانياته ومدائحه ، فغاية ما يؤديه هذا الجزء هو أن يعطينا صورةً لما كان .

وكتب فى التاريخ والقضايا العربية والإسلامية ، وتحدث عن الإسلام والمسلمين فى حاضرهم وماضيهم ، فكان عمله خطوةً واسعةً نحو وضع دائرة المعارف العربية الإسلامية بأيدى أبناء العروبة والإسلام ، كما أدى خدمات جليلة للقضايا العربية والإسلامية خلالَ نصف قرن من الزمان تقريباً .

وإذا كانت لشكيب عيوب ، فهى قليلة بالنسبة إلى مفاخره وحسناته .

* * *

ولننتقل إلى مكانة آرائه وجهوده من التاريخ :

١ — شارك شكيب ، كما رأينا ، فى الإحياء اللغوى مبكراً ، عن طريق

عنايته باللغة ، واستعماله لمفردات مهجورة أو مجهولة ، وهذا الإحياء الذى اشترك فيه مع أقرانه كان فاتحةً لازمة للنهضة اللغوية التى أقبلت بعد ذلك .

وقد بذل جهوداً فى ميدان « التعريب » ، ووضع مصطلحات عربية فى مقابل المصطلحات الإفرنجية ، وكان هذا العمل منه ومن أقرانه بدايةً لاتساع باب التعريب ، والانتفاع به فى تطعيم اللغة بما يشد أزرها ويوسع نطاقها .

ولابد لنا من أن نتذكر شكيب وأمثاله حين ننظر إلى ما جدَّ بعد ذلك من جهود المجامع اللغوية فى مصر والشام والعراق ، حيث ظهرت على أيدى رجالها معاجم عصرية فيها للتوسع اللغوى نصيب كبير .

ولقد كان شكيب يدعو إلى عدم الاقتصار على الاستشهاد بكلام الجاهليين ، بل يرى الاستشهادَ بكلام الإسلاميين والمولّدين الذين تنزل أقوالُهم منزلةَ روايتهم ، ويرى أن كتب اللغة قد فاتها شىء كثير ، وأن هناك مفردات فى كتب الأدب ، والتاريخ ، والخراج ، وغيره ، ينبغى ضمُّها إلى كتب اللغـة ، وكذلك اصطلاحات أهل العلوم ، والصناعات ، والحِرَف .

وقد تحقق كثير مما أراده شكيب ، فأخذت مجامعنا تهتدى بهذه الآراء فى جهودها اللغوية .

ولـكن الغيرة على اللغـة ومفرداتها بالصورة التى أرادها شكيب نجدها اليوم مقصورةً على فئة قليلة من الـكتاب والأدباء ، وقد ترددت دعوات إلى العامية ، وإلى التخفف من النحو والإعراب ، وإلى التخلص من قيود الفصحى .

٢ — بذل شكيب جهوداً فى الترجمة عن الفرنسية ، والتركية ، والإنجليزية ، فكان بهذا أحدَ الرواد الذين ألقوا بذوراً فى حقل الترجمة إلى العربية ، فتعهدت الأيام هـذه البذورَ حتى نبتت ، وارتفعت بجذوعها ، وآتت ثمارها على أيدى الذين بذلوا جهودَهم الكبيرة فى الترجمة بعد ذلك .

٣ — بذل جهوداً مشكورة فى إحياء تاريخ العرب وتاريخ الإسلام ، وتتبع مآثرَ العرب والمسلمين فى الشرق والغرب ، للتنويه بها والتذكير بشأنها ، ثم عرَّف بحاضر العرب والمسلمين على عهـــده ، وما زالت لهذه الجهود قيمتُها .

٤ — شارك — فى وقت مبكر ، وقبل عهد الإحياء العلمى الواسع — فى نشر التراث العربى ، وتحقيق المخطوطات ، كما فعل فى « الدرة اليتيمة » لابن المقفع ، و « رسائل الصابى » ، و « محاسن المساعى فى مناقب الإمام الأوزاعى » ، و « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » ، فكان بهذا أحدَ السابقين إلى ولوج هذا الباب فى العصر الحديث .

٥ — إذا انتقلنا إلى الكتابة النثرية ذكرنا أنه كان يحرص على السجع فى مقدمات كتبه ، ويعاوده الحنينُ إليه من حين إلى حين ؛ ونلاحظ أن عهد السجع قد انتهى أو كاد ، وأصبح عامة الكتَّاب والأدباء يترسلون فى المقدمات وفى غيرها ، وإذا كان هناك من يشذ عن ذلك فليس للشاذ نصيب عند إصدار الحكم العام .

٦ — كان شكيب يلقب « بأمير البيان » ، ونلاحظ أنه بعـد — موت شوقى « أمير الشعراء » ، وموت شكيب « أمير البيان » — قد انتهت أمثال هذه الألقاب ، فلم تعد للنثر ولا للشعر إمارة ، وقد كانت هناك محاولات بعد موت شوقى للمبايعة بإمارة الشعر ، ولكنها لم تبلغ ما أرادت .

٧ — شارك شكيب فى إيقاظ الشعر من غفوته ، وجرى فى ذلك مجرى البارودى ، وكان هذا الإيقاظ مقدمةً لنهضة شعرية واسعة ، وقد تطور الشعر بعد ذلك ، وانتقل من حال إلى أحوال ، فتجددت المعانى والصور ، وظهر شعراء للشعر الحر ، وظهرت دعوات للتحرر من القافية والوزن : وإن تكن جمهرة الشعراء ظلَّت وفِيَةً لموسيقى الشعر من ناحية الوزن والقافية مع ألوان من التجديد المحدود ، وأصبح الشعر فى معظم أمره ابنَ بيئته ، ورقَّت روابطُه بالبيئة الصحراوية القديمة .

٨ — كانت كتابة شكيب عن أحمد شوقى أشبهَ بتهيئة مواد البناء الأولية (الخام) التى يمكن بها بناء بيت ، فوضع بين أيدى الباحثين مايصلح لتأليف دراسة تحليلية عن شوقى ، وقد ظهرت بعد كتاب شكيب كتب عن شوقى تمتاز بالدراسة والتحليل .

وأما كتاب شكيب عن السيد رشيد رضا ، فقد ظلَّ بلا ثانٍ ، إذ لم يؤلف أحد كتاباً مستقلا عنه ، معأن حياته فيها مادة صالحة لكتابة دراسة كاملة عنه ، ومن الوفاء القيام بهذه الدراسة .

٩ — كان لشكيب آراء قيّمة فى السياسة ، وأسباب تأخر الأمم ، وحِيَل الاستعمار والاحتلال ، وما زالت هذه الآراء كأنها بنت اليوم ، لما اعتمدت عليه من سعةِ تجربة وعمقِ نظر .

١٠ — دعا بعد الحرب العالمية الأولى إلى نُصرة القومية العربية ، وإلى وحدة الأمة العربية ، وإلى إنشاء جامعة عربية ، وكان فى هذا سابقا ، وحاول كثيراً توثيق الروابط بين العروبة والإسلام ، ولا عجب فالعروبة وعاء الإسلام ، والاسلام روح العروبة ، وبينهما من الروابط العميقة ما باركته يد الله عز وجل .

وقد تكونت فى الأعوام الأخيرة من حياة شكيب « جامعة الدول العربية » ، وَقَوِىَ الوعى القومى العربى ، ورأينا أكثرَ من دولة عربية تنص فى دستورها على أنها جزء من الأمة العربية ، وأصبحت قضية الوحدة العربية من كبرى القضايا فى ميدان السياسة العربية .

وقد حدث « الاتحاد الفيدرالى » بين مصر وسورية أولا ، ثم حدثت التجربة الجليلة ، وهى وحدة مصر وسورية ، وبرغم النكسة ظلت لهذه التجربة دلالتها الخطيرة فى حقل العمل للوحدة العربية .

١١ — كان شكيب يتمنى بقاء الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية ، مع إيمانه بوجوب قيام الدولة بالإصلاح المطلوب ، وبتوثيق الروابط بين الترك والعرب ، ليقوى اتحاد الجميع تحت لواء الخلافة ، ولكن حكام الأتراك وَلَّوْا ظهورَهم لهذا الاتجاه ، وظهر ذلك منهم واضحاً عقب الحرب العالمية الأولى ، مما جعل شكيب ينصرف عن نصرتهم ، بل أخذ يندد بمواقفهم التى وقفوها من العرب والمسلمين .

وحتى اليوم لم يحدث تغيير جوهرى فيما يتعلق بهذه الناحية ، فتركية دولة « علمانية » ، ترى نفسها أقربَ إلى أوربة منها إلى الشرق العربى الإسلامى ، والعلاقات بينها وبين العرب شبهُ محصورة فى النطاق الرسمى السياسى .

١٢ — حاول شكيب أن يجعل من تعليقاته على كتاب « حاضر العالم الاسلامى » تمهيداً لإنشاء دائرة معارف إسلامية كاملة ، كما ذكرنا ، وكان يأمل أن يجد من ورائه من يوسع النطاق ، ويُكْمِل العمل الكبير ، ولكن لما يتحقق له ما رجا ، فما زالت « دائرة المعارف الإسلامية » الموضوعة بأيد غربية فى طريق الترجمة ، ولم توضع دائرة معارف إسلامية أو عربية بأيدٍ إسلامية أو عربية .

وتقرير هذا لا يتعارض مع التسليم بأن جهوداً فردية قد بُذلت للتعريف بأحوال العرب والمسلمين هنا وهناك .

١٣ — كان شكيب مغرماً بالكتابة عن الأندلس ، وبذل فى ذلك جهوداً طيبة ، كان آخرها كتابه الذى لم يتم « الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية » ، وكان شكيب يتمنى التوسعَ فى هذه الدراسات حتى يبلغ نهاية الشوط ، ولكنه لحق بربه قبل أن يتم ما أراد .

وقد ظهرت كتب عن الأندلس قد تكون أعمقَ دراسة وتحليلا من كتابة شكيب فى الموضوع ، كما أنشىء معهد للدراسات الإسلامية بمدريد ، وهو يُعْنَى بالدراسات الإسلامية والعربية ، وفى طليعتها الدراسات المتعلقة بالأندلس ، وللمعهد مجلة منتظمة الصدور (١) .

١٤ — الحق الذى لا مرية فيه أن شكيب يحتاج إلى المزيد من الإنصاف والتقدير ، إذ لا يكفى أن تتكاثر عنه عقبَ وفاته كلماتُ التأبين والرثاء ، بل هناك ما هو أعمق وأنفع ، وإذا استثنينا الجهدَ المشكور الذى بذله الدكتور سامى الدهان كمحاولة أولى للتعريف بحياة شكيب وآثاره ؛ فإننا نجد شكيب مهضومَ الحق فى الذكر والتعريف عند الكثيرين ، بل مع أنه لم يمض على وفاته وقت طويل نجد المعلومات التى تُذكر عن حياته وأدبه تقل وتضطرب .

وهذا مثلا كتاب « مصادر الدراسة الأدبية » ، وهو أحد المراجع فى التراجم الأدبية ، نجده يترجم لشكيب ، فإذا هو يذكر فى صدر الترجمة مولد شكيب ، فلا يذكر اليوم ولا الشهر ، ويخطىء فى السنة

---

(١) ديوان ابن دراج القسطلى ، المقدمة ، ص ١٤ و ٢٣ .

فيذكر أنه ولد سنة ١٨٧٠[١] ، بينما الواقع أنه وُلد — كما بَيَّنْتُ — في ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٦٩م .

وقال الكتاب: إن شكيب تولى رياسةَ المجمع العلمى العربى بدمشق « رَدَحًا من الزمن[٢] » ، والردح هو الوقت الطويل — كما يقول القاموس — والواقع أن شكيب لم يلبث طويلا فى رياسة المجمع ، فما أسرع ما اعتذر عن عدم قبول الرياسة بسبب وجود الاستعمار الفرنسى فى سورية .

وذكر الكتاب أن شكيب « أتقن اللغات التركية والفرنسية والألمانية[٣] » . وترك الكتاب ذكرَ الإنجليزية التى تعلمها شكيب ، والتى كان يعرفها أكثر من الألمانية .

وقال الكتاب : إن شكيب « لُقِّب بحق : أمير البيان وحامل لواء الصناعتين[٤] » . وهذه عبارة يفهم منها أن لقب « حامل لواء الصناعتين » نظير للقب « أمير البيان » الذى عُرِفَ به شكيب ، أو على الأقل قريب منه فى الشيوع ، ولكننا لم نجد لقب « حامل لواء الصناعتين » بين الألقاب التى تتبعنا إطلاقها على شكيب ، وقد يكون بعضُ الكتاب استعمل هذا التعبيرَ وصفاً لشكيب ، ولكنه لا يصير بهذا لقباً يقال عنه إن شكيب لُقِّبَ به بحق .

وذكر الكتاب أن شكيب « تلقى مبادىء العلم فى بيروت[٥] » ، وهذا غير صحيح ، لأن شكيب تلقى مبادىء العلم — كما بينتُ — فى بيت والده بالشويفات ، أولا على الشيخ مرعى شاهين سلمان ، ثم قرأ

(١و٢) مصادر الدراسة الأدبية ، ج ٢ ص ٩٦ .
(٣و٤) مصادر الدراسة الأدبية ، ج ٢ ص ٩٦ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

القرآن وحفظ الكثير من آياته بعد هذا على يد أسعد أفندى فيصل في بلدة « عين عنوب » ، ثم تعلم ثالثاً فى مدرسة بالشويفات.

يقول شكيب عن نفسه وعن أخيه : « ثم أدخلونا مدرسة للأمريكيين فى حارة العمروسية بالشويفات ، فتعلمنا فيها مدة ، وقرأنا من جملة ما قرأناه الجغرافية والحساب ومبادىء الإنجليزية ، وسنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) أدخلونا مدرسة الحكمة فى بيروت[1] » .

فشكيب مرَّ بثلاث مراحل تعليمية أولية قبل أن يذهب إلى بيروت ليدخل مدرسةَ الحكمة فيها سنة ١٨٧٩ م .

وقال الكتاب : « واشترك [شكيب] مجاهداً بحرب طرابلس الغرب دفعاً لغزوة إيطالية لها ، ثم انقطع للسياحة والرحلة » . وهذه العبارة يُفْهَمُ منها أن شكيب — بعد حرب طرابلس بمدة — انحصر جهدُه فى السياحة والرحلة ، وهذا غير صحيح ، فبعد حرب طرابلس — التى وقعت سنة ١٩١١م — كان لشكيب جهود ومواقف فى الشام وتركية ، حتى انتهت الحرب العالمية الأولى ، ثم انتقل لظروف خاصة إلى أوربة ، حيث وَقَفَ نفسَه على الدفاع عن قضية بلاد الشام ، وقضايا العروبة والإسلام ، وتأليف الكتب ، وكتابة المقالات والبيانات والبحوث ، فهو إذن لم يكن مقصوراً على « السياحة والرحلة » ، وإن كان نشاطه فى أوربة قد اقتضاه أن يرحل هنا وهناك .

وذكر الكتاب أن ديوان شكيب « قد ضم إليه الباكورة[2] » . وهذا التعبير غير دقيق ، لأن الموجود فى الديوان من الباكورة هو مختارات منها — كما بينتُ ذلك — وليس كلَّ الباكورة .

---

(١) روض الشقيق ، ص ١٨ .

(٢) مصادر الدراسة الأدبية ، ص ٩٨ .

وذكر الكتاب أن « الحلل السندسية » بأجزائها الثلاثة طُبعت في المطبعة الرحمانية[1] بينما الحقيقة أن الكتاب مطبوع — كما ذكرتُ — في مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

وذكر الكتاب اسم « خلاصة تاريخ الأندلس » على أنه كتاب لشكيب ، ثم قال : « ويليه رواية آخر بني سراج [2] » . وهذا قَلْبٌ للوضع الصحيح ، لأن رواية بني سراج — كما أبنتُ — هي الأصل في الطبع ، وتليها « خلاصة تاريخ الأندلس » .

وذكر الكتاب اسم « محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي » ضمن مؤلفات شكيب ، وهو ليس من مؤلفاته ، بل من منشوراته ، فكان الواجب أن يُذْكر ضمنَ ما ذكره من كتب أحياها شكيب .

وذكر الكتاب اسم « النهضة العربية في العصر الحديث[3] » ضمن مؤلفات شكيب ، وصحة الاسم « النهضة العربية في العصر الحاضر » .

ولم يذكر الكتابُ ضمن آثار شكيب تعليقاتِهِ على تاريخ ابن خلدون ، ولا نشره لديوان شقيقه « روض الشقيق » .

وذكر الكتاب من كتب شكيب التي لم تنشر ثلاثةَ كتب فقط مع أنها بلغت — كما ذكرتُ — ثلاثةَ عشر كتاباً .

فإذا كانت هذه المآخذ التي ذكرتها قد وقعت مجتمعة في ترجمة لم تستغرق أكثر من ست صفحات — فهي أكثر من غيرها حاجة إلى التدقيق مع التركيز — وهي في كتاب ضخم مطبوع سنة ١٩٥٦م ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٩ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .

أى بعد وفاة شكيب بعشر سنوات فقط ، ومن كاتب فاضل متخصص فى التراجم ، وهو لبنانى يعيش فى بلد شكيب ، وهو متقدم فى السن حين نشر كتابه ، ولعله رأى شكيب واجتمع به .

إذا كانت هذه المآخذ قد وقعت — والحال ماذكرتُ — فكيف إذا طال المَدَى على رحيل شكيب من هذه الحياة ؟ أوْ كان الكاتب غيرَ متصل ببيئة شكيب ، أو غير متمكن من مصادره ومراجعه ؟ .

أخشى إذا أهملنا العنايةَ بسيرة شكيب وكتبه وآثاره أن يزداد الجيل الصاعد به جهلا وعنه بُعدا .

نتائج البحث

لا أريد هنا أن ألخص أبوابَ البحث السابقة ، ولا أن أنص على كل مسألة عالجتُها ، وإنما أكتفى بذكر عدة أمور أحسبها نتائجَ لهذا البحث لعلها تكون ذات قيمة :

١ — فى الباب الأول صورت عصرَ شكيب من النواحى السياسية والاجتماعية والأدبية . وأوضحت كيف كان عصراً ممتلئاً بالأحداث الكبرى ، سواء منها ما يتعلق بالدولة العثمانية ، أو ما يتعلق بالعلاقة بين الأتراك والعرب ، أو ما يتعلق بداخل البلاد العربية من ناحية الثورة والاحتلال والتقسيم ، وغير ذلك .

ثم انتقلت فى الباب الثانى إلى حياة شكيب ، فتتبعتُها من المولد إلى الوفاة ، وذكرت تفاصيلَ عن هذه الحياة لم يسبق ذكرُها فى بحث أو تأليف ، وبخاصة ما يتعلق بوالدة شكيب وزوجته وأولاده وتنقلاته ، وذلك لأننى استقيتُ هذه المعلومات من زوجة شكيب وأصدقائه ، ومن رسائل شكيب الخطية إلى السيد رشيد رضا ، وهى الرسائل التى وُفِّقْتُ إلى العثور عليها وجمعها ، ومن الصحف والمجلات التى كانت تعنى بأخبار شكيب .

وحددت الذين تأثر بهم شكيب سياسياً ، وفكرياً ، وأدبياً ، والعوامل التى كونت شخصيته .

٢ — فى الباب الثالث حققت المؤثرات التى دعت شكيب إلى « السجع » فى كتابته ، وبخاصة مقدمات كتبه ، وأبنت لماذا كان يعاوده الحنينُ

إلى السجع من حين إلى حين ، بعد أن عرف الترسل ، واشتغل بالتأليف والكتابة المختلفة الأغراض ، المقتضية لترك المحسنات اللفظية .

٣ — وفى الباب الثالث أيضاً أبنتُ أثرَ « الجملة القرآنية » فى كتابة شكيب ، ولم يسبق أحدٌ إلى الحديث فى هذا الموضوع ممن تكلموا عن شكيب ، وتتبعت ملامح هذه « الجملة القرآنية » فى أدبه ، ما بين استشهاد ، واقتباس ، وتضمين ، وذكرت الأسبابَ التى دفعت بشكيب إلى الاهتداء بضوء « الجملة القرآنية » .

ثم استكملت بحثَ هذه الناحية الطريفة فى دراسة شكيب ، فتحدثت عن « الجملة القرآنية » فى شعره ، وتتبعت مواطنها ، ومازالت فى النفس نية العودة إلى هذه الجملة فى مقام آخر .

وأبنتُ المواضعَ التى خان شكيب فيها التوفيقُ حين اهتدائه بالجملة القرآنية .

٤ — وفى الباب نفسه استخلصت ظاهرةً أدبية فى كتابة شكيب وشعره ، وهى « جلجلة العبارة » التى تقوم على الاستعانة بألفاظ فيها شدة صوتية ، أو طول فى مبناها يقصده المتكلم لتقوية معناها ، على أساس أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وما رأيت أحداً تعرض لهذه الناحية من كتابة شكيب .

٥ — وفى الباب نفسه ربطتُ بين أدب شكيب وحياته ، وأبنت فى مواطن مختلفة كيف كانت كتابة شكيب وقصائده وثيقةَ الارتباط بأحداث عصره ووقائع حياته ، وكيف تأثرت كتاباته تأثراً واضحاً بهذه الأحداث والوقائع ، وأبنت ما لذلك التأثر من حسنات ، وما عليه من مآخذ .

٦ — تتبعت إطلاقَ لقب « أمير البيان » على شكيب أرسلان ، وحاولت أن أعرف أول مرة أطلق فيها هذا اللقب عليه ، وأول من أطلقه ، فكدت أجزم بأن السيد محمد رشيد رضا هو أول من فعل ذلك فى سنة ١٩٢٤ ، وأثبتُّ أن رشيد كان يخاطب شكيب بهذا اللقب فى الوقت الذى نجد فيه الصحفَ والمجلات التى يكتب فيها شكيب وتمجده لا تطلق هذا اللقب عليه . .

كما تتبعت الألقابَ المختلفة التى كانت تطلق على شكيب تقديراً أو مجاملة ، ونصصت على مواطن استعمالها .

٧ — حصلت بعد جهد على نسخة ديوان « باكورة » التى طالعها شكيب بنفسه ، وعلّق عليها بخطه ، وحذف منها ما حذف ، وأضاف إليها ما أضاف ، وعدَّل فيها ما عدل ، واعتمد عليها عند طبع ديوانه فى تضمينه ما تضمَّنه من شعر هذه الباكورة .

وفوق ما لهذه النسخة فى ذاتها من قيمة ، اتخذتها فى الباب الرابع رائداً فى بيان التغييرات التى أدخلها شكيب على ديوانه الأول ، واستخلصت الأمورَ التى تدل عليها هذه التغييرات .

٨ — إذا كان بعض المتحدثين عن شكيب قد أشار إلى تقليده للسابقين فى شعره ، فإنه لم يتحدث أحدٌ منهم عن تقليده للمعاصرين ، وقد بحثت فى الباب الرابع أيضاً تقليدَه للسابقين ، ثم استخلصت من شعره أمثلةً لتقليده لمعاصريه من الشعراء فى الفكرة أو فى الصورة .

٩ — تحدثت عن ظاهرة « التكسب الأدبى بالشعر » عند شكيب ولم يسبق أحد بالحديث عن هذه الناحية عند شكيب فيما أعلم ، وأبنت أن هذا التكسب الرفيع كان من دوافع شكيب إلى معارضة مَنْ عارض من الشعراء الأعلام فى عصره .

١٠ — قرر بعض الباحثين أن الشعر العربى فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يكاد يكون خلواً من شعر المواعظ ، فأبنت خطأ هذا القول ، ودللت من شعر شكيب على وجود هذا اللون من الشعر فى تلك الفترة .

١١ — راجعتُ شكيب فى طائفة من آرائه عن الشعر وأحكامه على الشعراء ، وأوضحت ما فيها من تعميم ، أو توسع ، أو غموض ، أو اضطراب ، أو تناقض ؛ وأظهرت كيف قدَّم رجلا وأخر آخرى فى تحديد «أمير» الشعراء فى رأيه ، ورددت عليه قوله إن حافظ إبراهيم هو «إمام النثر غير مدافع» ! .

١٢ — أوضحت المآخذَ التى تؤخذ على أدب شكيب من الارتجال فى التأليف ، والاستطراد ، والإسهاب ، والتكرار ، والتوسع الزائد عن الحد فى التعليق والتحشية .

كما أخذت عليه تصنعهَ فى الشعر ، وإسرافه فى إيراد المفردات الغريبة أحياناً ، وفى النقل والاستشهاد أحياناً ، وشدتَه فى العبارة مع مُنَاقِشه أحياناً ، وأنصفت منه خليل السكاكينى فى هذا المقام .

١٣ — أقمت الدلائلَ على أن شكيب كان من الرواد الذين سبقوا فبذلوا جهودهم فى حركة الإحياء اللغوى فى أواخر القرن التاسع عشر ، وظل باللغة حَفِياً إلى ما قبيل منتصف القرن العشرين حيث لحق بربه .

وأظهرت كيف كان طويلَ الباع فى مساجلاته اللغوية مع الأعلام من معاصريه ، وكيف دعا — رغم حِفاظه على اللغة — إلى التوسع فيها ، وتطعيمها بما لا يتعارض مع قواعدها وذوق أهلها ، من المولَّد ، والمعرَّب ، وغيرهما ، وإلى عدم الاقتصار على ما فى المعاجم ، لأن كتب العربية فيها الكثير .

ونوهت بتعريبه الكثيرَ من الأعلام ، وبردِّه الكثيرَ من العامى إلى الفصيح .

١٤ — أحصيت كتبَ شكيب وآثاره ، ووصفتها ، وعلقت عليها بملاحظات ، وذكرت الدوافع التى دفعته إلى تأليفها ، وشرحت ارتباطها بالأحداث التى كانت قبيل وضعها أو صاحبتها .

واستقصيت فى ذلك الباب مؤلفاتِ شكيب ، والكتب التى حققها ونشرها ، والتى علق عليها وحَشَّى لها ، وكتبه المخطوطة التى أتمها ، والتى نشرها مقالات ولم يجمعها فى كتب ، والتى شرع فيها ولم يتمها ، والكتب التى فكر فيها ، أو وعد بها ، ولم يتمكن من إظهارها .

ولعلى لا أكون مجازفاً ولا مباهياً إذا قلت إن هذا الباب أوسع ما كتب عن مؤلفات شكيب وآثاره ، وقد استبحت أن أذكر فيه بعض النصوص أو الشواهد التى سبق لى الاستئناس بها ، وذلك لكى تكون الصورة عن كتبه حاضرة متكاملة .

١٥ — صححت الكثيرَ من الأخطاء التى وقعت فى كلام من تكلموا عن شكيب فى تراجم وجيزة أو مبسوطة ، دون أن أبخسَ هؤلاء الفضلاء حقَّهم ، وأقربُ شاهد على ذلك تصحيحُ ما جاء عن شكيب فى كتاب « مصادر الدراسة الأدبية » .

١٦ — وفقنى الله تعالى إلى العثور على رسائل شكيب إلى السيد رشيد رضا ، فتتبعتها ، وجمعت منها ما يقرب من مائة وثلاثين رسالة تتحدث فى السياسة ، والأدب ، واللغة ، والعرب ، وغير ذلك من الشئون .

ولهذه الرسائل قيمتها الأدبية الجليلة ، وقد اكتفيت مضطرا بذكر خمس وخمسين رسالة منها ، جعلتها ذيلا للرسالة . وكنت أود لو اتسع

النطاق لدراستها والتعليق عليها رسالةً بعد أخرى ، ومقابلتها بأجوبتها الموجودة فى كتاب « السيد رشيد رضا » ، ولعلى أفعل هذا بمشيئة الله فى مجال آخر .

١٧ — جمعت أكثرَ من عشرين قصيدة ومقطوعة شعرية لشكيب لم تُنْشر فى ديوانه ، وقد جعلتُ هذه المجموعة ذيلاً ثانياً للرسالة ، وقصدت أن يكون ذلك الجهد خطوةً لتجميع شعر شكيب كله وتحقيقه ، تمهيداً لطبعه مع آثاره الأخرى ، والله وليّ التوفيق .

الملحق الأول للرسالة

من رسائل شكيب إلى رشيد رضا

مرسين ٢١ مارس ١٩٢٥

سيدي الاخ الاستاذ

منذ اربعة ايام وصلت الى مرسين وشاهدت العائلة ولله الحمد بكمال العافية واستقررت الآن بهذه البلدة، ولزمت منزلي قلّما اخرج الا لغرض اذ كان عليّ كتابات كثيرة لا بد من انجازها

ارجو من فضلكم ان تبعثوا لي ابن سراج المطبوع من اوله الى آخره، مع جدول اصلاح الغلط الذي كنت بعثت به من جنيف وذلك حتى اصحح ما يبدو لي واكمل الجدول المذكور، واعيد اليكم الكراريس، ويبقى تجديد طبع الملزمة المعهودة وطبع الكتاب الذي ارسلناه اخيراً مع الرسائل الاربع من ابن الاحمر

ومروا بارسال ما ترسلونه مضموناً بالبريد . احمد زكي باشا لم يرسل لي رأيه عن اسم مؤلف "اخبار العصر في نهاية ملك بني نصر"، ولعله في البحث والتنقيب واما احمد باشا تيمور فلعلكم سألتموه عن هذه المسألة. هذا وانا بانتظار جوابكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم
شكيب
ارسلان

اهنئكم برمضان المبارك اعاده الله عليكم
وعلى آلكم وعيالكم اعواماً رخيّة بالعز والاقبال
ووفقكم لاجر صيامه وقيامه بياض الايام
وسواد الليالي آمين

"صورة رسالة بخط شكيب"

رسائل شكيب إلى رشيد

أصدر شكيب كتاباً ضخما بعنوان « السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة » ، وهذا الكتاب من حقه أن يُنسب إلى رشيد لا إلى شكيب ، لأن شكيب قد نشر فيه مجموعةَ الرسائل التى بعث بها رشيد إليه ، ومعها مقالات أخرى لرشيد ، وعلق شكيب على هذه المجموعة ، وقدَّم لها .

وقد حذف شكيب أجزاء مختلفة من هذه الرسائل عند نشرها ، كما أن المنشور منها يحتاج فى فهمه فهماً كاملا إلى الوقوف على مقابلها ، وهو رسائل شكيب إلى رشيد ، ولذلك تمنى الكثيرون من قراء شكيب أن يطالعوا رسائلَه هذه ، لتكمل عندهم الصورة عن مراسلات شكيب ورشيد ، وقد استطعت أن أجمع نحو مئة وثلاثين رسالة مخطوطة من رسائل شكيب إلى رشيد ، واستغرق جمعى لها أكثرَ من عامين ، حيث بذلت فى ذلك من الجُهْد ما الله به عليم ، إذ كانت هذه الرسائل مفرقةً مطمورة خلال تلال من الرسائل الأخرى ، والأوراق المتعددة ، والمقالات المتناثرة ، ضمن ما خلَّفه السيد رشيد رضا من أوراق وغيرها .

وكان لا بد من مراجعة هذه التلال وفحصها لاستخلاص تلك الرسائل من بينها ، وأعاننى على ذلك الأستاذ المعتصم رضا نجل السيد محمد رشيد رضا ، وقد أذن لى متفضلا بطبعها ونشرها مع الرسالة ، واستطعت بعد وقت طويل ومجهود عنيف أن أحصل على هذه الرسائل وأرتبها ، وأخذت أدرسها وأنقل عنها ، ولكن الحصول عليها جاء على دفعات فى أوقات ، فمنها القليل الذى عثرت عليه وأنا أكتب صدر هذا البحث عن شكيب ، ثم توالى العثور على هذه الرسائل شيئاً فشيئاً ، وبحثى عن شكيب تتكامل أبوابه وفصوله ، ومن الرسائل قدر حصلت عليه بعد أن استوفى هذا البحث أركانه ، وأتممت أبوابه .

والواقع أن تنقيبي عن رسائل شكيب إلى رشيد وغيره قد بدأ حينما اخترت شكيب موضوعا للبحث ، وأذكر أني نشرت في عدد ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٥ من جريدة « منبر الشرق » رسالة من شكيب إلى رشيد ، تاريخها هو ١١ شوال ١٣٣٤هـ ، مع تعليقي عليها ، وفي عدد ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٥ من مجلة « الصباح » المصرية نشرت رسالة من شكيب إلى رشيد تاريخها هو ٢١ مايو سنة ١٩٢٤ ، وعلقت عليها ، وفي عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٥ من جريدة « منبر الشرق » نشرت رسالة من شكيب إلى فؤاد أباظة ، تاريخها ٤ يوليه ١٩٣٩ .

كما حصلت على رسائل أخرى من شكيب إلى أدباء أو علماء ، ولا يتسع المجال للحديث عنها .

وكان بودي أن أجعل هذه الرسائلَ كلها ملحقاً لبحثي ، مع تعليقي عليها ونظري فيها ، ولكني نظرت فوجدت حجمَ البحث قد استوفى حظَّه ، أو كاد يزيد عنه ، ومجموعة الرسائل — مع التعليق عليها والنظر فيها — قد تصير في مثل هذا الحجم أو تزيد .

فهل أصرف النظرَ عن إثباتها هنا لأشغل نفسي بدراستها في مجال آخر ؟ .

ولكن الرسائل لها قيمة أدبية وتاريخية كبيرة ، والتوفيق في العثور عليها ولَمِّ شتاتها أمر يستوجب من الإنسان الحمد لربه ، وهي تلقي أضواء ساطعة على أمور كثيرة لعلها ما زالت مبهمة أو غامضة ، وأنا أذكر كلمة الدكتور سامي الدهان حيث يقول : « بقيت رسائل شكيب [إلى رشيد] لم تنشر حتى اليوم ، وهي في حوزة آل رضا من غير شك ، وهم كرام سراة علماء ، يقضون حق الوفاء ، ويعملون قريباً — إن شاء الله — على نشرها وجمعها ، خدمة للإخاء ، كما فعل شكيب في شأن سيدهم وعميدهم ، فنشر فضله وعلمه ، وكرَّمه أي تكريم في هذا الكتاب »[1] .

---

(١) الأمير شكيب أرسلان ، ص ٣٥٧ .

فماذا أصنع ؟ . إن مالا يُدرَك كله لا يترك كله .

اخترت أمراً وسطاً ، وهو أن أثبت هنا الرسائل التى لها مزيد صلة بأبواب هذا البحث ، بأن تكون قد تحدثت عن حياة شكيب أو كتبه أو لغوياته أو أدبه ، مع ما تتعرض له من أمور أخرى — وبذلك يكون هذا القدر من الرسائل مرجعاً لبعض ما جاء فى البحث أو توثيقاً له ، وإن تكن مجموعة الرسائل فى الواقع — بحاجة إلى دراسة وتعليق ، وربط بينها وبين رسائل رشيد المنشورة فى كتاب شكيب عنه ، وقد تتهيأ لنا هذه الدراسة فى مجال آخر ، لنقول فى هذه الرسائل ما لها وما عليها .

وقبل إثبات ما اخترته من رسائل شكيب المخطوطة أحب أن أذكر عن رسائله كلِّها إلى رشيد طائفةً من الملاحظات تلقى ضوءاً عليها :

١ — وجدت هذه الرسائل داخل أغلفتها ، والنادر منها ما كان خارج غلاف ، ويكتب شكيب على ظهر الغلاف فى أغلب الأحيان العنوان هكذا : « حضرة الأستاذ الأكبر السيد رشيد رضا — دار المنار رقم ١٤ شارع الإنشاء بالقاهرة » . ويكتب اسم القاهرة غالبا بالفرنسية بعد كتابته بالعربية ، وسبب ذلك أن الرسائل تصدر عنه من بلاد أوروبية .

٢ — أغلب هذه الرسائل بخط شكيب ، والقليل منها بخط غيره حينما كان يضعف عن الكتابة فيملى على آخر ، ثم يوقع شكيب الرسالةَ بخطه ، وإذا أملى فإنه يراجع الرسالة بعد إملائها ، بدليل أنه يضيف إليها ، أو يعدل فيها .

٣ — يكتب شكيب رسائله بالخط « النسخ » ، مع ميله إلى خط « الرقعة » فى بعض الحروف ، وحروفه كبيرة واضحة ، كأنها كتابة عناوين ، والكلمات غير متلاصقة ، وخط شكيب أنيق واضح ، فهو مثلا

يكتب السين أو الشين بأسنان ، ويحرص على فتحة القاف ووضع نقطتين منفصلتين فوقها ، وهكذا .

٤ — لا يتبع شكيب القاعدة الإملائية دائماً ، فهو مثلا يكتب كلمة « مسألة » هكذا « مسئلة » ، وهو لا يضع الهمزات الواجب وضعها .

٥ — يكتب شكيب بالحبر دائماً ، وهو يكتب الورقة أحياناً من صفحتيها ، وفى بعض الأحيان يكتب على صفحة واحدة من الورقة ، وهو يضبط بالشكل الكلماتِ التى يراها محتاجةً إلى الضبط .

٦ — لا يلتزم حجماً معيناً من الورق ، فأحياناً يكون الورق من الحجم الكبير ، وأحياناً من الحجم المتوسط ، وأحياناً من الحجم الصغير . والكثير من هذه الرسائل مكتوب على ورق مطبوع عليه أسماء فنادق ، فهذا فندق فى لندن ، وثان فى لوزان ، وثالث فى باريس .. إلخ ، مما يدل على انتظام شكيب فى الكتابة خلال رحلاته وتنقلاته بين هذه الفنادق .

٧ — لا يضع شكيب علامات ترقيم إلا نادراً ، وقد وضعت من هذه العلامات قدراً يعاون على تنسيق الكلام .

٨ — تختلف الرسائل من ناحية الحجم ، فتارة تكون فى صفحة أو نصف صفحة ، وتارات تكون فى عشر صفحات ، أو خمس عشرة صفحة ، والملاحظ أنه يطيل إذا كان يتحدث فى الشئون السياسية والقومية ، أو كان يدافع عن نفسه ، أو يفند تهمة نُسبت إليه .

٩ — كان بينه وبين رشيد ما يشبه الشفرة — فيما يظهر — بدليل قوله فى رسالة تاريخها ٢٨ ديسمبر ١٩٢٥ : « واليوم أبرقت إلى القدس بما يفيد هذا المعنى بحسب الإصطلاح الذى بيننا » ، وفى رسالة تاريخها ٣ يوليه

عام ١٩٢٤ نجد رمزاً إلى بعض الأشخاص برسوم بلموية غير واضحة ، ويبدو أن الخشية من رقابة البريد ، أو ضياع الرسائل ، كانت تدعوه إلى هذا الرمز .

١٠ — مما يتصل بالملاحظة السابقة أن شكيب يستعمل بعض الصفات للدلالة على بعض الأشخاص على طريقة الرمز أو للاختصار ، وقد استخلصتُ من قراءتي للرسائل وتتبعي لموضوعاتها هـــذه الرموزَ ومن تدل عليها ، وهي :

شريفنا = الشريف حسين بن علي شريف مكة .

السنوسي = السيد أحمد الشريف السنوسي .

ابن لطف الله = الأمير ميشيل لطف الله .

زيد = زيد بن الحسين بن علي .

الجناب العالي = الخديوي عباس حلمي الثاني .

المحنَّك = الخديوي عباس حلمي الثاني .

الشريف = الشريف حسين بن علي .

مفتي القدس = الحاج أمين الحسيني .

صاحب نجد = عبد العزيز بن سعود .

س . س = سليم سركيس .

حبيبنا الأمير = الأمير حبيب لطف الله .

جلالة المنقذ = الشريف حسين بن علي .

المنياوي = الشيخ فرج المنياوي .

الهمام = الملك عبد العزيز بن سعود .

الجددى = محمد صادق الجددى .

صاحب الشورى = محمد على الطاهر .

أبو الحسن = محمد على الطاهر .

ذلك الرجل = الخديوى عباس حلمى الثانى .

باطل الإسلام = مصطفى كمال أتاتورك .

الجناب العالى السابق = الخديوى عباس حلمى الثانى .

١١ — شكيب يؤرخ رسائله أحيانا بالتاريخ الميلادى ، وأحياناً بالتاريخ الهجرى ، ويضع التاريخ دائماً فى صدر الرسالة ، وأحيانا يكتب اليوم والشهر ويترك السنة اتكالا على أن المرسل إليه يعرفها من زمن إرسال الرسالة ، وأحياناً لا يكتب شيئاً من التاريخ .

١٢ — لا يذكر شكيب اسم السيد رشيد رضا فى صدر الرسالة ، بل يكتفى بالنعوت والصفات ، مثل « حضرة مولانا الأستاذ والأخ الحميم » ، أو « أخى الأستاذ » أو « مولاى الأستاذ » ، أو « سيدى الأخ ومولاى الأستاذ » . . . إلخ .

١٣ — بعد ذكر عبارة المخاطبة الأولى يبدأ فى موضوع الرسالة دون عبارة تحية ، فهو لا يقول مثلا : « والسلام عليكم ورحمة الله » ولا يقول : « تحية طيبة » ، بل يشرع فى الموضوع مباشرة .

١٤ — يغلب عليه أن يختم رسالته بجملة : « والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ، أو بجملة : « وأطال الله بقاءكم » .

١٥ — فى أكثر الأحيان يكون توقيع شكيب على الرسالة هو « أخوك شكيب أرسلان » ، ولكنه يضع هذه الكلمات الثلاث فى خط

رأسى ، فكل كلمة منها تحت سابقتها ، فكلمة « أخوك » فى سطر ، وكلمة « شكيب » تحتها فى سطر ، وكلمة « أرسلان » تحتها فى سطر ، وأحياناً يجعل التوقيع : «أخوك أبو غالب» ، وتكون كلمة «أخوك» فوق كلمة « أبو غالب » .

١٦ — يضع شكيب على الرسائل حواشىَ أحيانا ، وتأتى هذه الحواشى فى نهاية الرسالة غالبا ، وأحيانا يضع الحاشية فى رأس الرسالة بجوار تاريخها ، وأحيانا يجمع بين الأمرين ، فيضع حواشيه فى رأس الرسالة وفى ذيلها .

١٧ — يجعل شكيب للرسالة ملحقا أحيانا ، ويكتب عليه أحيانا كلمة « خصوصى » ، ويقول لرشيد إن هذا « الخصوصى » لا يجوز اطلاع غيره عليه ، وكان شكيب يبيح لرشيد أن يُطْلع اللجنةَ التنفيذية للمؤتمر الفلسطينى السورى بالقاهرة على رسائله ماعدا « الخصوصى » منها .

١٨ — وفى بعض الأحيان يجيب شكيب على رسالة رشيد ، ثم يجعل للرسالة ملحقاً يدير الحديثَ فيه حول المسائل اللغوية التى يتباحثان فيها .

١٩ — بعض هذه الرسائل نشره رشيد فى مجلته « المنار » ، إما بنصه ، وإما بعد تعديله ، أو حذف شىء منه ، وقد وجدت طائفةً من التعديلات والتعليقات مكتوبة بقلم رشيد على طائفة من الرسائل ، مما يدل على أنه كان بذلك يهيئها للنشر ، ولكن أصل الرسالة واضح يمكن إثباته كما كتبه شكيب .

٢٠ — هناك عدد قليل من هـــذه الرسائل ناقص ، فإحدى الرسائل مثلا ضاعت منها ورقة فى وسطها ، وثانية ضاعت منها ورقة أو أكثر فى آخرها ، وهكذا .

وأثبت فيما يلى هذه الرسائل مع بعض تعليقاتى عليها ، وسأجعل لها أرقاما مسلسلة ، والحواشى أضعها فى آخر الرسالة ، وأبدأ بكتابة ما جاء منها فى رأس الرسالة ، ثم ما جاء بذيلها ، وأرقم هذه الحواشى حسب ورودها .

— ١ —

برلين ٤ ٢ ك ١٩٢٢[١] .

أخى الأستاذ .

هذه المرة الرابعة التى أكتب إليك بها من برلين ، وفى كل مرة أبعث إليك بطائفة من ذكريات الحرب ، لتعلم بالوثائق ماذا عملته أنا ، وتنشر ما شئت فى المنار ، على أنك إن لم تنشر منها شيئاً فلابد من نشر مقالة المجاعةهذه بحذافيرها ، لأنها مقالة تاريخية لم يُكتب فى موضوعها مثلها .

أنا منتظر جوابك على وصول كل ما بعثت إليك به ، وعلى ملاحظاتك بذلك .

« المنار » الأخير وصل وقرأت أكثره . أما رسالتى : « سورية عربية أولا وآخراً » فلم أرها ولا فى عدد ، فهل هى آتية فيما بعد[٢] ؟ .

صرت أرسل إليك فى البريد القادم : « انتداب العرب على سويسرة فى القرون الوسطى » ، لأننا فرغنا من ذكريات الحرب التى اقتضاها افتراء الأراذل اللئام . . .

إن لم يمكنك نشر ذكرياتى الحربية فى « المنار » فأرجو لفَّها كلها فى ظرف واحد كبير مضمون ، وإعادتها إلىّ ، لأننى أرسل بها حينئذ إلى جريدة « البيان » أو « الوطن » بأميركة[٣] .

---

(١) تاريخ الرسالة هو ٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٢ . وهى صفحة واحدة على ورقة متوسطة الحجم .

(٢) علق رشيد هنا بالقلم الرصاص بقوله : « هى فى الجزء الثامن » أى من المجلد الثانى والعشرين من « المنار » وقد نشر رشيد مقالات « ذكريات الحرب » لشكيب تحت عنوان : « كوارث سورية فى سنوات الحرب » فى المجلد الثالث والعشرين من المنار .

(٣) فى الأصل : أميركا .

مسألة الإعلانات أنا مشتغل بها[1] ، وسأفيدك عما يتم بها ، وساعة تحريره عندي الوسيط مدعواً للغداء ، وقد أطلعته على (المنار) ، وقلت : هذه مجلة العالم الإسلامي .

سروري بوصول « صبح الأعشى[2] » فوق الوصف ، وقد بدأت بتجليده . هذا دائرة معارف الأدب العربي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وسلامي إلى حضرة السيد عاصم　　　　أخوك

شكيب أرسلان

— ٢ —

لوزان ٢٢ ديسمبر[3] ١٩٢٢ .

مولاي الأستاذ .

أخذت أمس كتابك العظيم ، وسمرت عند صاحبنا « المحنَّك » الذي نراه دائماً ، وتلوته عليه فاهتز له كثيراً ، وأثنى على الأستاذ السيد ثناء طويلا عريضاً ، وقال إنه من الأول كان يقدِّر الأستاذَ قدره ولا يزال ، ولما وصلنا إلى عبارة : « واحسرتا على ما فاتني من لقائه في العام الماضي » ضحك واستغرب وقال : أي والله . وهو يهديك مزيدَ السلام ، وكان حديثه هذا أمام « بركة الله » الهندي المشهور الذي هو هنا في هذه الأيام ، وقد طلب مني تقديمه إلى « المحنك » ففعلت .

---

(١) يظهر أن المراد هو الإعلانات التي تنشر في المنار .

(٢) يقصد كتاب « صبح الأعشى » ، وكان شكيب قد طلب من رشيد شراء نسخة له وإرسالها إليه .

(٣) هذه الرسالة في أربع ورقات صغيرة الحجم ، منها ورقة بيضاء ، والثلاث الباقية كل منها مكتوبة من الجهتين .

بهذا العجالة لا أجاوب على جميع كتابك ، لأن فيه مواضيع كثيرة ، وأنا الآن أشغل من ذات النحيين على رأى الشيخ أحمد عباس ، وإنما أجاوب على قضية المقالة التى أرسلتها إلى الأخبار : إن جملة : « ليس فى قرار أنقرة ما يخالف الشرع » مازال منذ أرسلت بالمقالة ضميرى يؤنبنى عليها ، وما حملنى عليها سوى مصانعة أنقرة ، حتى لا نفشل فى سياستنا مع وفدها بلوزان ، لأننى كتبت المقالة فى رومة وأنا على أوفاز[1] إلى هنا ، فخفت أن يغضبوا من المقالة ويسيئوا إلينا ، وأتعرض لملامة اللجنة التنفيذية التى ربما قالت : إن مقالتك هذه قد حملت الوفد التركى على الضرر بالمصلحة السورية ، لأنك أنت من الوفد السورى .

أما الآن فلم يبق مانع من نشر ذلك وحذف جملة : « ليس فى قرار أنقرة ما يخالف الشرع » . وأن يقال هكذا : (إن كان فى قرار أنقرة ما يخالف الشرع فقد وقعت فى الماضى من تاريخ الإسلام مخالفات أعظم) .. إلخ ، هكذا أراه أوفق .

رحم الله أستاذنا الإمام[2] القائل : « ما دخلت السياسة شيئاً إلا أفسدته » ، فأنت حر أن تأخذ المقالة من الأخ الرافعى[3] ، وتنشرها فى « الأخبار » أو فى « المقطم » كما تريد ، وتوعز إلى مكتب الاستعلامات السورى أن يبعث إلىَّ من الأعداد التى تنشر بها ثلاثَ نسخ . أشكرك جداً على تصحيح الآية الكريمة على وجهها ، وكما علمت لم يكن معى مصحف أراجعه .

مقالات السيد العلوى فى « الأخبار » وصلتنى ، وسأطلع الجابرى والأصيل مندوب الحسين والوفد العراقى عليها ، وأقول لهم : هل يجوز مثل هذا التحريض من الملك نحو الكماليين ؟ وهل ينتظر من الأتراك أن يحافظوا على العرب بعد أن

---

(١) الأوفاز . جمع وفز ، وهو العجلة ، يقال : نحن فيه على أوفاز ، أى فى عجلة .
(٢) يقصد الإمام الشيخ محمد عبده .
(٣) جميل الرافعى .

تكفرّهم «القبلة[1]»، ونفضل اليونان والفرنسيين عليهم، فضلا عن الإنكليز.. إلخ.
لأنهم بمجرد ما سمعوا من كون الأتراك[2] قرروا تركَ البلاد العربية إلى الحلفاء بدلا من أن يزعلوا رأيتهم فرحوا، وذلك لأن أساس سياستهم هو التماس العذر للشقاق وفك عرى الجامعة الإسلامية.

أرسلت بتاريخ ١٧[3] تقريراً إلى اللجنة رسمياً، ثم فى ٢١ تقريراً آخر، لابد أن تطلعوا عليهما لتعلموا تطورات الحالة هنا، وأستغنى عن التكرار مع ضيق وقتى.

ترون أن حبيب لطف الله ليس فقط غشنا، ونكث بوعده معنا، وكلفنا أن نؤدى من كيسنا ٤٥٠ ليرة إنكليزية هو ونفس أخيه[4]، بل لما رأى أننا نهضنا بالحملة، ونجح شغلنا فى إيطالية ذهب إلى لندرة، واغتنم فرصة مجىء موسولينى إلى هناك ليختلف إليه، وآخر مرة يقابله ويزعم له أنه هو الرئيس[5]، وهو الأصل، ولولاه لم يكن شىء، وأنه هو الذى أرسلنا إليه عندما ذهبنا إلى ميلانو.. ولا نعلم ماذا هذى غير ذلك.

نعم عندما جاء حبيب إلى هنا، وكان بلغنا الخبر من نفس البعثة الإيطالية سألناه عن ذلك، فأنكر أن يكون قابل موسولينى، لأنه يعلم ماذا قال...

ثم علمنا أنه أثناء وجوده هنا قابل بعض البعثة البولشفية وقال لهم: إنه هو الرئيس وإن المفاوضات ينبغى أن تكون معه؛ وكانوا صدّقوا ذلك، لمّا رأوا اسم أخيه رئيساً

---

(١) مجلة كان يصدرها شريف مكة الملك حسين بن على بمكة، وكانت تحمل على شكيب بعنف.

(٢) شكيب يكتب الكاف المفصولة غالبا هكذا. «كـ».

(٣) يقصد ١٧ ديسمبر ١٩٢٢. ويقصد باللجنة اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى.

(٤) هو ميشيل لطف الله.

(٥) أى رئيس الوفد السورى الفلسطينى فى أوربة.

فى النداء الذى طبعناه عامَ أول ، غير أننا أفهمنا البولشفيك والطليان الحقائق ... ولا تخافوا من أن يكون وقع قصور فى الإيضاح .

من أهم ما سأكتب إليك عنه المرة الآتية كتاب ستودورت الأميركانى المسمى « العالم الإسلامى الجديد[1] » ، الذى هو خير ما ألف فى هذا الباب ، وصل سنة ١٩٢١ وندر أن يكون أوربى فهم الإسلام والشرق من ماض وحاضر فَهْمَ هذا الرجل ، واطلع على ما اطلع عليه بشأنهما . مترجم إلى الفرنسوية ، وقد نقله عجاج نويهض إلى العربية ، وأرسل يعرض على أن أطالعه قبل طبعه ، وأعلق عليه ماشئت ، وأجبته إلى ذلك .

وقد رأيت كثيرين طالعوه ، ومنهم الكونت أوستروروغ الذى هو من أحسن المستشرقين ، وأعلم علماء أوربة[2] مترجم «الأحكام السلطانية[3]» إلى الفرنساوى ، هذا أيضاً يقول فى هذا الكتاب قولى .

ثم كتاب آخر اسمه « الإسلام ماضيه وحاضره ومستقبله » لزويمر الذى هو من زعماء التبشير بالمسيحية ، طاف فى اليمن وعمان ، ورأس مؤتمرات التنصير فى القاهرة سنة ١٩٠٦ ، وفى لكنو سنة ١٩١١ ، وكتابه أفيد ما أُلِّف للاسلام ، لا بكونه ينصفه ، ويحذر أوربة من الجور عليه نظير ستودورت ، بل لكونه يحمل عليه حملةً شديدة ، ويحث أوربة على استعمال قوتها السياسية ، واغتنام ضعف الإسلام الحاضر ، لأجل القضاء على الدين الإسلامى ، وهو يكشف لنا مكايد ودسائس لم نكن نعرفها ، ويبين لنا جمعيات التنصير فى بلد من بلاد الإسلام ، وأين نجحوا ، وأين لم ينجحوا ، كل ذلك بالتدقيق .

---

(١) هو كتاب « حاضر العالم الإسلامى » ، وقد تحدثت عنه فيما سبق .

(٢) فى الأصل : أوربا .

(٣) يقصد كتاب « الأحكام السلطانية » للماوردى .

مرادى تعريب ذلك ، ونشره فى « المنار » ، ثم فى كتاب مجلد ، وربما ينفق على طبعه الحنك الذى تذكر أمس — بمناسبة هذه المسألة ، وهذا الكتاب — مشروعكم دارَ الدعوة والإرشاد[1] .

والحاصل : هذا موضوع خطير سأبادلك رأيى فيه ، ولما رأيت فى الكتاب مناحة هؤلاء المبشرين من جراء كون انكلترة سلمت ولاية كافرستان إلى أمير الأفغان عبد الرحمن ، حتى حمل أهلها على الإسلام فأسلموا قاطبة ، بعد أن كانوا منذ ٢٥ سنة طلبوا دعاة مسيحيين بزعمه لتنصيرهم ، وأن الجمعية البرسبيتيرية تُعِدُّ بعثةً لتركستان وأفغانستان ، تكون نقطة ارتكازها فى مشهد على وبشمال أفغانستان ، ويتنبه بأن فى بلوجستان بقرب كيلان قوماً ليسوا مسلمين إلا بالاسم ، فينبغى البدار لتنصيرهم .

حررت إلى صديقى محمود ترزى خان سفير الأفغان فى باريز كلَّ تلك العبارات ، وطلبت منه أن يتخذوا كل التدابير لمنع هؤلاء الناس من الدخول إلى أفغانستان التى — لا يدخلونها أبداً — بل لعرقلة مساعيهم فى تركستان وبلوجستان ، قبَّحهم الله ، وقبَّح المسلمين النائمين عنهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

١ — السيد عبد الرحمن عاصم أنبأنى بأنه أرسل إلىَّ الجزء الرابع من (المنار) ، ولمَّا يصل[2] .

---

(١) مدرسة أنشأها رشيد رضا لتخريج دعاة الإسلام .

(٢) هذه الحاشية موجودة فى نهاية الرسالة .

— ٣ —

جنيف فى ٨ أيلول[١] ١٩٢٣ .

مولاى الأستاذ :

منذ نحو ثلاث جُمَع حررت إليك مكتوباً ، بل كتاباً لا ينقصه إلا التجليد ، عساه يكون وصلك ، وعوّض من قصور الماضى .

اليوم نحن الثلاثة فى جنيف لأجل تقديم التقارير اللازمة ، والقيام بالمساعى الواجبة لدى جمعية الأمم ، وقد قدمنا تقريراً وسيطاً ، وسنقدم تقريراً بسيطاً[٢] يتضمن الحوادثَ والتفاصيل ، ونرسل إليكم صورتيهما ، حتى إذا شاءت اللجنة التنفيذية — إن كان هناك لجنة[٣] — تعريبهما ونشرهما باشرت ذلك ، ولها منذ الآن أن تنشر فى الجرائد خبرَ وجود الوفد السورى الفلسطينى فى جنيف ، وتقديمه الاحتجاجات اللازمة لجمعية الأمم .

اليوم زرنا البعثة اليابانية ، وقدمنا لها واجب التعزية ، وأكدنا لها أننا نشاطر اليابان ألم هذه الفادحة أكثر من غيرنا ، لأننا شرقيون ، واليابان مفخرٌ للشرق ، وقد قابلونا بالشكر الوافر .

الشىء الذى طلبتموه فى كتابكم الماضى ، وهو تلخيص عمل الوفد السورى من بعد انفضاض مؤتمر جنيف إلى الآن ، سأعمله ، وأبعث به إليكم ، ولكن يكون عبارة عن خلاصة ، وأما الوثائق والصور مما قدمناه من التقارير فكلها أرسلناها إلى

---

(١) سبتمبر ، وهذه الرسالة فى ورقتين من الحجم المتوسط ، الورقة الأولى مكتوبة من الجهتين ، والثانية مكتوب نحو ثلثها من جهة واحدة .

(٢) الوسيط بمعنى الوسط بين الإسهاب والإيجاز ، والبسيط الواسع .

(٣) كان شكيب غير مستريح من اللجنة حينئذ .

اللجنة التنفيذية، وقد طالعناها في الكتاب المنشور عن أعمـــال المؤتمر والوفد هاتين السنتين.

الوفد الفلسطيني يقول أخونا الجابري إنه قادم إلى جنيف ، لـكننا لم نحس له بمار كزاً إلى الآن ، ولا أعلم هل يأتون أم يعدلون عن الحضور .

منذ شهرين أو أكثر ما رأينا « المنار » . يظهر أن الإشارة وردت إلى الصحف الدورية من مكة وعمان بالرد على الصحف المصرية ، وعليكم في قضية الحج وخلاف مصر مع الحجاز .

« المحنَّك » ذهب إلى ألمانية لأجل إنزال بارجة « يخت » استصنعها في « كيل » ويريد إنزالها في البحر ، وهي سفينة نزهة ، ولـكنها بغاية الانتظام ، وفي طول ٨٠ متراً ، وفيها ٤٠ ملاحاً ، وقد طلب مني لها اسماً فقـدمت له ٢٠ اسماً ، فلم يعجبه ولا واحد ، ولـكن نظراً لما حدث عن الأشياء التي فيها سميتها « سفينة نوح » ، أما هو فسماها « نعمة الله » بطلب أخته نعمت هانم .

دائماً يذكر اليمن ومصيره ، ولزوم الذهاب إليه ، وتقرير حال لجزيرة العرب قبل أن يتسع الشق ويعيي حَوْصُه[1] ، وأنه لا يوجد لهذه المهمة مثلي ومثلـكم ، وأنا أكدت له أنني حاضر ، لا سيما بعد أن ذهبتم أنتم في هذه المهمة ، لـكن لا بد قبل ذلك أن أشاهد عائلتي ، إما في (مَرْسين) ، أو في مصر إن أمكن .

مسألة الترخيص لي بالذهاب حررت بها كتابين ، أحدهما إلى محمد باشا الشريعي والثاني إلى فؤاد بك سليم ، وأنا منتظر جوابَ كل منهما ، ولـكن لأجل التعجيل إذا تفضلتم بمحادثتهما في ذلك فأكون شاكراً ، ولا أظن هناك مانعاً إلا إذا كانت ريبة من صاحب الشأن بمصر من جهة صلتنا مع المحنك[2] .

---

(١) حوصه : خاطته .

(٢) يقصد بصاحب الشأن الملك فؤاد الأول ، وبالمحنك الخديوي عباس حلمي الثاني.

والحال أن هذه الصلة بسيطة ، وليس فى برنامجها معاكسة لزيد أو عمرو ، عدا كونى أتعهد أننى طول إقامتى بمصر لا أدخل فى السياسة المصرية ، لا فى قليل ولا فى كثير ، فإن مرادى من الذهاب إلى مصر هو الالتقاء بعائلتى التى لا تريد أن تسكن معى إلا فى بلاد إسلامية ، ووالدتى لا ترضى إلا بذلك ، فأرجو أن تجاوبونى عن نتيجة سعيكم مهما بهذه المسألة .

أرجو إفادتى : هل ابن العم السيد عبد الرحمن عاصم بمصر أم ذهب إلى طرابلس ، لأن مرادى الكتابة إليه ، وشكره على إرسال كتاب : ترسل الأمير قابوس .

اليمن اليمن . تحقق أن رابطته انقطعت بتركية ، فلابد من النظر فى نظام يجمع شمل اليمن من شافعى وزيدى ، وبعد ذلك يجمع إليه سائر الجزيرة قبل أن تفسد الأمور ويُدخل الغريبُ ... أصابعه .

ما هذه القصة : قَتْلُ الوهابيين لألفين من حجاج اليمن ، وهل الخبر صحيح ؟ .

هذا ، وإننى بانتظار جوابكم ، وأطال الله بقاءكم .

أخوكم

شكيب أرسلان

العنوان لا يزال

Palmaral Hotel Lousanne

— ٤ —

لوزان ٩ أيلول [١] ١٩٢٣

مولاى الأستاذ

أمس فى جنيف حررت إليك مكتوباً مضموناً [٢] بالبريد ، ولما أقرأ جوابك

(١) سبتمبر . والرسالة مكتوبة فى ثلاث ورقات ، كل ورقة من جهتيها .
(٢) أى مسجلا .

الأخير رقم ٩ المحرم ، لأنى كنت جئت من لوسرن إلى جنيف بدون أن أعوج[1] على لوزان محل بريدى وملق عصاى الآن ، فلما جئت إلى لوزان إذا معك كتاب كريم ، فحمدت الله على صحتك ، وشكرت لطفك ، وتوجه فؤادك ، أما الحواشى فقد اضطررنا لها لأن الكتاب موضوعه العالم الإسلامى[2] . وقد أشار إلى الأصول وشوّقَ إلى الفروع ، فلزم أن نشرح كل مسألة ، ونذكر أخبار كل بلد من بلدان المسلمين فى الحال الحاضرة ، ليعلم المسلمون بعضهم بعضاً ، ويطلعوا على ما يدس لهم ويُطبخ ، وليس المسلمين بالتخصيص فقط بل ، قرأت فى الكتب المؤلفة على أفريقية — لأننى اشتريت أكثر من ١٠٠ مجلد على أخبار المستعمرات — ما يعمله البلجيكيون فى الكونغو ، والفرنسيس فى النيجر والسنغال وغينية والكامرون ووادای وماداغسكر والقومور ، والإنكليز فى شرق أفريقية والأوغانده لتقليص ظل العرب والعربية هذا عدا مساعيهم فى ذلك فى جزائر الغرب ، فليس الإسلام مهدداً فقط بل العربية — ولعمرى : هل يعيش هذا بدون هذه ؟ .

فلو كنت أردت أن أؤلف كتاباً خاصاً بالعالم الإسلامى لزمه وقت أطول ومال وفُرَص لا تتاح لى بالحال التى أنا فيها ، فقلت ما لا يدرك كله لا يترك كله ، وجعلت هذه الحواشى وسيلة للغرض الذى ذكرناه .

أما طبع الكتاب عندك فيا أيها السيد الأخ إن الطبع لا يخصنى منه شىء ، وما كان يصعب أن أشير على عجاج نويهض بطبعه عندكم ، وقد كان يقبل الرأى ، لكن ما شعرتُ إلا وقد اتفق مع المطبعة السلفية[3] ، وأرسل إلىّ الكراس الأول مطبوعاً فيها ، فسبق السيف العذل .

---

(١) أعوج : أقيم أو أقف .
(٢) يقصد حواشيه على كتاب « حاضر العالم الإسلامى » .
(٣) صاحبها الأستاذ محب الدين الخطيب .

أما فوائدك فلا نحرم منها إن شاء الله ، وبالطبع بعطبعتك ليس بشرط فى فيضها ، ومن يمنع السحب أن ترسل المطر ؟ .

بقدر ما تأخرنا فى مجاوبتك المرة الماضية ابتدرناها هذه النوبة ، فكتابان فى يومين ، وبمجرد قراءة الكتاب كان الجواب ، مع أن أخاك هذا غريق فى لجة كتابات لا يدرك قعرها .

علمنا أسباب وقوف حركة اللجنة ، وأن القطن أضربها ، وليت عندى ثروة اللطف [1] ، ولو خسرت ٦٠ ألف جنيه ، أما نجيب فضنكه من السيدة قرينته وإسرافها أكثر مما هو من تضييق أحمد عزت باشا عليه فى نجوم الإيجار ، وأما غضب الباشا على الفرنسيس لعدم دفع أجرة مبانيه فقد سرنى ، وما أحمدت للفرنسيس عملا غيره ، فإن مثل هذا لا خير يرتجى منه ، وبالحقيقة هذا المال نهب من الأمة ، فحق للأمة أن تنتفع به .

أما العمل مع الفرنسيس والتفاهم معهم كما يقال فى اللغة العصرية فإنهما لا يأتيان بالنتيجة المطلوبة ، ولكن الزمان سيصلح الأمور ، وكما كانت حوادث أوربة [2] هى السبب فى سقوط سورية بأيديهم ، كذلك حوادث أوربة ستأتى بخلاص سورية ، وهذه الحوادث لا يطول أمرها أكثر من بضع سنين ، أما الترك فكما قلتم لا أمل بهم ألبتة ، ومرادهم — أى حكومة أنقرة الحاضرة — مخاصمة العرب وإيذاؤهم بأى وجه كان ، أى سياسة أهواء وشهوات وطيش ونزق ، فعلى العرب أن يتركوهم وينظروا إلى أنفسهم ، فمتى رأى الترك أن العرب انتظمت حالهم جاءوا هم يخطبون ودهم .

ما ذكرتموه من كونهم يذكرون سيئات العرب وينسون الحسنات بيناه

---

(١) يقصد ميشيل لطف الله .
(٢) فى الأصل : أوربا .

فى جوابنا لعبد الغنى سنى فى المقطم ، تحت عنوان (نجاة الشرق فى اتفاق العرب والترك) : وهو الذى أرسلناه من هنا فى ٢٦ المنصرم (١) ، فلا بد أن يكون ظهر والملم عليه .

قابلت أول من أمس فى جنيف اثنين من أفضل فضلائهم وأعلم علمائهم ، وشرحت لهما جميع سياسة الخطأ والخطل والغرور والطيش التى هم عليها الآن ، وبغيهم على العرب ، وذكرت لهما خيالاتهم واعتقادهم الفاسد بالتورانية ، وظنهم أن جنكيز وأعقابه كانوا فتحوا بلاد الإسلام بالسيف ، وأن إسلامهم أخيراً أنقذ الإسلام ، واعتداد ذلك مِنَّةً على الإسلام والعرب ، وبينت لهما أن هؤلاء فى أول الأمر جاءوا كالجراد ، فنسفوا عمران الإسلام ، وارتكبوا ما يُخجل منه من الخراب ، لا ما يفتخر به ، ولكن ما لبث الإسلام أن نهض ولَمَّ شعثه ، ودق رقابهم ، ولو لم يدخلوا هم فى الإسلام لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ، فلا مِنَّةَ لأحد على الإسلام .

والحاصل ما أبقيت شيئاً إلا ذكرته ، فأجابا بأن ما أقوله يعبر عن الأفكار العمومية فى الأمة التركية ، وليس أحد فى الحقيقة راضياً عن هذه الخطة ، ولكن الناس صابرة الآن خوف الفوضى لا غير ، وهذان الشخصان من أكبر هذه الأمة فى العلم والفضل جاءا لمجمع الصليب الأحمر والهلال الأحمر . وكان الجابرى قابلهما ، وقال لى إنهما هما متعصبان وعلى خطة أنقرة ، لكن لدى مقابلتى لهما علمت أن فى قلوبهما ما فى قلوبنا من هذه الحالة ، لكن لم يثقا بالجابرى ، ولا بَاحَا له بذات صدرهما .

كتابكم إلى الشعب الإنكليزى أعجبنى كثيراً ، ولكن يلزم ترجمته إلى الإنكليزى ، وإن كنت أعتقد أنهم ترجموه سراً ، لأنه بلغنى أن البيان الذى

---

(١) يقصد ٢٦ أغسطس ١٩٢٣ .

نشرناه للأمة العربية ترجموه بالقدس بتدقيق لا يوصف، وكانت السلطة الانكليزية تأمر بترجمته بالحرف، وتأدية معاني المترادفات كما هي بدون قبول عذر أصلاً، وكانوا كلما ترجموا صحيفة أعادها المندوب السامي، وقال للتراجمة: هذه ترجمة ناقصة وبقوا جمعة يشتغلون بها، ثم يبيضونها وأرسلوها إلى نظارتي الخارجية و المستعمرات، وأظن أنهم يفعلون ذلك بكتابكم

ما اطلعت ماذا كتب أحمد جودت عن كتابكم فى الخلافة ، ولكن لما أعطيته الكتاب هنا وعد بأنه يكتب عنه .

مجلة « سبيل الرشاد » تجاهد فى قتال التورانية كالأول ، وقد وصلتنى منها ثلاثة أعداد أخيراً ، والظاهر أن الحس الدينى الإسلامى متنبه اليوم فى الأتراك أكثر من ذى قبل ، وقد عاد منهم أناس يحجون ، بالرغم من قول رضا نور : ليس من تركى يجسر أن يحج .

لكن لا يكفى نهضة إسلامية فى تركية لإقناع التورانيين بالوقوف عند حد ، بل تجب النهضة الإسلامية فى بلاد العرب ومصر ، ويجب إقناع الناس بأنه لا يجوز التسليم للأتراك بكل رئاسة وزعامة ، لأن ذلك أطمعهم فى حصر كل شىء بهم .

واحد من ذوات مصر كتب إلىَّ عن مصطفى كمال على النسق الذى ترونه فى الجرائد المصرية ، فجاوبته أن مصطفى كمال هو من بطل الأبطال[1] بلا نزاع ، وهو الذى أعاد تركية من العدم ، لكن لا أراه أعظم بطولة من محمد بن عبد الكريم القائم بشمالى المغرب ، لأن الجيش الأسبانيولى الذى قاتله ابن عبد الكريم[2] سنة ١٩٢١ واستأصل منه ٢٥ ألفاً ، وغنم منه ١٧٠ مدفعا إلخ كان ٢٠٠ ألف ، مع أن الجيش اليونانى الذى قاتله الترك لم يتجاوز ١٥٠ ألفاً ، ثم الآن عند أسبانية هناك

---

(١) هكذا بالأصل ، والسياق يقتضى حذف كلمة « من » .
(٢) يقصد الأمير محمد عبد الكريم الخطابى .

١٦٠ ألفاً ، وعبد الكريم هو المهاجم ، وبعد هذا فأين اليونان خمسة ملايين من أسبانية التي هي ٤٠ مليوناً ؟ وأين منطقة عبد الكريم التي هي كلها ٤٥٠ ألف نسمة من تركية ١٣ مليوناً . . . إلخ .

وقلت له : لماذا يا أخي هذا الإعجاب كله بأنقرة وكمال ، ولا أحد تقريباً يذكر محمد بن عبد الكريم إلا عرضاً ، ولا أحد يرسل إليه : كيف حالك يا أيها الأخ ، ولو سراً ؟ بمثل هذه الأشياء احتقرنا الترك وصغروا شأننا .

قريباً ستأتي لي مقالة في « البيان » على ابن عبد الكريم ، أذكر فيها هذه التنظيرات كلها ، فستطلعون عليها ، وعندي تجب الإشادة بذكر عبد الكريم ؛ وتكرار الكلام عنه في الجرائد العربية ، وأنتم يلزم أن تكتبوا في شأنه مقالة طنانة ، وتستكتبوا أصحابكم حتى يظهر للملأ أن عمل مصطفى كمال ، وانتصاره على دولة صغيرة كيونان ، ليس فيه مع كونه مفخرة عظيمة ما ينسينا مفاخر أجل وأعظم ، فإن التنويه بمآثر هذا الرجل وأبطال طرابلس الغرب هو الذي يخفف من هذه الغلواء الأنقرية التي أصبحت لا تطاق ، وأرى عند كتاب العرب قصوراً في ذلك سببه أن الجرائد المصرية الإسلامية مفتونة بالترك مهما فعلوا ، والجرائد المسيحية لا يمكنها الإطناب في ذكر عبد الكريم والسنوسية ، لأنهم يقاتلون دولا مسيحية ، ولكن يلزم الاجتهاد في حملهم على ذلك ، فإن أهمية العرب لا تظهر إلا بإظهار مآثر هؤلاء وغيرهم .

أما المجمع الذي عقده هؤلاء التورانيون لجعل التركية لغة العالم الإسلامي فكلام فارغ ؛ وسنكتب عليه أولا أن المغرب ومصراً [1] وبلاد العرب لا يتركون العربي ليتعلموا التركي : وأن إيران لا تترك الفارسي ، لا بل الهند والأفغان لا تترك الفارسي . بقي الجاوى والصين ، فالجاوى مهذبو الإسلام فيها هم العرب ، كما أنهم مهذبو مسلمي

(١) هكذا بالأصل.

الحبشة والصومالى وشرق إفريقية وأوساطها وغربيها ، وهم متغلغلون فى أحشاء هذه القارة من أولها إلى آخرها .

أما الصين فعندهم لسانهم ، ولسان الدين عندهم وعند غيرهم هو العربى ، فلا يبقى إذن سوى بلاد تركستان والقازان وأذربيجان ، وهؤلاء ترك وتتر ، أما الطاغستانيون فأبوا أن يتعلموا التركى بدل العربى ، هذا محقق ، وأين قدرة أنقرة على القيام بمشروعات كالتى قالوا عنها ؟ .

نحن لا نكره أن نبهاء الإسلام فى كل صقع يتعلمون التركى ، إلا أنه لا يجوز أن يكون ذلك لنقص أهمية العربى ، وليس عندى ذرة من الخوف من ذلك ، لعلمى أنهم لا يقدرون عليه ، وإنما هو من جملة تشدقات التورانية ، واللغة العربية ستبقى برغم أنوف هؤلاء لغةَ شعوب الإسلام المشتركة ، حتى أن الهنود الذين هم أشد الناس تعصباً لتركية لا يريدون بدلا من العربى فى الدين ، وأما الخليفة والحزب الدينى فى تركية فليسوا أصحاب هذا الاقتراح ، بل هو من ترك أوجاغى لأجل المباهرة والتبجبح لا غير ، وقد يقولون : ليس مقصدنا انتقاص العربى ، بل إيجاد لغة يتفاهم بها المسلمون عامة عدا لغات شعوبه الخاصة ، فهذا لا ينفى ذاك .

وأنا أقول : ليس عندهم للمعارف ميزانية تكفى للتعليم الابتدائى فى نفس بلادهم ، فكيف يقدرون على نشر التركى فى العالم الإسلامى المتنائى الأطراف ؟ دع عنك هذا . كلُّه تنفج[1] بالباطل وغيظ بالعرب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

١ — رجل أرمنى من وجوه الأرمن وأكابر عُلاّتهم ، كان منسوباً للسلطان عبد الحميد ، وبعد سقوطه فرَّ إلى أوربة ، وهو الآن من الملازمين للمحنَّك ، واسمه

(١) تنفج فلان : افتخر بأ كثر مما عنده .

أنطون بك كوشه جى أوغلو ، له تأليف على حادثة الأرمن ، ذكر أن أصلها سياسة أجنبية ، وبرهن بالوثائق ، وهو متمسك بدينه ومطلع عليه ، قال لى منذ أيام : إن عقيدة القرآن بالمسيح هى أقدم ما قيل فى المسيح . قلت له : وكيف ذلك ؟ . قال : لأن القرآن منذ ١٣٠٠ سنة والأناجيل الموجودة اليوم ليس فيها على التحقيق ما يتجاوز عمر نسخته الأصلية ٨٠٠ سنة ، فإن الأناجيل كانت نحو ٤٠ ، فاحترقت كلها بحريق مكتبة الإسكندرية ، والباقى منها متأخر تاريخ نسخه عن القرآن بقرون ، عدا ذلك عقيدة الإسلام فى المسيح مطابقة لعقيدة آريوس تقريباً ، باعتبار بنوة المسيح لله مجازية .

قلت له : هذه المسألة الأخيرة أعرفها ، لكن كونك تقول مثل المسلمين إنه فى المجمع النيقى تقررت العقيدة المسيحية خلافاً لآريوس ، ونفيت كل الأناجيل التى كانت كلها ما عدا هذه الأربعة ، ونسخها منذ ٨٠٠ سنة أو ٩٠٠ سنة ، فهذا مهم ؛ وقصدت أن أروى لك هذه الرواية ، لأنها تتعلق بأبحاث «المنار» : منار الإسلام[1] .

— ٥ —

مرسين ١٢ مايو ١٩٢٤[2] .

سيدى الأخ الحميم والأستاذ الكبير :

تأخرت كثيراً هذه المدة عن الكتابة الك لأسباب عديدة ، منها النقلة إلى مرسين ، ومنها الاهتمام بجلب العائلة ، ومنها أنهما كى أكثر الأوقات بكتابات وأشغال عائدة لصديقنا الأستاذ السيد السنوسى[3] ، والسبب الأهم هو أننى كلما

---

(١) هذه حاشية جاءت فى آخر الرسالة .

(٢) هذه الرسالة كانت فى خمس ورقات مكتوبة كل منها من الجهتين .

(٣) هو السيد الشريف أحمد السنوسى .

هممت أن أكتب لك فاضت عليّ المواضيع التى أبغى مناجاتك بها ، فأجلت ذلك إلى نُدْحَة[1] يكون فيها البال رائقاً والوقت متسعاً ، ولم أشأ أن يكون حديثى معك مقصوراً على أسطر معدودة ، فكان شغلى عنك بك فى الواقع .

أسأل الله أن يعيد شهرَ الصيام المبارك ، وهذا العيد عليك وعلى ذويك أعواماً لا تكاد تحصى ، وأنت وإياهم فى الصحة والإقبال ، والأمة الاسلامية فى دور أسعد ، وعَوْد إلى سابق المجد أحمد ، أما أنا فقد مضى عليَّ عيد لم أعيد مثله فى حياتى ، إذ نهار العيد نفسه وصلت عائلتى من حيفا وهى جميعاً بكمال العافية ، وشاهدتهم وأنا لا أكاد أصدّق عيونى ، بعد أن مضت علىَّ ست حؤول[2] كاملة وأنا أجوب الأقطار ، ولا أنزل من قطار إلا لأصعد إلى قطار ، وأفكر فى مكان أقدر أن أجتمع فيه بأهلى فلا أجد .

فها أنا ذا والحمد لله بعد هذه الغيبة المتطاولة ، وبعد أحوال وأهوال وليالٍ مظلمات طوال ، قد جمعنى الله بأهلى ، وشاهدت سيدتى الوالدة التى كنت أذوبُ شوقاً إليها وهى بالعافية ، وقرَّت عينى برؤية فلذة كبدى (غالب) الذى تركته ابن سنة ونصف سنة عَيِيًّا بمرجوع الخطاب ، غير قادر على الإبانة عما فى نفسه إلا بلحظه ، فإذا به فى سنته الثامنة ، وهو كما قالوا لكم لولا أن يقال إنه بابنه مفتون لحدثتكم عن نكاته الكثيرة .

ويوم وصوله أخذته إلى حضرة الأبر الأستاذ السنوسى ، ففرح به كثيراً ، وثانى يوم دعانى وإياه ، فجئت وحدى واعتذرت عنه ، فأبى إلا أن يحضر ، وأرسل عسكرياً جاء به ، وأهداه ساعة ذهب نفيسة مع ثياب أطلس طرابلسية ومصاحف مذهبة ، منها واحد إلى والدتى التى وجدنا عندها مقداراً من ماء زمزم ، فقدمناه

---

(١) الندحة : السعة من الوقت .

(٢) الحؤول : جمع حول ، وهو السنة ، ويجمع على أحوال وحوول أيضا .

إلى السيد ، وثالث يوم جاء مجيمى باشا السعدون ، وفاتح أفندي المرعشلي من أعيان حلب ، وهو مهاجر مثلنا ، فأخذ السيد حاشيته المديدة ، وهؤلاء ، وجاءوا جميعاً لزيارتنا ، وتذكرنا كيف أننا اجتمعنا من أقطار متباعدة : واحد من طرابلس الغرب ، والآخر من العراق ، والآخر من سورية . . إلخ على مبدأ واحد ، وآل أمرنا إلى الهجرة والغربة ، واجتمعنا بقَدَر الله فى بلدة واحدة .

ثم أدَّب السيد لنا مأدبة ، فلما قلت لغالب : هيا بنا يا غالب إلى السيد ، قال لى : أكل يوم إلى السيد ؟ تراه يقنط منا ! . إلا أن السيد أرسل مُصِراً على مجىء غالب ، فلما حضرنا أخبرته بما قال غالب ، فقال له : لا والله يا ولدى ما نقنط .

والحاصل بالرغم من كل ما تمتَّعت نفسى فى أسفارى ومن معيشتى فى بلاد الانتظام والرفاهة مدة طويلة ، لم أذق طعم الراحة الحقيقية إلا منذ جمعة بعد اجتماع شملى ، مما يدل أن لا راحة إلا راحة القلب ، ومثل ذلك نفس ولدى فى هذه المدة القصيرة ، نَصَعَ لونُه ، وجادت صحته ، فالحمد لله ، ثم الحمد لله لا نحصى ثناء عليه .

سيدى إن مسألة الذهاب إلى اليمن أنا من الأول إلى الآخر لا رأى لى فيها ، إلا على شرط وجودك فى رئاسة ذلك الوفد الذى سيذهب إلى اليمن ، وهذا أمر كنت اتفقت فيه مع ذلك « المحنَّك » عند ما كنا وإياه فى سويسرة ، ووعد هو بدفع نفقات السفرة . ولكننى أنا قلت له : أما الآن فأنا لا أقدر على هذه الرحلة ؛ لأننى لا أفكر إلا بمشاهدة أهلى ، وبعد مشاهدتهم بسنة من الزمن أصير حاضراً للسفر . وقد مضى عليها ستة أشهر منذ فارقت المحنك ، فلا أعرف هل هو باقٍ على عزمه من جهة إرسال هـــذا الوفد إلى اليمن أم لا . لا أظن هناك مانعاً يمنع من استمراره على ذلك العزم .

أما ما كتبته أنا للأستاذ الثعالبي (١) من الترغيب من الذهاب إلى هناك ، فهو

---

(١) هو الأستاذ عبد العزيز الثعالبي المتوفى سنة ١٩٤٤ م .

بنى على كونه آنست منه هذا الميل ، فقلت لعله يقدر أن يرود الأرض بين يدى سفرتنا نحن ، أو لعل له رفاقا يذهبون ويقومون بعمل ، ثم نذهب نحن الاثنين ومعنا من ننتخب .

أما من جهة وفدك إلى اليمن فما علمت شيئاً من أمره ، وقد حان له أن يتنفس من تلك الجهة بخبر مفصل ، على أنه إن كان هو الذى أثر فى إحباط تلك المعاهدة المشئومة . . . فوالله نعم العمل ، ولا أشك فى أن نصيحتك أثرت جداً فى الإمام[1] ، ولكن واحداً ممن يعرف اليمنَ والإمامَ حقَّ العلم يؤكد لى أنه لا يخشى من اتفاق الإمام مع دولة من هذه الدول . . إذ ذلك مخالف لشروط مبايعته بالإمامة .

مع هذا أرجو منك أن لا تُغبُّه[2] الآراء السياسية والمعلومات الخارجية التى يحتاج إلى معرفتها ، وقد أصبتم جداً فى التقريب بينه وبين سلطان نجد[3] ، وبذلك تتشكل قوة عربية مهمة يعتد بها ، فحبذا لو قدرتم أن تحملوهما على معاهدة تربطهما هما الاثنين ، وتكون مبدأ اتحاد العرب .

ومما لا يلزم أن تملوا تذكير الإمام به معمل السلاح و « الفشيك » ، لأنها مسألة حيوية ، وأنا كما تعلمون لا أعتقد للإسلام حياة إلا من بعد أن تصير معامل سلاحه فى وسط بلدانه ، ولا حاجة إلى ذكر ما جاهدناه فى هذا الموضوع ، ليس بالكتابة فقط ، بل بالسعى ، وقد كان لى يد عند ما كنت ببرلين فى عضد الأفغان فى هذه القضية ، واليوم أنا متفق مع السيد السنوسى أنه بعد أن يتمكن من العودة إلى (الكُفُرة) يبذل كل ما يقدر عليه من المجهود ، ويجمع ما أمكن من النقود ، لنؤسس له — وللإسلام أفريقية — معملا ، ولو بدأنا به صغيراً لصنع « الفشيك » ، كما أنى متفق مع أناس ألمان سراً على الطريقة اللازمة لإتمام هذا المشروع .

---

(١) يقصد الإمام يحيى إمام اليمن .

(٢) لا تغبه : لا تتأخر عليه . يقال : فلان لا يغبنا عطاؤه : أى يأتينا كل يوم .

(٣) عبد العزيز بن سعود .

كثير من إخواننا المصريين لاسيما أعضاء مجلس النواب عند ما انتخبوا هنأناهم بمناصبهم ، فأجابونا بما لهم من الآمال فى الاستقلال التام ، فجاوبناهم ثانية بما معناه إنه إن لم يقدروا على تأسيس معمل سلاح واف بالحاجة بنفس مصر ، وتنظيم جيش لا يقل فى السلم عن ١٥٠ ألفا فلا يتكلموا فى استقلال ولا فى استرجاع سودان ، وليقصروا كل ذلك على اللفظ يلوكونه بألسنتهم فقط ، وأما إذا صار لهم جيش ومعمل سلاح ، فكل هذه المفاوضات التى سيدخلون فيها تنجح من نفسها ، وبدون قوة مادية فهذه المفاوضات لا تثمر الثمرة المأمولة ، ولو تولاها بسمرك فضلا عن سعد زغلول .

الخلاصة يا أخى إن كان لك كلمة مسموعة عند الإمام يحيى وابن سعود — ولا شك أن كلا منهما يحترمك بما لا يحترم به غيرك فى هـذه الديار المصرية والشامية — فلا تمل من تذكيرهما بقضية تأسيس معامل كهذه فى بلادهما ، فقد شبعنا نظريات ، ويلزمنا عمل ، وإن معملا للقرطاس أو لسكك الزراعة أفيد وأصلح للعرب من عدة مؤتمرات ومائة ألف خطبة .

أما جمعية البيت الحرام[1] ففهمت كل ما ذكرته من أمرها ، وأنا مطلع على برغرامك من قبل ، وله المزية بأنه أول برنامج وضع لهذه المسألة ، وفيه آراء صائبة جداً ، لكن يا أخى هناك مسائل لا يمكن إجراؤها إلا بقوة مادية ، لأن ملك الحجاز يعارضها ، فأين القوة المادية التى نقدر أن نحمله بها على تنفيذ هذه الأمور ؟ وهل إذا جاءت دول إسلامية مثل مصر أو اليمن أو الأفغان لتنفذ ذلك بالقوة تمكنها إنكلترة ؟ كلا . لا شك أنها ترسل أسطولها إلى جدة ، وتقول : هذا ملك مستقل ، وهذه مملكة مستقلة متحالفة معنا . ثم أنى لنا اتفاق المسلمين على عمل كهذا ؟ فإن اتفقوا فى النظر فلا يتفقون فى العمل .

---

(١) هى جمعية عمل رشيد رضا على إنشائها لخدمة الحجاز والحرمين .

إن القوة الوحيدة التي يمكنها تطبيق بروغرامات كهذه هي قوة العرب ، وذلك بأن يتحد ابن سعود والإمام والإدريسي ، ويزحفوا على مكة ، وهـذا فضلا عن صعوبته فإنه يؤدي إلى حرب لا تعلم عقباها ، وتسفك فيها الدماء في نفس بيت الله الحرام ، فلهذا كان الأولى أن يكون برنامج كهذا عملياً ممكناً تطبيقه ، وعلى فرض أنه لم يمكن أن يرضى به الشريف فيكون التوكؤ في تطبيقه على قوة أدبية عظيمة ، بأن تكون لجمعية البيت الحرام شعب وفروع في كل العالم الإسلامي ، ويشبع العالم الإسلامي من هذه الفكرة ، فإذا أبى ملك الحجاز قبولَ البرنامج يجد المسلمين كلهم أضداده ، وتضغط عليه قوة أدبية لا يسهل عليه الاستخفاف بها . أما حمله على بروغرامنا بالسيف فغير ممكن ، إلا إذا تحرر العالم الإسلامي .

وربما تقول : إننا نحن لا نشير بحمله عليه بالسيف ، والجواب : ملك الحجاز وأظن كل أمير بمكة لا يقبل هذا البرنامج الذي يقصر من سلطته ، فلا بد في تنفيذه من الرجوع إلى القوة .

الشيخ الثعالبي لا أعلم بماذا يخطىء ولا بماذا يصيبُ ، فهو بَشَرٌ نظيرنا كلنا ، ولا عجب فيما لو أخطأ ، ولكن نظراً إلى قحط الرجال وجدتُه ممن يعتمد عليهم ويحتاج إلى مثلهم ، إذ أنت تعرف الناس ، ولا يخفى عليك مكانه ، ولهـذا كنت أرجو أن تتخذه عضدا في المواقف ، وإن حصل تباين في الأفكار يقع الاجتهاد في التأليف بينهما ، وأنا ليس لي بالثعالبي خلطة ، ولم أشاهده إلا هذه المرة في الآستانة ثلاث أو أربع جلسات ، فوجدته ذكياً متوقد الذهن ، جامعاً إلى الذكاء الفطري معارفَ كثيرة وتجارب عديدة ، وقد ساح في بلاد الإسلام ، وسار ونظر واطلع على علل هذه الأمة ، وهو مقتنع بما نحن مقتنعون به بأن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ، وأن الدعوة إلى الجنسيات بين المسلمين مضرة بهم ، تزيدهم وهناً على وهن ، ولا نجاة لهم إلا بالتعاضد والتعاون ، وأن يجعلوا رابطة الإسلام هي الأولى ، وسائر الروابط من بعدها .

وهو — مع كونه على مبادئكم من هذه الجهة ، والمبادىء التى أنا أرى كل يوم من الحوادث ما يؤيدها — معدود رئيساً غير مدافع للنهضة التونسية . وما جرت بيننا مكاتبة إلا مرتين ، كنت أظنه فيهما يطلعكم على كل ما أكتبه له ، وقد فعل ، ولكنه لم يردنى منه ولا حرف منذ أشهر .

لم أنس قضية السيد جمال الدين[1] ، وسأكتب لك ما أعرفه ، وما حرره من ترجمته غولد سيهر المستشرق المجرى فى الإنسيكلوبيذية الإسلامية[2] ، ولو كان السيد قال فى رده على رينان شيئاً من قول الزاعمين بأن الإسلام بعيد عن العلم ، لكان غولد سيهر ذكر ذلك ، مع أن غولد سيهر ذكر العكس ، وهو كون رينان طعن فى الإسلام ، وجمال الدين ردّ عليه ، وعبارة غولد سيهر هى هذه يمكنكم نقلها فى المنار رواية عنى :

« وفى ذلك الوقت وقعت مناقشته (أى السيد جمال الدين) مع أرنست رنان ، بسبب المحاضرة التى عملها هذا فى الصوربون على (الإسلام والعلم) ، فالسيد جمال الدين توخى نقض أدلة رنان على عدم التوليد العلمى فى الإسلام ، وذلك فى مقالة ظهرت أولا فى جريدة الدبا ، ثم نشرت فيما بعد بالألمانية ، ومما يناسب ذكره هنا أن محاضرة رنان قد تُرجمت بعد ذلك بقليل إلى العربية ، مصحوبة برد بقلم حسن أفندى عاصم » انتهى كلام غولد سيهر .

فلو كان جمال الدين أقرّ لرينان بأن أصل الإسلام مخالف للعلم لما كان غولد سيهر — الذى لاشك أنه قرأ رد جمال الدين بالفرنسية والألمانية — يقول إنه توخى إدحاض أدلة رينان على عدم التوليد العلمى فى الإسلام . فإن غولد سيهر يدرى ما يقول ، وليس ممن يرمى الكلام على عواهنه .

---

(١) السيد جمال الدين الأفغانى .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية .

والذى أظنه هو أن السيد جمال الدين حرّر ردّه على رينان بالعربية ، ثم دفعه إلى مترجم مثل أنيس شحاذة أو غيره ، لأجل أن يضعه فى قالب فرنسى . فالمترجم الذى لا أقدر أن أعرف مَنْ هو ترْجَمَ بعضَ كلمات جمال الدين بغير ما يجب أن يترجمها به ، وتصرف فى التعبير ، وربما كان المترجم هو نفسه متشبعاً بفكرة رينان ، غيرَ مقتنع بكلام جمال الدين ، فلم يتقيد بالمتن الجمالى التقيُّدَ الكافى . ولا أدّى الأمانةَ فى النقل حقّها ، فوقعت هناك ألفاظٌ لو فهم السيد جمال الدين حقيقةَ مرماها لأنكرها ، وغيَّرها فى حينها .

وأنت تدرى أن المعنى قد يختلف باختلاف كلمة أو حرف ، وأنه يقوى ويضعف كثيراً بكلمة تجعل محل كلمة ، أو حرف مكان حرف ، لا سيما فى مواضيع فلسفية كهذه . فلا عجب أن تكون الترجمة الفرنسية التى صدرت تحت إمضاء جمال الدين تفيد أشياء لم يردها هو ، ومن تأمل فى كون هذه المقالة ظهرت فى جريدة الديبا ، وكان يعلم دأب هذه الجريدة من دس السم فى كل ما يتعلق بالإسلام ، قلَّ عجبه مما يكون قد ورد فى مقالة جمال الدين مما لا يطابق ما سمعناه منه .

وما أسرع ما يكون من جواب بعضهم بأن هذا الذى تقوله غير معقول ، إذ أن السيد جمال الدين كان يعرف اللغة الفرنسية ، ويقدر أن يميز الترجمة الصحيحة من الفاسدة ، ولابد أن يكون اطلع على الرد قبل نشره ، وأنعم النظر فيه .. إلخ .

والجواب : كلا ياسيدى ، أنا أعرف السيد جمال الدين جيداً ، وأعلم جيداً أن معرفته للفرنسية كانت ضعيفة ، وأنه لم يكن ممن يقدر أن يلحظ الفروق الدقيقة بين لفظ ولفظ ، لا سيما فى موضوع علمى كهذا . فالمترجم كان يمكنه أن يسرد أمامه الترجمة فقرة فقرة ، ويزعم لديه أن هذه معناها كذا ، وهذه معناها كذا ، مما هو فى متن كلامه ، ولم يكن السيد من الضلاعة بهذه اللغة بحيث يقدر أن يبين له الفرق بين مدلول اللفظة والمعنى الذى أراده هو .

ومن عانى هذه المسائل يعلم كثرة وقوعها ، وأنه لا سبيل إلى اتقانها إلا بأحد أمرين : إما أن يكون المترجم نفسه جامعاً بين تمام المعرفة باللغة المترجَم منها واللغة المترجَم إليها ، لا ينقصه شيء فى كلتيهما ، وبين الأمانة التامة فى النقل ، وإما أن يكون الكاتب فى اللغة المترجَم منها عارفاً بدقائق اللغة المترجم إليها ، لا يفوته منها شيء ، فإذا اطلع على الترجمة عرف صحيحها من فاسدها . فهذا الشرط الثانى لم يكن متوفرا[1] عند الشيخ جمال الدين ، وأظن الشرط الأول لم يتوفر أيضاً . فأدى إلى ما أدى إليه من الإشكال .

تقدرون أن تنقلوا من هذه الأسطر عنى فى « المنار » أو فى غيره ، ولا أشك فى كون المترجم الذى عرَّب مقالَ جمال الدين خدعه فى جمل كثيرة ، وأوهمه أنها تفيد ما أراده ، وهى تتباعد عن ذلك .

أما قضية الخلافة فلا مراء يكون تعددُ المؤتمرات فضيحةً ، ومدعاة إلى سقوط المشروع كله ، وإن سقط مشروعُ عقد المؤتمر بعد أن شاع وذاع صار الإسلام مسخرةً ، وفاتته الفرصة لأول مرة من الاستفادة من اجتماع عام يضم جميع شعوبه ، وفات العرب فرصةُ أن يكون اجتماعُ المسلمين من كل الأمم فى بلاد عربية ، لأن مصراً مهما ادَّعى المدَّعون لا تخرج عن كونها مملكة عربية .

فمن هذه الجهات كلها تقضى المصلحةُ بعقد المؤتمر ، وفتح طريق المعارفة والتذاكر فى الأمور العامة ، إذ فى الحج — مع الأسف — لا يعلم الحجاج إلا « تبليص » أمراء مكة ، وقسم من أهل الحجاز إياهم من أموالهم ، وما سمعت أن حاجاً من سوكوتو تحدث مع حاج من الجاوى ، أو حاجاً من الصومال تكلم مع حاج من البوسنة فى مسألة[2] تخص سياسة الإسلام .

---

(١) هكذا بالأصل والصواب : متوافراً .

(٢) شكيب يكتبها هكذا : مسئلة .

فهذه فرصة يتمكن فيها المسلمون من معرفة بعضهم بعضاً ، ووضع حجر زاوية التكافل الذى لابد منه لنهوضهم ، ونحن معاشر المتمسكين بالجامعة الإسلامية أولى الناس بالاغتباط بهذه الفكرة ، والسعى فى إتمامها ، لأنها انتصار لنا على ملاحدة أنقرة ، ودعاة الطورانية [1] ، وملاحدة مصر دعاة الفرعونية الذين صرحوا فى نفس مجلس النواب فى جوابهم للشيخ عبد المجيد اللبان طالب مهلة للصلاة بقولهم : « مش عاوزين نصلى » ! .

هل يظن الناس بمصر أن الكفر لا يعد كفراً إلا إذا صدر من أنقرة ؟ والله مع كل [2] ما جرى بأنقرة ، وقيل فى مجالسها من الطامات لم نقرأ أن أحداً قال فيه علناً : « مش عاوزين نصلى » ! ! . بل أكثرهم تهوراً طوته لى حلمى قال : نريد أن نكون مسلمين بدون قال وقالوا . وأغايف يسعى فى ردّ الأحاديث وعزوها كلها إلى أبى هريرة وابن عباس ، وإبقاء القرآن ، لكن لا ككتاب أحكام ، بل كتاب حكم ومواعظ .

وعليه نحن متفقون على لزوم عقد مؤتمر فى وجه أعداء الخارج دول الاستعمار ، وأعداء الداخل ملاحدة الترك والعرب ، ودعاة الجنسية الذين مرادهم القضاء على الإسلام ورابطته ، ومتفقون على أن تعدد المؤتمرات لا يجوز ، لأنه يجعل الأمر فوضى .

ولا بدمن مؤتمر واحد ، ولا بأس بتأخير موعده إلى السنة القادمة ، حتى ترسل الدعوة إلى جميع بلاد الإسلام ، ويتسنى لجميع الحضور ؛ ولا بد من كون مصر ترسل الدعوة بواسطة وفود تذهب ، وتنفق عليها الأوقاف ، فوفد يذهب إلى الهند والأفغان وصيام والجاوى [3] بأقسامها ، والفيلبين والصين ؛ ووفد يذهب إلى بخارى

---

(١) شكيب يكتبها الطورانية ، تارة ، والتورانية تارة أخرى .
(٢) فى الأصل : كل .
(٣) يقصد : سيام وجاوه .

وجنوه وأوفا والقافقاس ورومانية[1] والبلغار[2] والبوسنة وألبانية . ووفد يذهب إلى السودان والحبشة والصومال وزنجبار والأوغندة ، ووفد آخر يذهب إلى دار فوز ووادای والباجرمی وبرنو وسوكوتو وبلاد النيجر والسنيغال والسنيغابية وغينية إلى ليبريبة ، وآخر إلى العجم وكردستان .

أما البلاد المعروفة مثل المغرب والجزائر وتونس وطرابلس وتركية[3] وكردستان والعراق والشام وفلسطين واليمن ونجد والحجاز وعمان والكويت والبحرين ، فيمكن أن تقصدها وفود ، ويجوز أن يكتب إلى رؤسائها وعلمائها المعروفين .

ولا يجب إهمال المغرب لكون صاحبه هو الخليفة عندهم ، ولا إيران لكونها شيعة ، ففيها الثلث سنيّة ، ولا زيدية اليمن لكون إمامهم معيناً .

وذلك لكون المؤتمر إسلامياً عاماً .

فهل أنت وعلماء الأزهر قادرون على إقناع الحكومة المصرية فى الإنفاق على هذه الوفود الذاهبة للدعوة ، ومثل ذلك الإنفاق على كثير ممن سيحضرون من المندوبين ، وإنزالهم على نفقة وزارة الأوقاف المصرية ؟ .

بهذا يتجلى التضامن الإسلامى ، وبهذا تكسب مصر مقام الرئاسة فى الإسلام .

بقى لُبُّ المسألة ، وهو مَنْ يكون خليفة ؟ .

أنت تعترض على الخلافة الروحية الصِّرْفة ، ذلك الاختراع الذى اخترعه بعضهم لأسباب معلومة ، وجوَّزه الشيخ محمد الخضرى بمصر ، وأنا أول من اعترض عليه ، وأرى الإلغاء التام أولى من هذا .

ولكن جمهور المسلمين على أنه لابد من خليفة ، ولذلك يجب الانتخاب ، فأنت تطلب شروطاً كلها شرعية ، ولكن تحقيقها غير ممكن . وأقول أكثر من

---

(١) فى الأصل رومانيا .

(٢) شكيب يكتب الغين مفتوحة من الوسط غالبا .

(٣) فى الأصل : تركيا .

هذا ، وهو أنه لا يوجد فى كل الإسلام[1] رجل توفرت[2] فيه شروط الخلافة ، إذا راعينا الشرع كما يجب .

فهذا عبد المجيد يكون له مبايعون أكثر من الجميع ، ولكنه فاقد النفوذ السياسى والقوة ، وهذا لابد منه شرعا ، والإمام يجب فيه شروط كثيرة ، لكن المسلمين لا يرون فيه السلطان الذى يملك دولة منظمة وعساكر جرارة ، ولا يزالون يرونه أميراً فى داخلية اليمن ، لا يحكم إلا على قبائل ، ومع هذا فبعضهم يراه غير سنى .

وأما ابن سعود فهو فى نظر الإسلام أمير صغير ، ووهابى لا يرضاه السنيون ، وأما الحسين ففيه شرط أو شرطان ، ولكنه أضعف من ابن سعود . ومعروف أن ضلعه إنكليزى ، وهو مكروه من جمهرة الإسلام ، وأما أمير الأفغان فكان يليق بعض الشىء ، لكنه بعيد المكان ، وليست دولته بدولة عظيمة .

بقى صاحب مصر ، والاعتراض عليه من جهة كون مصر لم تنل استقلالها التام . فأهل الهند وقسم من أهل مصر لا يبايعونه ، وعليه فالمسألة بغاية الإشكال وأما انتخاب رجل عالم فاضل مجتهد إلخ ، فهذا شرعى ، ولكنه يا أخى شىء لا يمكن تنفيذه ، والعصبية شرط عند العمل ، وأنت تنتقد ابن خلدون فى قوله بها ، ولكن ابن خلدون غير مخطىء ، فلابد للسلطان من عصبية وقوة ، حتى يتحمل مثل هذه الأعباء ، وتقول : بل عصبية الدين تكفى ، وأجاوبك : كلا ياسيدى ، خذ أكبر عالم وأقدس عالم وليكن قرشيا ولكن ليس بصاحب دولة ، فلن تجد من يبايعه .

اقترح على العالم الإسلامى مبايعة الشيخ الكتانى ، أو الشيخ بدر الدين مثلا

---

(١) يقصد : فى كل بلاد الإسلام .
(٢) هكذا بالأصل ، والصواب : توافرت .

فلا برضاه أحد ، لأنه لا يوجد له إمارة ، لا بل اقترح مبايعة سيدى أحمد الشريف الذي هو قرشي وعالم وورع وذو عصبية ليس كأولئك ، بل هو بالفعل أمير ، فلا يبايعه إلا أهل طرابلس ، ولنفرض أنه بايعه غيرهم فلا يقدر أن يجلس إلا في الكفرة أو الجغبوب ، لأنه مستقل بهما ، وأينما ذهب لا يقبلونه خليفة ، إذ هناك أمراء وحكومات تأبى تسلط غريب عليها ، فالعصبية الدينية وجدت عدة سنوات في عهد الخلفاء الراشدين لقرب عهد النبوة ، ثم ذهبت .

وسبحان الله ! فكيف نقول لا حكم للعصبية والشروط الشرعية تكفى ، ولولا كون العصبية ضرورية ما وجدت القرشية شرطا ، إذ المسلمون متساوون في كل شيء ، وإنما جعلت القرشية يومئذ شرطا بسبب كونها أقوى وأوجه من غيرها ، فإذا جئتم غدا إلى المؤتمر(١) لتقترحوا شروطا شرعية ، ولم تكن مقرونة بإمارة عظيمة ذات جيوش ومدافع إلخ ، فأيقنوا أن قراركم سيبقى على الورق ، ولا يوجد من ينفذه ، والعالم الإسلامي اليوم أكثره تحت حكم الأجانب ، فلا يقدر أن يتحرك حركة فعلية .

لا يوجد إلا الآراء الآتية : الأول كرسي مصر بشرط الاستقلال التام . (الإمام يحيى) بشرط أن تصير اليمن دولة منظمة . (عبد المجيد) بشرط أن تكون له إمارة فعلية : أما في الموصل كما قلتم أنتم فينفك المشكل بين العرب والترك عليها ، وتصير إمارة حائلة بينهما ، أو في صنعاء اليمن ، وذلك بشرط رضا الإمام يحيى ، وعقد المؤتمر الإسلامي برنامجا تتعين فيه حقوق الخليفة والإمام ، ويتوجه المسلمون كلهم على الإمام يحيى ، ليرضى بوضع ابن عثمان في صنعاء ، على أن يكون يحيى هو السلطان الذي يعضده ، كما كان بنو بويه أو آل سلجوق في بغداد ، أو ملوك مصر مع الخلفاء .

وإن قيل : هذا خلاف الشرع ، جاوبنا إن كثيرا من الفقهاء أجازوا وجود

---

(١) يقصد مؤتمر الخلافة الذي انعقد في مصر حينئذ .

السلاطين مع الخلفاء بحق الفتح ، وإنه كان فى الماضى ، فليكن فى الحاضر ، إذا الحال الحاضرة لا تساعد على أحسن من هذا ، فالضرورات لها أحكام ، ولا أظن أن أنقرة ترضى بجعل الموصل مقرا للخليفة ، لأنه حينئذ يبايعه الأكراد والعرب وقسم من الترك ، فيكون خطر على الجمهورية ، فلنجعل صنعاء اليمن دار الخلافة .

وكون عبد المجيد ليس بقرشى غير مانع ، لأنه سيفوته شروط أهم منها ، فلا عجب فى فوت هذا الشرط ، وإنما يقوم مقام القرشية كون أكثر مسلمى المعمور يقرون لابن عثمان بالأولية ، وإذا أخرجت هذه الإمامة منهم اليوم صار فى كل بلد خليفة . فمزيتهم هى اعتراف السواد الأعظم بأوليتهم ، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن تصير اليمن دولةً منظمة معروفة من الدول ، وتقوى فى الخارج والداخل قوةً تجعل أئمتها معروفين فى الخارج ، بحيث لا تثقل رئاستهم على سائر ممالك الإسلام .

ولو تمكنت مصر من الاستقلال التام ، وصار لها جيش متناسب مع عددها ، فأليق كرسى بالخلافة هو كرسى مصر بدون نزاع ، ولو لم يكن صاحبه قرشيًا ، والتشدد فى هذه الشروط غير موافق ، لأنه فى الحقيقة لا خلافة غير خلافة الراشدين وعمر بن عبد العزيز ، ومن بعدها لم تستتم الخلافة شروطها فى أحد . هذا فى عز الإسلام ، فكيف اليوم ؟ .

السيد السنوسى يسلم عليك ، ودائمًا نذكرك ونقرأ « المنار » فى الأسمار وبالنهار ، وهو يترضى عليك ، ويثنى على المرحوم الأستاذ الإمام ، وحقًا سيدى أحمد الشريف نعم الرجل فى التقوى والورع والصدق والنزاهة ، وهذا مع الحزم والعزم ، ومع علم حسن وحافظة قوية واطلاع واسع ، إلا أنه من أصحاب الطرق ، فيعتقد بكرامات الأولياء ومكاشفاتهم وتأثيرهم بإذن الله ، ويقول بالوسيلة وإنها الأنبياء والأولياء ورجال الله المرشدون ، وهذا ما أذكره الآن ، وسأكتب لك بشأن الكتب التى تلزم ، لتأمر من يلزم أن تأمره بمكتبة المنار لإرسالها ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

— ٦ —

مرسين ٧ شوال ١٣٤٣[1] .

سيدى الأخ الأستاذ :

أخذت كتابك الكريم رقم ٢٩ رمضان المبارك أعاده الله عليك وعلى آلك دائماً بالخيرات والمسرات وفهمته . ووصل آخر بنى سراج[2] وذيله إلى صفحة ٣٦٠ .

وعلمت من كتابك أنه لم يبق إلا ست صفحات من الكراسة الأخيرة ، ورأيى أن نتمها من الكتاب الذى جعلناه ذيلا للذيل ، ونجعل الفهرست وإصلاح الغلط فى آخر الجميع . أما جدول إصلاح الغلط فهو واصل بطيه ، ومنه ترى أن خطأ الطبع لم يكن قليلا ، ومتى أرسلتم لى بالباقى من الكتاب أنظر فيه ، وأبعث بإصلاح غلطه ، فيصير ضمه إلى الجدول الواصل الآن .

كذلك الفهرست قد جعلته كما تريد ، ورأيك أصيل جدا فى وجوب أن يكون الفهرست دالاً على مهمات المباحث ، لا سيما مع خلو كتابى من العناوين والفصول ، وكون هذا الإصلاح — وهو ذكر أمهات المواضيع فى الفهرست — هو مما يشوق إلى المطالعة ويسهل المراجعة ، فهذه جزاك الله خيراً لو لم تنبهنى لها لكنت غفلت عنها ، مع أنها أحسن واسطة لرواج الكتاب .

لكن هناك أمر لا أعلم هل انتبهت إليه ، وهو أنك تعودت أنك لا تنشر شيئاً فى « المنار » حتى تعلق عليه حواشى ، إما بملاحظة ، أو بتجهيل ، أو بتأييد ، أو بتقوية ، أو بتليين ، إلخ . وأحياناً يكون ظاهراً فى المتن أن الغلط غلط طبع ،

---

(١) هذه الرسالة فى ورقتين من الحجم المتوسط ، الأولى مكتوبة من الصفحتين ، والأخرى فيها صفحة بيضاء .

(٢) يقصد الملازم المطبوعة من كتاب « رواية آخر بنى سراج » .

وتأبى إلا أن تدل عليه ، أو تقول لعله كذا ، وأحياناً يكون معك الحق ، وأحياناً لا يكون معك ، مثل ارتيابك فى كون العرب قد دخلوا رومة وا كتسحوها ، حتى أجابتك على ذلك مجلة الجامعة الهندية من كلكتا قبلما جاوبتك أنا ، ومثل إشارتك إلى كون فيلق مؤنثة ، وقد أوردتها فى المتن بالتذكير ؛ والحال أنها وردت بالتذكير أيضاً فى فقه اللغة للثعالبى عند تقسيمه درجات الجيوش ، وغير ذلك .

ولست أجادلك فى هذا ، لأن ملاحظاتك دائماً مفيدة وفى الإغلب مصيبة ، ولكن على شرط أن تعلقها على ما تنشره فى المنار ، لأن المنار هو لك ، ولكن عملت العملَ نفسه فى (ابن سراج) ، ونسيت أن الكتاب هو لى لا لك ، وأن تعليقك عليه ولا سيما بملاحظات كان ينبغى أن يكتب إمضاؤك فى آخرها ، أو أن يقال : مصححه ، مثلا ، ولم تضع ذلك إلا مرة واحدة فى الآخر .

ولما كان لى أنا حواشٍ أيضاً ، فأصبح لا يُعلم ما كتبته أنا مما كتبته أنت ، بل صار الأمر كأنى أنا مفترض على نفسى . ففى المتن أنا أذكر : نبكى رسومَ الأربع الأدراس . وفى الحاشية مذكور : هكذا فى الأصل ، وفى الديوان المطبوع « نقضى زمام الأربع الأدراس » . فإن كان هذا فى الديوان المطبوع ، فالقارئ خليق بأن يقول لى : ما دمت تعرف هذا فلماذا كتبتها : نبكى رسوم الأربع الأدراس ؟ .

وكذلك فى ثلاثة أو أربعة مواضع نوع من الاعتراض ، مثل مسألة صحاح الجوهرى . وإنكار أننا أخذنا لغتنا عنه ، وإثبات كونه لم يكن مرجعاً للغة ، وأنه قد ألف فى اللغة قبله . . إلخ .

وهذه أمور يعرفها أخوك هذا ، ويعرف ما أُلِّف قبل الصحاح ، ويعرف أن الصحاح ليس أعظم كتاب فى اللغة ، ولكنه مَثَلٌ قد قيل ، وتسمعه أنت ، وهو أن صاحب الصحاح قال : خذوا لغتكم من رجل أعجمى ، فالاستشهاد بمثل كهذا لا يفيد على الإطلاق ، حتى تجعلنى ظاناً أن اللغة كلها أخذت عن صحاح الجوهرى .

وكلامي عن نكبة البرامكة بسبب قصة العباسة لم يكن المقصود فيه أنني أنا أقول هذا، وإنما نقل ما يقال، وفي محل تضعيف، لأنني أردت أن أقيس بها قصة الملكة فاهمة وعشقها لابن سراج، وكون ذلك من أوضاع القصاصين .

والحاصل أنك مولع بالأخذ على الناس واقتحام أقلّ ثنية ، وبإليتك وقد كتبت هذه الملاحظات أشرت إليها بكلمة « مصححه » ، ولما لم تنشر إليها اضطررت إلى أن أعمل عليها تنبيهاً ، وأحصر الصفحات التي فيها ملاحظاتك ، فالمرجو نشر هذا التنبيه بعينه ، أي بدون أدنى تغيير فيه .

يظهر أنه لا أحمد زكى باشا ولا أحمد تيمور يعرف اسمَ المؤلف لتاريخ « انقضاء دولة بنى نصر » ، فالمرجو نشرُه كما أرسلته مع المقدمة التى عملتها له ، وأن لا تعلقوا عليه ملاحظات ، ولا شيئاً مما لكم عادةٌ به ، بل تدخروا ذلك كله للمنار ، فعند صدور الكتاب تكتبون عنه ، وحينئذ فقولوا ما شئتم مثلما يبدو لكم .

سأبحث لكم عن « أبابيل » و « البرق » اللذين نشرا مكتوبنا إلى الأمير على . أما كتابى بتصحيح ما ورد فيه من أغلاط الطبع والتحريف والتبديل فأنتظر ظهوره فى العدد القادم من المنار ، أما أن يكون عندى نسخة صحيحة من المكتوب المذكور فأنا من الأصل لم آخذ عنه نسخة ، بل أرسلت به لجريدة « الشرق » رأساً .

فأنا الآن منتظرٌ نهايةَ طبع الكتاب ، وأرجو أن تتكرموا بإرسال علم نفقة الطبع بمفرداتها ، ثم تعطونى رأيكم على ما يجب أن نحدده من ثمن الكتاب : أنجعله بثلاثين غرشاً ، أم بأربعين ، أم بماذا ؟ .

سلامى إلى حضرة السيد عبد الرحمن عاصم ، وسأكتب إليه قريباً . ظهر كتاب ستودارد الأميركى الذى عليه حواشينا التى هى أشبه بحواشى الأزهريين[1] ،

---

(١) كتاب « حاضر العالم الإسلامى » .

فالمرجو أن تنشر عنه ما يساعد على رواجه ، لأنه كتاب يلزم أن يطلع عليه مفكرو الإسلام أجمع . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

— ٧ —

مرسين ٣ يوليو ١٩٢٤

سيدى الأخ الحميم ، ومولانا الأستاذ ، نفع الله به

تشرفت بكتابكم الكريم رقم ذى القعدة ، وحمدت الله على وجودكم مع ذويكم بالصحة ، ولما وصلت إلى الجملة التى وصفت لى بها إجهاشك لما كنت كنت كتبته لك عن حالتى عند ما وصلت عائلتى ، وكيف أنك قرأت ذلك على السيدات فى البيت وأنت تكفكف الدمع ، أصابنى طبقُ ما أصابك ، وقرأت تلك العبارة على والدتى وأهل بيتى ، وأنا أتجشم النطق بها تجشما ، ومثل هذه الرقة لا يخلو منها قلب حنَّان ، ولا طبع شفَّاف ، لا سيما بين الإخوان الذين يشاركُ بعضهم بعضاً مشاركةً حقيقية فى المسار والمضار .

أما غالب — الذى يقبل يديك — ففى الحاضر جارٍ تعليمهُ فى البيت ، ولا شك أننى إذا أقمت بمصر نضعه فى مدرسة راقية للأحداث ، ولكن لا أجدنى الآن ذاهباً إلى مصر ، وربما أشتو فى السنة القادمة بمرسين ، وقد سرنى أن يكون مصروف الغذاء اليومى بمصر لا يزيد على جنيه واحد خلاَ أجرة البيت .

لكن أيها السيد الأخ ليس الإنفاق كله فى الأكل ، فمرسين تكلف الساكن كل يوم جنيهاً واحداً من كل وجه ، ولا تستزيده شيئاً ، إذ أسباب النفقة غير موجودة ، ولو أردت أن أخرج إلى السوق بالقفطان (١) ما لاحظ ذلك أحد ،

(١) الجلباب .

وتمضي الجمعتان والثلاث ولا يأتيني زائر ، وكل من أعرف في مرسين واحد تركي أخو جمال باشا الصغير ، وضابط عربي اسمه عاطف بك ، أصله من الذين جاهدوا الفرنسيين وأسسوا استقلال تركية ، وثلاثة تجار من طرابلس الشام : وجيه الحداد ، وناظم المسقاوي ، وحسن القرق ، والجارودي من بيروت ، وبمدة خمسة أشهر ما أدبت إلا مأدبة واحدة كان فيها على فؤاد باشا رفيق مصطفى كمال ، وعثمان باشا قائد أطنه ووالي مرسين ، وما دعوتُ على فؤاد باشا هذا إلا لكون سياسته الامتزاجَ مع سائر المسلمين ، وبيني وبينه معرفة من موسكو .

وقد تقول لي : لكنك هكذا تعيش منزوياً بدون لذة للحياة ، وكأنك تريد أن تكون إمامَ مذهب الاعتزال ، والجواب : نعم أشتهي أن أعيش سنة أو سنتين بدون ضوضاء ، وهو نوع المعيشة الذي يسميه الترك « عائلويّ » ، وبعد ذلك أذهب إلى مصر ، وأما هذا النوع العائلي من الحياة فلا يتيسر لي إلا بمرسين ، لأنني لو طلبت فيها الناس لم أجدهم ، على أنني أرجح كوني بعد ٢٠ يوماً أسافر إلى سويسرة ، وهناك أتلاقى مع[1] . . . ونرى رأيه ونعيد . . . فإن كان على وعده الأول باقياً من جهة . . . إلى هناك أعرفكم الذي يتقرر بيننا .

وسبب آخر وهو الأهم للذهاب إلى سويسرة ، هو كون جمعية الأمم ستنعقد في أيلول ، وهذه المرة سيحضر هريو بنفسه ورامس ماكدونالد ، وربما نتمكن من ملاقاتهما ، وعقيدتي أنه لو نهض أهل سورية هذه المرة ، وألفوا وفداً ذهب إلى باريز ، وأبدوا وأعادوا في أمر سورية بهمة وجرأة ، فإن الوزارة الحالية مستعدة للسمع ، عارفة خطورة عاقبة البقاء في سورية ، مدركة حرج مركز فرنسة[2] المالي ، وملاحظة استعداد ألمانية الحربية . كل هذا يحمل حزب الراديكال على طلب

---

(١) العبارة هنا غير مفهومة لأن شكيب وضع رسوماً هي رموز لأشخاص أو لأمور لا نعرفها ، وقد وضعنا نقطاً مكان هذه الرموز .

(٢) في الأصل : فرنسا .

الخلاص بالتي هي أحسن ، كما أن الاشتراكيين الذين يهدم اليوم إسقاط وزارة الراديكال وعدمه مائلون بكليتهم إلى ترك سورية ، ولكن فضلاً عن كونه لا يوجد أدنى حركة في سورية للذهاب إلى باريز والاحتجاج والأخذ والرد يخشى أن المندوب فيغان يستنفر وفوداً من السوريين فيهم بعض العمائم الكبيرة ، يذهبون إلى باريز لطلب بقاء الحالة الحاضرة ، كما أن المسيحيين الذين لا يوجد إلا نزر منهم يتمنون خروج فرنسة من هناك ، يبذلون وسعهم في صرف فرنسة عن فكرة الجلاء .

وكان ألفرد سرسق مؤخراً في باريز ، فقرع الأبواب كلها راجياً من الفرنسيين عدم سماع كلام الذين يشيرون بالجلاء ، واعداً بكون مستقبل سورية حسناً جداً ، وأن فرنسة تعوض منها خسارتها عليها ، وقد قرأت تصريحاته في بعض الجرائد بهذا الشأن ، ولذلك عند وفاة ألفرد المذكور منذ نحو شهر لم يقتلني الحزن على فقد وطني مثله . . على أن تعصبه هذا لفرنسة لا يعد شيئاً بالقياس إلى تعصب ابن عمه نجيب سرسق حامل علم الاحتلال بين الجالية السورية بمصر ، فهؤلاء هم رؤساء الأرثوذكس ، فما قولك في الكاثوليك ، وأنت بمصر أدرى كم مسيحياً يهوى من قلبه خروج فرنسة من سورية . . فإلى متى نتلهى بالخيالات ، ونظن أن نجد عضداً إلا من أنفسنا ، وإن أبناء وطننا هؤلاء لا يصيرون عرباً إلا إذا استأسد الترك …

وما لينوا معاملتهم مؤخراً للمسلمين بعد غطرستهم المعلومة لأول الاحتلال إلا بعد أن شهدوا بأعينهم كيف أن الأتراك هضموا الأرمن والأروام ، وأخرجوا الأجانب من الآستانة ، واسترجع الهلال ما كان احتله الصليب ، مما كان نصارى سورية يظنون حصوله محالا ، وأن الجبال تزول وقاعدة عدم إعادة ملك للهلال لا تزول ، ومن أحب شيئاً أبى أن يصدق غيره .

لكن لما انتهت حرب اليونان بما انتهت به وأوربة لم تصنع شيئاً رجعوا يطرقين يفكرون في العواقب ، وصاروا يريدون إنساء المسلمين ما سبق من الشماتة ، ولكن منهم من زاده هذا الأمر تمسكا بفرنسة .

هذه حالتهم لا شك فيها ، وليس مرادى أن نجافيهم ، وأن لا نتفق معهم في الأمور الوطنية ، ولكن مرادى أن لا نعتمد على عدد قليل لا يتجاوزون عدد الأصابع . إنهم يحولون مجرى أفكار السواد الأعظم منهم ، فما زالت أنكى السهام التي تصيب كبد الاستقلال العربي هي منهم ، وما زال أكثر التأريث بين العرب والترك كلما انطفأت لها نار أوقدوا غيرها هو منهم ، ومازال الادعاء بمربية كيليكية — وهي التي تهيج هائج الترك — هي منهم ، والذين منهم كسليمان كنعان يبتغون مصلحةَ قومهم ووطنهم ، مؤتلفةً مع مصلحة العرب المسلمين ، هم أفراد وأفذاذ معلومون ، مع أن خطتهم هي الخطة الرشيدة الوحيدة .

لذلك أريد أن لا يفوتنى حضورُ جمعية الأمم هذه النَّوبة ، وقد بلغنى أن اللجنة التنفيذية تتذاكر في إيفاد وفد يكون في جنيف بأول سبتمبر ، ولم أعرف هذا الخبر إلا من الجرائد ، ولا أنتم ذكرتم لى شيئاً ، ولا الأخ النجيب ، فأرجو أن يتقرر تعيينى في الوفد مثل ذى قبل .

أنت في كتابتك عن الإمامة لم تذكر إلا حقاً ، وهو الذى يقتضيه الدين والعلم والسياسة ، ولكن هناك ما لا يُنال ، خصوصا اليوم ، والنظر غير العمل ، أما أنا فلم أعتقد قط أن إيواء الخليفة عبد المجيد إلى صنعاء اليمن معناه أن الزيدية يعرفونه إماماً وإمامُهم موجود ، ولا أجهل أن الزيدية أنكروا خلافةَ العباسيين وهم عرب قرشيون ، فلا يعترفون بخلافة التركى .

وغاية ما هناك قلَّبت طرفى في جميع بلاد الإسلام ، فوجدت أكثرها تحت استيلاء النصارى ، لا يصلح أن يكون خليفة المسلمين فيها ، ووجدت القليل الباقى

على استقلاله عبارة عن الأفغان وإيران والحجاز واليمن ونجد ومصر وثلثى ألبانية وواحات الشيخ السنوسى لا غير ، فلا أمير الأفغان ولا ملك مصر يقبل وجود الخليفة عنده ، ولا العجم يعترفون بالخلافة ، وملك الحجاز جعل نفسه هو الخليفة ، فلا يعقل أنه يقبل بوجود عبد المجيد عنده ، وسلطان نجد كذلك بلاده ضيقة ، ولا شك أنه يحب أن لا يجاوره خليفة فى بلاده .

أما اليمن فهو قطر كبير ، يمكنه أن يحمى الخليفة والخلافة ، وفيه أكثر من الثلثين شافعية ، وكان بلغنى أن الإمام يحيى لا يرفض إيواء الخليفة وجميع آل عثمان شهامةً منه وأريحية وحماسة عربية ، فقلت لو وُجد عبد المجيد فى صنعاء أو فى زبيد ، باتفاق يبرمه جميع المسلمين ، على أن تكون حقوق إمام الزيدية محفوظة ، ويكون الإمام سيفاً للخلافة ، فيكون هذا حلا مؤقتا إلى أن نكون رأينا كيف يفرج الله ، ويكون ظهر للعالم الإسلامى بأجمعه أن الترك طردوا الخليفة ، ولم يجد المسلمون له مأوى إلا فى بلاد العرب .

ولو أعدت التأمل فى هذه المسألة لوجدتها أليقَ بالإسلام وبالعرب ، ولعلك تقول : ولماذا هذا التمسك بخلافة عبد المجيد ؟ فأجاوبك ليس : هذا إلا لكونى على يقين بأنه إذا خُلع عبد المجيد ، والإسلام على حاله الحاضرة المعلومة بويع لا أقل من ١٠ خلفاء ، ولا تتفق كلمة المسلمين ما عدا ١٠ أو ٥ فى المائة منهم إلا على خلافة ابن عثمان .

وسترى أنه لو تقررت خلافة الإمام يحيى لم يبايعه غير الزيدية ، وهم مليون من ٣٥٠ مليونا ، ولا كثير من أهل مصر .

مع أننى أنا أقول إذا حازت مصر الاستقلال الذى لا شائبة فيه فكرسى مصر هو أولى الكراسى بالخلافة ، ولكن هل تنال مصر هذه الأمنية : أمنية الاستقلال الذى يعطيها حق تنظيم جيش على نسبة عدد أهلها وأسطول ، فإن علامة الاستقلال لا تظهر إلا فى هذه النقطة . فإن نالته فمصر هى مركز الخلافة ، ومتى أيقن المسلمون

وأن لمصر جيشاً هو فى السلم ١٥٠ ألفاً ، وفى حال السفر مليون ونصف عسكرى ، وعلموا أن لها أسطولا يضارع أسطول دولة أوروبية من الدرجة الثانية تهافتوا حتى التتر والترك منهم على مبايعة ملك مصر .

أطلعت السيد السنوسى على قصتك مع ابن عمه الأمير السيد إدريس ، وتأسف لها من كل قلبه واسودّ وجهه ، وقال لى : سأكتب إلى سيدى إدريس بأن يسترضى السيد رشيد ، ويدير له (أى يعمل بلغة المغاربة) عزومة لائقة بفضله ويعتذر له ، وأطال فى الكلام فى هذا الموضوع ، وترجانى أن أشكرك من قبله عن مساعيك من أجل مسألتهم ، وأن أعتذر لك عما وقع . وكما قلت أنت تراه هو يقول ، وهو : إنه لو وقع بعض الخلاف على بعض مسائل فقهية فالاتفاق فى الجوهر موجود ، والاتفاق على نصيحة الإسلام موجود ، والاتفاق على حفظ الحَوْزة محكم العرى ، وقد أطلعته على أقوال النجديين والرسالة التى أهديتنى إياها ، فقرأها ، ودافع عن بعض النقاط ، ومع هذا فقد قال عن الرسالة هكذا : رسالة باهية فيها فوائد .

فترى من هنا أنه منصف قليل التعصب ، أما دفاعه فهو أن الأولياء لا يعتقد فيهم مسلم أنهم يؤثرون شيئاً إلا بإذن الله ، وأن الاعتقاد بصلاحهم والتبرك بهم من الأمور الباعثة على الاهتداء بهم ، وأن الإمام عمر استسقى بالعباس لكونه عم الرسول (ص) فيجوز الاهتداء به ، وأن برهان كون العباس استسقى به لما كان حياً لا يقوم بل الميت له كرامة كالحى ، لأن موت الجسد لا يميت الروحَ الخالدة التى تكون عند ربها ، وتكون فى موقع هو أولى بقبول الشفاعة ، وأما زيارة القبور فقد أذن بها الرسول ص[1] ، وعنه أحاديث ثابتة فى ذلك ، وأما المبالغة التى يعملها العوام فهذه مردودة يلزم نهيهم عنها .

وقال إن العلماء من صدر الإسلام إلى اليوم لم ينهوا عن زيارة القبور ، وقال إن

---

(١) هكذا بالأصل ، والحرف ص هنا رمز لعبارة « صلى الله عليه وسلم »

عدم الاعتقاد بالأولياء ليس بكفر ، وقال إن الوهابيين عندهم غلو ، وروى لى جدالا وقع بينهم وبين سيدى أحمد بن إدريس دفين صبيا(١) . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

١ — يصادف وصول كتابى هذا عيد الأضحى المبارك ، أعاده الله عليكم ، وعلى آلكم ، وعلى الأمة الإسلامية كلها بالخيرات الوافرة(٢) .

— ٨ —

مرسين ٢ ذى الحجة ١٣٤٣(٣) .

سيدى الأخ الكبير :

تناولت أمس كتابكم الطويل ، ولو لم يكن سوى هذا الكتاب دليلا على برِّكم بأخيكم الصغير هذا وعطفكم عليه وضنكم به وبسمعته العلمية لكفى ، فلا تحضرنى عبارةٌ أقدر أن أوفيكم بها حقَّ الشكر على هذه العناية وهذا الصبر ، مع ما أعلمه من ضيق أوقاتكم ، وأسأل الله أن يجزيكم عنى خيرَ الجزاء ، وأن يبقيكم ملاذا لى ولكل المسلمين ، وأن يعيد هذا العيدَ عليكم أعواما لا تُحْصَى ، وأنتم وآلكم بالعافية والتوفيق والخيرات والمسرات .

كتاب « حاضر العالم الإسلامى » بدأت به ، على أن لا أعمل فيه شيئاً سوى

---

(١) الموجود من الرسالة الى هنا ، وبقيتها مفقودة .

(٢) هذه حاشية جاءت فى أول الرسالة فوق افتتاحيتها .

(٣) هذه الرسالة فى ثمان ورقات كل منها مكتوبة من الجهتين إلا ورقة بيضاء ، وفيها ملحق طويل هو أكثر من نصفها .

مقدمة ، ثم خطر لي تعليقُ بعض كلمات ، ثم زادت الكلمات فصارت أسطراً ، ثم صحائف ، وهلم جراً ، لهذا ترى الكلام عليكم وعلى المرحوم الشيخ محمد عبده كان مختصراً ، لأنه فى الأول ، إذ كان مقصدى الوقوف على هذا المقدار ، إلا أن القلم جنحَ وطمح فى آخر الأمر .

نعم كان من الممكن أن نفرد لهذه المواضيع كتاباً ، ويكون أوسع مما كتبنا بكثير ، لأننى ما حررت عشرَ المعلومات التى عندى عن العالم الإسلامى ، ولكن استقلال كاتب شرقى بالكتابة لا يكون له وقعٌ فى الشرق ، كما لو كان ثانىَ اثنين لكاتب غربى ، إذ اليوم لا يثق الشرقيون إلا بكلام الإفرنج . نقول هذا مع الأسف .

فإذا قيل : قال هذا ستودارد الأميركانى ، أو هوارت الفرنسى ، كان الوقع أكبر والثقة أعظم ، فأنا كتبت ما كتبت متوكئاً على مَنِ الثقةُ به سابقةٌ لمطالعة كلامه ، فكأن كلامى يستفيد من حرمة الشرقيين لكل إفرنجى ، ولو كان الدكتور صروف وضع كلامى فى منزلة أعلى من كلام الأميركانى .

المهم الآن أن تكتبوا عنه فى « المنار » ، ثم تعملوا طريقة مع أخى عادل لدفع المبلغ المطلوب لنجيب مترى من محجاج نويهض ، وأخْذِ الكتاب من عند مترى . أنا من أشهر كتبت إلى عادل وإلى محجاج بأن يأخذوا الخمسمائة نسخة التى تخصنى ويدفعوها إلى مكتبة المنار . مراراً كتبت هذا إليهما ، لكن المسكين محجاج عجز عن دفع تتمة مطلوب السلفية ، فاحتاج مبلغاً ، فاقترضه له عادل من مترى ، فصار الاثنان مربوطين بمترى ، ومع هذا فكتبت إلى عادل ليعمل طريقة لوضع جانب من نُسَخى فى مكتبة المنار ، لا لشىء سوى أن كتاباً لى لا يجوز أن لا يباع فى المنار ، وبعد أن أكدت عليه هذا جاءنى منه ومن محجاج نفسه أن مترى يماطل فى توزيع الكتاب ، ويزعم أن المجلد غَشّه ، وترى الهدايا نفسها لم يوزعها ، إلا نسخ الجرائد ، وتراه لم يرسل شيئاً إلى سورية ، ولا إلى فلسطين .

ونظراً لما حصل عند بعض إخواننا المسيحيين من الضجة حول نشر هذا الكتاب ، فظنون أن فتور مترى فى التوزيع مقصود ، فلهذا ألححت مؤخراً على عادل بعمل طريقة مع كُتُبِيَة[1] مسلمين ، لاسيما السيد عبد الرحمن عاصم ، وتخليص هذا الكتاب من المحل الذى هو فيه .

نعم نجيب مترى محب لنا نظراً لاختصاص أهله ببيتنا ، لكن إذا ثارت عليه خواطرُ القوم فماذا يصنع ؟ .

وكتبت أمس إلى ابن عمكم أرجوه أن يساعد عادلا على تخليص الكتاب من أيدٍ لا تحب نشرَه ، مع أننا نحن لم نتعب هذا التعب كله — وناهيك تَعَبَ مَنْ يؤلف ويصنف وهو من قطار إلى قطار ، لايستقر فى شرق ولافى غرب — إلالأجل أن يطالعه المسلمون .

هذا الوجه الأدبى . ثم هنا وجه مادى أيضاً اضطررت إلى الاهتمام به هذه المدة ، وهو أنى فى أزمة مالية شديدة ، لأسباب أبينها لكم على نوع التسلية :

١ — كلفتنى سياحة أوربة[2] الأخيرة ٥٠٠ جنيه ، جاءنى من أصلها من أميركة[3] ١٠٠ جنيه لا غير ، أى ٤٧٠ دولاراً ، والباقى بذلته من كيسى ، وما كان يجب أن أطيل الإقامة ٧ أشهر فى أحسن الفنادق ، لكن هكذا صار . لا بل عندما رجعت إلى استانبول أرسلت منها ٤٠ أقة من « راحة الحلقوم[4] » هدايا إلى أصحابى بأوربة . ولما كان مبلغ ٤٠٠ جنيه يهزنى ، فإلى هذه الساعة أشعر بهذه الهزة .

وجدت على العائلة بمرسين ٥٠٠ ليرة تركية دَيْناً ، ثم جاءنا بدلُ إيجار البيت ٦٠٠ ليرة ، أى ١١٠٠ ليرة تركية ، وهى ١٢٠ جنيهاً باركة

(١) الكتبية : باعة الكتب .
(٢) فى الأصل . أوربا .
(٣) فى الأصل : أمريكا .
(٤) نوع من الحلوى .

عليّ بمرسين ، ولا أقدر أن أوفر شيئاً لوفائها من دخلي ، لأننا نريد أن نعيش ، ونحن ٩ أنفس مع الخدم .

٢ — أخي نسيب في « الشويفات » مغرم بشغل الأملاك ، فوضنا إليه أن يفلح جيداً هذه السنة ، ويسمد وينقب ، وظننا أنه ينفق في هذه السبيل سبعين أو ثمانين ليرة ، فإذا به أنفق ٢٥ ألف غرش ذهب ، فليس الزيت الذي كان عندنا لم يكف ، بل اضطررت أن أسدد الباقي من عندي ، وعسى أن نحمد السرى بعد هذا كله . لأن ملكنا بسبب التشتت الذي أصابنا كان مهملاً جدا ، فالشغل كان لازماً .

٣ — كنت اشتريت بيتاً في برلين أيام ذلك الرخص ، وهو وكالة فيه ٢٠ منزلا أي عشرون عائلة ، كل عائلة في مسكن من ٤ إلى ٦ غرف ، والآن يساوي ٢٠٠٠ جنيه ، وربما يأتي وقت يساوي فيه ١٠ آلاف جنيه ، ودخله السنوي الآن ٧٠٠٠ مارك ذهب ، كلها تذهب رسوماً ، لكننا نأمل المستقبل .

فهذا البيت مع غيره من البيوت التي اشتريت أيام الرخص أرادت الحكومة فسخ عقود شرائها ، واضطررنا أن نقيم دعوى : وبعد أخذ ورد منذ ثلاثة أشهر عضدتنا نظارة الخارجية عضداً شديداً ، ومع السندات القانونية ربحنا الدعوى ، وأبلغتنا دائرة الأملاك في برلين أن البيت باق لنا .

لكنها أرسلت مهندساً كشف عنه ، فوجد أن البيت يلزم له إصلاحات بسيطة بأربعة آلاف مارك ، فدفعها الدكتور بيضا صديقنا عنا حالا ، ويطلب له من قبل حسبة جزئية ، لكن علينا الآن أن نجهز له ٢٠٠ جنيه ، ولو دفعناها تدريجاً .

٤ — لنا فى عين صوفر أملاك واسعة مستقبلها عظيم ، ومن جملتها دكاكين وقهوة ، وبعض الأبنية حجر وبعضها خشب ، فالبلدية قررت نقضَ كل بناء خشب ، فاضطررنا أن نبنى بالحجر ، وباشرنا جلب الحجارة ، ولكن سفرة أوربة أعجزتنا عن الإتمام ، ونقص القادرين على التمام عيب ، أما نقص العاجزين مثلنا لم يكن عيباً .

إلا أن وكيلنا بصوفر غنى فأبى أن يقال إن أميره عجز عن إكمال البناء ، بعد أن جمعوا الحجارة ورَوَّوا الكلس ، فأخذ يبنى دكاكين ويدفع النفقة من كيسه ، وعلى كل حال لابد أن أبعث له بمائة جنيه .

فهذا هذا ، ولستُ ضايماً ، وأقل نسمة هواء تؤثر فى جسمى . فأصبحت فى أزمة ، ولا تنفرج هذه الأزمة بأقل من ٣٠٠ جنيه على الأقل ، ولذلك لا أقدر أن أبعث لكم لا بثلاثين ولا بعشرين جنيهاً فى الوقت الحاضر .

بل أرجو منكم أمرين : الأول : عمل طريقة لأخذ « حاضر العالم الإسلامى » من نجيب مترى ، ووضعه فى مكتبة المنار وغيرها من مكاتب المسلمين . الثانى : سرعة إرسال ابن سراج الذى تم ، حتى أراه ثم أعيده لكم ، ومباشرة توزيعه ، والاجتهاد فى تصريف ما أمكن من الكتابين بهذه المدة ، وإرسال ١٠٠ جنيه على الأقل بهذين الأسبوعين ، أو خمسين جنيهاً ثم الباقى تدريجاً .

هذه عُجَرى وبُجَرِى (١) أطلعتك عليها ، ولا أكلفك أن ترسل لى دراهمَ من كيسك — ولو كنتَ والله لا تتأخر إذا لزم — لأنك أنت أيضاً ذو عائلة ونفقات يومية مهمة ، ولكن رجائى الهمة فى تصريف « حاضر العالم الإسلامى » و « ابن سراج » .

---

(١) العجر والبجر : العيوب والأحزان ، وما يبدى الإنسان وما يخفى .

بقي أنه عندى كتاب اسمه « أناتول فرانس فى مباذله » باقٍ عليَّ من ترجمته ٣٠ صفحة لا غير ، وقد وقعت ترجمته فى ٢٣٠ صفحة من قطع هذه الصفحة التى أنا كاتب لك بها ، وتم فى ٢٥٠ صفحة بهذا القطع وهذا الخط ، فهل يمكن طبعه فى مطبعة المنار ؟ .

على أننى غير قادر أن أدفع من كلفته شيئاً ، نظراً لحالتى هذه المارّة الوصف ، ولست أريد الجور عليكم أكثرَ مما جرت ، ثم إنه يُوجَدُ فيه وفى حواشيه — هذا أيضاً له حواشٍ ، لكنها مختصرة ، فأنا على كل حال صرت محشِّى بَاشَى — ألفاظٌ يلزم كَتْبُهَا بالإفرنجى ، فهل فى مطبعة « المنار » كل ما يجب من الحروف الإفرنجية ؟

لا تلزموا نفسكم طبع هذا الكتاب ، فإنى أجد من يشتريه صُبْرَةً[1] واحدة ، ولكن إن كان طبعه عندكم على هذا الوجه لا يحدث أدنى ثقلة نبعث به إليكم ، وموضوعه أن ناموس[2] كاتب فرنسة الأكبر يضبط أوابدَه وشوارده ، ويروى نكاته فى مجالسه الخاصة وفى بيته ، ففيه نكات ورقائق كثيرة ، لكننا أسقطنا منه كثيراً مما يضر بالعفة والطهارة ، وخففنا شيئاً منه بصورة الكناية وبالمعاريض ، ورددنا عليه فى بعض الحواشى ، أو ذكرنا أن كلامه من قبيل النكتة المرسلة .. إلخ ، وغطينا أشياء كثيرة .

أما سائر ما تفضلت به فى كتابك فجوابه عندى : لا أحد يفرِّق بينى وبينك فى هذه الحياة ، لأن مبدأنا واحد ، وهذا أثبت شىء فى دوام المحبة ، وإن وقع اختلافُ نظرٍ فى بعض الأحايين فلم يقع ولن يقع فى الجوهر ، ونحن نصلى دائماً وراءك ، لا نرضى غيرك إماماً ، ولا غير « المنار » محراباً ، ونسأل الله أن يمتع بك

---

(١) الصبرة : ما جمع من الطعام بلا كيل أو وزن، والمعنى هنا أنه يجد من يشتري الكتاب كله دفعة واحدة

(٢) أي كاتم السر، (السكرتير) .

وبمنارك وبجميع أنوارك هذه الأمة المحمدية التي زماننا هذا فيها مرابطة ومثاغرة[١]، وحرب متصلة النائرة[٢]، ولابد أن نستمر على الجهاد والذب عنها إلى أن نموت، ويعلم أعقابنا أن بين أجدادهم أناساً ما وَنُوا ولا قصروا، وأن للاستقلال الذى تأثَّلَ لهم[٣] — وهو ما لا بد من حصوله يوماً — مقدمات بمساعينا ومساعى أمثالنا وأُسّاً وضعناها بأيدينا، وما نحن إلا كسائر الأمم التى وقعت لها هذه الأمور، ونجحت على أيدى نبهائها، وأطال الله عمرك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أخوك

شكيب أرسلان

١ — بصحبته ورقة فيها جوابى على بعض الملاحظات اللغوية، مما أنا مسلّم بأكثره[٤].

جوابى على الملاحظات اللغوية :

نعم «مِقلَات[٥]» هى الصواب، وهكذا كنت أتذكر، والبيت الذى أوردتموه كنت أحفظه، لكنى عندما أردت تصحيحَ الكلمة إذ كانت فى الطبع «مقلاة» أحببتُ أن أراجع لأرى هذا البيت فلم أجده، ونظرت أمامى فى «أقرب الموارد[٦]»، ولم يكن غيره، فلم أجد «مقلات»، وخفت أن أقرأ كلمة بدون تحقيق، وأن أعتمد على ذاكرتى وقد تخوننى، فلهذا صححتها بمقلال على أنى أكون ذكرت شيئاً صحيحاً.

---

(١) المثاغرة : الإقامة على الثغور للحراسة.
(٢) يقال : ثارت نائرة، أى هاجت هائجة.
(٣) تأثل : عظم وتجمع.
(٤) هذه الحاشية جاءت فى نهاية الرسالة ويليها ملحق عن الملاحظات اللغوية.
(٥) المقلات : الناقة التى تضع واحداً ثم لا تحمل، والمرأة التى لا يعيش لها ولد.
(٦) كتاب فى اللغة لسعيد الشرتونى.

« ذيل جررناه عن الأندلس » و « سبعة عشرة خلت » و « اقتدى فىّ » هذه كلها ذهول محض ، وكنت أعلم الوجهَ فيها يوم كتبت « ابن سراج » ، بل يوم كنت فى المدرسة . ولست من السوريين الذين يضعون (فى) موضع (الباء) .

ثم قد أضع (الباء) موضع (فى) وهذا يجوز كثيراً ، أما أن أقول « اقتدى فىّ » فهذا بعيد عنى . إلا أن يكون سهواً محضاً ، كالذى يكون القلم فى يده ولا يراه فيبحث عنه . ومثل ذلك « النائرة » فلا تستحق الذكر .

أما « عبىَّ الجيش » فهذه هكذا كنت أكتبها ، لست أسهِّل الهمزةَ فقط ، بل أرسمها بالألف المقصورة . فهذه المرة أنت نبهتنى إلى الصواب فيها ، جزاك الله خيراً ، ومنشأ غلطى فيها والله أعلم اسم كتاب أحمد فارس(1) « كشف المُخَبَّا عن فنون أوربا » .

فإننى لما ذهبت إلى أوربة شاباً سنة ١٨٩٢ كنت شرعت بكتاب أسميه : « الجيش المعبَّأ من أخبار أوربا » ورسمت معبا هكذا « معبى » ، وبقيت على هذا الغلط إلى الآن ، فها أنا ذا تائب بعد أن نبهتنى له .

أما « كادوا علىَّ كيدهم » فالصواب ما قلتموه ، وكما فى كتاب الله أكثر من مرة : « فيكيدوا لك كيدا » و « كذلك كدنا ليوسف » ، ولا تجوز : كاد عليه ، إلا على تضمين فعل آخر ، كأن تقول : حرك عليه مثلا .

ولفظة « المحيق » هذه سهو فظيع ، لأننى لا أجهل أن الفعل حاق لا أحاق ، وأنا ممن يتجنب كثيراً بل ينتقد مَنْ يقولون « مُعيب » و « مُريع » بمعنى عائب ورائع ، وغريب كيف أن الإنسان يمر على كلمات هذه ولا ينتبه لها ، وقد يقع السهو فيما هو أوضح ، فإن فى كتابك لى هذه المرة تقول لى هكذا : « وأرجو أن يكون

---

(1) هو أحمد فارس الشدياق .

لانتقاده تأثيراً عملياً يقف بالتساهل فيها عند حد .. إلخ » فكأنه عند ما جرى قلمك تصورت « أنّ » المشددة ، ولا بد أن يكون حينئذ اسمها منصوباً ، ثم وضعت كلمة « يكون » بعد « أن » ، وذهلتَ عن أن الحالة قد تغيرت بها ، فهذا لا يخلو منه بشر .

أما لفظة « مهول » فهذه أنا مفتشٌ عنها من قديم ، وواقف على صحتها فى بعض كتب اللغة ، ولكن أوثق سند عندى هو قول بديع الزمان :

« أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول »

فإن بديع الزمان ينزل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ولا حاجة بى إلى شاهد آخر ، وأما قول الشيخ عبد الغنى النابلسى :

« إن رَامَكَ الخطبُ المهولُ فأقلقا فانزل بأرض الشام واقصد جِلَّقَا »

فلا أذكرهُ لأن الأستاذ النابلسى مع سعة علمه لا يعد سَنَدَاً فى اللغة ، أما « المعاشيب » فالظاهر أنها « التعاشيب » ، وهى من الجموع التى لا مفرد لها كما لا يخفى .

« وسرت الفلكُ بريح طيبة » : حسناً فعلتم فى وضع (جرت) موضع (سرت) . على أنى من أيام صِغَرى لما كنت أطالع فى علم البديع قرأت أن الاقتباس من كلام الله — وإن جرى تغيير فى بعض كلمات من الآية — يبقى اقتباساً .

« وما هو ذلك القصر » : كونه من اصطلاح المناطقة أعرفه ، أما كون « هو » لا لزوم لها ولا مرجع ، فما كنت أعرفه من قبل ، بل كنت أكتب مثل هذا التركيب كثيراً ، والآن سأنتهى عنه ، لكن على عهدتك أنت ، لأنى أعدك ثقة .

« ولذلك فإن بقايا آبائه » : هذه أيضاً منى غريبة ، لكنها ليست بسهو ، وقد أكتب مثلها : « وعليه فإن كذا وكذا » أو « وعلى هذا فإن .. إلخ » . لا أعلم لماذا أكتب مثل هذه الجمل بدون تحقيق ؟ .

جُلُّ ما هناك أنى كنت أقول فى نفسى إن الفاء هنا زائدة ، ولكن على فرض

أنها زائدة فهل يصح أن نقول : « ولذلك إن بقايا آبائه » ؟ كلا ، هذا منى غلط واضح ، وكتابة بدون تروٍّ ، بل هى متابعة للناس بلا تفكر .

أما « فضلا عن كذا » : فعلى فرض أنها لم ترد فى كتب المتقدمين فلا أجد منها مانعاً ، لأن المولدين أحدثوا اصطلاحات كثيرة لم تكن عند الجاهلية ، ولا فى صدر الإسلام ، ولا بأس بها ، بل لا غنى عنها ، وما دامت لا تخالف قواعد اللغة والنحو فما المانع ؟ .

وقولى : « كون المسلمين أحوج من النصارى إلى الماء ، لأنه فضلا عن الشراب يلزمهم لأجل الوضوء » : تسألون بم أنصب كلمة « فضلا » هنا ؟ أجيب : أنصبه كما ينصب دائماً على المصدر بمعنى الزيادة ، أى أن المسلمين يلزمهم الماء لأجل الوضوء زيادةً على الشراب .

وقد كان يمكننى أن أقول : « لأنه يلزمهم لأجل الوضوء فضلا عن الشراب » ، وهذه الجملة وكثير غيرها مما فيه تقديم وتأخير هى ترجمة جرى قلمى فيها بمراعاة الترتيب الأصلى الإفرنسى ، لأنه مهما اجتهد الإنسان فى مراعاة الأسلوب العربى إذا بدأ يترجم يؤثر فيه الأصل الأجنبى ، لاسيما إذا كان مستعجلا كما كنت أكتب « ابن سراج » .

استعمال « يلزمهم » بمعنى « يحتاجون إليه » : نعم أراه مولَّدا ، وهو على تأويل فيما يظهر . ألم يقولوا : « إن قال كذا لزمه الطلاق » أى وجب عليه ، فكأنهم أرادوا بقولهم « يلزمهم » يجب عليهم .

وإن اطلعت على شىء أوضح فى أصل استعمالها بمعنى الوجوب أكتب لك عنه ، ويلزمنا لذلك مطالعة « نهج البلاغة » وكلام الجاحظ وابن المقفع ، ثم الطبقات التى تليهم .

« كأنى بهذا الطريق بدلا عن أن يزداد بهم حركة وأنساً ازداد وحشة

ووحدة » : هذا من أثر الترجمة أيضاً ، وكان الأولى أن يقال : « كأنى بهذا الطريق أزداد بهم وحشة ووحدة بدلا من أن يزداد حركة وأنساً » . فجرى تقديم وتأخير لا غير ، و « بدلا » تجد ناصباً على كل حال . أما « عن » مكان « من » فواضحة ، وإن كان العامة رجحوا « عن » فى هذا المقام .

« وأسلحة تزيد رونقاً وجلالا صباحة وجهه » : كون صباحة وجهه مفعولا أولا ورونقاً مفعولا ثانياً هذا بَيِّن ، وكون تقديم المفعول الثانى على الأول مخالفاً للقاعدة إلا شذوذاً هو مما لا جدال فيه .

« تواثبا الواحد على الآخر » : ليس بغلط لكنه حشو .

« يتظاهرون بعضهم على بعض » : أنا لا أكره لغة « أكلونى البراغيث » ، ولغة : « يتعاقبون فيها ملائكة » أرى فى هذا معنى التأكيد ، وقبلا قلت لك ولست أجزم بصحة رأيى ، وإنما هو رأى من الآراء ، ودَلْوٌ فى الدلاء : إنه ورد فى كتاب الله أشياء شاذة عن القاعدة ، وأشياء على المذهب المرجوح ، وغيرها لا تمشى إلا بتأويل وتخريج ، وهذه كنا نقرأها ونحن أولاد ، ولم تبق فى ذهنى كلها ، ولولا ضيق وقتى لكنت أذكرها لك أو أذكر منها ، ولكن لا يسعنى من الوقت أن أحك برأسى ، وعلى كل حال فأنت أدرى بها ، فهذا الذى جاء فى القرآن كيف نمنع نحن السير عليه ؟ .

ولا بأس أن نقول إن الأكثر والأشهر هو كذا ، ولكن يلزمنا أو يجب علينا أن نقول : إن العدول عن الأشهر ليس بغلط ، فقد ورد فى أفصح الكتب ، وكما أن كتاب الله قرىء بقراآت عديدة ، حتى إنه قرىء بلغات القبائل منذ نزوله ، كذلك فيه تراكيب على حسب القاعدة ، وعلى حسب غيرها ، تيسيراً على الناس فى الكلام كما هو التيسير فى الأحكام ، أفلم ترد أمور أجازها المجتهدون مع الكراهية ؟ .

ثم إننا كيف نُخَطِّئ الكلام الوارد قبل النحو والصرف — كما خطأ إبراهيم اليازجي (ضوضاء) الواردة فى كلام الحارث [1] بن حلزة اليشكرى ، وقال هى مذكر — فإن النحو والصرف بنيا على هـذا الكلام الذى وصل إلينا ، ولم يُبْنَ هذا الكلام على نحو البصريين والكوفيين ، وهل يكون الحديث مثالا للقديم ؟.

فصار لنا أن نقول : جرى أ كثرُ كلامهم على الوجه الفلانى ، وجرى كثير منه على الوجه الفلانى ، وجاء منه قليل خلافاً للأولين .

وأما أن هـذا غلط ، وأن الحارث بن حلزة ينطق بغلط يصححه له إبراهيم اليازجى بعد ألف وأربعمائة سنة أو أكثر ، فهذا صعب أن يقبله عقلى .

وقد كنت اطلعت على كتاب من كتب المكتبة التى ورثها المرحوم الشيخ على يوسف من السادات اسمه : « بحر العوَّام فيما أصاب فيه العوَامّ » فيه أشياء مدهشة ، حتى إنه ذكر أشياء نراها نحن من أقبح اللحن ، فصحح استعمالها ، وأورد شواهدها ، ويومئذ قلت للشيخ على : لا تطبع هذا الكتاب لأنه يعطل النحو ! .

السيد مصطفى الرافعى يرى رأيى ، فى جواز استعمال الضعيف أحياناً ، وأن مثله ورد فى كتاب الله .

« نحو ثلثمائة » : نعم الأصح : « نحو من ثلثمائة » ، ولكن عرَّفوا فى معاجم اللغة النحو بالقصد ، وبمعان أخر من جملتها المقدار ، أفلا يجوز أن يقال : « مقدار ثلاثمائة » ؟ .

« كانت المقبرة عبارةً عن روضة » : وإن لم يكن تركيب « عبارة عن » جاهلياً ، فإنه لا خطأ فيه ، وهو يفيد المراد مع زيادة فى البلاغ ، وإنكار بعض المعلمين له ليس بشىء .

---

(١) فى الأصل : الحرث . وفضلت كتابتها بالألف لأنها أوضح .

لأنه ليس بشرط أن لا نستعمل لفظةً عربية إلا كما استعملوها قبل الإسلام ، فقد أوجد الإسلام ألفاظاً فقهية ، وأوجدت الحكمة ألفاظاً فلسفية ، وأوجدت الكيمياء ألفاظاً صناعية .

نعم كانت الألفاظ فى اللغة من قبل ، لكنها لم تكن بهذا المعنى ، ناهيك بمثل « القَلَم » الذى سئل عنه ذلك البدوى ، فلم يفهمه بالمعنى الذى نفهمه به اليوم ، فهل نبطله ؟ . وإن أبطلناه فماذا نقول ؟ .

ملاحظتكم بأمر « المعروشة » فى عين محلها ، فالمعروش هو من نوع الدوالى ، ولعل مرادى أنها روضة من النخيل والسرو والنارنج معروشة عليها الدوالى ، أى على الشجر ، إلا أن الجملة حينئذ يجب تغييرها .

« أن يُصْلِحَ ذاتَ البَيْنِ بين الفرسان » : الأصح كما قلتم « ذات بَيْنِ الفرسان » .

أما مسألة « الفيلق » فأنا لم أقل إنها غير مؤنثة ، إنما أردت أن أقول إن تذكيرها لا يستحق التخطئة ، أولا من جهة اللفظ ، ثانياً من جهة الشاهد الذى تذكرته من « فقه اللغة » (١) ، وفقه اللغة ليس عندى الآن ، بل هو فى مكتبتى بالشويفات ، وإنما منذ ٣٥ سنة قرأته ، وأتذكر الفيلق فى درجات الجيش ، وكان مرادى أنك مولع بالتخطئة ، لا تدع ثنية ، لا أنك مخطىء .

وأما « اكتساح رومة » فإجمال الخلاف فيها أننى أنا قلت إن العرب اكتسحوها ، ثم اعترفت أنهم لم يفتحوها ، بل اقتصروا على نهبها ، وأنتم تذهبون إلى أن الاكتساح يقتضى أخذ المال كله ، والحال أنهم تلك المرة لم يأخذوه كله ، بل قتلوا ونهبوا وسبوا ، وأخذوا تابوت الفضة الذى على مذبح كنيسة مارى بطرس — ولا شك أنهم كنسوا الكنيسة يومئذ كما تحب أنت ، وكما تريد أن يكون معنى

---

(١) كتاب « فقه اللغة » للثعالبى .

الاكتساح — وهذا ليس كل الشيء . فأنا أقول : العرب دخلوا رومة ، ونهبوا وسبوا ، وأخذوا نفائس الكنيسة وغيرها ، ولهذا أقدر أن أقول إنهم بهذا العمل اكتسحوها ، ولو لم يكنسوها بالمكنسة ، لأنه إن كان الكنس بالمكنسة شرطاً لم يصح ، الاكتساح ، ولا في موضع ، لأنه لا بد أن يبقى شيء ، وتسمية الشيء باسم بعضه جائزة .

تقول إنك تحكِّم في هذه المسألة الأستاذين أحمد زكي باشا وأحمد باشا تيمور ، فأنا راضٍ بهذين الحَكَمين اللذين تُرْضَى حكومتُهما ، وحبذا لو أطلعتموهما على جوابي هذا كله ، ليحكما هل عرفت الحق أم عاندت ؟ وإنِّي أجد اثنين غيرهما من الثقات أيضاً (أيضاً هي مولدة أيضاً) ، وهما السيد مصطفى صادق الرافعي ، والشيخ خضر حسين التونسي ، فأرضى بحكمهما .

نعم إني استغربت من سعادة أحمد باشا تيمور شيئاً ، وهو أنه أجاز كتاب أسعد أفندي داغر في تخطئة بعض استعمالات عصرية أو مولدة ، وإجازتُه تدل على أنه ارتضى بكل آراء داغر ، وأنا على ضعفي أقول إن في كتاب أسعد داغر — في جانب كثير من الصواب — كثيراً من تحجير الواسع ، بل من تخطئة الصحيح ، وإن شاء الأستاذ الباشا نكتب له في هذا .

ورد في مكتوبكم لي جملة : « زائدة عما طبعناه » ، ومرة أخرى كذلك وضعتم « عن » بعد « زاد » ، فأنا كنت أظن أنه بعد (زاد) يجب الإتيان (بعلى) ، وكذلك بعد نافَ وأناف ، والآن لست منتقداً ، بل عند ما أرى في كلامك موضعاً أقف فيه أحب أن أسألك ، ظناً بأن عندك نصاً ، لمثل هذا سألتك عن الخزينة ، والوسائط .

وبالإجمال فأشكر لك هذه اليد البيضاء في إفادتي وتصحيح خطئي (١) ، وهي

---

(١) في الأصل هكذا : خطأي .

يد لا أنساها لك فى حياتى ، وأضمها إلى جملة عوارفك ، وأما أننى ماريتك فى حديث فوالله إن كنت فعلته كان نكراً ، ولو أن السيوطى قام من قبره لعرف قدرك فى الحديث[1] ، فكيف يجادلك فيه من هو مثلى ؟ . لقد أخطر ببالى هذا ما رويته أنت لى عن الشيخ محمود نشابة عندما كان يماريه الشيخ عبد الفتاح الزعبى : « يا عبد الفتاح ، وفى اللغة كان » ؟ .

— ٩ —

جنيف فى ٢٨ أيلول[2] ١٩٢٤

سيدى الأخ الأستاذ

بهذه الساعة أخذت كتابك الكريم المقيد رقم ١٨ صفر الخير[3] ، وعليه أجيب .

إن ترجمة « آخر بنى سراج » قديمة العهد ، مضت عليها ٢٨ سنة ، وقد راجعتها مرة واحدة فى « مرسين » ، وأنا على أوفاز السفر[4] ، فأصلحت منها ماظهر لى الخطأ فيه ، وبقى فيها ولا شك ما فيه نظر : إما لكون مطالعة المسافر لا تخلو أبداً من عجلة ، أو لكونى أجهل بعضَ القواعد التى تعرفونها ، لاسيما وإننى فارقت كتبَ النحو منذ ٣٥ سنة ، بل أكثر .

تريدون أن تغيروا « الزعيم بحسن المآل » بلفظة « المسؤول » فلا بأس ، ولكن ليس كل ما يُسْنَد إلى الله تعالى يجب أن يكون من جملة الأسماء الحسنى ، فقد تكون صفات مختلفة فى اللفظ متفقة فى المعنى .

---

(١) يقصد علم الحديث النبوى.

(٢) سبتمبر ، وهذه الرسالة فى ورقتين من المعجم الكبير ، وكل منها مكتوبة من الصفحتين .

(٣) صفر سنة ١٣٤٤ هـ

(٤) الأوفاز : جمع وفز ، وهو العجلة .

أما « يقيمون الصلاة لأجل رجوع غرناطة إلى الإسلام » فهى ترجمة حرفية بلا نزاع ، لـكن لا أجد فيها غلطاً ، لأن الصلاة هى أيضاً بمعنى الدعاء ، وأصلها الحرارة فى الدعاء ، وتؤوَّل بأنها الصلاة التى يُدْعَى فيها برجوع غرناطة إلى الإسلام .

كل ذلك جائز ، فلا غبار على هذه الجملة فى العربية ، فضلا عن كون الفهم اليوم يأخذها حالا بمعنى الدعاء ، فإنه لابد من أنك تلاحظ اصطلاح كل عصر ، وفى هذا العصر قد جدَّت بمطالعة الألسن الأوربية معانٍ وجملٌ يجب أن نطردها فيما لو خالفت أصلَ اللغة أو قواعد النحو ، فأما فى حال موافقتها لها فلا محل لتحجير الواسع .

أما تقديم بعض المفاعيل على المفعول به بدون نـكتة فغير فصيح ؛ ولـكنى — مع كونى فى هذا التقديم لاحظت بدون شك المتن الفرنسى — لا أظن هناك تقديماً بدون سبب ، فقولى مثلا : « ابك بكاء النساء الملكَ الذى لم تحسن الدفاع عنه دفاعَ الرجال » تقدم فيه المفعول المطلق « بكاء » على المفعول به « ملك » لنـكتة ظاهرة ، وهو التخصيص ، أى ابك بكاء النساء لا بكاء الرجال ، فإن بكاء النساء أشد وأوقع وأفجع ، فتقديمه هنا يشبه مالو قلنا مثلا : « قاتل قتالَ أبى بكر المرتدين» أو : « أقم إقامةَ عمر حدود الله » . أفترى ذلك تقديماً بدون سبب ؟ .

وورود مصدرى (دافع) أحدهما وراء الآخر لا غبار عليه ، ومثله كثير ، كما أن « المُلْك » هو مفعول « ابك » لا مفعول « بكاء النساء » ، وليس من قبيل « ضعيف النـكاية أعداءه » ، ولا موجب لهذا التأويل ، لاسيما أن هذه العبارة شهيرة جداً .

نعم قد وردت فى أصلها الإفرنجى : « ابك مثل النساء المُلْكَ الذى لم تحسن الدفاعَ عنه مثل الرجال » ، ولـكن الذى يلوح لى أن عبارتى أمتن من البيت[1] ،

---

(١) لعله يقصد : الأصل .

لأن « أفعل مثل كذا أو مثل فلان » من كثرة عاميته يحب الإنسان أن يغيره ، وأنت تقول إنك أصبحت لا تهضم كثيراً من العبارات التى تكررت كثيراً ، وأنا أسألك أيهما أقوى وأجزل : « قاتل مثل عنترة » أو « قاتل قتال عنترة » . أو « أعط مثل جعفر » أو « أعط عطاء جعفر » .

ثم أزيدك أنى فى استقراء كلام العرب وما ينقل عنهم سواء فى الأغانى أو فى طبقات ابن سعد وغيرهما لا أجد مراعاةَ القواعد مُحْكمةً إلى الحد الذى نتوخاه ، بل نجد كثيراً مما لو راجعنا القواعد عُدَّ من الضعيف أو المرجوح وأحياناً من الشاذ .

وأغرب من هذا أننا نجد من هذا التعبير فى كتاب الله ؛ أفننسب ما جاء منه فى كتاب الله إلى قلة الفصاحة ؟ . وقد قال بعضهم وقد سئل عن : «لباس الجوع[1]» وهل هو جائز : « ويحك ، هَبْكَ تتهم محمداً أنه لم يكن نبياً ، أتتهمه أنه لم يكن عربياً » ؟! .

فلا شك فى أن ما ورد فى القرآن من هذه الأمثال جاء على لغات ضعيفة ، ولكنه جاء ، وليس بخطأ ، بل نطق به الكتاب العزيز برهاناً على أن العرب نطقوا به ، وأن الوجوه الضعيفة قد تؤتَى فى الفصيح أيضاً ، أو أن القرآن نزل بكل لغات العرب ، إلا ما كان خطأ محضاً لا يحتمل تأويلا .

وأما : « لم يكن عندهم خارجاً عن أبراج الحمراء ثمار طيبة ولا عيون صافية إلخ » : فليس معناه لم يكن عندهم ثمار طيبة ولا عيون صافية إلا ما كان داخلا مادة أبراج حمراء غرناطة . كلا ، بل معناه لم يكن فى نظرهم معدوداً فى الثمار الطيبة والعيون الصافية إلا ما كان داخلا من هذه الأشياء فى أبراج غرناطة ، والمعنى ظاهر لا يحتاج روية ليشرق .

---

(١) يشير إلى الآية الكريمة : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » سورة النحل ، آية ١١٢ .

وقولنا : « عندهم » هو بمعنى فى نظرهم ، أو فى رأيهم ، كقولهم : « وعند سيبويه كذا » ، وعندى أن يقال كذا ، إلخ .

ومثال ذلك : « ولا شمس تستحق أن يلتفت إليها أبداً » . نعم هى ترجمة حرفية ، لكنى لا أرى وجه الخطأ فيها ، فالشمس قد تنكر فيقال : « شمس محرقة » ، وتجمع فيقال : « شموس » ، ومعناه طلعات الشمس ، كلما طلعت مرة قيل : شمس .

أردتَ أن تغير : « فارقوا فراق الأرواح للأجساد ميدانَ ذلك الجهاد » « فالأمر لك ، ليس فى هذه الجملة وحدها ، بل فيما سبق أيضاً ، وأنا إنما أبيّن لك آرائي وعقيدتى اللغوية ، وأوضح وجهَ ما التبس عليك .

أما : « ويفرجون الكلوم » فلا يمكن أن تكون إلا سهواً ، وصوابها كما قلتم : « ويفرجون الهموم » ، ولما كانت لفظة « كلوم » واردةً فلا بد أن تسبقها يأسون أو يضمدون أو ما شاكلهما .

« برانس محرَّرة من الأطلس » : أى مزيَّنة محسَّنة من الأطلس . حَرَّر الشيء زينه وحسَّنه . هذا صريح فى اللغة ، حتى قالوا : « هذا أحرُّ من هذا » أى أرقُّ منه رقةَ حسن ، وإذا لحظت أن البرانس هى من الحرير زادك ذلك لمحاً لوجه كلمة محررة ، فكثير من الأسماء شُقَّ منها أفعال ، وذلك فى كلام الفصحاء القدماء .

« الكفوف الحديدية » : لا أدرى الآن ما هو أصلها بالفرنسى ، إذ ليس عندى نسخة أخرى من آخر بنى سراج ، وإنما أظن كونها نوعاً من السلاح مثل الكف ، ولا مانع من استعمالها مجازاً ، كما تقول العامة عن هذا القُفَّاز الذى يحملونه فى الكف كف ، فربما كانت هناك آلات حرب مثل التروس ، لكن بأصابع وأظفار محددة ، فسموها كفوفاً .

أما : « وكان معلقاً على حيطان الكوخ درقات إلخ » : فالصواب : وكانت معلقة إلخ ،

أو يُجعل بدل درقات درق ، ويُجعل محلَّ اسم الجنس ، فيقال : وكان معلقاً درق، ومثله كثير فى كلام العرب .

ثم : « وكان مصفوفاً بجانب تلك التروس أسنة معممة » يقال فيها : « وكانت مصفوفة . . إلخ » .

وإذا كان قد ضاق صدرك بلفظة « ليس » فى : « ليس مثله فى هذ القوى الإنسانية » من كثرة ما أحرقت دينها الجرائد ، فاجعل مكانها : « شدة الحزن الذى لا مثيل له فى هد .. إلخ » .

وأما : « لوى على السفر » فهى خطأ ، وجزاك الله خيراً على التنبيه إليها ، ولعلى أخذتها من قولهم : خرج لا يلوى على شىء . فهذه الجملة واردة فى كلامهم ، ولا أعلم كيف أتوا بها ، وإنما ورد فى كلامهم ألفاظ ترد فى مقام النفى . ولا ترد فى مقام الإثبات ، وعلى كل حال فيجب أن يستبدل بها : « ونوى السفر » ، أو : « عزم على السفر » .

ثم إننى أرجوك ولو كان فى ذلك حرج عليك أن تطالع لى القصة ، وذيلَها إلى الآخر ، وهذا يتيسر لك إذا تلطفت وصححت المسوَّدات بذاتك ، وهو ما رجوته من قبل ، فعند ذلك تطلع على مواطن أخرى قد يكون فيها خطأ يعيب الكتاب ، فتصحح ما تجده ظاهراً ، وتتكرم بمراجعتى فيما لم يُشرق ، ولك الفضل .

مسألة السفر إلى اليمن لابد منها ولكن فى وقت آخر . من أين عرفت أن الثعالبى ذهب إلى اليمن ساخطاً على الحسين[١] ؟ . هل كتب لك الثعالبى من هذا شيئاً ؟ .

ورد لى من القدس أن الفلسطينيين فى فلسطين ومصر احتجوا على عبد الله[٢]

---

(١) يقصد الحسين بن على ملك الحجاز .

(٢) عبد الله بن الحسين بن على .

وأبيه من أجل إخراج حزب الاستقلال العربى من شرق الأردن ، وأن جمعيات أخرى احتجت إلا لجنتكم التنفيذية فقد سكتت ، والناس نسبوا هذا السكوتَ إلى نفوذ أولاد لطف الله على اللجنة ، وكون المشار إليهم لا يخاطبون الحسين وأولاده إلا بما يحبون — إلا فيصلا فإن أولاد لطف الله يكرهونه ظاهراً وباطناً .

هذا ما كُتب لى . وأنا ذكرت ذلك أمام الأمير ميشيل فسكت ولم يجد جواباً ، أما الحسين نخشى أن هؤلاء يذهبون إلى ابن سعود ، أو إلى اليمن ، أو إلى مصر ،وينشرون فضائل ولده عبدالله .. . وربما فضائله هو ، فأراد أن يتلافى الأمر ، وأن يرقع القفة كما يقال ، وأرسل باخرة اسمها « الرقمتان » إلى العقبة لأخذهم ، وأنا نظيرك مستوحش من هذا الأمر ، ولكنى لا أعلم كيف أخاطب أخى عادلا ، ويريد جدّة ومكة تحت مراقبة الحسين ، ثم بلغنى أن الحسين ينوى تعيينَ عادل سفيراً فى طهران ، هذا كُتب لى مرتين ، فهذه أيضاً على فرض صحتها لم أحبها من جملة وجوه ، ولا أعلم كيف أعمل لأفهم عادلاً لزومَ معاده من الحجاز إلى مصر ، وبحثه عن شغل بمصر ، هذا أولى وأسلم ؛ بل أصوب وأعلم .

وأشكرك كثيراً على اعتنائك هذا بابن سراج ، وبرفقة هذا ملخص ما جرى معنا من جهة المهمة لدى جمعية الأمم فى ورقة تقرأها فى اللجنة ، وورقة أخرى خاصة بك[١] ، لا يجوز أن يطلع عليها أحد غيرك ، لكن من الضرورى إعمالك الروية فيها ، وأطال الله بقاك ، ونفع بك الإسلام والشرق ، وأظهر على يديك ما بين النور والظلمات من الفرق .

أخوك
شكيب أرسلان

---

(١) لم توجد الورقتان مع الرسالة .

— ١٠ —

لوزان ٢ فبراير ١٩٢٥[١].

سيدى الأخ الأستاذ :

تقدم منى كتابٌ فى تاريخ ٢٣ يناير ، مع كراس من « آخر بنى سراج » يبتدىء فيما أتذكر من صحيفة ٧٠ ، وقد أرسلت جدول إصلاح الخطأ ، ومعه ورقة فيها عدة ملاحظات ، أرجو أن تدققوا فيها النظر .

وقد نسيتُ لفظةً لم أفطن لها إلا بعد ذهاب الكراس بالبريد ، وأنا منبه إليها هنا : إنه فى قصيدة رثاء طليطلة الرائية :

طليطلةٌ أدال الله منها سواها ، إن ذا نبأ كبير إلخ

يوجد بيت فيه بالشطر الأول : « مذكار ولود » ، وفى الشطر الثانى : « مغلاة نزور » ولم أفهم معنى مغلاة ، ولا معنى مقلاة هنا فيما لو جعلناها مقلاة ، وأظنها « مقلال » من القلة ، ولاسيما أنه يرد فيها[٢] نزور . فأرجو ألا تذهب من بالكم .

وأصل كتاب « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » ، وأربعة مكاتيب لأحد ملوك غرناطة الذى قبل الآخر . المرجو طبع هذا الكتاب وهذه المكاتيب الأربعة فى آخر ذيل ابن سراج ، وبطيِّه توطئة فيها بعض ملاحظات توضع قبل الكتاب .

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقة واحدة من جهتيها ، وهى من الحجم الكبير ، وهى من أوراق فندق Balmoral Hotel بلوزان وقد طبع عليها اسم الفندق وعنوانه

(٢) يأتى بعدها . وقد جاء البيت المشار اليه مطبوعا فى الكتاب هكذا :

فأم الصبر مذكار ولود وأم الصقر مغلاة نزور

والصواب : مقلات ، أى لا يعيش أولادها ، أو قليلة الأولاد . وقد سبق الحديث عن الكلمة وانظر ص ٨٥ من آخر بنى سراج .

وهذا الكتاب إن كان مطبوعاً بمصر فلا يلزم أن نطبعه فى آخر ذيل بنى سراج ونكتفى بطبع المكاتيب الأربعة ، وأما إن لم يكن مطبوعاً بمصر فيكون إلحاقه بتاريخنا لازماً ، لأن طبعة « منيخ » هذه نادرة ، وأنا نفسى اشتريتها بعشرين فرنكا سويسرياً لندورتها ، فيكون الأولى نشر الكتاب .

بقى أن اسم مؤلف « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » غير مذكور ، فإن كنتم تعلمون اسم المؤلف فاذكروه ، مع القول بأن طبعة « منيخ » غفل منه ، وإلا فإن لم تكونوا تعلمون اسم المؤلف فالمرجو أن تتذاكروا فى الموضوع مع الأستاذ أحمد زكى باشا — الذى قد كتبت إليه فى ذلك — فإنه إن لم يكن هو يعرف اسم المؤلف ، وكان لا يعرفه أحمد باشا تيمور فلا يعرفه إذاً أحد .

هذا ما لزم من هذه الجهة ، وقبلا بعثت لك بثلاثين جنيهاً إنكليزياً فى تاريخ كتابى السابق الذكر من جنيف ، وإن تيسر مبلغ آخر أبعث به ، وأكرر رجائى[1] بأنه إذا كان كتاب « أخبار العصر » هذا غير مطبوع بمصر فلابد لى من طبعه ملحقاً بابن سراج ، ومطبعة المنار ولو كانت صارت دار صناعة للدولة النجدية أو طوبخانة للدعوة الوهابية — أستغفر الله : السلفية — يمكنها أن تتوفر على طبع هذا الكتاب أيضاً لصغره .

الوفد الهندى برئاسة الشيخ سليمان الندوى حضر إلى جدّة ، ومراده عقد الصلح ، فيا ليتك لما دُعيت إلى أن تكون واسطة الصلح لبيت الدعوة وجرى الأمر على يدك ، ومنذ البداية كان خوفى أن نظهر التعصب على ابن الحسين ، ونأبى إلا قلعهم من الحجاز ، ثم ينتهى الأمر ببقائهم .

ولعلك تقول لى : وما أدراك أن ابن سعود يصالح ؟ . فأقول لك : إن الوفد الهندى سيقول له ما نقوله : إن كنت تأبى الصلح فيجب أن تحمل على جدّة ،

---

(١) شكيب يكتبها هذا : رجآءى .

وتأخذها فى أقرب وقت ، أما إبقاء هذه الفتنة فى الحجاز قائمة ، والحج مقطوعاً ، فهذا لا يمكن .

الأستاذ الثعالبى كان له عند الإمام يحيى من الإكرام والإجلال ما هو فوق الوصف ، ولا شك أن الثعالبى ناجاه بكل ما يخطر ببال عاقل سياسى مفكر نظيره من وسائل الإصلاح والاحتياط للمستقبل ، وسنعلم ما كان من جواب الإمام بعد أن يعود الثعالبى إن شاء الله .

تأخير مؤتمر الخلافة فى محله ، إذ فى ظرف سنة تكون انجلت حوادث كثيرة ، والتأخير فيه تمكين من زيادة التحرى ، وتعميم الدعوة إلى الأقطار الإسلامية النائية التى لا شك أن أكثرها لم ترسل إليه دعوة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ودمتم لأخيكم .

شكيب أرسلان

١ — ما جاءنى من كراريس ابن سراج غير الكراس الواحد الذى أعدته لكم بتاريخ ٢٣ يناير ، وسألت براين مرتين عما إذا كان قد وصل إليهم شىء ، فورد لى أمس تلغراف من الدكتور بيضا يقول إنه ما جاءهم شىء ، فأين بقيت الكراريس الأولى ، أو إلى الساعة لم ترسلوا بها ؟ وكيف يصل إلىَّ كراسٌ مبدأه الصحيفة ٧٠ ولا يصل ما هو قبله ؟ أنتم أدرى [1] .

— ١١ —

بودابست ١٣ فبراير ١٩٢٥ [2]

سيدى الأخ الكبير

أما الدار — وما أدراك ما الدار — وقد فاض بذكرها كتابُك فكل

(١) هذه الحاشية فى أعلى الصفحة الأولى من الرسالة .

(٢) هذه الرسالة فى ورقة من الحجم الكبير ، مكتوبة من الجهتين .

ما ينبغي من أمرها هو أن تكون منزلا مباركا عليك وعلى عائلتك وآلك وكل من يلوذ بك ، ويجعل وجهها عليك كما تحب أنت لنفسك ، آمين يا رب العالمين .

وأنا إذا كنت بمصر فسواء جاورتك فى السكنى أم لا فنحن جيران أرواح لا جيران أحجار وألواح ، وأما الذى اتفقتُ فيه مع نجيب بك شقير فهذا لا بد من نفوذه بأول فرصة ، ومرادى أن أهيىء له الإخوان الفلسطينيين ، وأكتب ما يلزم إلى الحاج توفيق حماد والحاج أمين الحسينى والحاج سعيد الشوا ، حتى ينقلب الرأى ويتحتم الاستبدال .

أما الكراريس التى أرسلتموها فيظهر أنها ضاعت فى الطريق ، إذ لم يصل منها سوى ما قد رَجَعْتُهُ لك : كراس واحد ، أما صورة قرار اللجنة فقد وصلتنى بالعربى ، وكنت أحب أن أرى الأصلَ الفرنسى .

أرجو منك أن تعيد لى القصيدةَ النونية فى رثاء الأندلس كما كانت فى نسختى ، بدون ذكر الأبيات المتعلقة بغرناطة ، ومع إبقاء ما كان كما كان فى النسخة الأولى ، ويصير تجديد طبع الملزمة ، وأدفع كلفة ذلك جنيهين أو أكثر ، وتصحيح «بواسل» ، «بيسلاء» موافق .

لا بد أن يكون وصل إليك « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » ، والمكاتيب الأربعة التى معه ، ولا حاجة إلى تكرار ما كتبته من قبل بشأن إلحاقها بآخر بنى سراج ، لكن هناك مسألة اسم مؤلف هذا الكتاب ، سألتك عنها ، وسألت أحمد باشا زكى ، وكذلك يمكنك سؤال أحمد باشا تيمور ، وهنا على الخبير سقطت .

يوافق أن يَرُدَّ فؤاد بك سليم العاقل الفاضل الشهم على هذا الجاهل الخبيث المسمَّى يوسف أحمد نجم ، ولا سيما أننى كنت آليت أن لا أجادله ، وصرحت بذلك ، ومؤخراً اضطررت أن أجاوبه ، لكن — كما قلت لك قبلاً — بخط

منحنٍ وبدون إمضاء صريح ، وهذه المرة كان جوابى تصحيح الأغلاط التاريخية الفظيعة ، مثل أن الأوربيين لم يُصلوا الحرب الصليبية إلا لكون العرب صلّوا لانتصار الترك في البلقان وعلى شواطىء الأدرياتيك ، والحال أن الحرب الصليبية بدأت نحو سنة ١١٠٠ وانتهت فى نحو ١٣٢٠ ، والأتراك ما كانوا فى البلقان والأدرياتيك إلا نحو ١٤٥٠ ، ومثل ذلك مما ينقله هـذا الحمار عن كتب إفرنجية أصحابها لا يفهمون أكثر منه ، وتعرضت لأمور أخرى مُظهراً فيها جهله ، وكله بدون ذكر اسمه ولا اسمى ولا اسمكم ، ولـكن الموضوع مفهوم ، وسترونه .

إن جاوبتمونى من الآن إلى ١٥ يوماً فليكن الجواب باسمى بواسطة : الخواجات منشى أبناء عم تشاليان خان . غلطه . الآستانة .

وإن كان بعد ذلك فليكن باسمى إلى مرسين تركية[١] .

إن كان صحيحاً ما يشيع فى جرائد أوربة من كون جمعية الخلافة بالهند اقترحت لإدارة الحجاز جمهورية ، فيكون ذلك جهلا بالأحوال وباباً للفساد ، والموافق هو أمير هاشمى ، مع مجلس مختلط للحرمين وللحجاج وللنظافة ووسائل الصحة ، وأما العمل هناك كأنه لا عرب ولا من يسأل ولا من يُفسد ولا من يفتن لجهل وعدم تبصر . انصحوا هؤلاء القوم إن كان لكم إليهم سبيل ، أو حذّروا ابن سعود من هذا الرأى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم
شكيب أرسلان

---

(١) فى الأصل : تركيا .

— ١٢ —

مرسين ٢١ مارس ١٩٢٥[١] .

سيدى الأخ الأستاذ

منذ أربعة أيام وصلت إلى « مرسين » ، وشاهدت العائلة ولله الحمد بكمال العافية ، واستقررت الآن بهذه البلدة ، ولزمت منزلى قلّما أخرج إلا لغرض ، إذ كان علىّ كتابات كثيرة لابد من إنجازها .

أرجو من فضلكم أن تبعثوا لى « ابن سراج » المطبوع من أوله إلى آخره ، مع جدول إصلاح الغلط الذى كنت بعثت به من جنيف ، وذلك حتى أصحح ما يبدو لى ، وأكمل الجدول المذكور ، وأعيد إليكم الكراريس ، ويبقى تجديد طبع الملزمة المعهودة وطبع الكتاب الذى أرسلناه أخيراً مع الرسائل الأربع من ابن الأحمر .

ومُرُوا بإرسال ما ترسلونه مضموناً بالبريد . أحمد زكى باشا لم يرسل لى برأيه عن اسم مؤلف « أخبار العصر فى نهاية ملك بنى نصر » ولعله فى البحث والتنقيب . وأما أحمد باشا تيمور فلعلكم سألتموه عن هذه المسألة . هذا وأنا بانتظار جوابكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

شكيب أرسلان

١ — أهنيكم برمضان المبارك ، أعاده الله عليكم وعلى آلكم وعيالكم أعواماً لا تحصى بالعز والإقبال ، ووفَّر لكم أجر صيامه وقيامه بياض الأيام وسواد الليال ، آمين[٢] .

---

(١) هذه الرسالة فى ورقة واحدة من الحجم المتوسط ، مكتوب منها صفحة واحدة .

(٢) هذه الحاشية جاءت فى أسفل الرسالة .

— ١٣ —

جنوه ٢ مايو ١٩٢٩ (١)

سيدى الأخ الأستاذ، أدامه الله

تشرفت بوصول الرقيمين وفهمتهما ، والآن نحن فى أمر مستعجل لا نعلم على أى وجه ينتهى .

والخلاصة أنه برغم تعرض حافظ عفيفى لملاقاتنا فى برلين ، وبرغم مواعيده أن مسألة مرورنا بمصر يجب أن نعرفها منه ، وبرغم مواعيد «النشأة» فى برلين ببذل كل جهد فيها، مضى شهران ولم يصدر الإذن ، فأبرقنا إلى حافظ عفيفى الذى هو فى لندرة ، فجاوب جوابا فَسَّر فيه الماء بالماء، إذ جوابه يفيد أنه بمجرد ورود الإذن من مصر يعرِّفنا .

فهمنا أنه لا إمكان لمرورنا بمصر ، وقطعنا الأمل منه ، لكن هناك أمر آخر ، إن لم يمكن يفوتنا الحج .

كنا نظن أنهم يسمحون لنا أن ننزل فى السويس ريثما يتيسر وابور إلى جدَّة ، فهذا أيضاً لم نقدر عليه ، لأن قنصلية مصر فى جنوه لا تجسر أن تعمل لنا إشارة على تذكرة المرور لأجل النزول بالسويس ، وتقول يجب أن نراجع الحكومة فى القاهرة ، ونأخذ منها الإذن بذلك .

والوابورات الباقى الأمل بأننا إذا ركبناها أدركنا الحج هى اثنان لا غير .

---

(١) هذه الرسالة هى فى الواقع رسالتان ، ولكننا اعتبرناها رسالة واحدة ، لأنهما كتبتا فى يوم واحد ، وموضوعهما متصل ، ووجدتا فى ظرف واحد ، والأولى منهما أربع ورقات صغيرة ، ثنتان منها مكتوبتان من الوجهين ، والثالثة مكتوب منها وجه واحد ، وبعد ذلك ثلاث صفحات بيضاء . والرسالة الثانية فى ورقتين الأولى مكتوبة من الوجهين ، والأخرى مكتوب عليها بضعة سطور والباقى أبيض ، والرسالتان مكتوبتان على ورق مطبوع عليه اسم :

Hotel Savoy et Majestic Genova

أحدها وابور هولاندى اسمه « البرنس جليانه » ، يقوم غداً من جنوه ، فيكون فى بورسعيد فى ٧ مايو ، وفى السويس فى ٨ منه ، فنقدر أن نركب فيه ، لكن إن وصل إلى السويس ولم يدَعُونا أن نطأ البر — وهو محتمل بل مرجح — يبقى الوابور ذاهباً بنا إلى الهند ، إذ أنه لا يعرّج على أىّ مرسى فى البحر الأحمر ، فإذا ركبنا هذا الوابور نكون ركبنا تحت الاحتمال الأرجح أننا سنتصل به إلى كولومبيا .

الثانى وابور إنكليزى من شركة « أوريانت » اسمه « أوريتنفو » ، يقوم من نابولى فى ٥ الجارى ، فيكون ببورسعيد فى ٨ ، وفى السويس فى ٩ ، وهذا أيضاً إذا ركبناه ولم يأذنوا لنا بالنزول فى السويس نبقى فيه ذاهبين إلى كولومبيا ، لأنه كأخيه الهولاندى لا يمر ولا على مرسى فى البحر الأحمر ولا عدن .

وغير هذين الوابورين يوجد وابور طليانى يقوم من جنوه فى ٥ الجارى ، لكنه يصل إلى السويس فى ١٢ منه .

فلو كان هذا الوابور يصل إلى السويس فى ١١ لكُنَّا ننزل منه ونركب الوابور الخديوى الذى ميعاده أن يبحر إلى جدة فى ١١ ونستغنى بذلك عن النزول إلى البر .

ولكن مع الأسف هذا الوابور لا يصل إلى جدة إلا فى ١٢ ، ونحن ربما لا نقدر أن ننزل إلى البر . ثم على فرض أننا قدرنا أن ننزل فلا نجد بعد نهار ١٢ مايو وابورات تأخذنا إلى جدة لا خديوية ولا طليانية إلا متأخرة عن ميعاد الحج الذى يوافق ١٩ و ٢٠ مايو .

والحال أن هذا الوابور الطليانى واسمه « كريسبى » يصل إلى السويس فى ١٢ ، فإلى بور سودان فى ١٤ ، فإلى مصوع فى ١٦ ، ويعود نحو جدةً ، فيصل إليها فى ٢١ مايو ، فيكون بعد الحج بيومين . نعم ليس بركوب هذا الوابور خطر

للذهاب إلى الهند ، لأننا إن لم نقدر أن نترل فى السويس ننزل فى بور سودان أو مصوَّع .

فهذه الحالة اضطرتنا أن نبرق لكم أمس ، وإلى أبى الحسن [1] ، وإلى أحمد زكى باشا ، لأجل أن تسعوا مع الأصحاب لدى رئيس النظار بالإذن لنا بالنزول فى السويس ، فيما لو وصلنا على الوابور الهولاندى الذى يكون هناك فى ٨ ، أو الإنكليزى الذى يكون فى ٩ مايو .

وذكرنا فى برقيتنا إلى أبى الحسن أننا راضون فيما لو سمحوا لنا بالنزول فى السويس أن نكون وحدنا ، ولا نخالط أحداً ، وليعملوا المراقبة التى يريدونها ، فنحن لا غرض لنا فى السويس إلا انتظار الوابور الخديوى الذى يقوم فى ١١ مايو إلى جدة ، فيكون فى مرساها فى ١٧ مايو ، أى قبل الحج بيوم .

كان ممكناً أن نذهب فى وابور طليانى يأخذنا إلى مصوع ، ثم يعود إلى جدة فيما لو أبحرنا من هنا منذ أسبوعين ، ولكن كانت علينا أشغال ضرورية فى برلين ، ثم لم نكن نظن أن كل مواعيد معالى ناظر الخارجية ومعالى « النشأة » تذهب سدى . وكنا قلنا لحافظ عفيفى : ليتركونا بالأقل ننزل إلى السويس ، حتى نلقى وابوراً يأخذنا إلى جده . فأجاب وقد انتفض : إيه ؟ إلى هذه الدرجة ؟ لا ينبغى أن يكون لك فكر بذلك أصلا .

أنا الآن منتظر أجوبتكم التلغرافية ، فإن وقع الإذن بالنزول فى السويس — لكن بإصدار أمر خطى يركن إليه ، فإنى أركب الباخرةَ الهولاندية التى تصل إلى السويس فى ٨ أو الإنجليزية التى تصل فى ٩ ، وهذا أرجح ، لأن الهولاندية مكتظة لامكان فيها . وعلى كل حال سأبرق من الباخرة .

---

(١) الأستاذ محمد على الطاهر .

وإن بقى الإصرار على منع هذا الجافى ! شكيب أرسلان ، حتى من النزول في السويس ، ولو بدون أن يخالط أحداً ، فلا يبقى أمامى إلا الذهاب مع الطلياني الذي يصل إلى جدة بعد الحج ، وكان ممكناً أن أعدل عن السفر هذه الحجة وتأجيلها إلى قابل ، ولكن عندي تلغراف من مكة بأن أكون فيها قبل ١٠ مايو ، أى تلغراف تعجيل ، وهذا عدا الأشغال الكثيرة .

مع هذا ترانى منتظراً جوابا برقيا من مكة أيضا . وما من حاجة إلى إبداء أسنى وألمى من رؤية الكبار يشتغلون بأمور كهذه . . . وبدون أدنى سبب من الأسباب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

جنوه ٢ مايو ١٩٢٩

سيدى الأخ الأستاذ

صباحاً كتبت لك خمس صفحات عن قضية السفر وعراقيلها ، والآن عند المساء تلقيت برقية من أبى الحسن يقول فيها : كن مستريحاً ، غداً نجاوبك ، ثم يسأل عن اسم الوابور . فحصل لى فرج بهذا الجواب ، وغداً سأرسل برقية مستعجلة عن اسم الوابور .

ذكرت لى فى أحد مكاتيبك أنك ستنشر الكتاب الذى بعثت به إليك ، فأرجوك إذا نشرته أن لا تذكر قصة الرجل الذى سمّى ابنه شكيب ، واقترح علينا أن نؤلف كتاباً يطبعه وينفق ثمنه فى تعليم سَمِيِّنا . كلا . .

لا حاجة إلى ذكر هذه القصة ، لأنه يجدها مخجلة له فى نفسه ، وهذا الخجل يخجلنى أنا عنه ، وأما سائر المكتوب فلا بأس بنشره .

المقالة التى تريدون نقلها عن « البيان » هى منى ، وإن أردتم الإشارة إلى كونها منى فلا مانع .

لقد كان لهذه المقالة المفعول اللازم فى أمريكة [١] الشمالية والجنوبية ، وأبلست [٢] الصحف المسيحية التى لا تزال تشيد بذكر مصطفى كمال وأمان الله بحجة التجدد ! وتنبه المسلمون الغافلون — وأين المسلمون غير الغافلين ! — إلى مقاصد تلك الجرائد التى تدعى الوطنية وحب التجدد ، مثل « مرآة الغرب » و « الإصلاح » . والحقيقة أنهما مسيحيتان وأرثوذكسيتان ، لا يعجبهما هدم الدين إلا إذا كان حنيفاً .

لم أضع الوقت فى جنوة ، بل ذهبت أنا والفاضلة مادام فاراجيانا — الذى كان أبوها أستاذ تاريخ ، وقال لها إن أصلهم عرب ، لأنهم من مدينة ليفانتو الصغيرة إلى الشرق من جنوة ، وأصل أهلها عرب — وبحثنا فى المكاتب عدة ساعات عن آثار العرب فى سواحل إيطالية وفرنسة وجبال الإلب ، ونقلنا نصوصاً كثيرة وأخباراً عن المؤرخين المعاصرين تؤيد ما كنا كتبناه فى « المنار » منذ سنوات .

وغداً بعد الظهر سنكمل التفتيش ، لأنى إن كنت سأبحر فى الوابور الإنكليزى الذى يسافر من نابولى فى ٥ الجارى فإنى أركب غداً ٣ الجارى مساء أو بعد غد ٤ الجارى صباحاً إلى نابولى ، فأكون فى ٥ منه فى تلك البلدة ، وعلى كل حال سنبرق لكم من عن ظهر الباخرة إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك

أبو غالب [٣]

---

(١) فى الأصل : أمريكا .

(٢) أبلس يئس وتحير ، والبلس : (بفتح الباء واللام) من لا خير عنده ، أو عنده إبلاس وشر . ويقال : أبلس فلان إذا سكت من يأس .

(٣) أبو غالب : كنية شكيب ، وغالب هو ابن شكيب .

— ١٤ —

الطائف ٣ محرم ١٣٤٨[1] .

سيدى الأخ الأستاذ

تشرفت بكتابك الأخير المرسَل إلىَّ بعد سفرى إلى الحجاز ، وفهمته ، ولن أعمل إلا بإشارتكم . إن الأتعاب والحرارة الزائدة التى رأيتها فى مكة ، ولم أكن تعودت مثلها ، قد أدَّت إلى التياث صحتى ، فبلغت بى الحرارة الدرجة أربعين كما بلغت بكم من قبل .

وعند ذلك فارقت مكة بعد أداء فريضة الحج قاصداً الطائف ، وأنا فى الطائف منذ سبعة عشر يوماً ، ولم أمكث فى الطائف أكثرَ من ثلاثة[2] أيام حتى رجعت الحرارة إلى حالتها الطبيعية ، وأخذت أتماثل إلى العافية ، كل يوم أحسن من يوم ، ولله الحمد والمنَّة ، وأظن أننى من الآن إلى خمسة عشر يوماً أسترجع قوتى ، وتعود صحتى كما كانت يوم فارقتكم . عند ذلك أسافر قاصداً أوربة .

هذا إلا إذا أذن لنا الإنكليز بالمرور من فلسطين لمشاهدة أخى وسيدتى الوالدة فإن صح هذا الحلم نذهب أولا إلى فلسطين ، ونقيم بها عشرين يوماً أو شهراً ، وأما مسألة هذا الإذن فقد وقع السعى فيها ، ولا نعلم النتيجة بعد . عندما نزلت بجدة كان جلالة الملك أوفد السيد عبد الرحمن القصيبى وجماعةً للسلام علىَّ فى الباخرة ، ثم جئنا إلى جدة نظارة الخارجية حيث عملوا لنا مأدبة حافلة ، وبعد المأدبة تشرفنا بمقابلة جلالة الملك عبد العزيز ، وشاهدنا من الحفاوة ما هو فوق المأمول ، ثم دعانا لنذهب معه إلى مكة ، فركبنا إلى جانبه فى السيارة ، وتحادثنا فى الطريق بأحاديث

---

(١) هذه الرسالة فى ورقتين من الحجم الكبير . كل منهما كتبت منها صفحة وهى من إملاء شكيب . وفى خاتمتها توقيعه بخطه .

(٢) كتبها الكاتب هكذا : ثلثة .

كثيرة ، منها قسم كبير بشأنكم ، فسررت لما أبدى من العواطف نحوكم ، حتى قال لى هذه الجملة : لا يموت وفينا واحد حىّ . وهى جملة تفيد المبالغة فى الحب ووحدة الحال .

وزائد فى القول أن أذكر لكم ما لقيته من اعتنائه والتفاته ، وإن كنت آسفاً لكون هذا المرض لم يسمح لى بمشاهدته كما كنت أتوقع ، فقد تمكنت من ملاقاته والحديث معه فى ثلاثة مجالس ، والآن لى أمل أنه يأتى إلى الرياض قريباً ، فأشاهده أيضاً عدة مجالس .

والحالة على وجه الإجمال جيدة جداً ، لأن الملك وفق فى الآونة الأخيرة إلى التنكيل بأولئك الذين حاولوا أن يعبثوا فى سلطته اعتماداً على قوتهم ، ولم يبق أثر للمقاومة ، وإن وُجدت لذلك عقابيل هنا أو هناك فهى مؤقتة بحول الله ، لابد أن يقضى عليها ، ولذلك هو يبغى الرجوع إلى نجد من الآن إلى عشرين يوماً . وأظنه فى هذه النوبة ينشر قانونَ المملكة وولاية العهد ، ويعقد البيعة فى ولاية العهد لابنه سعود ، هكذا فهمت منه .

المشروعات العمرانية كل ما هو مفيد منها يقبله الملك ، على شرط أن لا تكون هناك شركات تتعب الحكومة[١] ، ثم إن هناك مشروعات يؤثر التأنى فى شأنها لأسباب سياسية ، وهو على كل إذا استراح باله فى الداخل سيتمم هذه المشروعات الواحد بعد الآخر .

وبالاختصار وجدت منه رجلا نادراً فى الذكاء والمضاء وسرعة اللحظ وسعة الفكر وشدة العزم ، هذا عدا كرم الخُلُق وعلوّ النفس وتقوى الله ، وأقول لا ينقص هذا الرجل إلا استمرار التوفيق ، فنرجو من الله أنه كما وفقه بالماضى

---

(١) جملة « تتعب الحكومة » أضافها شكيب على الرسالة بخط يده .

بسلسلة توفيقات غريبة يوفقه فى المستقبل ، ويوالى سعوده ويواصل تأييده ، فيكون بذلك للإسلام وللعرب نهضة حقيقية ، لأن هذا الرجل هو الذى يرجى الآن .

لم أكتب إلى أحد منذ دخلت الحجاز ، بسبب الحج أولا ، ثم المرض ثانياً . وهذا أول مكتوب يصدر منى بعد مجيئى إلى هنا ، وتراه بخط الأخ فوزى بك الذى يقدم تحياته وإخلاصه أيضاً ، لأن الكتابة لا تزال تتعبنى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم
شكيب أرسلان

— ١٥ —

الطائف ٢٧ محرم ١٣٤٨[١] .

سيدى الأخ الأستاذ ، أمتع الله الإسلام بطول بقائه .

تشرفت بورود رقيمك الأخير الذى فيه ما فيه عن الديون والأقساط والنجوم والكواكب . . . وكنت عند وصوله نازلا من هنا إلى مكة لوداع جلالة الملك فى مسيره إلى نجد ، فأجمعت على أن أحادثه فى هذا الأمر ، لأنى شعرت أنك فى مأزم حازب[٢] من الديون التى نشأت عن شراء الدار الجديدة ، بارك الله لك ولذريتك فيها ، فقُبَيْلَ الكلام مع الملك أيده الله ذكرت ذلك لولدنا فؤاد حمزة فقال لى : « انقضى الغرض ، فالسيد عبد الرحمن القصيبى متوجه قريباً إلى مصر وسيجرى الحساب مع الأستاذ ، ثم يدفع له دفعةً مهمة ، كما أن الملك قد أمر بأن يُرسَل إليه كتابان جديدان لطبعهما » . فلما سمعت ذلك وجدت الأوْلَى عدم

---

(١) هذه الرسالة فى ورقتين متصلتين إحداهما مكتوبة من الجهتين ، والأخرى فيها صفحة بيضاء .

(٢) المأزم : المضيق ، ومآزم الأرض : مضايقها ، والأمر الحازب : الشديد .

الـكلام مع الهمام[1] فى هذا الشأن ، لئلا يكون من باب الإلحاح على حين أن المسألة قد تقررت .

أول من أمس أدخلنى الشيبى[2] الـكعبة المشرفة،وصليتُ فيها — إلى كل جهة من جهاتها الأربع — وقد دعوت فيها لنخبة من أصحابى ، لـكنك قبل الجميع أنت وأولادك ثم طفت حول الـكعبة ، ودعوت لـكم ثانية ، فالله تعالى يرحم ويتقبل ، إنه سميع عليم .

من ثلاثة أيام سار الملك ـ رافقته السلامة وصحبه النصر — إلى الرياض ، وقد كانت قافلته ١٣٠ سيارة كهربائية ، تحمل خواصه وحرسه وبعض أثقاله ، وأظن أنه يصل إلى الرياض غداً ، فأما البعوث فقد سارت من كل جهة قاصدة جهات الأحساء للإجهاز على فلول الثوار الذين تجمعوا هناك .

ومن توفيقات هذا الملكَ أدام الله توفيقهَ أنه قبل سفره بيومين جاءته برقيات من البحرين من أمير الأحساء ابن جلوى ، ومن آل القصيبى ، أن العجمان ومن معهم من مطير وجماعة ابن مشهور الشعلان من شيوخ الرولا ، وعددهم نحو ألفين ، هاجموا العوازم وكانوا نحو ألف ، وعندهم سرية أرسلها إليهم ابن جلوى لحمايتهم ، فانتصر العوازم على العصاة ، وهزموهم شر هزيمة ، وأصيب من هؤلاء[3] نحو ستمائة وقتل بضعة عشر شخصاً من شيوخهم ، منهم هذا الخبيث ابن مشهور ابن عم نوزى الشعلان .

فأنت ترى أن النصر سبق الهمام ، وأن هذه الواقعة جاءت متممة لواقعة الأرطاوية ، ولـكن الهمام مصمم على أن يستأصل رؤوس الشر . . : حتى إذا استراح منهم تفرغ

---

(١) يقصد بالهمام عبد العزيز بن سعود .

(٢) هو السيد عبد القادر الشيبى سادن الـكعبة وحامل مفتاحها حينئذ .

(٣) كتبها شكيب هكذا : هئولاء .

إصلاحات بلاده العمرانية ، فإنهم مازالوا يهيجون الشعب باسم الدين ، ويطالبون ابن سعود بتعطيل السيارات والهاتف واللاسلكي والتلغراف إلخ ، لا بل بإعلان تكفير المسلمين جميعاً إلا أهل نجد ، وسد باب جدة في وجه الحاج [1] ، ولما اعترض عليهم الهمام قائلا : وكيف يعيش أهل مكة بعد ذلك ؟ أجابوه : يرزقنا الله وإياهم .

وبالاختصار إن لم تقتلع هذه الجراثيم القتالة من جراثيم الهمجية لا يتمكن ابن سعود من ترقية البلاد ، فالله يمكنه من نواصيهم .

أنا قد برئت من الوعكة التي كانت أصابتني ، ولم يبق منها إلا أثر خفيف من الضعف ، لهذا سأقيم بالطائف إلى أواخر يوليو ، ولقد ألح الهمام كثيراً في بقائي [2] في الحجاز ، أو إطالة الإقامة ، فاعتذرت بالعائلة ، فأمر باستحضار العائلة إلى الطائف ، فبينت له عدم إمكان ذلك ، لأني مضطر إلى البقاء في أوربة من أجل القضية السورية .

وبهذه المناسبة دار حديث طويل ، فأكدت له أني لا أقبل منصباً رسمياً أيا كان ، ولا سفارة منه في أوربة ؛ لأن أمر المناصب شيء قد خرج من فكرى من مدة طويلة ، وإني مع ذلك مستعد أن أخدم العرب وأخدمه بصفتي الشخصية ، وربما أتمكن من الخدمة بهذه الصفة أكثر مما لو كنت سفيراً ، والخلاصة أنه سكت بعد حديثي هذا .

ومنذ عشرة أيام كان الهمام بجدة ، ففي أحد مجالسه الحافلة سأل عن الأخبار ، فروى له سليمان قابل بعض أخبار ، من جملتها مقالات تزيه المؤيد بحق في المقطم ، فسمعت ممن حضروا أن الملك غضب غضباً شديداً وقال : من هذا فلان الفلاني ؟

---

(١) الحاج يطلق على المفرد والجمع .

(٢) كتبها شكيب هكذا : بقآءي .

وايش يكون ؟ إلخ . ثم تلطف بحق هذا العاجز بثناء طويل عريض ، وقال : والله السفارة التى يريدها فى أوربة تكون له بشرط أن يرضى .

هذا مايصرح به ابن سعود أمام ٥٠ شخصاً ، بينما الشهبندر (١) بقلم سفيهه نزيه المؤيد ينشر أنى جئت إلى الحجاز لأجل أن أكون سفيراً عن ابن سعود فى برلين ! يقيسون الناس على أنفسهم بمكانهم من الشغف بالوظائف .

ديوان المرحوم أخى نسيب لا بد قبل طبعه أن أعيد النظر عليه ، ولما أتمكن من ذلك ،وسأجعل اسمه « روض الشقيق » ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

١ — أرجوك أن لاتنسى السعى . فى ترجمة الفصل الذى أشرت إليه من كتاب ذلك الفرنساوى المترجم فى جيشهم ، وأن تنشر الترجمة فى « المنار » .

(٢) هذا هو كتابى الرابع إليك من الحجاز (٢)

— ١٦ —

الطائف ٤ ربيع الأول ١٣٤٨ (٣)

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

تناولت أول من أمس كتابكم رقم ١٣ صفر ، وفهمت مسألة القصيبى (٤) ، ولحظت أنه لما لم يجد نفسه قادرا أن يبيض وجهه أمامكم أسرع فى الانسلال ، بدون أن يدفع شيئا ، وهذا لا يؤخر الأمر إلا مؤقتا ، إذ لا بد من دفع جديدة

---

(١) يقصد عبد الرحمن الشهبندر .

(٢) هاتان الحاشيتان موجودتان فى نهاية الرسالة .

(٣) هذه الرسالة فى ورقتين منفصلتين من الحجم الكبير ، والأولى مكتوبة من الجهتين ، والأخرى بيضاء من الجهتين .

(٤) عبد الرحمن القصيبى وقد مر ذكره

٢٠٠ جنيه ، غير التى وصلت أخيرا ، وذلك من نفقة الجزء السابع من « المغنى »[(١)]
ودفعة أخرى ٢٠٠ جنيه للمساعدة على طبع الثامن ، وأما الكتابان الجديدان فقد
أصاب السيد القصيبي فى قوله : لا تطبع شيئا قبل أن تعمل حسابهما ، وتطلب
ومبلغاً سلفاً .

أما كاتب الآن إلى فؤاد حمزة عتابا له على أمرين : عدم مجاوبته إياكم على كتابكم ،
وعدم الاعتناء بالدفع الكافى ، وسأقول له : كل الأمور تتحمل المماطلات
والمراجعات إلا أمور الأستاذ ، فهذه يجب أن تنفذ بالحال ، وبدون أن يسأل عليها
رمضان ، هكذا نزل وجف القلم .

ثم أقول أيضا للأمير فيصل الذى هو عندنا فى الطائف ، وأحصل منه على
أمر جازم بتأدية الحقوق غير منقوصة .

كان عندنا كويتب يقول فى معنى كهذا : دفوعات متوالية . لعله جمع الدفع
أولا على « دفوع » ، ثم جمع الجمع وقال « دفوعات » ، فنحن لا يشيانا مما نحن فيه
إلا « دفوعات متوالية » ، أو دفوعات آخذٌ بعضُها برقاب بعض .

كان مرادى السفر فى ١٥ أغسطس ، لكنى تأخرت عن هذا الميعاد إلى آخر
الشهر ، لأنه فى الأيام الأخيرة جاءتنى نوبات كلوية ، لوجود مرض الرمل عندى ،
فآلمتنى وأضعفتنى ، وأجلت سفرى إلى جمعتين أو ١٠ أيام بعد التاريخ الذى
كنت عينته .

وعلى كل حال متى عزمت من جدة فسأبرق لكم قبل الجميع ، ولعلنا نتلاقى
فى السويس أو بور سعيد ، لأن الحكومة سمحت بأن ننزل فى السويس ، ونذهب
إلى بور سعيد برا ، إذ كان لا يوجد وابور من جدة إلى بور سعيد رأساً .

---

(١) يقصد كتاب « المغنى » فى الفقه تأليف ابن قدامة ، وقد نشره رشيد لحساب ابن سعود .

أما الوالدة والإخوة فإنهم يأتون إلى السويس ، ويرافقوننا إلى بور سعيد ، هذا إن لم تكن مقابلة الوالدة فى فلسطين نفسها ، لأنه برغم الرفض البات المكرر من حكومة فلسطين ، جاءنا تلغراف من الجابرى — الذى هو بلندرة الآن — جوابا على تلغراف أرسلناه بواسطته مشيعاً إلى الخارجية ، وجوابه يقول : انتظروا إفادة جديدة من فلسطين ؛ فظاهر الحال أن الخارجية أعطت أمرا لفلسطين بالسماح ، والله تعالى يسهل لنا لقاء الأهل والأحباب ولقاءكم خاصة على أحسن حال ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم
شكيب ارسلان

— ١٧ —

لوزان ٥ نوفمبر ١٩٢٩ (١)

سيدى الأخ الأستاذ

تناولت رقيمكم (٢) الكريم ، وحمدتُ المولى على صحتكم ، وسُررت بكون الجماعة (٣) فى مكة أرسلوا ٨٠٠ جنيه ، أو ما يقرب منها مما لكم عليهم ، وقد جاءنى مكتوب من فؤاد بك حمزة يخبرنى بذلك ، إلا أنه يقول : إنه مادامت هذه هذه الأزمة موجودة فالأحسن توقيف الطبع موقتاً ، بحيث لا يقع الأستاذ ثانيةً

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، الأولى مكتوبة من الجهتين ، والأخرى من جهة واحدة ، وعلى الرسالة تعليقات بخط رشيد رضا بمداد أحمر ، وسنثبت هذه التعليقات فى مواضعها .

(٢) الخطاب .

(٣) يقصد حكومة ابن سعود التى كانت تطبع كتباً عند رشيد رضا .

فى مثل هذه الضائقة . وأنا جاوبته : إن عندى حلا أحسن من هذا للمشكلة ، وهو أن الأستاذ يستمر فى الطبع كالعادة ، وأنه كلما استحق له شىء يؤدَّى إليه بمجرد اطلبه ، وهو الحل الوحيد .

العدد القادم من « المنار » الذى ستظهر فيه مقالتى عن المسيو مونته وترجمته قرآن أرجو أن ترسلوا لى منه نسختين ، حتى أحفظ لنفسى نسخة ، وأبعث نونته بنسخة .

الشيخ أحمد رضا جاء فى مجلة « العرفان » ينتقدنى .

وذلك فى بعض جُمَل ، منها :

« فأنا موافق للشيخ أحمد رضا تجويزه مناولة الطعام ومظاهرة الشعب ، ومخالف لشيخ المنذر فى منعهما ، لا بل متعجب من قول فاضل مثله بعدم جوازهما » فقال أحمد رضا : « والصواب حذف لا ، لأن كليهما حرف عطف ، ولأن بل تفى بالإضراب التام » وأنا أقول : إن مرادى بالجملة هو هـذا : أنا موافق للشيخ أحمد رضا على كذا وكذا أو مخالف للمنذر . لا موافق فقط لأحمد رضا ومخالف المنذر ، بل متعجب من قول المنذر بعدم الجواز . وذلك كما لو قلت : أنا مستحسن لهذا الكتاب ، لا بل مغرم به ، أى لا مستحسن فقط بل مغرم به .

فأين الخطأ هنا ؟ .

وقرأت فى كتاب « الصاحبى » لأحمد بن فارس ما يأتى :

« والبصريون يقولون لما كانت « بل » تقع للاضراب ، وكنا نُضرب عن النفى وقعت بعد الإيجاب كوقوعها بعد النفى . و « لا بل » مثلها » .

فهذا صريح بجواز « لا بل »[1] .

(١) علق رشيد رضا هنا بالعبارة التالية : « (لابل) معروف فى كلام العرب وكلام كبار علماء العربية وغيرهم ، ويجعلون العطف ببل و (لا) لردما قبله كما قال ابن هشام ، ولك أن تقول إن الرد لما قبله مطلقا ، وأن تقول لرد ما أوهم من الاقتصار عليه » .

وانتقدنى فى قولى : « فهنا عاطى وناول أيضاً مصرَّحٌ بكل منهما » .

قال يجب أن يقال : مصرَّحاً بكل منهما مثل « هذا بعلى شيخاً[(١)] » .

وأنا أقول يجوز الوجهان[(٢)] .

وانتقدنى فى قولى : « وإضافة الشىء إلى نفسه معروفة فى كلام العرب ، وهو مؤول بإضافة المسمى إلى الاسم ومنه طعام الغداء »[(٣)] .

فاعترض وقال : لا يجوز أن يضاف الشىء إلى نفسه ، وخطَّأ الفراء لقوله بذلك ، مع أننا قد بيَّنا له تأويل هذه الإضافة .

وخطَّأَ قولى : « فما داموا يقولون : تدارك الأمر ، وتدارك الخطر ، إلخ ، فلماذا لا يقولون : دارك الأمر ، ودارك الخطر » .

فقال أحمد رضا ما يلى عن هذه الجملة :

« فاستعمل ما الظرفية للشرط ، والدليل على ذلك تصديره إياها ، وفصلها عن متعلقها « يقولون » بـ « فلماذا » ، فهى تدل على مدة ، وتتعين هذه المدة بالجملة التى بعدها فالصواب : « فيقولون كذا ماداموا يقولون تدارك الأمر . . » .

---

(١) هذا جزء من آية كريمة هى : « قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ، إن هذا الشىء عجيب » سورة هود ، آية ٧٢ .

(٢) علق رشيد هنا بقوله : « نعم يجوز الوجهان ، وقرأ عبد الله ابن مسعود (وهذا بعلى شيخ) بالرفع » .

(٣) علق رشيد هنا بقوله : « الأصل عدم جواز الاسم لما اتحد به فى المعنى ، أو فى اللفظ والمعنى بالأولى كالمترادفين والموصوف وصفته ، وما ورد فى كلام العرب من كلام مؤول عند البصريين ، ولا يجوز القياس عليه ، وأجازه الكوفيون بلا تأويل ، بشرط اختلاف اللفظين ، كبر قمح والحبة الحمقاء ، وظاهر كلام ابن مالك فى باب العلم :

وإن يكونا مفردين فأضف ... حتما ، وإلا أتبع الذى ردف

أنه قياسى ، وأما قوله فى باب الإضافة :

ولا يضاف اسم لما به اتحد ... معنى ، وأول موهما إذا ورد

يحتمل الوجهين ، ولكنه أقرب إلى مذهب البصريين ، وهو من أئمتهم »

والذى أعرفه أن ما الظرفية تستعمل للشرط ، وأتذكر أنى قرأت ذلك فى كتب النحو ، وأنها تجزم أيضاً ، فيقال : ما تكرمنى أكرمك (١) .

قصدت أن آخذ رأيك فى هذه المسائل قبل أن أجاوبه — ولو بدون تسمية — ثم أرجو أن ترسل لى « مغنى اللبيب » فى النحو ، إذ ليس عندى هنا كتب نحو ، إلا كتاب سيبويه ، وهو أسلوب آخر كما لا يخفى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

أبو غالب

(١) غالب يقبل يديك .

(٢) سلامى إلى الأخ السيد جميل الرافعى (٢) .

---

(١) علق رشيد هنا بقوله : « (ج) ما الشرطية تكون شرطية بلا شك ، وهى ثابتة فى القرآن وفصيح الكلام ، وهذا منصوص فى كتب النحو ، وأكثرها تمثل له بقوله تعالى : (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) ، ولكنهم قالوا إن (ما) فى (مادام كذا) التى تكون بها (مادام) فعلا ناقصا هى مصدرية ظرفية فقط ، كقوله تعالى : (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) . ولا يعنون بهذا أن (ما) هنا ظرف زمان بنفسها . وأنها اسم ، وكيف تكون اسما وهى مصدرية ؟ وإنما المراد أن (ما) وصلتها تتأول بالزمان مع المصدر ، وهو فى الآية : (مدة دوامى حياً) .

فالذى ينبغى فى جملته أن يقوم فيها الاستفهام لأن له الصدارة ، بأن تقول : فماذا لا يقولون كذا مادام يقولون كذا — أو — فما داموا يقولون تدارك الخطر ، ينبغى أن يقولوا دارك الخطر .

وفى هذه العبارة شىء آخر ، وهو إيراد فعل دارك الخطر بمعنى تدارك ، وهذا مالا أعلم فيه نصاً ولا استعمالا لمن يحتج بعربيته ، ، وإنما المعروف : دارك الطعن أى تابعه ، وطعن دارك : متتابع ، كما فى الأساس .

وقالوا تدارك الأمر أو الخطأ واستدركه .

فإذا لم يكن عندك دليل على هذا وذاك فالذى يليق بمقامك العلمى أن ترد على المنتقد ببيان خطئه فيما أخطأ فيه ، وبيان ما فى المسألة الأخيرة فى كلامك من مجاراة لغة الجرائد ، وما فى كلامه من تقصير فى نقدها » .

ثم أضاف رشيد هذه الجملة : « كتب إليه ما هو خير من هذا » .

(٢) هاتان الحاشيتان جاءتا فى آخر الرسالة .

— ١٨ —

الثغر الأعلى ١ يوليو ١٩٣٠(١)

سيدى الأخ الأستاذ

بعد أن نقَّبتُ عن آثار العرب فى جنوبى فرنسة جئت إلى برشلونة ، ومنها حضرت إلى هذه البلدة سرقسطة ، ومن هذه أذهب إلى مادريد ، ومنها أطوف فى كل المدن التى اشتهرت بالعرب من القطر الأندلسى ، ولى أمل بأن تكون رحلتى حاوية أشياء لم تُعْلَم إلى الآن . لا أزال فى انتظار علم وصول ما أرسلت به من ترجمة الأستاذ الإمام على دفعتين ، ثم وصول مكاتيبه فى الدفعة الثالثة ، وإن تكرمت بالجواب فليكن باسمى Poste Restante Madrid

فقد أبقى فى الأندلس شهراً إلى شهر ونصف. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.
وسلامى إلى الأخ السيد عبد الرحمن عاصم .

أخوك

أبو غالب

— ١٩ —

بلنسية ٢٦ أغسطس ١٩٣٠(٢) .

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله :

أنا أعرف وفرةَ شواغلك دائماً ، ولاسيما فى هذه الأيام التى عندك فيها

---

(١) هـذه الرسالة مكتوبة على صفحة من ورقة متوسطة الحجم مكتوب عليها اسم Hotel Universo

(٢) هـذه الرسالة مكتوبة فى ثلاث ورقات من الحجم المتوسط ، مكتوب عليها اسم Reina Victoria Hotel وكل منها مكتوب من الجهتين ماعدا الصفحة الأخيرة فهى بيضاء .

«تاريخ الأستاذ الإمام»[1] ، فلست أتقاضاك جواباً ، ولكنى أقول إنى كتبت لك من سرقسطة من نحو شهرين أى فى بدء سياحتى الأندلسية ، وإنى أرسلت إليك بسلام من أشبيلية — أو من غرناطة ، ما عدت أتذكر — بواسطة صاحب «الشورى» ، وكم تذكرتك فى هذه السياحة ، وكم تمنيت أن نكون فيها معا ، ونتحدث ونتعاطى الأفكار ، إذ أن النفس لا ترتاح إلا إلى من يشاركها فى المنزع ، ومَنْ أقربُ منك إلى وأقرب منى إليك من الجهة الروحية ؟ .

سيكون كتابى إن شاء الله كبيراً على الأندلس ، وربما بلغ جزءين ، وجاء فيه ما لا يعرفه العرب حتى الآن . فى المغرب الهندسة العربية والزخرف العربى هو كما كان فى الأندلس . سررت جداً بذلك ، مع أنى لم أشاهد غير طنجة وتطاون ، ولكن فيهما ما فيهما .

المهم الأهم الذى يفوق فى الأهمية كلَّ ما تقدم ، والذى هو موجب تسطيرى هذا المكتوب ، هو قضية تشبث فرنسة بإخراج البربر من الإسلام ، وأخذها ظهيراً من السلطان الولد — بعد أن فشلت مراراً فى أخذه من والده — بعدم معاملتهم بالشريعة الإسلامية ، ورفع قضاة الشرع من بينهم ، ومنع تعليمهم العقيدة الإسلامية واللغة العربية ، والحركة مشتدة فى المغرب بهذا السبب .

ولقد كتبت بهذه المسألة كتاباً وافياً إلى الأخ عبد الحميد بك سعيد ، لأنه بعث لى بمكتوب شكر عن قرار مؤتمر جمعيات الشبان المسلمين ، فجاوبته بما يجب أن تقوم به هذه الجمعيات من الاحتجاجات لأجل هذه المسألة التى تضاهى مسألة تركية فى تشبث مصطفى كمال بإخراج الترك من الإسلام ، ونظراً لضيق وقتى ووفرة وجائبى[2] لا أرانى قادراً أن أستوفى هذا البحث بمكتوب آخر ، لا سيما أنى كتبت

(١) كتاب لرشيد رضا فى ترجمة الشيخ محمد عبده .
(٢) الوجائب . جمع وجيبة ، وهى الوظيفة .

أيضاً مقالة فيه مختصرة إلى « الشورى » ، فلذلك طلبت من عبد الحميد بك سعيد أن يطلعكم على مكتوبى هذا إليه ، وأرجو أن تسألوه أنتم عنه ، بحيث إذا كتبتم فى « المنار » تكونون مطلعين على ما حصل بالتمام .

هذه المسألة دواؤها حملة عامة من الجرائد الإسلامية أشبه بحملتها على مؤتمر تنصير المسلمين الذى انعقد منذ سنوات فى فلسطين ، هذا مع الاحتجاجات إلى فرنسة نفسها وإلى جمعية الأمم ، ومخاطبة سفير فرنسة بمصر فى ذلك ، فإن المسائل الدينية لا يقال فيها : هذه مسائل داخلية لا تعنى سوانا .

انظروا كيف احتجت جميع الأمم على اضطهاد البلاشفة للكنيسة .

ولابأس بأن يستجلب نظر الحكومة الإفرنسية إلى سياسة مقيمها العام بالمغرب المبنية على إخراج البربر من الإسلام ، وأن هذا التعرض للأمور الدينية مخالف للمعهود من أوضاع الحكومة الجمهورية الإفرنسية .

لا بأس أن نوهم أن هذه السياسة هى منه ، وإن كان الواقع أنهم جميعا مشتركون فيها ، وأنه (مواليا) يريدون أن يفنوه من ٤٠ سنة ، ومن زمن الكردينال لافيجرى . ولكن مما لا شك فيه أن المسيوسان هذا المقيم العام هو كاثوليكى متعصب ، وأن امرأته أشد تعصباً منه ، ولهما علاقة بالفاتيكان .

وقد تحققنا من مصدر اسبانيولى أن للفاتيكان مدخلا بقضية البربر والتمهيد لتنصيرهم ، بناء على أنهم كانوا نصارى فى الأصل — هذا يصح عن بعض البربر فقط — وأن الفاتيكان واعد بالمكاتب والمدارس والمصاريف اللازمة للعمل .

ومما يؤسف له أن علماء المغرب لم يتحرك منهم أحد ، بل منهم من يُفْتى الفرنسيس بما يريدون ، ويلوم الشبان على قيامهم بالمعارضة مثل قاضى فاس ومثل الوزير المقرى ، فينبغى التشهير بهؤلاء الوزراء والعلماء الذين هم « قسيسون فى زى علماء إسلام » ، وأنتم أدرى بما يجب بحقهم .

مكتوبى إلى عبد الحميد بك سعيد فيه كل شىء ، فأرجو أن تقرأوه ، وأهم من ذلك أن تفسحوا فى « المنار » عدة صحائف لهذه المسألة الجلى .

ليس عندى نسخة من باكورتى [١] فى لوزان ، وأظن وجودَ نسخة فى الشويفات ، فأطلبها وأبعث بها إليك .

البيتان الميميان من قصيدتى للسيد جمال الدين أظنهما هذين :

ياجمالَ الإسلام ، والإسلامُ   صدّه عن هوى الجمال الملامُ
مثلما أنت فى الحياة ، وإلا   فحياة الفتى عليه حرام

عندما أعود إلى لوزان أرسلْ لى مكاتيبَ المرحوم الأستاذ [٢] ، مع إشارة إلى ما تريد أن يُنشَر منها ، وأنا أنظر فى موافقة ذلك ، ثم أبعث إليك بالباقى منها مع الإشارة إلى ذلك ، على أنى أنا ضربت بخط على القسم الذى يجوز نشره من المكاتيب التى بعثت بها إليك ، فراجع ذلك .

لا يزال عندى كلام على الأستاذ ، لكننى لا أقدر أن أعرفه إلا إذا اطلعت على الكراريس المطبوعة ، فحينئذ أعرف ما حررته ، وماذا يجب أن أحرره بعد ، لأنى إن لم أراجع قد أنسى ما أسلفته ، فأعيد بعض الكلام مرتين .

وأسأل الله أن يطيل حياتك ، ويشد بك أزر المسلمين ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(١) ذكرناك كثيرا فى مجالسنا بطنجة وتطاون .

بعد حفلة عملت لنا بتطاون حضرها ٢٠٠ شخص وعندما لم يبق فى الحفل

---

(١) ديوان شكيب الأول ، وقد تحدثنا عنه .

(٢) يقصد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

إلا مسلمون ألقوا على أسئلة كثيرة ، أكثرها عن جزيرة العرب وعن ابن سعود ، وقد جاوبت بحسب ما أعلم ، وما أنا معتقد ، وبالإجمال كانوا مسرورين من الأجوبة وقالوا : نحن نعلم أنك لا تقول إلا ما تعتقد (١) .

— ٢٠ —

بانسية ٢٧ أغسطس ١٩٣٠ (٢)

سيدى الأخ الأستاذ ، أمتع الله الإسلامَ بطول حياته

كتبت لك أمس ، ولكنى نسيت شيئا : للبيتنونى رحلة إلى الأندلس ، ولأحمد زكى باشا كتاب اسمه « السفر إلى المؤتمر » وهو كتاب رحلته إلى أسبانية .

كلا الكتابين لازم لى ، لأنى بمجرد وصولى إلى لوزان إن شاء الله سأكمل كتاب رحلتى إلى الحجاز ، ثم أباشر « بالحلة السندسية فى الرحلة الأندلسية » .

وقد كتبت إلى أبى حسن الشورى ليرسل لى رحلة البيتنونى ، وسيفعل بدون شك . ومن كأبى حسن لكل قضية ؟ .

ولكنى لم أكلفه إرسالَ رحلة أحمد زكى باشا ، لأنه من شدة غيظه منه يجوز أن لا يرسلها ، وقد يغتاظ منى ، لأنى كلفته إرسالها لى ، كذلك لم أكتب بشأنها إلى الأستاذ الباشا لأنه غضبان علىّ من أجل عدم عداوتى لأبى الحسن ، وقد كتبت إليه مرتين ، ولم يشأ أن يجاوبنى إشعارا بالغضب .

مع أنى كم وكم كتبت إلى صاحب « الشورى » أصلحه الله من أجل إصلاح قضيته مع أحمد زكى باشا . وقد لاحت له فرصة بدفاع أحمد زكى باشا عن البراق . وصاحب الشورى يقول إنه يغفر كل شىء لمن يدافع عن فلسطين، لكنه مُصِرٌّ على عداوة الباشا ، حتى لو طرد اليهود من فلسطين ! .

فلذلك أرجو أن تسألوا لى خاطر الأخ الحبيب السيد عبد الرحمن عاصم ،

(١) هذه الحاشية جاءت فى ذيل الرسالة .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين كأوراق الرسالة السابقة تماما ، والصفحة الأخيرة بيضاء

وتشيروا إليه بأن يتكرم بإرسال هذين الكتابين إليّ ، وأن يسأل صاحب الشورى قبل ذلك عما إذا كان أرسل إلى لوزان رحلةَ البيتنونى فلا يرسلها هو حينئذ ، ويقتصر على إرسال رحلة أحمد زكى باشا .

من جملة أغلاط صاحب « الشورى » أنه لما اختلف حبيب الزحلاوى مع الشهبندر ولطف الله قام فضرب الفريقين معا ، وكرر ضربهما معا كأنما يدعوهما بذلك إلى التصافى ، فكتبت إليه : يا أبا الحسن ، أنا لا أتدخل فيما لا يخصنى ، ولكن من باب الرأى أقول لك : إذا اختلف عدوان لك فلا تشماهما بالطعن حتى يريا أن الرجوع إلى الوفاق أصلح لهما ، بل اجتهد فى استجلاب أحدهما صَوْبَك ، فإن السياسة تقضى بذلك ، وبديهى أن الذى يُختار استجلابُه هو أخف العدوين المختلفين ضررا ، فأخفهما ضررا الآن هو الزحلاوى ، فكان ينبغى أن تُظهر الميلَ له ، وأن تصالحه وتنتصر له ، فكنت تنال منه معلومات وربما وثائق تستظهر بها على الآخرين ، وهذه هى الحكمة .

فلم يعمل بشىء من هذا ، وبقى يضرب الفريقين المتخاصمين معاً ، ولا يسمع رأينا ، والله يهديه إلى الصواب .

أنا أرى أن ابن أخيك السيد محيى الدين [1] قد عاد إلى مباديك ، والأصل عون كما يقال ، وكيف لا يعود إليها من هو من « آل الرضا » ، وقد أرسل لى بجريدته وشكرته وشجعته وهنأته . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك: شكيب أرسلان

(١) اليوم أبحر إلى جزيرة ميورقة ، وأبقى خمسةَ أيام ، وأعود إلى بلنسية ، ثم أذهب إلى مجريط ، ثم أعود إلى سويسرة فى ١٠ سبتمبر ، وقد أنهيت هذه الرحلة [2] .

---

(١) الأستاذ محيى الدين رضا .

(٢) هذه الحاشية موجودة فى ذيل الرسالة .

— ٢١ —

لوزان ٣٠ أكطوبر[١]

سيدى الأخ الأستاذ

إنى ألقى إلىَّ كتابك الأول ثم الثانى ، وسأجاوبك عليهما . أردت أن أكتب جوابا لبسيونى عمران عن المدنية الإسلامية ، وظننت أنه يكون صفحتين أو ثلاثا للمنار ، فما زال يطول حتى جاء ٣٩ صفحة ، فالآن الرأى لك : إن شئت تنشر هذه الرسالة بشكل كراسة ، وتنقلها إلى « المنار » على ثلاثة أعداد متتابعة فذلك لك . وإن شئت أن تنشرها أولا فى المنار فى عددين ، ثم تجعلها كراسةً لأجل بيعها على حدة ، تخرج منها ١٥٠٠ نسخة ، وتباع النسخة بخمسة غروش أو ثلاثة غروش ، فالإرادة لك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

١ — أخى عادل يسأل الخاطر ، ومن باريز ولدنا الأجل أحمد بلافريج يسأل الخاطر ، وولدى محمد غالب يقبل أيديك[٢] .

٢ نوفمبر

سيدى الأخ الأستاذ ، أطال الله عمره

أرسلت إليك بالرسالة « كيف تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » ، وخيَّرتك بين طبعها على حدة ونقلها إلى المنار فيما بعـد ، أو طبعها فى المنار أولا ، ثم جمعها رسالة تالياً ، ولم أزل تاركاً الأمر لك . إلا أنى بعد أن تأملت فى حجم المنار ومواده

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٣٠ على صفحة من ورقة كبيرة الحجم، وتليها رسالة بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٣٠ جعلناها ملحقة بالأولى لأنهما أرسلتا معا فى ظرف واحد .

(٢) هذه الحاشية جاءت فى ذيل الرسالة .

رأيت أنه لا يمكن استيعابها إلا في ثلاثة أعداد . لذلك أرى الأحسن طبعها أولاً على حدة ، وبعد ذلك نقلها إلى المنار تباعاً ، أو نقل بعض فقر منها ، والأمر لكم .

أرجو إضافةَ الجمل الواصلة في الورقة التي عليه ، وقد ذكرتُ الأماكنَ التي ينبغي وضعها فيها ، وأنتم أدرى بالحكمة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان [1]

— ٢٢ —

لوزان ٩ نوفمبر ١٩٣٠ [2]

سيدى الأخ الأستاذ أيده الله

أخذت رقائمك الأخيرة كلها ، ولم يؤخر جوابى إلى الآن إلا كثرةُ ما أريد أن أقول ، وانتظار نُدْحة [3] كافية للكتابة ، والحال أن الأشغال لا تمهلنى أن أتنفّس ، ولولا أن الله يَمُنُّ بالقوة ما كان يمكننى أن أقوم بذلك وحدى . ولولا ضعف العينين لا أشكو هذه المدة من شيء ، لكن وفرة الكتابة تضطرنى إلى غسل عيونى « بالبابونج » الحار ثلاثَ مرات فى النهار ، والحمد لله على كل حال .

أرسلت إليك منذ ٩ أيام رسالة « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » ، وبعد ذلك بثلاثة أيام مكتوباً فيه بعض جمل ينبغى إلحاقها بالرسالة فى مواضع معلومة دللت عليها ، وأنا الآن منتظر رأيك بشأن طبع هذه الرسالة .

ذكرت أنك فى هذا الصيف كنت تريد أن تقوم برحلة صيفية وأن نتلاقى ،

---

(١) كتب شكيب تحت التوقيع هذه العبارة : « وليكن تاريخ تحريرها ٢ نوفمبر » !.

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى أربع ورقات من الحجم الكبير ، وكل منها مكتوبة من الجهتين ، ماعدا الأخيرة ففيها صفحة بيضاء.

(٣) الندحة: الكثرة والسعة .

ولكن ذكرت موانعَ ، منها عدم تيسر المال ، فعسى أن يتيسَّر المال فى الصيف القادم ونتلاقى ، فإنى أيها الأخ مزمع العودة إلى الأندلس فى أكطوبر [١] القادم ، حيث يوافينى من تطاون صديق الحاج عبد السلام بنونة ورهط من المغاربة ، لأنه فاتتنى أشياء لابد من أن أراها : أشياء فى نفس غرناطة وفى مدن أخرى ، وفاتنى أن أرى المرية ووادى آش وبلش مالقة وأماكن كثيرة .

ثم إنى لم أشاهد الغرب ، أى بطليوس وبلاد البرتغال ، فهذه كان فيها العرب كما كانوا فى سائر الأندلس ، ولا بد لى من مشاهدتها ، وسأبدأ بغرناطة ، حيث يوافينى الحاج بنونة [٢] ، وهذه المرة يريد الحزب العربى من الاسبانيول فى غرناطة أن يتعرفوا بى ويدوروا معى ، لأنهم لما مررت من هناك لم يعرفوا بخبرى إلا بعد أن سافرت ، فتأسفوا وقالوا ذلك للحاج عبد السلام الذى ذهب من أيام قلائل بأشغال خاصة إلى غرناطة .

فإن كنت تجد رفيقاً فتوكل على الله ، ووافنى إلى غرناطة ، وإن لم يوافقك أكطوبر فعين شهراً آخر ، لكن لا يكون قبل يوليو . أما المال وما أدراك ما هو فقد كلفتنى سياحتى إلى الأندلس وبعض المغرب ٢٠٠ جنيه ، واستمرت ثلاثة أشهر ، وقد اقترضت الدراهم من الدكتور بيضا ، وكان علىَّ من قبل ذلك ستمائة جنيه دَيْناً ، فصار علىَّ الآن ٨٠٠ جنيه .

لكنى ما سررت فى حياتى بسياحة سرورى بهذه السياحة ، برغم التذكارات المحزنة المؤلمة التى كانت تشوب سرورى ، وكان إنفاق المائتى جنيه على قلبى مثل العسل .

---

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) هو الحاج عبد السلام بنونة الذى يسميه شكيب « مفخرة المغرب » وقد رثاه شكيب بقصيدة منشورة فى ديوانه ، ص ٨٦ .

أشكركم كثيراً على إرسال البيتوني (١) ورحلة أحمد زكي باشا، فقد رأيت في كلتيهما أشياء كثيرة مفيدة، جزاك الله أفضل الجزاء عن اعتنائك بحويجاتي هذه مع استغراقك في أشغالك الكثيرة

الذى عملتموه فى قضية البرابر كنت أنا أنتظره منكم ومن عبد الحميد بك سعيد الذى هو فى هذا المعنى من أفذاذ الإسلام ، لكن الذى ظهر هذه المرة من أهل مصر يوجب والله السرور ويحيي الأمل ، ولولاكم ما كانت هذه الحركة ، وما اشتدت وما امتدت ، ولا انتعش بها أهل المغرب أنفسهم ، فإنه مما يلزم أن يعلم أن نشاط المغاربة تضاعف مراراً بالحركة التى جرت فى مصر ، والتى أنتم وعبد الحميد بك سعيد الأصل فيها .

وسياسة فرنسة هذه قديمة فى المغرب ، مر عليها عشرات من السنين ، والمسلمون يسمعون ويبصرون ، وهم ساكتون خانعون ، ودول الإسلام تدارى فرنسة ونكت ، وكلما تمادى سكوت المسلمين اشتد طمع الفرنسيس فى نجاح سياسة التنصير ، حتى كانوا يظنون أنهم ينصرون الناس علناً ولا أحد يجرأ أن ينبس بكلمة .

فالحركة التى جرت هذه المرة سواء فى المغرب أو فى المشرق من أجل قضية عمل فرنسة لتنصير البرابر قد أدهشت فرنسة التى لم تكن تنتظر شيئاً منها ، وكانت تظن أن مجرد هيبتها يكفى لإبلاس المسلمين ساكتين ، ولو مدت يدها إلى دينهم . نعم هى الآن لم ترجع عن قرارها ، ولا يزال الانتقام من القائمين بالحركة جارياً ، لكن قد عرفت فى نفسها أن المسلمين لم يموتوا ، وأنهم لا يهابونها إلى الحد الذى كانت تتصوره . ولم يشق عليها إحباط سياسة التنصير كما شق عليها جرأة الناس على مخاصمتها بالمغرب علناً ، وكما شق عليها هذا التكافل بين المغرب والمشرق .

ولكن مما لا ينبغى أن ننساه أن هؤلاء المنافقين ، بل المرتدين مثل المقرى

---

(٧) يقصد رحلة البتانونى إلى الحج .

والبغدادى وأضرابهما هم الذين جرأوا فرنسة على التمسك بسياستها هذه ، وهؤلاء يجب على المغاربة أن يؤدبوهم . هؤلاء أشبه بحقى العظم وتاج الدين وأشباههما فى سورية ، وقد يكونون أشنع ، فَلَوْلَا نَفَرَ من كل وطن من أوطاننا فئة لتأديب خونتها لما كانت دول الاستعمار تجرأ على ما تجرأ عليه الآن .

طلبة المغرب فى باريز يعملون ، ولكن عملهم شاق ، لأن الفرنسيس فى هذه المسألة متماثلون حفظاً لشرف فرنسة ، فإن الراديكال والسوسياليست لا يهمهم التنصير، لكنهم يربأون بدولة فرنسة أن يُنسب إليها التعرضُ للأديان ، ويرون فى تنديدهم بهذه السياسة إقراراً بالفعل ، فتجدهم ساكتين هم وجرائدهم .

نعم بعض زعماء السوسياليست فى المجلس وعدنى بأنه يتكلم فيه بعض كلمات عن هذه القضية ، ولم يعدنى بذلك إلا من بعد أن كتبت مكتوبين كل واحد منهما ٣٠ صفحة ، ثم تحقق هو أهميــة المسألة من مصادر أخرى ، وجاوبنى أنه قد أيقن بالذى قلته له . ولكن الطلبة فى باريز حاولوا نشر مقالات فى صحف الراديكال فلم ينشروها لهم ، وعمدوا إلى جمع دراهم لينشروا ما يريدونه ، وأنا كتبت إلى من أعتمد عليه فى المغرب بأنهم إن أرادوا نجاح مساعيهم فليرسلوا إعانات فى السر إلى جمعية الطلبة بباريز ، ولا يتم شىء بدون دراهم .

وعسى أن تكون هذه الحادثة سبباً لانتباه المسلمين إلى صيانة دينهم ، فإنهم كانوا قد خسروا ممالكهم وأراضيهم ، وسكتوا مقتنعين بأن المستعمرين يتركونهم مسلمين وهذا أهون الشرين ، ونسوا أن الذى ليست له دنيا ليس له دين ، وكان المستعمرون بثوا دعاية كاذبة بين المسلمين تلقاها كثير من المسلمين بالقبول ، وساعد على رواجها المسلمون الجغرافيون والصحف الملحدة ، وهى أن أوربة لا تبالى بالدين ولا يهمها الدين ، وقد تجرأ بعض المسلمين الجغرافيين على ادعاء أن الاستعمار نفسه ليس بسياسة أوربة ، وإنما هو سياسة بعض شركات تجارية وبعض أفراد هم أقلية فى أوربة .

وفى بيان للشهبندر[1] نشره فى العام الماضى يزعم فيه هذا الزعم الكاذب بالصراحة ، ويقول إن هذه الأقلية « هى التى شوهت سمعة أوربة » . وتجاهل هذا الخبيث السريرة أنه ما من بلد استولت عليه أوربة من بلدان الإسلام إلا بحرب أو احتلال تقررت مصاريفهما فى المجالس النيابية برأى الجميع إلا السوسياليست أو بعض السوسياليست ، وأن كل الجيوش التى سيقت لقمع الثورات وإدامة الحكم الأوربى تقرر سوقها والإنفاق عليها بإجماع هاتيك الأمم ونداء نوابها وصخب صحفها .

فهذا الخبيث الذى يجعله بعضُ العميان من زعماء سورية مجتهد فى تضايل أفكار المسلمين ، وإقناعهم بأن السواد الأعظم من الأوربيين ليس عندهم إلا العدل والمساواة ، وأن ما يبدو من الأوربيين أحياناً من هضم الشرقيين إن هو إلا عمل أقلية ! وكذلك هـذا وأمثاله يروجون دعاية أن أوربة نبذت كل دعوة دينية ، فالمسلمون لا يفلحون إلا إذا نبذوا المبادئ الدينيـة . وأنت ترى أن جميع دول أوربة مسيحية متعصبة مفتخرة بنصرانيتها ، فالدعاية التى يقوم بها الأنقريون ، وفى بلاد العرب أمثال طه حسين وهيكل والشهبندر وأضرابهم هى مكابرة فى المحسوس ، والمقصود منها أن يأفكوا المسلمين عن دينهم[2] ؛ وبذلك يزدادون ضعفاً ، لأنه لم يبق لهم سوى هذه القوة المعنوية .

أما حادثة البربر فقد كشفت الغطاء ، وقصرت حجة هذه الفئة الخبيثة ، وأنشأت يقظة عظيمة لابد أن تزداد بتوالى الأيام .

وهنا محل لأن نتكلم فى رسالة « الصلب والفداء »[3] ، فهذه ينبغى أن يُطبع منها عشرات ألوف من النسخ ، وتوزع ولو سرًّا فى المغرب والجزائر وتونس

---

(١) عبد الرحمن الشهبندر .

(٢) أى يصرفوهم عن دينهم .

(٣) هذا أحد كتب رشيد رضا .

وطرابلس ، ويرسل منها مع القوافل إلى السودان ، وتنبكتو ، والسينغال ، وزنجبار ، والصومال ، والحبشة ، والهند ، وأن تترجم بالأوردية وتنشر فى الهند ، ثم تنشر باللغة الصينية التى ترجمت إليها ، ثم تترجم إلى اللغة التركية — الشيخ عبد الرشيد هو أقدر الناس على ترجمتها — وتوزع أيضاً فى تركية والتركستان الروسى وبين مسلمى البلقان .

ولكن هذا كله يلزم له دراهم ، فأنا حاضر أن أكتب إلى جمعية الشبان المسلمين أن يجمعوا لهذه الرسالة ونفقات طبعها وترجمتها وتوزيعها مبلغاً بالاكتتاب ، وباستعانة الكبراء مثل الأمراء عمر طوسون ، ويوسف كمال ، ووالدة الخديوى ، وكمال الدين ، وموسرى المسلمين بمصر ، فلو دفع كل منهم ١٠٠ جنيه فقط لاجتمع ما يطبع من هذه الرسالة ١٠٠ ألف نسخة ، لكن يلزم أن عبد الحميد بك ، والشيخ عبدالوهاب النجار ، والدرديرى[٢] ، والغمراوى ، وأمثالهم من أسود الإسلام يطوفون هم على هؤلاء الأغنياء بأنفسهم ، ويذكرون لهم مسيسَ الحاجة إلى نشر هذه الكتب لدفع شبه القسوس ودعاة النصرانية التى ملأت العالم الإسلامى .

وبعد ذلك أنا حاضر أن أكتب إلى الملك ابن سعود ليتبرع بشىء ، وأن أكتب إلى الإمام يحيى ليتبرع بشىء برغم الحزم ... الذى اتصف به ، وأن أكتب إلى جمعية « الجامعة الإسلامية » فى الأرجنتين أن تبعث شيئاً بعد أن تكون تلقت بعض نسخ من الرسالة .

هذا ما أقدر أن أعمله ، فإن راقك هذا الرأى فجاوبنى ، حتى نكتب إلى جمعية الشبان المسلمين فى المشروع ، وليكن ذلك بدون ضوضاء ، وإن طُلب منك محاضرة فى إحدى جلسات الجمعية عن تراجم هذه الرسالة ونفقاتها ونفقات طبعها والأسباب

---

(١) الدرديرى هو المرحوم الدكتور يحيى أحمد الدرديرى ، والغمراوى هو الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، وهما من رجال جمعية الشبان المسلمين .

الداعية إلى ذلك ، فأنت ممن يقنع الصم البكم ، وسبب مزيتك العليا بين العلماء والمتشيخين جمعك بين العقل والنقل ، فعندك من سداد المنطق وقوة الحجة ما يندر فى الدنيا ، ثم عندك الاطلاع الواسع على الأحكام والمذاهب ، وما قيل فى كل مسألة ، فذلك يقرأ غيرك ولا يستفيد ، ولا يفيد ، ولا يعرف أن يستثمر النصوص لمصلحة الإسلام ، لأنهم لا يفهمون منها ما تفهمه أنت ، فهم يقرأون ما تقرأ ، ولكن لا يفهمون ما تفهم بسبب سعة الفكر التى عندك وقوة البرهان التى تميزت بها . وأنا وأمثالى قد يكون عندنا من قوة الحجة شيء ، ولكن تفوتنا النصوص وأقوال الأئمة ومذاهب القوم .

أما مسألة الكتابة إلى الملك بشأن قضية البربر ، فإنى بعد أن قفلت من طنجة وجئت إلى الأندلس كتبت من مرسية ، وهى أول مرة ، تلخيص المسألة إلى فؤاد حمزة ، وذكرت له أيضاً أن جماعة المسلمين بتطاون ، وكانوا ٢٠٠ رجل من أعيان البلد ، بعد أن خلا الاحتفال الذى عملوه لى من الأجانب ، سألونى عن أمور كثيرة تتعلق بالعالم الإسلامى وبتركية وغيرها ، وكان نصيب كبير من الأسئلة عن حكم ابن سعود وعقيدة النجديين ، وكيف ينظرون إلى سائر المسلمين ، وقد جاوبناهم بواقع الحال ، واطمأنت أفكارهم ، ومما لا جدال فيه أنهم بغاية السرور من حالة الأمن التى آل إليها الحجاز بفضل الله ثم بفضل ابن سعود .

ثم إننا لحظنا أنه يجب على الملك ديناً وسياسة مدّ اليد إلى القضية البربرية ، لأنها مسألة دينية إسلامية من حقه التدخل فيها ، ولأنه يجب أن تفهم فرنسة أنه إذا كانت الدولة العثمانية قد ذهبت فلا يزال للاسلام ملوك يسألون عنه ، فكتبت من هنا كتاباً إلى الملك رأساً ، وقد كان كتابى هذا جواباً لجلالته على كتاب بخط يده تكرم به لى لحصول وشاية كانت بلغتنى ، وانكسر لها قلبى كثيراً ، والحال أن الملك لم يعلم بشيء منها ، فأراد من كرم أخلاقه أن يطيب قلبى ، ويثبت لى عدم

جرأة أحد على الوشي بحق لديه ، فاغتنمت هذه الفرصة لأذكر له أموراً كثيرة ، منها اتحاد العرب ووجوهه، وأنواع الاتحاد الممكنة ، ومنها رغبة أهل العراق الشديدة في الاتحاد مع نجد والحجاز لأسباب ذكرتها له ، ومنها لزوم التحالف مع الإمام يحيى ، حتى إذا طرأ طارىء على إمارة الإدريسي من الخارج يكون الدفاع واجباً على الاثنين ، وأن يتحالفا تحالفاً عسكرياً من كل جهة ، ومنها استلزام الحالة السياسية العمومية إعداد الاتحاد العربي ، لأنه قد صار من المقرر الآن كون الحرب آتية لا ريب فيها ، ولو بعد ١٠ أو ١٥ سنة ، فيجب أن يكون العرب حاضرين . .

وذكرت له أنه في ذلك الوقت ينبغي الزحف بدون تردد صوب المحل الذي يشير بعضهم بإرسال ولده إليه راضياً بالانتداب وبسيطرة الأجنبي . . . وفي الآخر طلبت منه التوسط في قضية البربر ، ولم أكن أعلم بأنه قرر معكم كتابة مكتوب إلى رئيس جمهورية فرنسة ، فقلت له : إما أن يكتب إلى حكومة فرنسة ، أو يبلغ معتمدها بجدة ليكتب إلى حكومته عن لسان الملك .

والآن بعد أن عرفت أنه كان قرر إرسال المكتوب سأكتب إلى فؤاد [1] بأن يعرض له أن تحرير كتاب إلى رئيس الجمهورية يكون أوقع نظراً لأهمية الحادثة .

هذا ومن نحو شهرين كنت كتبت إلى الإمام يحيى بموضوع البربر ، والتمست منه الكتابة إلى فرنسة بواسطة جيبوتي . هذا ما جرى ، ولن نسكت عن مقاومة مساعي التنصير في كل محل تظهر فيه آثاره .

أريد قبل الابتداء بالرحلة الأندلسية التي لم أكتب منها إلا مفكرات وإنما جمعت موادها ، أن أختم رحلتي إلى الحجاز ، فإنه لا يزال عليَّ منها نحو ٥٠ أو ٦٠

---

(١) يقصد فؤاد حمزة .

صفحة من قطع هذه الورقة ، وسأكتب في أولها كلمتين بحق ابن سعود الذي في أيامه امتد على الحجاز رواق الأمن ، فقد كتبت إلى صاحب « الشورى » بأن يجمع المقالات بالترتيب الواحدة بعد الأخرى ، ويقدمها لك لتطبع كتاباً مجموعاً ، لكني أريد أن أطالع كل كراس قبل طبعه الأخير ، لا لعدم الاعتماد على تصحيحكم ، فأنتم تصححون للمؤلف لا غلط الطبع فقط ، بل غلط الأصل أيضاً ، وإنما يبدو لي إلحاق بعض جمل وحذف أخرى ، وهذا عائد لي ، أما مسودات الطبع النهائي فحسبها رقيبها قلمكم .

بقي أن تفيدوني كلفة طبع « الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف » .

أما قصيدتي الأندلسية [1] فإذا اعتزمتم طبعها في « المنار » فأفيدوني ذلك حتى نعلق عليها تعريفاً وجيزاً بالأشخاص والوقائع التي ذكرت فيها .

مجلتنا الإفرنسية العبارة كان أصل الرأي فيها لإحسان قائلا إن العدد لا يكلف أكثر من ١٢ جنيهاً ، فعندما دخلنا في العمل كلف ٤٠ و ٤٥ جنيهاً ، فغرمنا عليها أنا وإياه تسعة آلاف فرنك سويسري إلى اليوم ، أي ٣٥٠ جنيهاً . ولا بد لنا حفظاً لشرفنا أن نكمل إصدارها إلى مارس لتتم لها سنة فنغرم ٥٠٠ جنيه . وكل الذي ورد إلى الآن من بدلات اشتراك ومساعدات يبلغ ١٠٠ جنيه ،فينكسر ٤٠٠ على كل واحد ٢٠٠ جنيه ، ولكننا نوقف مع الأسف إصدارها ، وفي ذلك من شماتة الفرنسيس واليهود ما فيه ، فضلا عن شماتة الحساد والوطنيين الكذبة ، ولكن لا نقدر بمكاننا هنا أن نتحمل جميع نفقات هذه المجلة ، على حين أن ألف بدل اشتراك بنصف جنيه يكفيها . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

---

(١) هذه القصيدة منشورة بعنوان: « ذكرى الأندلس » في ديوان شكيب ، ص ١٢٣ .

(١) طالعنا مكتوب محمد باشا الحلبي . أرجو أن تكتبوا له أننا كتبنا إلى أمريكة لعدة مراكز من أجل إعاناتهم على السواء ، وعدم تخصيص سلطان الأطرش وسنكتب إلى مراكز أخرى .

(٢) ذكرت لك من قبل أن مكاتيب الأستاذ الإمام لى قد وضعت أنا علامة على الجمل التى يجب حذفها منها ، وهو خط عرضى ظاهر . ثم لا يزال عندى سبعة أو ثمانية مكاتيب أخرى من الأستاذ الإمام رحمه الله ، إن شئت أرسلها إليك ، وأضرب على الجمل الواجب طيها ، وبعد الطبع تعيد لى الجميع .

وعندى أيضاً ما أرويه عن الأستاذ غير ما حررت ، لكنى لا أعرف ماذا بقى إلا إذا طالعت ما سبق .

(٣) عادل يسأل خاطرك ، وغالب يقبل يديك (١) .

— ٢٣ —

لوزان ٩ ديسمبر ١٩٣٠ (٢)

سيدى الأخ الأستاذ

إنى ألقى إلىَّ كتابُك الأخير المؤرخ فى ٩ رجب وفهمته . لا بد أن يكون كتابى الأخير إليك قد وصل وباشرتَ طبع الرسالة . إن شئت أن تعمل لها المقدمة التى ذكرت عنها فالأمر لك . تعيين ثمنها أيضا هو راجع إليك ، فليكن قرشين ونصفاً أو ثلاثة بدل خمسة قروش (٣) .

---

(١) هذه ثلاث حواش ، الأولى والثانية جاءتا فى رأس الرسالة ، والثالثة جاءت فى ذيلها .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، الأولى مكتوبة من الجهتين ، والأخرى مكتوب منها نصف صفحة فقط .

(٣) يقصد كتاب « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » .

أزمتى المالية لم تزل على حالها ، وقد وصلت إلى حد أن كان لى أجرة ٦٢ مقالة عند جريدة « السياسة » ومعى تعهد بالأجرة من حافظ عفيفى ، ولما تلكأ فى الدفع أخذت القضية بالاشمئزاز ، وتركت مطالبة حافظ عفيفى ، ولكنى الآن رجعت أطالب إدارة السياسة بهذه الأجرة . وإن كانت دفعتها إلى حافظ عفيفى فأطالبه بدون حياء ، فهو سفير يقبض ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جنيه فى الشهر ، وحالته مراراً أحسن من حالتى . وكذلك كان عبد الله بك البشرى يريد أن يأخذ لى أجرة مقالات من حافظ آخر . . . وأنا أقول له : كلا هذا صديق ، ومن ست سنين أنا أكتب له بلا مقابل ، وأدفع أجرة البريد من كيسى ، فلا تسأله عن شئ من هذا . فهو حافظ بلا عوض عندى [1] .

لكنى البشرى عرف بأزمتى هذه المرة ، فقال إنه عند وصوله إلى مصر سيقول له : هذا غير جائز . وهذه المرة أنا لم أنهه عن هذا القول ، لأنى وجدت نفسى فى ضنك هوّن علىّ سماعه .

ومن توابع الأزمة أنى بعثت أعرض مزرعةً بالشام للبيع فلم يتقدم أحد للشراء ، وفى العام الماضى كانوا قد دفعوا بها ١٤٠٠ جنيه مع الرجاء ، ولم أقبل لأنى لم أكن محتاجاً للبيع وقتئذ .

عبد الحميد بك سعيد يمكنه إقناع الملك [2] بالإذن لى فى دخول مصر ، فإن لم يقنعه هو فما من أحد يقدر أن يقنعه . ليس لى نحو هذا الرجل ذنب ، ولكن الجواسيس لأجل أن يرتزقوا هوّلوا واختلقوا .

التضامن بين الفرنسيس والإنكليز والأسبانيول فى المغرب على أتمه ، حتى أن البُرُد الإنكليزية والأسبانيولية صارت تحت المراقبة الأفرنسية . فإن شئتم إرسال

---

(١) يقصد أحمد حافظ عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » .

(٢) يقصد الملك فؤاد الأول .

« المنار » إلى جبل طارق لإرساله فى جيوب المسافرين إلى طنجة فهو أحسن طريقة. بلافريج[1] كتب لى أن فكرى كان فى محله، لأنه هو تحت المراقبة الشديدة، وأنا أراسله بطرق خفية جداً.

لم يبق للمسلمين الخارجين عن المغرب إلا إرسال الصحف والجرائد والمراسلات مع سياح ذاهبين عن طريق الصحراء. الذهاب والإياب كادا يكونان محظورين على المسلمين اليوم هناك إلا بعد التفتيش.

قبل الرحلة الأندلسية لابد لى من إنجاز « الارتسامات اللطاف » وطبعها كتاباً على حدة، حتى أخلص من همها، ثم أتفرغ للجزء الأول من الرحلة الأندلسية، وسنعملها بالاشتراك كما قلتم، ونجعل بدل الاشتراك كما تعينون.

سأكتب لك جواب مكتوبك الماضى. أنا أيضاً منتقد أغلاطاً لفؤاد حمزة ويوسف ياسين وألومهما. لكن لا تغالط، فهما فى محلهما أحسن من غيرهما ... وإذا غلطا يمكننى أنا وإياك أن نردعهما أو نقدعهما[2]، وأما لو كان غيرهما فلم يكونوا يتنازلون لمجاوبتنا، وكانوا يفتنون بيننا وبين الملك، ويبعدوننا عنه بكل وسيلة. أما فؤاد حمزة ويوسف ياسين فإنهما يغاران من غيرنا لا منا، لأنهما يعلمان أننا لا نزاحم أحداً هناك، ولا نطلب شيئاً، وأن منزلتنا عند الملك منيعة.

فى وقت فراغ نسبى أخبرك بغدر واحد ... كنت أظن أن أخى عادل يغدر بى، وأنه هو لا يغدر بى، فكان منه أنه طعننى فى ظهرى بدون أدنى سبب سوى المنافسة، طعنة لو أتيحت للشهبندر نفسه لربما تأخر عنها. وهذا منه بدون أدنى استعلام ولا تحقيق. ولقد عرفت بالقصة بعد أشهر، وغضبتُ غضباً شديداً، وكتبت إلى « الهمام[3] » كل التفاصيل، ففهمه هذا الأمر جداً، وكتب لى

---

(١) أحمد بلافريج المغربى.

(٢) قدعه وأقدعه: كفه ومنعه.

(٣) يقصد عبد العزيز بن سعود.

أيده الله — بخط بنانه يقسم أنه لا فلان ولا فلان ولا فلان يجسر أن يتفوه أمامه بكلمة سوء بحق ... إلخ إلخ .

فلو كان هذا الرجل مقرباً مثل ذينك فماذا كان يفعل ؟ .

كلا ، هذان برغم أغلاط لهما أحسن إجمالا وأحسن لى ولك من غيرهما ، فاشدد يدك على هذا . أخى عادل يسأل خاطرك ، وكلانا نسلم على الأخ فؤاد بك سليم ، وعلى عبد الحميد بك سعيد . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

— ٢٤ —

برلين ٢١ ديسمبر ١٩٣٠[١]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيَّده الله .

تلقيت كتابك الكريم وضمنه الصفحات الثلاث ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ التى أمرت بإعادة النظر فيها[٢] ، وتقوية ما خص الإسلام ومزاياه ، وقد أصبت أنت فى هذه الملاحظة ، فإنى بعد إنعام النظر فيما كنت كتبته رأيتنى مقصراً وواصلا من حب الاعتدال إلى درجة لا تجوز . فلهذا واصل لك من جديد ١٨ صفحة صغيرة توازى ثلاثاً أو أربعاً من الصفحات الأولى ، عساها تقع منك هذه المرة موقع القبول . فالمعانى التى أشرت إليها كلها موجودة ، ولم أجد حاجة لزيادة تفصيل فيها ، لأن كل مقصودنا إلقاء نظرة عامة ، ثم إنى مضطر أيضاً إلى العجلة بكثرة أشغالى هنا .

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ثلاث ورقات من الحجم الصغير ، مكتوب عليها اسم : Hotel Adlon Berlin . والورقات مكتوبة من الجهتين .

(٢) هذه الصفحات من رسالة « لماذا تأخر المسلمون » .

أما الصفحة المطبوعة التي أرسلت لى بها أيضاً فأنت فى الخيار : إن شئت إبقاءها على ما هى عليه مع حاشيتك فى تفسير لفظة « يستحقون » ، وإن شئت الأمر بصف حروف الصفحة من جديد ووضع لفظة « يستجابون » مكان « يستحقون » . هذا وقد بقى مسألة لماذا أكثرت من الدفاع عن النصرانية بأنها لم تكن سبب انحطاط أوربة فى الماضى ... إلخ .

يا أخى ، ما أردت بهذا إلا تفادىَ وقيعتهم بى ، وذلك أنهم قد يتلقون رسالتى كردٍّ على الدين المسيحى ، وينهالون علىَّ بالقذف والشتم . فأنت غيرى أنا ، لأنك شيخ شهير ، مهمتك الدفاع عن الدين الإسلامى ، وعلى رأسك عمامة ، وغالباً تردُّ على أحبار النصرانية الذين يهاجمون الإسلام .

فأما أنا فمعدود ككاتب سياسى ، لا شأن لى فى هذه الأمور . ومن المسلمين الجغرافيين كالشهبندر مثلا من لا يزالون يذكِّرون المسيحيين بما يسمونه « بكتاباتى الدينية » ، ويستثمرون غيظهم منها ، لأن هؤلاء يغيظهم مجرد الدفاع عن الإسلام ، ولو كان رداً للمهاجمات الواقعة عليه .

وقد جاءتنى ملاحظات كثيرة من بعض أصحاب بأن هذه « الكتابات الدينية » منى أصبحت رأس مال دعاية للشهبندر وأضرابه فى تنفير المسيحيين منى ، وأنا لا يهمنى هذا فى جانب حماية الحقائق الإسلامية ، لكنى أجد الاحتياط فى الكلام أولى .

ثم إنى بهذا الكلام قد أصبت غرضى الأصلى من تنزيه الإسلام عن الوقوف فى وجه التقدم المدنى ، ويكون بعد أن سردنا هذه الحوادث التاريخية أطبق على المنطق أن لا نجعل العمل كله للأديان فى المدنيات .

هذا ما أراه ، فعسى أن ترضى وتأمر بطبع الرسالة ، وترسل لى ١٠٠ نسخة إلى لوزان .

كتبت الآن إلى الأخ عبد الحميد بك سعيد جواباً أشكره فيه على سعيه بدخولى مصر ، وأرجوه إتمام السعى ، وذكرت له هذه الرسالة ورجانى[1] منه توزيعها على جمعيات الشبان المسلمين .

حضورى إلى برلين كان لأجل قضية زادت أيضاً ارتباكاتنا المالية ، فإن لنا بيتاً فى برلين اشتريناه فى ذلك الرخص سنة ١٩٢١ ، ولما كانت الضرائب ثقيلة جداً لا تبقى لنا شيئاً من الإيراد إلا ما لا يذكر فضلنا أن نرهنه ، ونبنى ببدل الرهنية فى صوفر ، فرهناه قبل سفرنا إلى الحجاز تحت ٤٠ ألف مارك ، وبنينا بها فى صوفر بنية أجرناها بمائة وخمسين جنيهاً فى السنة ، لكن مرتهن البيت فى برلين عند نهاية أجل الرهن ، أراد استرجاع ماله وإرجاع البيت ، ونحن ركبنا الدَّين بدون هذا ، فجئنا نسعى فى البحث عن مرتهن آخر ، ولو بشروط أثقل ، يرتهن إلى مدة خمس سنوات ، لعل الله يفرج فى هذه المدة ، وترانا من سمسار إلى سمسار أنا والدكتور بيضا .

جرت لى محادثة مع الأستاذ مورتيز ومع غيره من رجال الخارجية هنا بشأن الربا المحرَّم ، وبشأن شهادة النصرانى واليهودى ورأيك فيهما ، وبشأن ما يسمعون من أنه لا بد من شاهدين اثنين فى العقوبات ، وأنا استندت على « الطرق الحكمية »[2] لابن القيم الجوزية ، وعلى ما أتذكره من كلامك بأن المقصد الأصلى للشارع هو إحقاق الحق بأى وجه كان . وكنت أود لو تكتب لى مرة آراءك تلخيصاً فى كل من هذه المسائل الثلاث .

مورتيز يقول : هذه المسائل لا يفتى بها أحد اليوم مثل الشيخ رشيد رضا .

وكتابك لأخى عادل أرسلت به إليه . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

---

(١) شكيب يكتبها هكذا : رجاءنى .

(٢) اسم كتاب لابن القيم .

— ٢٥ —

لوزان ٢٠ نوفمبر ١٣٤٩[1]

سيدى الأخ الأستاذ أطال الله عمره .

أخذت رقيمك الكريم المؤرخ فى ١٣ الجارى وفهمته . رسالتى التى أرسلتها للطبع حررتها فى يومين ونصف بعجلة زائدة ، كرجل يريد الخلاص من عمل ليتفرغ إلى أعمال أخرى ، جاء هذا بينها جملة معترضة . وكما قلتم هى من إملاء الوجدان والشعور ، لم أسلك فيها مسلكا علمياً ، لأن العلميات الصرفة ، وإن اقنعت العقول فلا تقنع القلوب ، ونحن هنا نخاطب الجمهور الذى أكثره عوام ، لا الخواص وحدهم . والحاصل الرسالة جاءت كما جاءت ، فإن كان فيها خطأ صححه ، لكن قل لى عنه قبل طبع الرسالة النهائى ، لئلا يكون لى ملاحظة . وقد قلتم لى إن فى الرسالة مباحث دينية كثيرة وعبارات تريدون مراجعتى فيها ، فأشكركم على ذلك ، وترانى منتظراً ملاحظاتكم ، وإنما أرجو السرعة بقدر الإمكان ، لأنى حريص على طبع الرسالة فى هذه الأيام وتوزيعها ، لأن فيها كلاماً على مسألة البربر التى لا تزال هائجة .

اذكروا لى كم يكلف طبعها حتى أبعث به إليكم . أما توزيعها بواسطة جمعية الشبان المسلمين وجمعية مكارم الأخلاق فهو موافق . فمتى تمّ طبعها أكتب أنا إلى عبد الحميد بك سعيد بذلك ، وكنت أسمح بجميع ما يجتمع من ثمنها للمجاهدين الذين فى النبْك — وقد سبق لى أنى أرسلت لبعضهم من كيسى — لولا أنى فى هذه الأيام فى ضنك مالى شديد ، وأنى محتاج إلى ثمن هذه الرسالة ولو كان جزئياً ، وربما أرسل لهم منه ٢٠ جنيهاً لا ٥٠ جنيها ، فنكون عملنا لهم شيئاً ، وأنا فى هذه المدة

---

(١) هكذا بالأصل ، والتاريخ يخلط بين الميلادى والهجرى ، وقد يكون التاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٣٠ ، وبذلك تكون الرسالة متأخرة عن موطنها بين هذه الرسائل ، والرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، وكل منها مكتوبة من الجهتين ، والصفحة الأخيرة غير كاملة .

برغم كل الأشغال المتراكمة على أكاتب أمريكة الشمالية والجنوبية من أجل المجاهدين المذكورين ، فلست ناسياً أمرهم .

بلغ منى الخناق فى هذين الشهرين مبلغه من جهة المعيشة ، وفى آخر حساب عمله وجدت علىّ ألف جنيه دَيناً ، عدا دفعات أرسلها إلى الدكتور بيضا لا أحسبها ، لأنه لا يطالبنى بها ، فأنا مثلك فى قضية الدَّيْن . وأسعار لوزان وسويسرة من الغلاء بحيث تزيد فى بعض الأصناف ١٠ مرات على مثلها فى بيروت ، وفى بعضها ١٥ مرة ، وفى الفواكه والخضروات ٢٠ مرة .

لذلك قررت أنى فى أول هذا الصيف أرسل العائلة إلى بيروت ، وسأتحمل مضض فراقهم ، إذ وجدت عدم إمكان البقاء على هذه الحالة ، فهذه السنة علينا ألف جنيه ، لكن السنة القادمة يصير المبلغ ألفى جنيه . وهذه السنة أرسلنا إلى دمشق ليبيعوا لنا مزرعتنا المقروضة التى فى جهات وادى العجم ، كلفنا بذلك عارف بك النكدى ، والحاج أديب خير ، لكن السنة القادمة سنضطر إلى البيع من أملاكنا فى لبنان .

وكان عندنا بيت فى برلين اشتريناه فى أيام الرخص ، فرهناه فى العام الماضى بمبلغ ٤٠ ألف مارك ، لنبنى بهذا المبلغ فى صوفر ، وبنينا بناية جميلة كلفت الأربعين ألف مارك أنفقنا منها قسما على نفسنا ، فلم تتم بناية صوفر إلا وعلينا كسر من جهتها . وبالاختصار قررت إرسال العائلة إلى الوطن ، فإنه يتوفر بذلك ثلثا المصروف بالأقل ، ثم يتعلم « غالب » العربى ، إذ أنه لا يمكنه أن يحصل هنا العربى أصلا ، وقد صار عمره ١٤ سنة ، فإن لم يتعلم العربى الآن فمتى يتعلم ؟ ! .

وقد خطر ببالى أنى متى أردت أن أشاهد عائلتى أذهب إلى قبرص فى الصيف ، ففيها جبل لطيف ، فأصطاف وإياهم هناك ، ولا أظن الإنكليز يعارضون فى مجيئى إلى قبرص ، لأنها غير فلسطين .

ومن جملة أسباب الدَّين الذي برك علينا هذه المجلة الإفرنسية العبارة التي أصدرناها ، فإننا سنخرج منها فى مارس القادم بصافي خسارة ٦٠٠ جنيه على كل واحد منا ٣٠٠ . نعم إن أمكن تحصيل اشتراكات سورية وفلسطين ومصر يمكن أن تنزل خسارتنا إلى ٥٠٠ جنيه على كل واحد منا ٢٥٠ .

نعم تهب فى أواسط الحر أحيانا نسائم تخففه ، فقد جاءتنى من أيام ٣٠٠ جنيه كانت « الجامعة الإسلامية » فى الأرجنتين جمعتها لى لأجل تقديمها هدية وإقامة حفلة ، وقد بلغ المبلغ أكثر من ٤٠٠ جنيه ، وكان مرادهم الاستمرار فى الجمع حتى يصير ألف جنيه ، فإذا بالأزمة المالية أوقفت كل شىء . بل بنزول العملة نزلت الدراهم المجموعة إلى ٣٠٠ جنيه ، وهم عجلوا بإرسالها خشية أن يعود المبلغ إلى نصفه ، فجاءت فى وقتها ، والدليل على ذلك أنه ما مضى أول يوم والثاني وبقي منها شيء ، لكثرة ما كان عليَّ من المطالب فى السوق .

أظن أنى كتبت إليك عن أزمتى المالية هذه فى مكتوبى الأخير لك الذى حررته فى ٩ الجارى ، وفيه الجواب على كل ما بيننا من المباحث ، وهو يبلغ ست أو سبع صفحات من هذا القطع ، وكما تذكرون عن محل الزيتون فى طرابلس ، فالحالة هى بعينها عندنا أولا : الأسعار نصف ما كانت من سنتين ، فكان عندنا ٤٠ قنطار زيت سنة الحمل تساوى ٨٠٠ جنيه ، ففى السنة الماضية نزل ثمنها إلى أقل من ٤٠٠ جنيه وبهذه السنة كان الموسم صفراً تقريباً ، لأنهم حَوَّشُوا منه بعض حبوب باعوها بألف قرش . هذا كل الموسم .

لا ترسلوا « المنار » إلى أحمد بلافريج ، لأن طلبة المغاربة فى باريز — ولا سيما بلافريج — هم تحت أشد المراقبة ، ولا سيما فى علاقاتهم معى ، فإن فرنسة تريد أن تزعم أنها هى لم تفعل شيئاً يوجب هذه الحركة ، وإنما هو شكيب أرسلان قام بها وهيج الطلبة ، وهؤلاء هيجوا الشعب ، ثم هو نفسه أرسل إلى مصر فحركها ، ومصر حركت العالم الإسلامى ... إلخ إلخ .

ولا يخفى أن « المنار » فيه فصل عظيم جداً على مسألة البربر ، فقد يظن البوليس الإفرنسي أن هذه الأعداد مرسلة إلى بلافريج عمداً ، لأجل أن يوزعها فيلحقه ضرر . المراسلة بيني وبين بلافريج مستمرة ، لكن بصورة خفية جداً لا يعرفونها ، وهو اليوم يسكن خارج باريز .

لإرسال المنار طريقة أحسن من هذا كله ، وهي إرسال المنار إلى البوسطة الإنكليزية في الرباط ، والبوسطة الإنكليزية في فاس ، وترسلون مكتوباً إلى صاحب في كل من الرباط وفاس لينبه المشتركين ، حتى ينشدوا المنار في البوسطة المذكورة . وطريقة أخرى هي أن ترسلوا المنار إلى صديقنا الحاج عبد السلام بنونة بتطوان ، وهو عين أعيانها ، وتكتبوا إليه مكتوباً تسألونه فيه تكليف واحد من جماعته بإرسال نسخ المنار إلى أصحابها في المغرب ، وذلك بالطريقة التي يراها هو المثلى للوصول ، وإن شئتم أنا أكتب إلى الحاج عبد السلام ، كما أن أخاه العربي بنونة وهو من أحمس الشبان وأوفاهم هو اليوم بمصر .

وسأبلغ الأخ إميل سلامك ، وولدنا بلافريج أيضاً ، وعادل يسأل خاطرك ، وغالب يقبل يديك ، وأنا في انتظار جوابك . وأطال المولى وجودك لأمتك ولأخيك

أبي غالب

— ٣٦ —

لوزان ٢ إبريل ١٩٣١ (١) .

سيدي الأخ الأستاذ ، أمتع الله بطول عمره

أمس أرسلت إليك ١٧ عدداً من « الشورى » فيها « الارتسامات » تباعاً

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة في أربع ورقات من الحجم الكبير كل منها مكتوبة من الوجهين ما عدا الأخيرة ، ففيها صفحة بيضاء .

تحت الجزة . وقد أرسلت لك ١٠ جنيهات تحويلا ، ورجوتك أن لا ترسل لى دراهم ، بل تنفق ما أتى من « لماذا تأخر » فى طبع « الارتسامات » .

ثم وصل رقيمك باليوم نفسه ، أى أمس ، وشكرت لطفك وعطفك وحنوك . الآن تفرجت أزمتى كثيراً بورود ٢٠٦ جنيهات من ثمن مزرعتى المفروصة ، ثم من ثمن مزرعة بذار ١٥٠٠ مد سقى تحت نهرين ، لو أقامها الإنسان كما يجب لكانت تعطى ٥٠٠ جنيه فى السنة ، لكنى اضطررت إلى بيعها لأنه هناك مثل : الزيت إذا احتاجه صاحبه يحرم على الجامع . ثم إنها بإهمالها الحاضر كل بدل ضمانها السنوى ٦٠ إلى ٦٥ جنيها . وأما إصلاحها وغرسها فلا يمكن شىء منه إلا إذا كنت أنا فى سورية . وأنى لى أن أذهب إلى سورية ؟ وأملى ضعيف جداً أن أذهب إلى سورية إلا جثة تدفن فى وطنى — وهذا أيضاً بعد أن يأخذ الفرنسيس كل الوعود من مسلمى بيروت ودروز لبنان بأنه فى مأتمى لا تحصل مظاهر ضدهم — إذاً البيع لمزرعة كهذه أحسن ، والاضطرار ليس معه خيار .

أصبت فى إعطائك المكاتيب لعبد الحميد بك سعيد ، لعلهم يقتنعون أن العلاقة ليست كما يظنون بينى وبين ذلك الرجل[1] ، وإنه هو الذى بغاها وأصرّ عليها وكان له فيها مآرب أخرى ، وأنى أنا من صعوبة عشرته طالما استعفيته من المعاش ، ولكن لم يقطعه إلا هذه المرة . وأنا برغم العسرة مغتبط بانقطاع علاقتى مع هذا الرجل ، لأن علاقتى به أضرت بى وأتعبتنى ، فضلا عن اختلاف المبادىء بينى وبينه .

تقول لى إنهم تعجبوا من قراءة مكاتيبى ، فأنا تعجبت من تعجبهم ، ليس

---

(١) يقصد الخديوى عباس حلمى الثانى ، وكانت حكومة مصر تحارب شكيب لظنها أنه متعاون ضدها مع الخديوى .

فيهم واحد إلا وهو يعرف أطواره وصغر عقله ، وتقلبات أفكاره ، وبالآخر غرامه بالدسائس .

سألنى مرة عن واحد ماذا يقول عنه ؟ فقلت له : يقول إنك تحب الدسائس ، لا عن حاجة إليها ، بل حباً بالفن ، فضحك لكن مع الخجل .

فبديهى أن معاشرة رجل كهذا متعبة ، واختلاف المبادىء هو الأمر الأهم : راجعنا مراراً فى الصلح مع اليهود . . . على أى أساس ؟ فنفهم من خلاصة كلامه أنه على أساس التسليم لليهود ! . فنقول له : وأين يسكن مسلمو فلسطين ؟ فيجاوب : يقدرون أن يرحلوا إلى شرق الأُرْدُنّ .

مصر يلزم أن تترك السودان لانكلترة . . . ابن سعود ينبغى أن يعطى محطة طيران لانكلترة فى جدة — هذه قالها أمام إحسان لا أمامى — سكة حديد الحجاز الواقعة فى ضمن فلسطين وشرق الأردن وسورية يلزم تركها لانكلترة وفرنسة .

ومن هذا القبيل أشياء كثيرة . وبعد ذلك عتاب لماذا لم نقبل منه ، ولما أعطى رأى أن مسلمى فلسطين يسكنون فى شرق الأردن غضبت وجادلته ، وانصرف مغتاظاً ، وجاء أنطون الأرمنى يقول : أهكذا تزعق على أفندينا ؟ فقلت له : أهكذا يؤمل من أمير مسلم أن يسعى بإخراج المسلمين من فلسطين ؟ أبهذه المبادىء يرجو أفندينا أن يكون له شأن فى بلاد الإسلام ؟ .

الحاصل : رجل لا يطاق أبداً والبعد عنه غنيمة . كتب لى أميل الخورى — وهو بغيض له — فقال لى : أريد أن أتلفن له ، وأسمعه كلاماً مراً لما فعله معك ، فقلت له : لا لا ، أرجوك أن لا تعمل شيئاً ، فقد يخطر بباله الرجوع إلىَّ نظراً لشده تلونه بحسب فطرته ، وأنا مصمم أن لا أستأنف العلاقة معه أبداً . كفانى ما جرى .

سفير الأفغان كان كتب لى بعد أن قرأ كتبى لك ، وسأل عن الضيوف ... »
وجاوبته بما يمكن الجواب به بدون نقل كلام . وقلت له : إنى قبلا كتبت للأستاذ
السيد رشيد ليخبرك خشية أن يُشيع هؤلاء [1] أنى اتفقت معهم ، لا من أجل أن
أبلغ شيئاً أتزلف به . . .

جاءنى مكتوب من فؤاد حمزة اليوم يقول لى إنه واجهك بمصر ، وإنه بعد
١٥ يوماً سيكون بمصر ، ويكمل الحديث معك فإنى أنا كنت كتبت لفؤاد أنصحه
وأنبهه وأحذره ، ومن جملة ما نصحته به قولى له : إياك أن تخالف السيد
رشيد . . . إلخ .

حسابك لنفقة طبع « الارتسامات » طلع أقلّ من حسابى ، فالأمر لك
بهذه وغيرها .

هذا ما كان من هذه الجهة . ثم إن هناك أمراً جليلا جداً ، ومصيبة عظيمة
من أعظم ما وقع على الإسلام ، وهو فظائع الطليان فى طرابلس الغرب . أنا كان
بلغنى ذلك إجمالا حتى لمحت الأمر من قول جرائد إيطالية نفسها : إن الجيش
قبض على ١٠٠ امرأة فى احتلاله للكفرة . وقد أكبرنا هذا الأمر فى مجلتنا
الإفرنسية اللغة التى عقدنا فيها فصلا شديداً جداً من قلمى عن الكفرة وطرابلس .

تباهى هؤلاء الكلاب بذلك ، وأفهموا الناس أنهم ارتكبوا الفواحش
بنساء المسلمين . وأول من أمس جاءتنى التفاصيل من بشير السعداوى رئيس
اللجنة الطرابلسية البرقاوية فى الشام نقلا عمن حضروا مصيبة الكفرة ، فوجدت
الأمر أفحش جداً مما كنا نتصور . أباحوا الكفرة ثلاثة أيام متوالية ، فقتلوا ٢٠٠
رجل ، ونهبوا جميع البيوت ، وخربوا البساتين ، وأخذوا جميع المواشى ، والأفظع

(١) شكيب يكتبها هكذا : هئولاء .

الأنطع الذى كل شىء دونه سهل اغتصبوا أعراض جميع البيوت الشريفة بالكفرة المتزوجات والبنات حتى الصغيرات . وبعد ذلك جاء بعض الشيوخ الضعفاء إلى القائد يرجونه الكف عن الأعراض ، فأمر بذبحهم حالا .

العائلات التى نزلت بها هذه المعرات ٧٠ عائلة فى الكفرة .

أما الثمانون ألف عربى الذين اغتصبوا أراضيهم فى الجبل الأخضر ، وأجلوهم إلى فيافى « سرْت » ، فقد ماتت كل مواشيهم من قلة الماء والكلأ ، فعينوا لكل عائلة فى النهار فرنكين فقط ، وهم يموتون جوعاً وبرداً لأنهم بالعراء ، وكل مقصد الطليان هو محوهم ، حتى لا يعودوا إلى الجبل الأخضر الذى يريدون إسكان المئات من الألوف فيه من الطليان .

ثم إنهم أخذوا جميع رجالهم من سن ١٥ إلى سن ٤٠ للعسكرية ، والأولاد من سن ٣ إلى سن ١٤ أخذوهم جميعاً برغم والديهم إلى إيطالية بحجة تعليمهم ، والحقيقة لأجل تنصيرهم ، لأن الطفل ابن ثلاث سنوات لا يتعلم .

ثم لماذا نقلهم إلى إيطالية ؟ وكان لأخذ هؤلاء الأولاد رغما صراخ ملأ الفضاء ، ومشهد يفتت الحجارة ، وما من سامع . وعدا ذلك فظائع كثيرة تقشعر منها الجلود ، وقد رأينا شيئاً يؤيدها فى صحف أوربة ، برغم احتياط الطليان لمنع ارتفاع أى صوت .

كنا نحن من نحو شهر حكينا مع جمعية حقوق الإنسان فى جنيف عن هذه الفظائع ، وكان رجل من أعضائها — وهو ألمانى العرْق — قد ساعد بذلك ، ووعدونا بعقد اجتماع تحت حماية هذه الجمعية ، وأن يدعوا له الألوف ، وطلبوا منا ١٠ جنيهات أجرة القاعة ، فقلنا على الرأس والعين ، وتقرر أن أتولى أنا الكلام ، ولكن لا أتهور فى الطعن بإيطالية ، فوعدتهم بأنى لا أقول إلا الأخبار الواردة ، وما ترويه جرائد إيطالية نفسها .

ثم إن جمعية حقوق الإنسان رجعت تتلكأ عن عقد هذا الاجتماع ، وربما كان الطليان سمعوا به فسعوا بمنعه ، وهم بجنيف كثيرون .

لكننا بعد وصول الأخبار التي وصلتنا من الطرابلسيين بالشام سنعيد السعي ، ونطلعهم على تفاصيل الأخبار .

ثم مرادي عمل نشرة بهذه الفظائع ، وتوزيعها بألوف النسخ في كل أوربة ، ونحن نكتب أيضاً فصلا رناناً في مجلتنا ، بل فصولا متوالية .

وسأكتب بذلك إلى البشير السعداوي لنعمل النشرة بعدة لغات ، وتمضي عليها اللجنة الطرابلسية البرقاوية .

جاءني تقرير هذه اللجنة أول من أمس ، فمن شدة تأثري بقيت طول النهار لا أقدر أن أتكلم ، ولا أن أسمع أحداً يتكلم ، وتلك الليلة لم أنم إلا عند الصبح غِرَاراً[1] . نعم فششت وطبي[2] في شيء : كتبت مقالة عن فظائع وحوش الطليان في طرابلس إلى « الفتح » ١٣ صفحة من قطع هذه الورقة ، أرجو أن تطالعها ، وإن أردت فانقلها إلى « المنار » ، لأنه لا يجوز أن المنار يسكت عن هذه الفادحة الأندلسية تماماً .

الذي حصل بطرابلس لم يحصل إلا في القرون الوسطى ، وإذا سكت المسلمون عن هذه ، فإن هذا وأشباهه يصيبهم في جميع مستعمراتهم ، ثم إن موسوليني يريد استئصال مسلمي طرابلس حتى يضع فيها مليونين إلى ثلاثة ملايين طلياني ، ولا يبقى فيها إلا طلياني أو مسلم متنصر .

ومسألة تنصير مسلمي طرابلس تدريجاً أنا سمعتها من وزير ألماني لا أريد أن

---

(١) الغرار : القليل من النوم .

(٢) الوطب : سقاء اللبن ، وفش الوطب . أخرج ما فيه من الريح . وفش الرجل : تجشأ . وفش الحالب الناقة : حلبها بسرعة .

أسميه ، لأنه أخبرنى بذلك سراً نقلا عن وزير طليانى شافهه بما ينوونه من تنصير أحداث المسلمين لاسيا البربر . ثم إن الآثار والأخبار متظاهرة على وجود هذه النية عند إيطالية .

ومتى صار فى برقة وطرابلس ثلاثة ملايين طليانى وقع الخطر على مصر بأفظع شكل، وصارت مصر محتاجة أن تقول لإنكلترة : نرجوك أن تبقى بمصر لتحمينا .

والحاصل أن السكوت عما هو جارٍ بطرابلس يزيد العلة ، بل العلل كلها .

أفلا ترى الحملة التى قمنا بها على فرنسة من أجل تنصير البربر عملت عملا عظيما ؟ ثم إن فرنسة لم تلغ الظهير ، لأنها لا تريد الرجوع إلى الوراء ، ولكن لابد أن تلغيه . وقد شعر المغاربة بعد هذه الحملة بنشاط لم يعهد عندهم منذ احتلال فرنسة بلادهم . والآن ، الآن جاءنى من تطوان أنه فى ١٦ مايو أى تاريخ إصدار الظهير ستحدث مظاهرات فى كل المغرب .

مع هذا برغم جميع قبائح الفرنسيس هم سادة أشراف بالنسبة إلى الطليان . هؤلاء أوطى شعب فى العالم . أشرافهم أنذال ، فكيف أنذالهم ؟ .

هلكت من الكتابة الآن ، ولأجل أن لا أكتب الشيء مرتين أرجو منك أن تقرأ مقالتى فى «الفتح» ، وتتأمل فى اقتراحاتى ، وتحادث عبد الحميد بك سعيد وجمعية الشبان المسلمين فى الموضوع ، وتطلع عبد الحميد بك سعيد على كتابى هذا .

قبل كل عمل ينبغى تقرير الاحتجاج على إيطالية بكل شدة فى الجمعية ومركزها وجميع فروعها بمصر وفلسطين وكل مكان .

ثم تسحب تلغرافات شديدة مفصّلة عن هذه الفظائع إلى جمعية الأمم ، وإلى حكومة إيطالية ، وإلى الحكومات الكبرى كلها . ويلزم طلب تحقيق من جمعية الأمم عما جرى بالكفرة ، وعن أخذ الأولاد من أيدي آبائهم وأمهاتهم جبرا فى «سرت» وغيرها ، وصراخ هؤلاء الآباء والأمهات والأولاد مالئ السماء ، وما من

مغيث ، وعن الأمور الأخرى من القتل بدون محاكمة ، بل بمجرد إرادة ضابط ، وعن التعذيب .

من الغلط الظن أن هذه الأمور ليست من صلاحية جمعية الأمم ، فإن الدفاع عن الأعراض من صلاحية جمعية الأمم ، وإن حرية الاعتقادات مبدأ مقرر فى جمعية الأمم ، وكذلك وصاية الآباء على أولادهم القاصرين . فهذه كلها أمور وظيفة جمعية الأمم التدخل بها ، وكذلك قتل الناس بدون محاكمة ، والإلقاء بهم من الطيارات ، وأنواع التعذيب ، كل هذا من خصائص جمعية الأمم .

فينبغى الاحتجاج لدى جمعية الأمم ، ولدى انكلترة وأمريكة وفرنسة وألمانية والروسية ويوغوسلافية والنمسة وغيرها ، ولدى إيطالية نفسها لكن بشدة ، وطلب التحقيق بواسطة جمعية الأمم ، لأن هذه أمور متعلقة بالإنسانية كلها ، وأن تتوالى التلغرافات لا يكتفى بواحد واثنين . المسلمون فى هذه الأماكن عجزوا عن الدفاع بالسلاح ، فلم يبق إلا سلاح الصريخ والاحتجاج .

وبعد ذلك ينبغى تقرير مقاطعة الطليان فى كل محل فيه طليان ومسلمون . هذا يجب أن تكتب به تعهدات مطبوعة وتُمْضَى ، كما فعل عرب فلسطين فى قرار مقاطعة اليهود .

عندى اقتراحات أخرى سأبقيها إلى المكتوب القادم ، لأنى عييت من الكتابة الآن ، ولكن أهم الاقتراحات الاحتجاجات الكثيرة بالبرقيات والجرائد ومن المدن والقصبات كلها ، وعقد الاجتماعات وإلقاء الخطب وشرح هذه الفظائع ، ثم مقاطعة كل شخص وكل شىء طليانى .

إذا كان الإسلام [1] سيسكت عما جرى ويجرى فى طرابلس على دين المسلمين

---

(١) يقصد أبناء الإسلام .

وعرضهم ودمهم ومالهم ، فإن هذه الحالة تشملهم أخيرا فى كل محل ، وما وصلنا إلى هنا إلا من التهاون فى المبادئ ، ودمت .

لأخيك شكيب

— ٢٧ —

لوزان ٦ إبريل ١٩٣١ (١)

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

أرسلت إليك أولا وثانيا جميعَ أعداد « الشورى » التى فيها « الارتسامات » ، وأظنها ٢٧ عددا أو أكثر ، والآن أبدأ بإرسال ما كتبته بعد ذلك ، وما لم يزل غير مطبوع ولا منشور ، وأظنه يكون ثلثين بالنسبة إلى المنشور بالشورى الذى يكون نحو ثلث الكتاب .

فأرجو التكرم بتعريفى وصولَ كل ما أرسلت به . وإن المحرَّر إلى الآن غير المطبوع يبلغ ٩٠ صفحة من قطع هـذه الورقة ، ولا بد لى من تحرير ٢٠ إلى ٣٠ صفحة أيضا . تركت لك وضعَ العناوين ، لأنك أقـدر منى على ملاحظة كل موضوع ووضع عنوان بحسبه .

فؤاد حمزة ربما يكون الآن بمصر ، ومراده إكمال الحديث معك ، وأنا قد كتبت له كل ما يلزم ووعظته ، وقلت له : لقد سكرت يافؤاد بعض الشئ ، وهذا شىء بشرى لا يخلو منه راكب منصب — ولم أسلم منه أنا ، مع أنى أنا بعيد عن سكرة العز ، وإنما أصير غليظا شديدا فى أيام الإدبار — فعامل الناس يافؤاد كما لو كنت بغير منصب ، ثم اعلم أنه يجب أن لا تخالف الأستاذ . . . إلخ .

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى صفحة من ورقة من الحجم الكبير .

هذا وأخي يسأل خاطرك ، وولدي يقبل يديك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(١) أرجو أن تأمر في المكتبة أن لا ينسوا إرسالَ جميع النسخ التي رجوت إرسالها من « لماذا تأخر المسلمون » . [١]

— ٢٨ —

لوزان ١٤ مايو ١٩٣١ [٢]

سيدي الأخ الأستاذ ، أيده الله

الآن تناولت كتابك رقم ١٨ ذي الحجة وفهمته . وأجيبك : نعم إن الأخبار التي جاءتني من طنجة ومن تطوان ومن الجزائر ومن تلمسان كلها بمآل واحد ، وهو أن هذه الرسالة أثارت عقول الشبان المسلمين الذين كانوا يظنون أن الإسلام ليس بشيء ، وأن لاحيلة إلا بالتفرنج ، وأن أحمد توفيق المدني في الجزائر — وهو أديب تونسي وطني ، نفاه الفرنسيس إلى الجزائر ، وكان في الماضي أنقريا صرفا ، وكنت أسمع أنه يكره طريقتك وطريقتي وينتقدنا ، إلخ — هو نفسه رجع إلى الطريقة الإسلامية بعد أن صار يقرأ كلامنا ، ثم بعد أن قرأ كتاب المسيو دينه المهتدي وقرأ مجلتنا الإفرنسية العبارة ، ولما ظهرت رسالتنا « لماذا » ... قرظها في مجلة « الشهاب » بشكل لم يقرظها به أحد ، وهو الذي أشار علينا بترجمتها للتركية ، فبعثنا بها لمصطفى صبري شيخ الإسلام ، وأظنه يترجمها ، وإن لم يترجمها هو فالأخ إحسان يترجمها .

---

(١) هذه الحاشية موجودة في ذيل الرسالة .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة في ست ورقات من الحجم الكبير ، كل منها مكتوب من وجه واحد .

وتوفيق المدنى الآن هو من أعز الناس عندنا ، وهو الذى بهمته يعتنى بقضية إشتراكات المجلة الإفرنسية المبارة ، وقد أرسل إلينا بهذه المدة نحو ٤٠ جنيها بدلات اشتراك وتبرعا ، وهذا ما شغفه بنشر مبادئنا وأفكارنا . فتأمل فى هذه الإنابة ، وقل مثل ذلك فى كثيرين جداً .

ما الحديث الذى يقول : « لَأَنْ يَهْدِيَ الله بك رجلاً واحدا أحب إلى من حُمْرِ النَّعم » ؟ .

كتاب « الارتسامات » كنت أبعث بقطعه مضمونة خوفا من ضياعها ، فيصير بعد ذلك صعبا كتابتها كما كانت . ولقد أبقيت المقدمة إلى الآخر ، لأنها هى العادة ، أى أن تكون المقدمة مما يكتب بعد الانتهاء من الكتاب .

ثم « التوحيد والعدل » مذهب المعتزلة ، لهم فيه تأويل يوجب تجنب هذه الجملة ، لا لعدم صحتها ، وأى شىء أصح منها ، بل لئلا تلتبس بما يريده المعتزلة ، ولكنك أنت فى هذه خالفت عادتك فى تغيير الجملة نفسها ، فمن عادتك هو أن تبقيها على حالها ، وتضع لها نمرة وتقول فى الحاشية : لا نظن الأمير يريد بذلك مذهب المعتزلة الذى يقولون بالتوحيد والعدل بالمعنى الفلانى ، بل مراده حمل المعنى على ظاهر اللفظ ... إلخ .

ولكن رأيت فيما يظهر أن الابتداء بالاعتراض من عند المقدمة غير موافق ، فعدلت الجملة رأسا .

أما ملاحظاتك اللغوية فأنامنتظرها.وفى كتبى السابقة جاوبتك بأن «المجاوبة» هى أن يجاوب الواحد الآخر ، وهى المحاورة ، وهذه هى رد الجواب ، فليس عليها غبار فى المعنى الذى استعملتها أنا فيه . ولا أزال أتذكر منعك لتذكير الفيالق ، وأنا أرى فيها الوجهين ، وانظر ابن الأبار القضاعى البلنسى الذى كان لغوياً كبيرا كيف يقول :

وأوطىء الفيلق الجرار أرضهمُ حتى يطاطىء رأساً كلُّ مَنْ رَأَسَا

فأنا أرجو التكرم بملاحظاتك ، حتى إذا لم يكن عندى بها ما أقول خضعت ، وإن كان عندى جواب ذكرته لك .

أرجو مراجعة ما ذكرت لى من آخر ما فى جريدة « الشورى » من « الارتسامات » وأول المخطوط بالقلم ، حتى إذا كان ما يوجب زيادةَ الربط نحرره ، وإنما أذكِّر سيدى الأخ بأنى أنا فى نفس المقدمة ذاكر أسلوب هذا الكتاب ، وهو أنه أشبه بمجموعة مقالات منه بكتاب ، نظراً لكتابته الفينة بعد الفَينة .

أظن مقالتى الطليانية ستؤخر صدورَ الإذن لى بدخول مصر ، ولكن هذا التأخير يكون مؤقتا .

أما الملك[1] الذى ذهب إلى الحج فأنا لم أرغِّبه إلا فى الحج ، وذلك لأنه فريضة ، وقد نصحته كثيراً بأن يستريح وينتظر الوقت ، فلم أجده مرتاحا إلى هذا الرأى ، وكان قرينه أشدَّ منه اعتراضا ، فأشرت عليه بأن يتفق مع الخَلَف ، لعل هذا يترك له العرش من نفسه ، فَقال إنه لن يترك من نفسه ، وإن إخوته لا يتركونه .

بالاختصار هو مُصِرٌّ على العمل لاسترداد الملك ، ومتفائل زاعم أن أكثر القبائل صارت معه ، وهو دائماً فى المراسلات معها . فعلمت أن لاسبيل إلى تحويل فكره عن هذا الغرض ، وياليته اقتصر على ذلك ، بل هو يأبى إلا أن أكون معه — وقرينه يقول يأبى إلا أن يكون لى يد فى هذا الانتصار — فهناك اضطررت برغم كل الوسائل التى عملوها أن أرفض العمل معهم ، فزعموا أن الحالى سيذهب باستقلال المملكة ، وأنه جعل البلاد تحت الحماية الأجنبية تقريباً ... إلخ ، فأجبتهم لا نبغى على أحد ، ولا نحكم إلا بعد التحرى ، وسنفحص عن صحة هذه الأقوال ، فإن صحت فنحن معكم ، وإن لم تصح فلا نعدكم بشىء .

---

(١) يقصد ملك الأفغان .

وأرادوا عمل دسيسة ظاهرها بسيط وباطنها دس كبير لإيهام أنى معهم ، وكان ذلك ليلة تمشوا عندى وقبل الانصراف ، فاعتذرت أولا بلطف ، فأصروا فأبيت ، فألحوا والملك نفسه ألح كثيراً ، فقلت له : هذا لا أعمله ، إذ لو سُئلت عنه فلا بد من أن أقول الحقيقة . فقال : ومن يعرف بهذا الأمر ليسألك ؟ . فقلت له : يعرف بذلك وجدانى وهذا كاف . فانصرفوا واجمين .

وكنت قبل هذا وعدتهم بالذهاب إلى مونترو لوداعهم يوم سفرهم فلم أذهب ، فظن القرين وعرّف أنهم ذاهبون ، فأجابه أخى عادل ولم أذهب ، ومع هذا بعد وصولهم إلى رومة عاد القرين فكتب المكتوبَ الذى أرسلت إليك به .

المقصد أن الإصرار على الحركة موجود ، والنصح بالسكون عبث ، فيجب أن السفير يكون مطلعاً على ذلك ، ويُشعر معلمه حتى يكون مستعداً للطوارىء .

رأيك فى الكتابة إلى البابا فى المسألة الطرابلسية لا يضرنا ، لكنه ينفع موسولينى عند البابا .

والذى يلزم وينفع هو المقاطعة ، وتشكيل اللجان لها فى كل محل . هذا أمضى سلاح ، لا سيما إذا طال الإصرار عليه .

بعد أن كتبت لك أول من أمس عن الصلح مع لطف الله والشهبندر ، وأنى مفوضك به ، وأنى قبلا كنت فوضت صبيعة ، ولست براجع عن ذلك ، جاءنى مكتوب من أخى عادل يقول فيه إنه رفض هذا الصلح ، لكونه اطلع على جريدة مصرية لم يذكر لى اسمها فيها طعن شخصى بحق بذىء جداً لم يسبق مثله بحق أحد ، وأن صاحب هذه الجريدة اعترف لأسعد داغر أنه تناول أجرة هذا الطعن من الشهبندر ، فقصدت أن أستدرك على ما كتبته أول من أمس ، وهو أنى أنا لا أعارض أى صلح ، ولكن لن أدخل فى أى صلح لا أنا ولا أخى إلا على شرط أن يعلن الشهبندر براءته من المطاعن التى نشرتها هذه الجريدة البذيئة .

أنا لم أطعن فى الشهبندر ، ولا فى أولاد لطف الله مطاعنَ شخصية أصلا ، وفى البداية تعدوا علىَّ بدون أدنى سبب ، ونشروا المقالات ، وبقيت ساكتاً ، وأخيراً لما تمادوا فى الطعن دافعنا عن أنفسنا بدون خروج عن موضوع الدفاع . أما طعن شخصى بذىء وسخ فما جرى به قلمى قط ، مع أنه كان بغاية الإمكان ، سواء بحق الشهبندر أو أولاد لطف الله . لكنى ما جرت لى عادة بذلك .

فلهذا كتبت اليوم أسأل عن هذه الجريدة ، ومرادى إقامة الدعوى عليها ، حتى يضطر صاحبها للإقرار عمن أغراه بهذه المطاعن أو كتبها له ، وسأستشهد أيضاً بأسعد داغر فيما قاله له صاحب هذه الجريدة ، ولست راجعاً عن ملاحقة هذه المسألة إلى آخرها .

الدكتور عبد الرحمن شهبندر لم يزل منذ ١٠ سنوات يطعن بى بلسانه ، ثم منذ أربع سنوات بلسانه وقلمه وبأقلام الجرائد التى استأجرها بمال لطف الله — أيام كان هناك مال — وأنا لم يسبق لى إلا الكلام الطيب بحقه باللسان والقلم . فهو المعتدى علىَّ باعتراف الجميع ، وصاحبه الأرمنازى اعترف أمام الكتلة الوطنية بالشام أنه هو المعتدى علىَّ .

ثم بعد ذلك لما كثر طعنه بنا رددنا عليه نحن وأصحابنا ، ولكنى أنا ما طعنت مطاعن شخصية بذيئة كما فعل هو ، فأنا لست بتارك هذه المسألة ، لأن مواصلة هذا الرجل اعتداءاته علىَّ زادت على الحد ، وأنا لا أقبل أن أصالح رجلا يكون طعن بى بهذه البذاءة ، بعد سبق كل هذا التعدى المستمر ، وإن لم يكذِّب كونه ذا علاقة بهذه المطاعن القذرة فسوف أسوقه إلى المحاكمة ، والسلام عليك يا أخى ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(ا) شكرتك على إرسال ما أرسلت من النسخ من رسالة « لماذا » ، وأرجو أن ترسل الباقى كما رجوتك فى كتبى السابقة ، وأما الأثمان فالحاج عبد السلام بنونة أرسل لى ثمن الرسل الذى وصل إليه ٩٨ نسخة ، وحلمى باشا فى القدس بعث لى بثمن ١٠٠ نسخة ، ومهما جاءنى من الثمن أعرفك عنه [1] .

— ٢٩ —

لوزان ٢٢ مايو ١٩٣١ [2] .

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

ماذا أقول ؟ وماذا أصف ؟ وماذا أسجع ؟ وماذا أترنم ؟ . فقد وصلت الكراسة التى أرسلت بها لى من « الارتسامات » بحرفها الجميل ، وطبعها الذى ليس له مثيل ، وورقها المتين الصقيل ، حتى لقد كدت أخال أن الارتسامات التى أنت بعثت بها هى غير الارتسامات التى كانت منشورة فى « الشورى » ، ولما قرأتها ظننت أنى أقرأها أول مرة ، ولا غرو فالطبع للكتاب كاللباس للإنسان ، كلما حلا زاد اللابس جمالا ، وأما التصحيح فماذا نقول فيه ؟ قد قال لى فى هذا الملك ابن سعود قوله الفصل ، وهو إن تساوت المطابع مع مطبعة المنار فى الإتقان فأيةُ مطبعة تساويها فى التصحيح ؟ نعم أقول لسائر المطابع : « لقد حكيت ولكن فاتك الشنب » . أنَّى لك هذا البحر الذى يتدفق فى مطبعة المنار علماً ؟ . والحاصل الطبع فى المنار هو من قبيل « مُغَسِّل وضامن الجنة » . يطبع الإنسان طبعاً جميلا ، ويخرج الكتاب صحيحاً قويماً .

هذا ولما قرأت فى صدر الكتاب : « وقف على تصحيحها وعلّق حواشيها »

---

(١) هذه الحاشية موجودة فى ذيل الرسالة .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى ثلاث ورقات من الحجم الكبير ، كل منها مكتوب من الجهتين

توضأت باللبن، وقلت: ماذا تراه معترضاً عليّ في هذه الحواشي ؟ فالله أعلم إلا أني لما قرأت لم أجد شيئاً إلا ما يزين الكتاب ويزنده، وما هي إلا أمور أخشى أنا الجزم بها في المتن، فيأتي الأستاذ ويصدر تلك الفتوى في الحاشية بما يفيد الجزم، وينفي التردد، ويجلو وجه الحق، ويقر به الغرب والشرق، وإن أنا انحرفت قليلا عن الجادة جاء الأستاذ وسدد المقال بتأويل أقول فيها أحياناً، ما قال أبو نواس عند ما سمع معلماً يشرح قوله: " ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر "ويقول: أراد أبو نواس إشراكَ الذوق والسمع باللذة، فقال أبو نواس: والله ما خطرت ببالي !.

وبالاختصار كتابى حواشيه أثمن من متنه ، وفروعه أنفس من أصله ، وهو أشبه بالعروس التى قد يلبسها أهلها من الحلى ما لا يستحقه جمالها ، وذلك لأنها فى يوم عرسها . وإن لم يكن من فائدة هذه الحواشى إلا أنها صارت سجلا لأقوال ساداتنا أجداد الأستاذ رحمهم الله ، ففى حاشية على رسالة « لماذا تأخر المسلمون » استشهد الأستاذ بجملة لجدِّه ، وفى حاشية على « الارتسامات » رأيت هذه المرة جملة لأخى جدِّه ، ولا يبعد أن يكون فى الحواشى الآتية أقوال للمرحومة جدته ! .

والخلاصة كل ما يقوله الأستاذ لطيف ، وكل ثوب يرتديه هذا الكتاب تحت يده فهو جميل ، ولا شك أن هذه الحواشى هى بنفسها كتاب ، وكأننا طبعنا كتابين ، وأما خطأ الطبع فلم أجد منه شيئاً إلا فى صفحة ٢٠ سطر ٣ مذكور العثلوج بالثاء وهو بالسين (١) ، وقد بحثت عنه لعلى أجده بالثاء فى بعض كتب اللغة فلم أجد ، فهذا ما لاحظته ، وليتكرم الأستاذ بإفادتى متى يتم طبع الكتاب كله ، وكم نسخة يريد أن يطبع منه ؟ أفلا يرى طبع ثلاثة آلاف نسخة ؟ فإننا إن شاء الله نتمكن من تصريفها بين سورية ومصر والحجاز والجاوى والمغرب وأمريكة ، والحالة هذه السنة كما لا يخفى حرِجَة ، فنحتاج إلى تصريف كتب كثيرة لنقوم بنفقاتنا الضرورية .

---

(١) العسلوج . مالان واخضر من القضبان .

جاءنى أمس من السيد سعيد الزاهرى فى تلمسان أنه قد وصله ٢٠ نسخة من رسالة لماذا تأخر المسلمون ، ويقول : « ومع أن الإمام السيد رشيد رضا لم يرسل إلىّ بها كشفاً بأسعارها فقد وزعتها ، وإنى أنتظر منه ٣٠ نسخة أخرى مع بيان الأسعار » .

ليس عندى سوى تأكيد الرجاء بإرسال الكميات التى رجوت إرسالها من رسالة « لماذا » ، وذلك إلى جدة ومكة وعدن والبحرين والكويت والبصرة ، وإلى بغداد التى لاشك أن لكم فيها من تعاملونه ، ثم إلى طرابلس الشام تحت يد السيد عبد الحميد كرامة ١٠٠ نسخة ، وإلى حلب تحت يد فؤاد بك الجابرى ١٠٠ نسخة ، ويمكنكم أن ترسلوا إلى بيروت تحت يد السيد عبد الرحمن بك بيهم ١٠٠ نسخة ، وإلى حماه تحت يد السيد عبد القادر حسنى الكيلانى ٥٠ نسخة .

الجناب العالى السابق[1] طالما كنا ننصح له بترك تلك المنازعات ، والائتلاف مع الملك[2] ، وأخذ أمواله المحجوزة عليه ، فلم يكن يروقه ذلك ، بل كان أنطون الأرمنى مستشاره الخاص ينهى عن مثل هذه النصائح ، لأنها بقوله تكسر قلبه . فالآن قد عمل الشىء الذى كنا نحن نراه الأوفق .

ليعمل ما شاء . لسنا على نية استئناف علاقة معه ، ولو صار مع الملك مثل اللحم على الظفر كما يقال . عشرته صعبة جداً ، وقصته تخطر ببالى قصة : « ابنك ثقيل والرزق على الله » .

ماأعجب من شىء مثل عجبى ممن يقولون : أيا ترى صحيح فَعَلَ الطليانُ بطرابلس كل هذه الفظائع ؟ . فالطليان من ٢٠ سنة دائبون عليها ، والشهود عليهم فى ذلك بالألوف وعشرات الألوف ، والطليان الفاشيست معلنون رسمياً أنهم لا يعرفون

---

(١) الخديوى عباس حلمى الثانى .

(٢) الملك فؤاد الأول .

قانوناً إلا ما رأوه هم موافقاً لمصلحة إيطالية ، ولقد فعلوا بنفس إيطالية فظائع لا تحصى ، حتى هاجر إيطالية عدة ملايين من جورهم ، منهم عدد كبير فى فرنسة ومنهم فى كل محل ، ولهم جرائد تروى كل يوم من فظائع الفاشيست ما يجتمع منه مجلدات .

ثم إن الأمر هو كما قلتم أنتم فى جمعية الشبان المسلمين ، وهو أنى أنا كنت تلقيت تقارير كثيرة من الجمعية الطرابلسية البرقاوية بالشام ومن مصر ، ومن شارد وصل إلى باريز وبقيت متوقفاً ، واعتذرت للبشير السعداوى بالصحبة التى كانت بيننا وبين موسولينى ، وبسبب آخر هو أنه لم يبق لى ممر إلى الشرق إلا من إيطالية ، إلا أنى قرأت أخيراً إجراء الثمانين ألف عربى ، ونزع الثمانمائة ألف هكتار ، وضبط أملاك القبائل السنوسية فى نفس جرائد إيطالية وفى بلاغاتها الرسمية وفى خطب الجنرال غرازيانى ..إلخ ؛ فعند ذلك كتبنا فى مجلتنا الإفرنسية اللغة وبكل اعتدال مقالة جيدة .

لكن لما علمت بما حصل فى الكفرة ، وبقبضهم على سيدات آل البيت السنوسى وغيرهن من الشريفات ومن عقائل أهل الكفرة ، وإرغامهن على الفاحشة فى وسط الزاوية السنوسية ، وإباحة نساء أهل الكفرة ثلاثة أيام ، هذا مع إهانة القرآن والإسلام ، عند ذلك عميت ، وقلت ليكن ما شاء الله أن يكون ، وجردت قلمى على هؤلاء الكلاب .

جاءنى من أحد أدباء نابلس — ممن لا أعرفهم لكن الجميع يضنون بى — وهو أن أحتاط لنفسى من الطليان ، لأن الفاشيست عندهم فدائية ، وعندهم تشكيلات خفية ، وجرت لهم العادة باغتيال كثيرين ..إلخ ، فأجبته : ياابنى نحن فى جهاد ، والجهاد معناه الحرب ، أفرأيت أحداً يذهب إلى الحرب ويقول : لعلها تأتينى رصاصة ؟ .

أنا لن أذهب إلى إيطالية ولن أمر بها ، فأما أكثر من هذا فلن أقدر أن احتاط لنفسي ، وإن قُدِّر أن أموت فى سبيل الإسلام فلعمرى تلك نعم المنية .

قيل لى مثل هذا عندما صرت أهاجم مصطفى كمال ، فأجبت بالجواب عينه .

إن أخذنا نخاف من هذا وهذا لن نقدر أن نخدم الإسلام .

أما تساؤل الناس بمصر : أيا ترى صحيح ما يُنْسَب إلى الطليان ؟ فأَحْرِ به أن يكون عيباً وعارا . مصر ملأى بالشاردين من برقة ومن نفس الكفرة فليسألوهم .

فى المغرب لم يقدر المسلمون أن يقوموا بمظاهرات خوفا من فرنسة — لأن الاستعمار دولة واحدة ، كما أن الكفر ملة واحدة — لكنهم قرروا مقاطعة الطليان . وقد عطل الفرنسيس جريدتى « النهضة » و « الوزير » بتونس نهائياً بحجة الكتابة على إيطالية .

جاءنى من توفيق المدنى بالجزائر والزاهرى بتلمسان أن الشبان كلهم لما قرأوا مقالتى عن طرابلس فى العدد الأخير من مجلتنا لاناسيون آراب قاموا وقعدوا . وجاءنى من تطوان أنهم قاطعوا الطليان ، وأرسلوا ٥٠ نسخة من منشورى العربى إلى طنجة فقامت وقعدت وقاطعت الطليان . وجاءنى من السيد مختار احرضان من أدباء طنجة — مقيم الآن بأشبيلية — أن قهوة شهيرة بطنجة صاحبها طليانى مدار شغلها على المسلمين بطل كل عملها ، وذهب الطليانى يشكو إلى قنصله سوء حاله .

سيأتى وفد من تطوان والريف إلى مجريط بمطالب معلومة ، وعلى رأس الوفد الحاج عبد السلام بنونة ، والاستدعاء ممضى من ٥٠٠ من تطوان وحدها ، وفيه عدة مئات من الريف . ولقد كانوا فى البداية ساكتين لعدم الاتفاق ، ولأن الوزير ابن عزوز — مقرى الريف — عاكسهم جدا ، ولكنى من هنا لم أقصر فى الحث ، وعملت لهم بروغراما ، وذهب أحمد بلافريج من باريز سرا إلى تطوان ، ثم أقام بسبتة وكانت النهضة بسببه ، وساعد فى ذلك العملة من مسلمين وأسبانيول ،

ورجع بلافريج وأخبرنى بكل ما وقع ، وكتب لى « بنونة » أنهم سائرون إلى مجريط وسيكتب لى منها .

ويجوز أن يأتى بعد ذلك إلى باريز لمشاهدة طلبة المغاربة ومنها يأتى إلى لوزان .

هذه كلها معلومات خصوصية لك ، لأن الكتمان ضرورى ، وفرنسة مماكسة جدا إعطاء أية حرية للريف . قهرها الله ، وقهر أعداء الإسلام جميعاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم
شكيب أرسلان

— ٣٠ —

لوزان ٢٦ مايو ١٩٣١ (١)

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

وصل الرَّسَل (٢) الثانى من « الارتسامات » من الصفحة ٤٩ إلى الصفحة ١١٢ وبعد تصفحه وجدت أنه ثمة سهو عظيم فى الطبع فات به قسم كبير من هذا الكتاب . ولقد حسبت حسابَ السهو لكثرة ما عليك من الشغل ، ولكنى لم أحسب أن يأتى على قسم من الكتاب ، أى نحو سبع أو ثمان مقالات .

ولقد أرسلت جميع هذه المقالات مسجلة بالبريد حذراً من هذا الشىء ، والآن وجدت أن الاحتياط لم يفُد ، ووجدت أنك قفزت من بحث المطوِّفين والمزوِّرين صفحة ٧٨ إلى الكلام على الطائف ، وبدون أدنى مناسبة ولا ارتباط .

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، الأولى مكتوبة من الجهتين ، والأخرى فيها نصف صفحة ، والباقى أبيض .

(٢) الرسل : القطيع من كل شىء ، وجمعه أرسال .

والحال أن بين هذين الموضعين مقالات كثيرة ، كلُّ ما طبعناه ليس بأحسن منها ، وإنى لأفضِّل العدولَ عن طبع هذا الكتاب كله على تركها .

ومما لا شك فيه أنى أرسلت بها إليك ، لكنها ضاعت ، وإنه لوجرت مراجعة الأرسال كلها لعثرت عليها ، ووصلتها بصفحة ٧٨ الحاضرة .

فمن ذلك مقالة فى العدد ٢٧٦ من « الشورى » أولها : لقد قسم المطوفون والمزورون العالم الإسلامى فيما بينهم . . إلخ . وهى واصلة ضمن هذا الظرف المسجل وبعدها مقالة فى العدد ٢٨١ من « الشورى » أولها : ينبغى لحكومة الحجاز ولسائر الحكومات الإسلامية . . إلخ ؛ وهى واصلة ، وبعدها مقالة فى العدد ٢٨٤ من الشورى ، وأولها : من حيث قد قررنا أن الأماكن المقدسة فى الحجاز لن تبرح مقصداً للمؤمنين . . إلخ .

وهى واصلة أيضاً . وبعدها مقالة فى العدد ٢٩٣ من الشورى ، أولها : لما غلبت الدول المستعمرة على القسم الأكبر من العالم الإسلامى ... إلخ ، وهى واصلة أيضاً .

وبعدها مقالة فى العدد ٢٩٦ من الشورى أولها : إذا كان الأجر على قدر المشقة فقد كتب الله لهذا العبد أجرا عظيما ... إلخ .

وهى واصلة أيضاً .

وبعدها مقالة أخرى أرسلت بها لك من قبل، تتضمن كيفية صعودى من مكة إلى الطائف ، فإذا بحثت عنها تجدها ، لأنى لم أجدها هنا .

وبعدها مقالة فى العدد ٢٩٩ من الشورى أولها : جاء فى « تاج العروس » عن ذات عرق التى ورد ذكرها فى الرسالة السابقة ... إلخ .

وهى واصلة .

وبعدها مقالة فى العدد ٣٠٠ من الشورى وأولها : لا ينبغى أن يُظَنّ أن أسواق العرب هى عكاظ ومجنة وذو المجاز فحسب ... إلخ .

وهى واصلة أيضاً .

وبعدها مقالة فى العدد ٣٠١ من الشورى وأولها : مما اقتضى عجبى فى الطائف شكل الصخور ... إلخ .

وهى واصلة أيضاً .

وبعد ذلك مقالة على « لُقَيْم » القرية التى فى أول الطائف ، لم أجدها هنا ، ولكنك إذا بحثت عنها وجدتها ، لأنى أنا أرسلتها كلها ضمن ظروف مسجلة بالبريد .

فإن وجدتها فأرجو منك أن تُكمل طبع الكتاب ، وإن كانت قد ضاعت فى الإدارة أو المطبعة فلا حاجة بى إلى طبع هذا الكتاب ، ولا لذة لى بقراءته[1] ، وإذا لم تجدوا هذه القطع الناقصة فأرجو أن توقفوا الطبع وتعرفونى بذلك . وإن وجدتموها فأرجو أن تضعوها بمكانها ، وتفكوا طبع الكلام عن الطائف من صفحة ٧٩ إلى ما بعدها ، ولو التزمنا تجديد كلفة طبع هذا القسم .

ذكرت لك فى كتاب سابق أنه من رسالة «لماذا تأخر المسلمون» جاءنى ثمن ٩٧ نسخة من تطوان ، و ١٠٠ من القدس .

الذى ينبغى هو الإرسال أولا ، ومتى عرفنا كم أُرسل إلى كل جهة نكتب لهم فى جَمْع الثمن ، وإرساله لكم أو لنا لا فرق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

---

(١) كتبها شكيب هكذا : بقرائته .

— ٣١ —

لوزان ٢٧ مايو ١٩٣١ [1] .

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله .

من ستة أيام كتبتُ إليك كتاباً كله طَرَبٌ من حسن طبع الكتاب ، ودقة تصحيحه ، وجميع المحاسن التى فيه ، والتى تشمل كل ما يُطبع فى « المنار » .

ولكننى أمس لما تلقيت الكراس الجديد ، ووجدت النقص الواقع ، وكيف جرى الانتقال إلى الطائف قبل الوصول إلى الطائف ببضع عشرة مقالة منشورة فى « الشورى » انقلب هذا السرور غَمّاً ، وأسرعت فأرسلت إليك بالمقالات الباقية عندى ، مما غفلوا فى المطبعة عنه ، ولكنى لم أجدها كلها ، فرجوتك أن تبحث جيداً فى ظروفِ الأرْسَال كلها ، لأنى كنت بعثت بها بأجمعها مسجَّلة ، حتى لايضيع شىء ويقال لى : هذا لم يوجد .

وبعد أن أرسلت إليك فى ظرف مسجل ثمانيا أو تسع مقالات مطبوعة فى الشورى ، رجوتك وَصلَها بما سبقها ، وفك الملزمة التى طُبعت خطأً قبل مجىء أوانها ، ولو تكلفنا نفقتها مرتين . وبالاختصار ساءنى هذا الخطأ إلى أنى قلت لك إنى أفضل العدول عن الطبع على الطبع بهذه الصورة . وكنت معتقداً أن المقالات ضاعت بين الأوراق ولكنها لدى البحث لا بد أن توجد . ثم إنى بعد أن أرسلت إليك بالظرف المسجل التى فيه مكتوبى مع المقالات التى بها التعويض على تقدير ضياع الأولى أبرقت إليك قائلا : أوقفوا الطبع ، انتظروا المكتوب .

وبتُّ مع ذلك غير مسرور ، وبهذا الصباح تلقيت كتابك رقم ٣ محرم وقد

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ثلاث ورقات من الحجم الكبير ، كل منها مكتوبة من الوجهين إلا الأخيرة ففيها صفحة بيضاء .

سُرِّيَ به عنى ، فعلمت منه أنك لحظت الأمر ، وأنك أمرت المطبعة بطبع الناقص وفك الملزمة التى جاءت قبل أوانها ، وأما من جهة أرقام الصفحات فقد قلت لى إنه يمكن تصحيحها بآلة الرقم .

إذاً ليس لى شىء أقوله ، فأنت قد استدركت الأمر والحمد لله .

كلامك فى « المجاوبة » هو فى محله ، فالمجاوبة أعم من الإجابة ، وقد يدخل فيها هو جواب على سؤال وغيره ، وأنا ما أردت أن أقول إلا أن المجاوبة ليست بخطأ ، وقد أوردت لك نص ما جاء فى « اللسان » بشأن المجاوبة والمحاورة .

نعم كنت أراجع متون اللغة عند الكتابة ، ولا أزال على هذه العادة ، ومن جملة ماينتقدنى به أعدائى [1] قولهم عنى : لا يقدر أن يكتب إلا إذا كان محاطاً بكتب اللغة . قد سمعت هذا مراراً ، وقرأته مرة فى جريدة هدى المكرزل بأمريكة من جملة المطاعن بى بزعمهم .

وأنا كنت أُسَرُّ بهذا الطعن الذى لو قرأه العلماء حقاً لأجَلُّونى ، وعلموا أنى ممن يحقق ، وأى شرف أعظم من هذا ؟ . وياليتنى أقدر أن أبحث عن كل لفظة ، فوالله ما صادفنى أنى أهملت البحث عن لفظة قائلا إنها معروفة ، لا حاجة لإضاعة الوقت بهذا ، إلا ندمت ، ورأيت بعد ذلك أن هذه اللفظة التى كنت أظنها معروفة تتضمن معانىَ غير ما كنت أظن ، وأحياناً أرى أنها خطأ بالمعنى الذى كنت أظنه .

والخلاصة أن المراجعة فى كتب اللغة هى سعادة لمن يقدر عليها . مازلت منتظراً ورقتك التى وعدتنى بشأن الأغلاط اللغوية .

مسألة رحلة أسعد داغر إلى بغداد ، وموافاة الحاج أديب إياه إلى هناك أنا لم

---

(١) شكيب يكتبها هكذا : أعدآءِى .

أنهيها . نعم إنى مشغول عن كل هذه الأمور ، لـكنى لا أكره أن أعرف لماذا ذهب أسعد أفندى داغر إلى بغداد ووافاه الحاج أديب ؟ . وهل هذا بدعوة من فيصل أو حاشيته أم لا ؟ . وهل المراد هو الحصول على موافقة حزب الاستقلال العربى بشأن نصب « على » [1] ملـكا على سورية ، أم هناك مقصد آخر ؟ .

إن كنت تعرف لى كيفيةَ هذه الرحلة فلا بأس أن تتفضل بها ولو بسطرين .

أما سياسة الوفد السورى فى مسألة « على » هذه فهى ما يلى :

كتبت إلى الملك فيصل إلى هذه الساعة ثلاثَ مرات أقول له الشىء نفسه : ليس لى اعتراض على نصب أخيك «على» ملـكا على الشام ، لـكن بشرط أن يُلغى الانتداب ، وتنحل مسألة سورية على وجه يرضى الوطنيين ، ثم إنى أنصحك أن لا تبت شيئاً فى هذه المسألة إلا بالاتفاق مع أخيك ابن سعود .

هذا الـكلام أَعَدْتُه عليه ثلاث مرات ، وأرسلت أيضاً إلى الملك ابن سعود صورةَ أحد مكاتيبى هذه إلى الملك فيصل .

وقد أجابنى فيصل على كل هذه المـكاتيب يقول : إنه متريث متأمل ، لا يأتى عملا إلا بغاية الاحتياط . . . إلخ .

فأنا الذى عَلَىَّ عملته ، وإن صار «على» ملـكا تحت الانتداب احتججنا وعاكسناه ، وإن صار مع إلغاء الانتـداب ودخول سورية بجمعية الأمم لم نحتج ، وإنما راقبنا سير الحـكومة السورية يومئذ .

أما مسألة الصلح التى عرضوه عليك فلا أزال أقول لك : ما تراه حسناً فهو حسن ، لـكنى أنا أريد أن يعلن الشهبندر أن القاذورات التى نشرتها جريدة

---

(١) هو على بن الحسين أخو الملك فيصل الأول .

« الوطواط » بحقى ليست باطلاعه ، وذلك لأن صاحب الوطواط قال لأسعد داغر — وأخى عادل هو الذى روى لى هذا — إنه ما كتب هذه القاذورات إلا بمقاولة مع الشهبندر .

ثم إنه غير معقول أن رجلا مصرياً لا يعرفنى ولا أعرفه يكتب عنى بكل هذه البذاءة ، إلا باتفاق مع الشهبندر ، وبفلوس لطف الله .

وقد كنت كتبت إلى مصر لأقيم وكيلا يطلب صاحب الوطواط للمحاكمة ، حتى أجبره على الإقرار بكون تلك الكتابة هى من الشهبندر ، إلا أنهم يراجعوننى من مصر بإلحاح أن أترك هذه المسألة التى مضى وقتها .

وأما فلوس لطف الله فلولا نضوبُ معينها ما كان الشهبندر يفكر بالصلح ، فنحمد الله على كونهم أفلسوا ، وسترى أن حالتهم ستصير إلى أسوأ ما تتصور ، ولا أقول هذا حباً بالضرر ، فإنى لا أريد ضرر أحد ، ولكن ميشيل لطف الله أضر بقضية سورية إضراراً لا تحتويها المجلدات لو استقصيناها ، وكل هذا بفلوسه ، ولولا فلوس لطف الله ما أمكن الشهبندر أن يعمل شيئاً .

والآن لما علم لطف الله أنه صار كجوف حمار ، وعلم الشهبندر أنه لن يقدر بعد الآن أن يأخذ منه جنيهاً واحداً فى سبيل السفه على من يحسدهم ، جاءوا يتحككون بمثل « نبيه العظمة » الآتى غضبان على الحجاز ، لأجل أن يسعى لهم بالصلح ، فلا أقول شيئاً فى الصلح إلا أنى أشترط فيه إعلان الشهبندر براءته مما كتب فى الوطواط بحقى ، ومن سفاهات الهيمانى التى ينشرها بأمريكة . نعم إن الوطواط والهيمانى ساقطان جداً ، لكن ليس هذا بسبب لعدم تبرؤ الشهبندر منهما .

لا يسرنى إغباب[1] أخى عادل زيارتك . من وقت سفره من هنا ما كتب لى إلا مرتين .

---

(١) أغب القوم : جاءهم يوما وترك يوما . والمراد هنا قلة الزيارة

لا يوجد فى عادل صفة من صفات الرجال التى يسمونها عندنا دعائم الرجال إلا وهى تمجبنى ، ما عدا طباعه العصبية ونفسه الغضبية ، طبعه ليس بسلس ، وجميع أفكاره تشاؤم ،وجميع محاضراته اعتراض ، وكيف نصنع ليترك هذه المادة ؟ نسأل الله توفيقه . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(١) ترجمة كتاب مختار باشا وصلت ، ومن قبلُ « النجوم الزاهرة » كانت وصلت ، وشكراً لكم .

(٢) أحد أعمام أمان الله وصل إلى الشام ، ونقلوا عنه فى جريدة « الأيام » حديثاً مُهِماً فيه كل الثناء على نادر شاه وحسن إدارته ، وفيه صعوبة رجوع أمان الله الذى ليس معه إلا حزب قليل جداً .

وكلام هذا الأمير مؤيد لكلام الجددى من جهة كون أمان الله استأثر بالأموال والجوهرات . . إلخ[1] .

— ٣٢ —

لوزان ٣٠ مايو ١٩٣١[2]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

من يومين كتبت لك ، وأمس أبرقت لك بأن تمضى المطبعة فى الطبع ، بعد أن أمنت على طبع القسم الذى حصل السهو عنه .

---

(١) هاتان حاشيتان ، الأولى وردت فى أول الرسالة ، والأخرى وردت فى ذيل الرسالة .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقة واحدة من الحجم الكبير ، مكتوبة من الوجهين .

لا أزال منتظراً منك ما وعدتنى من تبيين الأغلاط اللغوية ، ويجوز لك إن ضاق الوقت أن ترسل بها تباعاً لا دفعة واحدة .

أما ملاحظاتك الشرعية فمَنْ يقدر على مثلها ؟ أفلا ترى كيف تقول بعد النقل الذى نقلته أنا عن ابن خلكان عن حمل جثة الوزير الأصفهانى إلى مكة والطواف بها : هذه الأعمال من نبش القبر والسفر بالجثة والعظام وأعمال المناسك والزيارة كلها محرمة فى الإسلام . . إلخ .

فيا تعثرى أنا . أنَّى لى أن أقول هذا القول الفصل ؟ ولو كنت تعرضت له لما زدت على جملة فيها شىء من الكراهة ومع الاحتياط ، بحيث لا أقطع على نفسى خط الرجعة ، لأنى لا أعلم من هذه الأحكام ما تعلمه أنت .

فزدنا يا أخى من هذه الفتاوى ، ولو جاءت بضد ما أنا قائل . لقد استحسنتُ ما أوردتَه من الكلام المخالف لرأيى من جهة التحديث ، وقولك إن ما جاء فى طبقات ابن سعد من عدم استحسان عمر لكتابة الأحاديث فيه ضعف أو قصور .

أما قولك إن بيت :

قيل لى صف بَرَدَى وكوثرها قلتُ غالٍ بَرَدَاهَا بِرِدَاها

فهل أنت واثق أنه لابن الفارض ؟ بالله راجعْ ديوانَ ابن الفارض ، فإنى لا أزال أظنه لشاعر آخر من أهل بولاق . أخشى أن تكون أردت أن تصحح لى فصرت إلى قول ينبغى له التصحيح .

وأما قولى : أحد إخواننا المصريين إلخ ، فلم أقصد به إخواننا المعاصرين ، بل تكلمت قاصداً « إخواننا المصريين » بمعنى أنهم إخوان أهل الشام فى القديم والحديث ، ولم أعتقد أن هذا البيت لشاعر معاصر .

هذا ومتى وصلت فى الطبع إلى بحث المعادن فأرجو منك أن تضع تحت ذلك البحث الحاشية الواصلة عليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(١) يقال إن الملك فؤاداً دعا الخديوى إلى مصر ، وإنه أرسل لهذا الغرض توفيق نسيم ، والمثل يقول : قال : إيش أحلى من الحلاوة ؟ قال : الصحبة بعد العداوة ! .

وأما أنا فغير آسف على ذلك الفراق . تصالحا أم تخاصما ، لا أبغى علاقة لا بالواحد ولا بالآخر ، وذلك من كثرة ما بلوت من هذا الخديوى وصغائر أعماله[١] .

— ٣٣ —

سيدى الأخ الأستاذ[٢]

أراكم ذكرتم لفظة « مشاكل » وغيركم يذكرها ، ولكنى لا أعلم كيف تأتى؟ فإن الفعل هو أشكل بمعنى التبس ، فيلزم أن يقال « مشكلات » ، فهل عندكم شىء فى هذا ؟ .

جمع مفعول على مفاعيل أتذكر أنكم قلتم لى إنه غير جائز ، وإن الآتى منه إنما هو ألفاظ مسموعة كمجانين وغيرها .

وعاب الشنقيطى الكبير قولهم : « مشاهير » .

---

(١) هذه الحاشية جاءت فى ذيل الرسالة .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة على صفحة من ورقة واحدة ، وليس هناك تاريخ ، ويظهر أنها كانت ملحقا لرسالة أخرى ، وقد كتب رشيد فى أسفل الرسالة هذه العبارة : « أجيب عنه فى ١٥ رجب » .

ولـكن كلام الفصحاء فيه كثير من هذا ، والجاحظ يقول : مياسير جمع ميسور ، فهل من قاعدة لهذه المسألة ؟ .

جميعنا نقول : « اكتشف » و « اكتشاف » ، ولم أجدها فى كتب اللغة .

وجميع العرب يقولون « احترم » بمعنى وقَّر ، و « الاحترام » ، وليس فى متون اللغة احترم بهذا المعنى .

نعم المولدون استعملوها ، وصاحب البردة يقول :

حاشاه أن يُحرَم الراجى مكارِمَهُ   أو يرجع الجار منه غير محترَم

فهل عندك شىء فى : اكتشف واحترم ؟ .

ودمت ملجأ ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

— ٣٤ —

برن ٢٣ يوليو ١٩٣١[١]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

تناولت كتابك رقم ١٥ يوليو وفهمته . نحن مرادنا أن نرسل لك كلَّ حساب نفقة الطبع ، نظراً لحالة المطبعة ومطالبة العَمَلَة ، إلا أن الفلاحين الذين اشتروا منا المزرعة هم أيضاً فى عسر ، وقد كتب لى عارف بك النـكدى أنهم استدانوا المائة بخمسة وعشرين حتى أرسلوا الذى أرسلوه ، وأنه هو مازال يلزُّهم[٢] ، وأنا أجبت

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة على أربع ورقات ، من الحجم الصغير ، كل منها مكتوبة من الوجهين ، ومطبوع عليها اسم : Bellevue Balace

(٢) يلزهم : يلزمهم . واللز : لزوم الشىء بالشىء ، وإلزامه به .

عارف بك أنى لا أجهل ذلك ، لكنهم هم فى بيوتهم وبلادهم ، وأما أنا ففى غربة ، لا أقدر أن أتناول من أحد مليما واحداً ، إذ ليس لى ملك فى هذه البلاد ، وفى هذه الأيام مرادى النقلة إلى جنيف ، ويلزم لى دراهم ، وكذلك طبعت بمطبعة « المنار » كتابين لا تزال كلفتهما دَيْناً علىّ .

فلا بد من أن يأتينا من الشام دراهم ، فأسدد بقيةَ الحساب .

ثم إنى أنا قد كتبت وسأكتب إلى سائر من أرسلت إليهم الرسالة « لماذا » بأن لا يرسلوا الثمن إلا لك .

الزاهرى أرجو أن ترسلوا إليه ٥٠ نسخة من « لماذا » فوق ما أرسلتموه حتى الآن .

« بنونة » بتطوان أظنه تحت المراقبة ، لأن الفرنسيس تشكوا كثيرا إلى الأسبانيول ، قائلين إن كل حركات المغرب والريف هى حركات بانيسلاميسم ، وكلها منى ، وكلها بمكاتبات منى إلى بنونة . . إلخ .

فمنذ شهرين انقطعت كل مكاتيب بنونة عنى ، وأظنه خشية المسئولية لم يجرؤ أن يتسلم نسخ الرسالة ، بعد أن طلبها بإلحاح شديد ، فأنا أمس كتبت إلى محمد الداود صهر بنونة ملتمسا منه أن يعيد نسخ الرسالة التى لم يتسلمها عمه ، وذلك إلى مصر ، أو أن يرسلها — وهو الأحسن — إلى أحمد توفيق المدنى فى الجزائر .

وذكرت لمحمد الداود أن المرسَل لعمه هو ٢٥٠ نسخة ، وأن الذى وصل إلىّ من الثمن إنما هو ثمن ١٠٠ فقط ، فإن كانوا صرفوا شيئا من المائة والخمسين الباقية فليرسلوا ثمنه إلى « المنار » ، وعلى كل حال فالنسخ التى لم يتسلموها نرجو منهم إعادتها إلى مصر ، أو إرسالها إلى الجزائر ، وتعريفنا كلفة إعادتها لندفعها لهم .

أما توفيق المدنى فقد جاءنى منه مكتوب بتاريخ ٣ يوليو يقول فيه حرفيا .

« كانت إدارة المنار أشعرتنى بأنها أرسلت إلىَّ كمية من كتابكم القيم ، إلا أنى إلى يومنا هذا لم أتصل بتلك الكتب ، والناس متعطشة إليها » .

ثم إنى الآن بعد أن راجعت القائمة المرسلة من السيد عاصم بالموزَّع من نسخ الرسالة وجدت محررا بجانب اسم توفيق المدنى الجزائر ٢٠ نسخة ، ثم محررا تحتها إرجاع ٢٠ نسخة .

ثم لحظت أنه مرسل إلى السيد محمد الهاشمى حميدة ٥٠ نسخة ، وقد أرجعتها البوسطة أيضا .

فعلمت أن بوسطة الجزائر منعت دخولَ الرسالة ، ومن قولك إن الزاهرى لم يخبرك أيضا بوصول النسخ الأخيرة ، فتكون قد حجزت أيضا فى بوسطة تلمسان ، وسنكتب له بأنه إن لم يقدر على تخليصها فليعمل لإرجاعها إلى مصر .

وسأكتب الآن إلى محمد الداود بتطوان بأن لا يرسل الكتب إلى الجزائر ، بل يعيدها إلى مصر .

أما ما بقى من نسخ الرسالة فأنا كاتب الآن إلى السيد عبد الرحمن عاصم كيف أرجو منه أن يوزعها .

فأما « الارتسامات » فقولى إنها مقدمة لجلالة ابن سعود فمعناه ما ذكرته عنه فى المقدمة ، فلا أرى حاجة إلى وضع عبارة جديدة ، وأما من جهة وضع صورته أو صورتى أو كلتيهما فى الكتاب فلا أحب ذلك .

قد وضعوا صورتى فى كتاب « أناتول فرانس » بدون علمى :

فلهذا لم أرسل إليكم برقية بحسب إشارتكم ، وأنا أرجو أن ترسلوا بالنسختين المذهبتين لجلالة الملك وسمو ابنه الأمير فيصل فى أول بريد مع نسختين غير مذهبتين ، إحداهما لعبد الله سليمان مدير المالية ، والأخرى إلى فؤاد حمزة مستشار الخارجية .

وتكرموا بإرسال نسختين لى حسبما ذكرتم ، حتى أكتب كيف أرجو أن تصنعوا من جهة التجليد .

قرأت لحافظ وهبة ما كتبتموه لى من أنه « أعقل رجال ابن سعود » فكان مسروراً .

أمس جئنا أنا وإحسان إلى برن للسلام على الملك فيصل ، وقلت لإحسان إنه ينبغي أن تنبهه إلى قضية أخيه على ، حتى لا يزلق ويرضى بجعله ملكاً فى سورية تحت الانتداب ، فنضطر إلى الاحتجاج إلخ . فقال لى إحسان : جيد ، لكن لا تجعل أسلوب الكلام خشناً . والحاصل قلنا له كل ما يلزم بصورة لطيفة لكن جازمة .

قلت له أمام إحسان وتحسين قدرى وجعفر باشا وصفوت العوا ما يلى :
سألونا من الشام ما رأيكم فى هذه المسألة ، فقلنا لهم تحت خطنا وإمضائنا : أما الترجيح بين الملكية والجمهورية فهذا لا نتعرض له ، بل نتركه لرأى الأمة . وكذلك لا نقول « على » ولا نقول غير « على » ، بل الذى تنتخبه الأمه هو الذى نرضى به أياً كان . أما الشىء الذى لا ننزل به على حكم أحد حتى الأمة نفسها هو قبول مَلك تحت الانتداب ، أو قبول دستور فيه ما يمس السيادة القومية . فهذه نقطة نعلن فيها رأينا ولا نرائى بها أحداً .

فقال الملك فيصل : أنا بالدرجة الأولى لا يهمنى إلا هذه النقطة ، فقَبْل النظر فى قضية ملكية وجمهورية وقضية على وغير على يجب أن نوجه كل قوتنا لنيل مطالب سورية الوطنية ، وبعد أن نتأمن عليها نتكلم فى الموضوع الآخر الذى هو ثانوى .

هذا ماجرى ، وتكلمنا معه اليوم صباحاً فى مسائل متعددة من جملتها التربية الدينية ، وكان صفوت العوا حاضراً ، فأخذ يومىء لى بأن أؤكد وألح

فى الموضوع ، وأنا لا يلزم لى تحريض ، فقلت كل ما يلزم وهو وافقنى ، ولكنه اعتذر بأمور يطول شرحها ، ولا أقدر أن أكتبها الآن ، لأن موعد القطار جاء ، ويجب أن أعود إلى لوزان ، وملخصها أنه سيعتنى بهذا الأمر بصورة جدية . حقق الله ذلك .

عادل منذ وصل إلى الحجاز لم يجئنى منه شىء ، وإنما جاءنى من أحد أصحابى أنه صعد من مكة إلى الطائف .

قد لحظت أن نسخ الرسالة « لماذا » الموزعة بمصر لم يندفع من ثمنها إلا جزء ليدكم وهو ١٦ جنيها ، فسأكتب لبعضهم فى عمل همة بتصريف جميع النسخ ، ودفع ثمنها لكم ، وأنتم لا شك أنكم تلزّونهم .

الحاج أديب خير كتبت إليه بإرسال المائة نسخة التى حجزتها حكومة الشام إلى القدس .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك
شكيب أرسلان

— ٣٥ —

لوزان ١٤ ربيع الأول ١٣٥٠ (١)

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

أشرتَ علىَّ بإعادة طبع رسالة « لماذا تأخر المسلمون » وإعادة النظر عليها ، فشرعت من اليوم بذلك ، وإليك أنموذجاً من الزيادة والتغيير ، وإن كان أعجبك

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة على صفحة من ورقة متوسطة الحجم .

أفدني أنه موافق ، حتى أمضى فيه إلى الآخر ، ولعل حجم الرسالة يزداد نحو الثلث بهذه الزيادات إن لم يكن أكثر .

أرجو أن تحفظ الأوريقات الواصلة فى درج خاص ، وأنا أبعث إليك هذه العلاوات تباعاً . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

(١) أرجو الأمر للمكتبة بإرسال ١٠ نسخ من « الارتسامات » للسيد محمد الحكيم محرر مجلة « الاعتصام » فى حلب [١] .

— ٣٦ —

جنيف ٧ ديسمبر ١٩٣١ [٢]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

من أربعة أيام أرسلت إليك مقالتى عن تاريخ الأستاذ الإمام رحمه الله .

أرجو منك أن تبعث لى بالأوراق التى بعثت بها إليك من العلاوات على رسالة « لماذا » . وذلك أن علاوات أخرى كنت كتبتها قد فُقدت هنا ، فأصبحت لا أعرف الذى سبق من الذى لحق ، فيلزم أن تعيد لى العلاوات التى كنت أسبقتُها إليك ، حتى أتمكن من الإكمال ، ونعيد طبع الرسالة .

لا أزال منتظراً إرسالَ حساب نسخ هذه الرسالة ، لأنه بحسب القائمة التى أرسلت بها إلىّ لا يكون توزع منها إلا ألف وأربعمائة نسخة ؟ والحال أنك تقول إنها نفِدت تقريباً . إذاً تجب مراجعة الحساب .

---

(١) هذه الحاشية موجودة فى ذيل الرسالة .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير، كل منهما مكتوبة من جهة واحدة .

بانبيله ، يقول إنه إلى حد الآن ما وصل إلى مرسيلية شىء ، لا من رسالة « لماذا » ولا من « الارتسامات » . وقبلا أرسلنا ٢٠٠ فرنك فرنساوى لأجل نفقة إرسال ١٥٠ نسخة من الرسالة ، و ٥٠ نسخة من الارتسامات إلى مرسيلية ، ولكن لم يقع الإرسال ، فربما كان السبب فى ذلك الأزمة المالية ، وربما فقدتم العنوان الذى رجوتكم إرسالَ الكتب إليه .

لهذا برغم جميع العسرة التى أنا فيها مرسل إليكم مائة فرنك سويسرى أى ٥٠٠ فرنك فرنساوى ، راجياً أنا منكم إرسال الكمية المذكورة إلى مرسيلية بالعنوان الآتى الذى أرجو منكم أن لا تفقدوه ، وأن تأمروا من يحرره ويقيده فى العناوين التى أمام نظركم فى لوح ، حتى لا تضطروا إلى مراجعة المكاتيب لمعرفة العناوين ، لأن هذا يطول ولا يتسع له الوقت ، فالعنوان المذكور هو هذا :

M. SAID ALI ABDOU
42 Rue Mazendo Marseille

أرجو إذاً إرسالَ ١٥٠ نسخة من الرسالة ، فإن كانت النسخ منها نفدت كلها فأرسل ١٠٠ نسخة من الارتسامات مع المتيسر من الرسالة ، وذلك إلى هذا العنوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك
شكيب أرسلان

J. Tvanue Ernest Hentsh

— ٣٧ —

لوزان فى ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٠ (١)

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

كتب لى أحد أصحاب الأملاك من مسلمى الجزائر يستفتينا فى قضية شرعية :

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير كل منهما مكتوبة من الوجهين .

عنده وعند غيره كُرُوم عنب ، فقد يؤجرونها للإفرنج ، وهؤلاء يصنعون من عنب هذه الكروم الخمرَ ، فهل يلحق أصحابَ الأملاك المسلمين إثمٌ من ذلك ؟ وأحياناً لا يتيسر لهم مستأجر ، فتبقى أملاكهم بدون ريع يُذْكر ، فهل يجوز لهم أن يصنعوا منها خمراً .

فأنا أجبته إنى سأستفتيكم فى المسألة وأعرِّفه ، وقلت له إنى لست بمرجع فى مثل هذه الأمور ، أما رأيى الخاص فهو أنه إذا آجر المسلم كرومه لغير مسلم فليس عليه إثمُ ما يصنعه المستأجر ، لا سيما إذا كان مضطرا للايجار ، وأما أن يصنع المسلم الخمر فهو غير جائز بوجه من الوجوه ، ولو كان له بذلك حظ ومنفعة ، فإن الشريعة الإسلامية لا تجوِّز الضررَ الأدبى فى سبيل الربح المادى ، وعندها ثروة الأخلاق مقدمة على ثروة الجيوب ، ومع هذا فليس بضرورى الخمر لأجل المنفعة ، فمن أسبانية ترسَل مقادير عظيمة من العنب إلى أوربة ، ومن أزمير يرسل كثير من الزبيب : ولقد علمت أن الخمر بفرنسة قد انحطت أسعاره كثيرا من كثرته ، وهم يقدرون أن يجدو ازراعات مكان الكرم تغنى عن الكرم لو بحثوا ، ولكنهم يؤثرون الكرم والخمر لأنها أسهل عليهم .

هكذا أنا أفتيت بالمعقول ، فأفتنا أنت بالمعقول والمنقول معاً .

السيد على باعبود باعلوى من سورابايا يستأذننا فى ترجمة رسالة « لماذا تأخر المسلمون » إلى لغة الملايو ، وبسيونى عمران لم يترجمها ، أفلا تَرَوْنَ الأحسن أن نأذن للسيد على باعبود فى ترجمتها ، ونشترط عليه كذا بالمائة من الربح .

هـذه الرسالة يمكن أن تروج كثيرا فى الجزر الأندونسية إذا تُرجمت إلى لغة الملايو . أرجو على كل حال إرسال نسخة تحت يد صاحب جريدة حضرموت بسورابايا إلى السيد على باعبود باعلوى ، لأنه استهدانى إياها ، وقد أهدانى كتباً كثيرة .

كتبت إلى السيد عبد الرحمن عاصم بأن يرسل إلى كلٍّ من السيد سعيد

الزاهرى — تلمسان ، وإلى السيد توفيق المدنى — الجزائر ، وإلى السيد محمد الهاشمى ابن حيده — الجزائر ٢٠ نسخة فى رزمة ، على شرط أن تكون العناوين واضحة ، وباللغة الفرنسية مع العربية ، فالزاهرى يقول إن منع الرسالة لم يقع فى الجزائر بل فى المغرب ، وإن إعادة بوسطة الجزائر للكتب لم يقع بسبب المنع ، بل بسبب عدم الضبط فى العناوين ، وهو يقول أيضا إن النسخ العشرين التى وصلته لم تصل إلا لأيا [١] ، وذلك من تحريف وقع فى العنوان .

ما عرفت رأيكم فى إرسال « الارتسامات » إلى مكة ، فهل ترسلون مقدارا إلى المكتبة السلفية ، أم لكم عميل آخر ، وأما أنا فقد بعثت إلى فؤاد بك حمزة أسأله عما إذا كان يستطيع أن يصرّف ٢٠٠ نسخة من « الارتسامات » لنرسلها له ، ولا أزال منتظرا الجواب .

رجوت السيد عبد الرحمن ابن عمكم أن يرسل إلى السيد على جودة فى نو يورك ٢٠٠ نسخة من « الارتسامات » .

قبلا رجوتكم إرسال نسخة بالثمن من « حاضر العالم الإسلامى » إلى الحاج داود ابن الحاج عبد الغنى فى بورنيو ، وعنوانه هو ما يلى :

Haj Dauoud Bin Haj Tbdulghani
Kj. Pa. Lingen, Kuching Sarawak Borneo

وكذلك نسخة من رسالة « لماذا تأخر المسلمون » ، ولا بأس أن ترسلوا إليه نسخة من « الارتسامات » أيضا .

وأرجو أن تعتمدوا فى كتابة العناوين على من يعرف اللغة الإفرنسية أو لغة أوربية ، لأن الألفاظ القليلة الإفرنسية التى أوردتها فى الارتسامات وقع فى كل منها خطأ بالطبع ، فعلمت أنه ليس عندكم مصحح يعرف هذه اللغة .

---

(١) اللأى : الإبطاء والاحتباس .

« والحلة السندسية فى الرحلة الأندلسية » ملأى بالكلمات الأوربية ، والحاشية فيها لفظ كل علَم بالإفرنسية ، وفيها ألفاظ كثيرة بالأسبانية ، فإذا كنا سنطبع الرحلة الأندلسية فى مطبعتكم فلابد من إعطاء المسودات إلى من يعرف فرنساوى حق المعرفة ، لأن فى كل صفحة عدة ألفاظ أوربية ، وأحيانا جُمَلاً برمتها .

نعم يجوز أن أنتهى من الجزء الأول من الرحلة الأندلسية بعد بضعة أشهر ، وهو الذى فيه تاريخ العرب بفرنسة وشمال إيطالية وسويسرة ، وسيكون بقدر الارتسامات فى الحجم ، ولكنى قبل طبعه سأجهز نفقة الطبع ونفقة إرسال النسخ إلى الجهات دفعة واحدة ، وبعد ذلك أرجوكم إرسال نسخ الكتاب إلى الأقطار بحسب تعريفى ، لأنه لا يمكننى إبقاء الكتب بمصر آملا أن الناس تطلبها من هناك ، فإن الكتب على هذه الحال تبقى سنين بدون تصريف ، وأنا مضطر إلى تصريفها .

قبلا سألتكم هل تعلمون أنه موجود كتاب فى تاريخ حياة الإمام الأوزاعى اسمه « محاسن المساعى » ؟ وما رأيكم فى طبعه ، ولم تجاوبونى ؟ .

قرأت فى « الارتسامات » اعتراضاً لكم فى الحاشية صفحة ٩٥ ولم أفهم وجهه . فهل السهو منى أو السهو منكم ؟ أريد التثبت .

أنا أقول : « بينها ثقوب ضيقة لا تكاد المسلة تدخل فى الواحد منها ، فكانت فى حكم كأن لم يكن من جهة نفوذ الهواء هذا على فرض وجوده » . مرادى أن جدران السطح فيها ثقوب ضيقة جدا ، المقصود منها نفوذ الهواء ، لكنها لشدة ضيقها لا يكاد الهواء ينفذ منها ، فكأن وجود هذه الثقوب كالعدم ، هذا على فرض أن هناك هواء ، والحال أنه فى أيام الوَمَد (١) يكاد الهواء ينقطع بمكة .

---

(١) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح ، أو ندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر ، أو شدة حر الليل .

هذا مرادى . فإن كانت العبارة لا تؤدى هذا المعنى عندك فقل لى من أية جهة لا تؤدى هذا المعنى ؟ ولماذا حكمت أن فيها سهواً ؟ .

لى عادة فى السهو ، ولى عادة أن أراجع ما كتبت أو أقرأه بعد الطبع ، فأجد ألفاظاً بقيت فى المحبرة ، لكنى هنا لا أرانى ساهياً ، إلا أن تنبهنى إلى موضع نقص الجملة .

هذا وأرجو أن لا تنسوا إرسال نسخة من « الارتسامات » إلى الشيخ عبد القادر الشيبى صديقنا الأعز الذى ذكرناه فيها مراراً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم
شكيب أرسلان

(١) هل فى مكتبتكم « عيون الأخبار » لابن قتيبة ؟ وهل فيها تاريخ الطبرى ؟

(٢) هنئوا عنى السيد عبد الرحمن عاصم بالمولود الجديد ، سلمه الله له ، وأقر عينه به[١] .

— ٣٨ —

لوزان ١٣ ربيع الثانى ١٣٥٠[٢] .

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله .

الآن أخذت كتابك ، وبادرت بالجواب ، بالرغم من كثرة ما علىَّ من الكتابات المستعجلة ، ياسيدى أنا لم أجد عليك أدنى مَوْجدة[٣] فيما نبهتنى إليه

---

(١) هاتان الحاشيتان جاءتا فى ذيل الرسالة .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى خمس صفحات من الحجم المتوسط ، كل منها مكتوبة من جهة واحدة .

(٣) الموجدة : الغضب .

من أغلاط أو من مواضع انتقاد ، بل ما شكرتك ولا مرة بقدر شكرى لك على تنويهك إياى من أجل إتقان صنعة ليس لى صفة غيرها .

ولكنى ياسيدى قدَّمت لك آرائى ، وإن راجعتَ نفسك لا تجدنى مخطئاً بقدر ما تظن .

أنا كنت ولا أزال فى المشددين فى اللغة ، المانعين التوسع فى الاستعمالات المخالفة لأصول اللغة ولكلام الجاهلية ، فإن إطلاق العِنان يوصلنا إلى حل القواعد والأوضاع ، فتذهب اللغة ، ولا يفهم الآخرُ الأول .

إلا أن لكل شىء حدًّا ، فإذا أردنا أن نجارى بعضَ المتحذلقين فى تشديداتهم ، ولم نُجَوِّز إلا كلامَ البادية فى الإسلام ، ضاق نطاق اللغة إلى حد أنها عادت لا تفى إلا بحاجات بعض قبائل رُحَّل . . . وهناك لا يبقى كاتب من كتاب العربية فوق الغربال ، بل يعودون كلهم مخطئين .

ياسيدى أريد أن أنبهك إلى أشياء أظن أن كثرة شغلك لا تدعك تفكر فيها ، فمن هذه الأشياء أن اللغة العربية فيها لغات شاذة ولغات ضعيفة ، وأن العرب نطقوا بها ، وأنه لا يقال لمن نطق بالشاذ إنه غلط ، لأن هذا النطق كان قبل القواعد ، وإنما يقال إن لسانه سبق إلى ما المألوفُ غيرهُ . ولا يقال لمن نطق بلغة ضعيفة إنه غلط ، وإنما يقال إن الأكثرين نطقوا بغيرها . ياسيدى فى كتاب الله وجدت بعضَ استعمالات ليست مما نطق به الجمهور ؛ أفنجعل ذلك لحناً ؟ .

كان جاء فى جريدة « الطان » بحث لبييرميل ، ذكر فيه أنه جاء فى القرآن أغلاط نحوية .

فأجبناه ببحث أدبى لغوى فى مجلتنا الإفرنسية اللغة ، وقلنا له ما محصله إنه لا يمكن أن يكون فى القرآن خطأ نحوى ، لأن القرآن قبلَ وضع النحو ، ولأن

القرآن وشعر الجاهلية هما اللذان عليهما بُنِيَ النحو ، فقواعد النحو مبنية على اصطلاحات العرب قبل الإسلام فى كلامهم ؛ وهذه الاصطلاحات ضبطوها بعد الإسلام ، وحرروها عندما خالط العرب الأعاجم ، فصارت قواعدَ متبعةً ، والقاعدة هى ما نطق به الجمهور ، وقد نطق بعضُهم بما يخالف نُطقَ الجمهور ، فعَدُّوه شاذاً ، وربما كان الناطقون به قلائلَ فعدُّوه ضعيفاً .

والقرآن جاء بجميع لغات القبائل ، حتى ورد فيه شيء من باب اللغات التى لم ينطق بها الجمهور ، ولـكن لا يقال لهذا خطأ ، ولا يقال لشيء إنه مخالف لقواعد النحو ، وهو قد وُجِدَ قبل قواعد النحو .

فهذا هو رأيى فيما جاء فى القرآن من هذا النمط ، وأنا أرى أن الدِّين أهمُّ من اللغة ، ومع هذا ففى الحديث: «إن الله يحب أن تُؤْتَى رُخَصُه ، كما يحب أن تُؤْتَى عزائمه» .

فللغة أيضاً رُخَص يجب أن تؤتى ، ولا يكون مخطئاً مَنْ أتاها .

ثم إن اللغة بعد الإسلام اتسعت كثيراً مفاهيمُ ألفاظها ، وبقيت عربيةً فصيحة ، والحال أننا لو أتينا ببدوى جاهلى وسألناه عن معنى الزكاة ، والحج ، والقنوت ، وكثير من هذه الألفاظ التى تحولت عن معانيها الأصلية إلى معان جديدة اقتضاها الإسلام ، لم يفهمها ، ثم لو أتينا بعربى اعتادها ، وقرأنا عليه اصطلاحات علمية وفلسفية جَدَّتْ فى عهد العباسيين لم يفهمها أيضاً .

أفنقول إن كل هذا لم يكن عربياً ، لأن الجاهلى لم يفهمه بهذا المعنى ؟! . ثم إن الـكتّاب والخطباء من صدر الإسلام فما بعده كتبوا أو تلفظوا أشياء لا نجدها فى متون اللغة .

فحل هذه المسألة هو هذا : إما أن يكون فات أئمةَ اللغة ضبطها وتقييدها ، وهذا ممكن لأنهم ليسوا بمعصومين ، وإما أن يكون أولئك الفصحاء أخذوها بالقياس على

غيرها ، فإن قولنا إن اللغة لا يصح فيها القياس ليس عاماً ، فكل فعل مثلا لا بد له من اسم فاعل ، ولا يستلزم جوازه مجيئه فى القاموس أو الصحاح مثلا . إذاً ضاق الأمر جداً . وقريباً سأنشر رسالة فيما جاء عن الذين يستشهد بعربيتهم ولم يرد فى متون اللغة .

ثم إن فى اللغة باب التأويل والتضمين ، وهو من محاسنها ، وهو مما يجيز لنا التوسع . فأنا أقول : جاء رأساً ، ولا أراه مخالفاً للعربية ، وإن لم يكن ورد فى كلام السلف ، وذلك لأنى أضمّن الرأسَ هنا معنى البداية . وأقول : صدر منه ، إذا كان صدر بمعنى برز أو ظهر ، ولا أرى هذا خطأ .

وأما أن من التأويل ماهو جائز وما هو غير جائز ، فلا شك فى هذا ، ولكن قولى « رأساً » وقولى « نحو كذا » هو من الجائز ، ثم إن هذا التوسع كما تقدم الكلام عليه موجود من أول الزمان . ولا يخلو منه كلام أحد من جهابذة القول .

استعملتُ فى آخر بنى سراج « النواقيس » بمعنى الأجراس ، فكان ذلك مما عابه علىّ إبراهيم اليازجى فى مجلته « الضياء » وقال : إنما الناقوس هو الخشبة التى يقرع عليها القسيس ليأتى النصارى إلى الصلاة ، أى أنه لا يجوز استعمالها للجرس وهو معدن .

فأجبته : أفلا تقول للبيت المبنى بالحجر إنه بيت ؟ لا شك أنك تقوله ، فاعلم أن أصله لبيت الشَّعر . أفلا تقول : شباك من حديد ؟ بلى تقول . فاعلم أن تعريف « الشباك » فى اللغة المحبوك من قصب . وهلم جرا . فإذا تقيدنا بتعريف متون اللغة ، ولم نُجِز التوسعَ بما جدَّ من المعانى ، وما اتسع من مناحى الحياة ، أصبحنا كمن يرسف فى قيد .

وفارس الخورى كتب لى من أيام جُمْلةً لا تخلو من معنى ، قال : اللغة تريد

بنا اليسر ولا تريد العسر ، وإرادة [1] اليسر فى الدين لا تفيد الانفلات من القيود ، بل تفيد إرادةَ عدم التشديد المضر ، وهكذا فى اللغة .

إنى أطالع فى الجرائد المصرية بعضَ تشديدات لغوية ، منها ما قرأته مرة فى (المقتطف) لأحد المستنطعين ، لكن مثل هؤلاء لا يؤبه بهم ، وإن مشينا معهم كان أعظم كتّاب العربية مخطئين .

وقرأت « عثرات الأقلام » لأسعد خليل داغر ، فوجدته متعنتاً فى مثل قوله : لا يقال محاضرة للخطبة العلمية ، لأن المحاضرة معناها الأخذ والرد ... إلخ ، ولا يقال خطاب ، لأن الخطاب هو ما يخاطب به الإنسانُ غيرَه ، والحال أن الخطبة هى غير ذلك . فهذه تشديدات بغير محلها ، وما عليه أن يقول إن الخطاب هو كلام يخاطب به الإنسانُ الجمهورَ ؟ . ثم وجدت أسعد خليل داغر يخطئُ أشياءَ واردة ، لكنه خطأها لعدم اطلاعه عليها .

لم أجد « احترم » بمعنى وقر فى متون اللغة إلا فى « أساس البلاغة » ، أفترى استعمالَها خطأ ؟ . لتكن خطأ ، وقد قالها الزمخشرى وغيره من الأئمة ، وجاءت فى البردة الشريفة ، ورأيتها كثيراً فى كلام السلف ، فلا أريد أن أتحرج فيما أجازه مثلهم ، ولا أريد أن أكون فى اللغة أعلمَ من الزمخشرى وأمثاله .

هذا هو رأيى . وترانى أقول « مشاهير » مقتدياً بهؤلاء الأئمة ، لا جاهلا ما جاء من عدم جواز الاستشهاد بكلام المولدين .

وإذا كنت أبدى لك رأيى هذا ووجهى فيه ، فلا يكون لأفيدك ما كنت لا تعلمه من قبل ، ولكنى أخبرتك مرة برأيى فيما جاء فى كتاب الله من اللغات أو الاستعمالات المخالفة للمألوف ، ولم تجبنى إلا بجملة قصيرة لم تشف غليلا ، فماذا

---

(١) فى الأصل : « وإردة » ، وهو سبق قلم .

تقول فى « قتل أولادهم شركاؤهم » مثلا ؟ ، وغير ذلك مما لا أقول فيه إلا أنه من رخص الكلام العربى ، ومما لا يقال فيه إنه غير جائز ، بل يقال إن المشهور خلافه .

لم تجبنى على خطب الجملة الواردة فى صفحة ٩٥ من « الارتسامات » ، والتى قلت فى الحاشية إنى لعلى سهوت بها ، فأنا إلى الآن لم أفهم وجه الاعتراض على قولى عن الهواء « هذا على فرض وجوده » .

اكتب لى جواباً متوسطاً عن مسألة الكَرْم والخمر[1] ، حتى نترجمه إلى مجلتنا الإفرنسية اللغة ، لأنها منتشرة فى الجزائر ، وهم منتظرون الجواب .

متى تيسر ٢٠ جنيهاً مما يفضل عنا أبادر بإرسالها إليك ، وأرجوك إعادة طبع رسالة « لماذا تأخر المسلمون » . وسأبعث بزيادة عليها لا تكون أقل من الثلث ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(١) ما أجبتنى على مسألة الإذن للسيد على باعبود بترجمة رسالة « لماذا » للغة الملايو ؟ فإن استحسنت ذلك فلنأذن له بها .

المشهور أن يقال أذن فى الأمر . وأنا أرى أنه ما من خطأ إن قلنا أذن به[2] .

---

(١) تحدث عنها شكيب فى رسالة سابقة .

(٢) هذه الحاشية جاءت فى ذيل للرسالة .

— ٣٩ —

لوزان ١٧ ربيع الثانى ١٣٥٠[1]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

أرسلت لك من خمسة أيام بأنموذج من الزيادات التى رأيت أن أزيدها على رسالة « لماذا » فى الطبعة الثانية ، وهذا هو الأنموذج الثانى ، أرجو أن تنبئنى أيعجبك هذا النسق ؟ .

غير أنه عندى ملاحظة ، وهى أنه لا يجوز أن نعلن شيئاً عن الطبعة الثانية والزيادة عليها إلا بعد أن تنفد الطبعة الأولى كلها ، وذلك أننا نوشك أن نصرف الناس بهذا عن شراء الباقى من نسخ الطبعة الأولى فنخسرها . نعم متى تمَّ توزيعُ نسخ الطبعة الأولى نباشر الطبعةَ الثانية ، ونخرجها مع العلاوات ، ونعلن عنها .

لهذا رجوت السيد عبد الرحمن عاصم أن يرسل لى بعلم ما توزَّع من الأول إلى الآخر من رسالة « لماذا » .

بعد يومين سأذهب إلى مؤتمر المستشرقين فى ليدن ، وسأعود من هناك بعد غياب ١٠ أيام إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

إلى[2] مولاى الأستاذ

أمس كتبت نماذجَ من الزيادات على رسالة « لماذا » ، وبعثت بها إليك .

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى صفحة واحدة من ورقة متوسطة الحجم ، ومعها ملحق مكتوب فى نصف صفحة من ورقة متوسطة الحجم ، وأول هذا الملحق قوله : « إلى مولاى الأستاذ » ، ومعها ملحق آخر مكتوب فى أربع ورقات متوسطة الحجم ، كل منها مكتوب من الوجهين ، إلا الأخيرة ففيها صفحة بيضاء ، وأول هذا الملحق قوله : « سألتم عن مسألة سورية » .

(٢) هذه بداية الملحق الأول للرسالة .

فأرجو أن تضيف أيضاً عبارة صغيرة إلى قولى عن قِدَم مدنية اليمن ، وكون الكتابة فيها أقدم منها فى بابل ، هذا فى الزيادة التى تحت صفحة ٩ .

والعبارة هى هذه :

« وقيل إن النزوح [١] وقع من بابل إلى اليمن ، وإن المدنية والكتابة جاءتا من بابل إلى اليمن بواسطة المهاجرة ، ولكن لا يزال بعض العلماء المتخصصين فى تاريخ الكتابة يذهبون إلى أنها فى اليمن أقدم منها فى كل مكان ، ومن هؤلاء العلامة مورتيز الألمانى » .

* * *

سألتم [٢] عن مسألة سورية وفيصل ، وتوحيد العراق والشام .

فيصل منذ سنتين — أى منذ انعقاد المعاهدة الأخيرة بين انكلترة والعراق — قد تسلم زمامَ العراق فعلا ، ولم يعد الإنكليز يتعرضون فى ذلك القطر إلا لما هو داخل فى المعاهدة ، وإنكارُ هذه الحقيقة هو إما تعنت كرهاً بفيصل أو بوزرائه ، أو تشاؤم وتسخُّط كما هى عادة العرب اليوم .

فلما صارت سياسة العراق فى يد فيصل صارله مركز فى أوربة ، ولمع وزاد لمعانه بزيت النفط الذى هو أقصى أمانى الأوربيين ، وتذكر هؤلاء ثروة العراق بزيوته وأرضه ، فصاروا يتقرّبون إلى فيصل ، وعهدت كثيرا من الماليين جاءوا إلينا حتى تقدمهم إلى فيصل ، وعرضوا على العراق أن يقرضوه أموالا ، ولكنّ الملك رفض الاقتراض .

وكانت فرنسية فى البداية تحل أمورها مع العراق بواسطة إنكلترة ، لكن من سنتين بطل هذا ، وصار الإنكليز يقولون للفرنسيس : فى العراق حكومة .

---

(١) النزوح : الهجرة والرحيل .

(٢) هذه بداية للملحق الثانى للرسالة .

عند ذلك ثبت وجود شيء اسمه العراق ، فى يد ملك صار محنكا فى سياسة أوربة اسمه فيصل ، وكان بريان وبرتلو وكثير من رجال فرنسة مخطِّئين السياسة التى اتبعتها فرنسة تجاه فيصل ، وإذا لقوه يقولون له : أخطأنا بحقك .

فلما ازداد نفوذه ازداد تقربهم له ، ثم جاءت وزارة « لافال » ، فجاءت بمبادىء جديدة : رأت أن فرنسة منذ خمس سنوات كانت فى مركز مالى ضنك ، يُخشى منه الإفلاس ، ففى مدة خمس سنوات صارت أغنى الدول ، وصارت انكلترة تستمدُّها وما ذاك إلا بفضل الاقتصاد ، فازدادت رغبة فى الاقتصاد ، ورأت أن الخسائر السنوية على سورية لا تنتهى ، وأن سورية ليست مستعمرة ، وأن الأتراك لا يزالون يطالبونها باسكندرونة وأنطاكية — وبعد ذلك فلا بقاء لحلب — وصارت العلاقات بين فرنسة وتركية متوترة بهذا السبب ، ويقال إنهم حاسبون حساباً مهما لانتشار البلشفة فى البلاد العربية ، فعلى من يعتمدون فى منعها ، وإن لم يكن استقلال للعرب لا سيما فى سورية ؟ .

وزد على ذلك أن فرنسة تريد جرَّ البترول إلى طرابلس ، ومدَّ سكة حديد من هذه إلى الموصل لأجل البترول ، ومن الموصل إلى العجم ليكون للخط فائدة ، والحاصل أعمال اقتصادية مهمة ، والاقتصاد اليوم هو الحاكم ، وكلها لا بد لها من رضا فيصل ، فازداد التقرب إلى فيصل .

وفى السنة الماضية فاتحوه بشىء ، وفى هذا الشتاء ببغداد زادوا الحديث معه ، وقالوا له لا بد من الاتفاق ، لكن على مثل ما اتفقت عليه انكلترة مع العراق ، لا أقل ولكن لا أكثر .

وكان ظنهم هم إرضاء فيصل بوضع « على » ملكا فى الشام ، وكان فيصل قد ارتضى ، ولكن فى باطنه كان يريدها لنفسه ، مع توحيد الحكومتين تحت تاج واحد ، وقد كاشفنى الصيفَ الماضى فى مسألة على فقلت له : ليس لى اعتراض ،

لكن على شرط إلغاء الانتداب ، والاستقلال الحقيقي ، ومعاهدة مع فرنسا مؤقتة لا تمس السلطان القومي . ثم إن سمعت مني تتحالف مع ابن سعود .

ففكرة التحالف مع ابن سعود كانت مني بالاتفاق مع الجابري فتلقاها فيصل بالفرح ، ومشى فيها فصار ما صار ، وقامت الجرائد الوطنية بالتشاؤم المعهود ، والفلسفة التي ليس لها حدود ، وإن هذه دسيسة إنكليزية ، وغير ذلك من الكلام الفارغ ، والحقيقة هي ما قلناه لك .

ولم يكن جميع ما وقع من معاكسة الحلف العربي كله مجردَ تشاؤم منشأه[1] الإخلاص والإشفاق ، بل كان كثيرون يعاكسون المشروعَ لمآرب شخصية ، ولا يبالون بالوحدة العربية ، ولا يريدون إلا أن تبقى المخاصمة مشتدةً بين آل هاشم وآل سعود . ثم جاء فيصل هذه السنة وأقام ببرن شهراً ، وزرناه فيها ، فرأيناه متحيراً فيما سيصنع ، وهو يخجل أن يطالب تاج سورية لنفسه ، ومن جهة أخرى يعلم أن ملكية أخيه علي ستلاقي مقاومة من الجمهوريين .

فقلنا له : المسألة ليست مسألة أشخاص ، بل مسألة أمة . ليرضَ علي أو ليغضب . إن كان يتم اتحاد العراق والشام بك فلا تبال .

قال : إذاً أنتم ترضون بهذا الاتحاد ؟ . قلنا : يا سبحان الله ! ألا نرضى بدولة عربية تكون مليونين فتصير ٦ ملايين ، وفيما بعد ٧ ، وفيما بعد تكون سبباً لاتحاد جميع العرب ؟ . أأفضل أن نبقى بهذا التشتت والتبعثر والتمزق ، ونكون رعايا للأجانب ، وتحت خطر غارة تركيَة أو إيطاليّة في أول فرصة ؟ أأفضل أن يقول لنا إميل أده : من لم يعجبه الحال منكم فليذهب إلى مكةَ ؟ . . . إلخ ...إلخ .

هذه مسألة إن تمَّت فلا نزاع في أنها أجل أمنية عند العرب ، لكن لم أنس

---

(١) كتبها شكيب هكذا : منشاؤه .

أن أقول له: يجب أن لا تبت عملا إلا بالاتفاق مع ابن سعود، فقال: سأتلاقى معه في هذا الشتاء في الجوف.

ذهب فيصل إلى باريز، فيظهر أنه أشعر القوم أن الحل الأوكد والأوحد يكون باتحاد القطرين تحت تاج واحد، فمن الفرنسيس من يقول: نريد الخلاص، ولعلّ هذين القطرين إذ اتحدا تكون حكومة قوية تقف في وجه تركية وفي وجه البلشفة، ولا تعود حملة على ظهورنا، ومنهم من لا يزال ضدا لاتحاد العراق والشام وكل اتحاد عربي.

فالمسألة غير مبتوت فيها ، وهم ينتظرون إجراء انتخابات بالشام ، ومجيء مجلس سورى يبت المسألة على وجه، إن كان يريد الجمهورية أو الملكية ، وإن كان يريد الانضمام مع العراق تحت تاج فيصل ، فالقول للمجلس ، فالقضية سيحلها المجلس السورى .

جاء فارس الخورى إلى باريز ، واجتمع مع فيصل ، وقد كان على رأينا ، وهو أن قرار الكتلة الوطنية بالجمهورية لا يلزم أن يلغى إلا إذا أمكن توحيد الشام والعراق تحت تاج فيصل .

كتب فارس إلى الشام ، فغضب عليه بعض رجال الكتلة الوطنية الذين لا يهمهم إلا الجمهورية ، وعذره البعض الآخر ، وكتب إلى الشهبندر فأجابه : نحن جمهوريون ، لكن إن أمكن توحيد سورية مع العراق فيكون جدّ شيء جديد حيوى للعرب ، فشكل الحكم عندنا بالدرجة الثانية والثالثة ، فالأهم عندنا هو الاستقلال والوحدة .

وأما جميل مردم وبعض الكتلة فأجبروا الأتاسى على إمضاء بيان ضد الملكية ، والمعنى ضد اتحاد سورية والعراق ، ولو كان اتحاد العراق مع سورية مبدأ حياة

العرب ، وزجرت الكتلة وغضبت . ولكن الرأى العام فى سورية غالب ، وهو يريد الوحدة العربية ، لما فيها من الفوائد الاقتصادية والعسكرية والسياسية والاجتماعية .

والرأى العام غير جاهل خطر الحالة الحاضرة وإنذارها بخطر المستقبل . وكذلك من المعلوم أنه إذا صار العراق والشام دولةً واحدة انضم إليهما شرق الأردن ، ثم انهار الوطن القومى الصهيونى بطبيعة الحال . وبعد ذلك ضعف مركز لبنان المارونى ، مع وجود هذا الاتحاد العربى فى ظهره ، وعاد « إده » لا يجسر أن يقول : من لم يعجبه الحال فليذهب إلى مكة . . . إلخ .

فالرأى العام العربى والإسلامى مبتهج بهذا المشروع من شدة فرحه ، ومن رسوخ خلق التشاؤم فى الأمة لا يكاد يصدق .

والرأى العام الكاثوليكى — إلا النادر — هو ضد هذا الاتحاد .

والأرثوذكس منقسمون ، لكن الأكثر منهم مريدون للاتحاد العربى كرهاً بأولئك ، وإده ذهب إلى باريز ، وصاح وبكى ، واستغاث وأنذر بسوء المصير ، وطلب الوطن المسيحى المحض فى لبنان ، ومبادلة السكان كما جرى بين تركية واليونان ، وأن يصفو لبنان مسيحياً ، فأجابوه لا بإجراء المبادلة ، بل إنه لا يتغير شىء فى لبنان . . .

ويظهر أن الفرنسيس متمسكون أيضاً ببلاد العلويين .

فالكتلة الجمهورية فى الشام مسرورة بهذه الأمور ، لتتخذها حجةً لمقاومة العرش من حيث هو .

فهى تريد أن تقترح وحدة سورية كلها عدا لبنان الصغير ، لترضى بالاتحاد مع العراق . . . وذلك لعلمها أن فرنسة فى أول الأمر ستتمسك بلبنان الكبير ،

وبالعلويين ، فعندها تقول الكتلة : إذاً لا نرضى بالملكية . وهذا على حد : إذا لم ترد أن تزوج ابنتك فأغل مهرها .

ويظهر أن رأى فيصل ورهطه أن أمر لبنان والعلويين ينحل فى جمعية الأمم بعد دخول العراق وسورية فيه ، إذ تطلب سورية من الجمعية إنصافها .

هذه خلاصة القصة بذاتها . بقى موقفى أنا فيها .

بعض السوريين الذين يهمهم أن يكون ابن سعود لهم وحدهم ، ولا يريدون الوئام بينه وبين فيصل ، وذلك لأغراضهم الشخصية ، أخذوا منذ مدة يفسدون علىّ لابن سعود ، ويجعلوننى أنا مصدر هذا العمل والأصل فى وحدة العراق وسورية.

ولو كان هذا يصح فى حق لكنت مفتخراً ، ولا حتسبتها خدمةً من خدماتى للاسلام ، أرجو أن ألقاها أمامى فى الآخرة .

إلا أن الحقيقة هى خلاف ذلك . وهى أن فيصل غير محتاج إلىّ أصلاً . ففى فرنسة عضدى له يضره ولا ينفعه ، لأن الفرنسيس يعتقدون أنى أشد مفكرى الإسلام خطراً على الاستعمار الإفرنسى والأوربى إجمالا ، وعليه معاونتى لفيصل تجعلهم يجفلون منه .

وأما فى الشرق ، فإن جاء فيصل إلى الشام ومعه العراق فهو حائز السواد الأعظم من أهل سورية ، ولو كنت له ضداً وملأت الأرض صراخاً .

على أنه لو فرضنا المحال ، وأنى أنا كنت أقدر على منع اتحاد العراق وسورية لأجل منع ملكية فيصل على الشام ، فهل يليق بى ذلك ؟ .

أيليق بى أن أقول : كلا لا أرضى أن تكون أنت يافيصل ملكاً على الشام ، ولو أدى ذلك إلى تعطيل مشروع الاتحاد الشامى العراقى ؟ .

ألمثل هذا ملأتُ الدنيا كتابات لأجل خدمة العرب والإسلام ؟. ألمثل هذا ادخرتُ هذه الشيبة ؟ .

ضع نفسك أنت فى مكانى ، أنت السيد رشيد رضا : أتقدر أن ترفض وحدة سورية مع العراق كرهاً بشخص فيصل ؟ .

ومع هذا فشخص فيصل زائل ، يكون اليوم ، وربما لا يكون غداً ، والمهم هو وحدة الأمة ، لا تاج فيصل .

نعم لو كانت فرنسة فاتحت الملكَ ابن سعود فى ضم سورية أو نجد والحجاز تحت تاجه ، وأنا فضلت فيصل عليه ، لكان لهؤلاء حق فيما يقولون . إنى والله لا أفضل أحداً على ابن سعود ، ولا أحب أحداً ولا فيصل بقدر ما أحب ابن سعود .

ولكن فرنسة مهتمة الآن بإرضاء ملك البترول ، وحديثها مع فيصل لا مع غيره . أفأقول أنا : لا لا ، لتذهب العراق وشرق الأردن وفلسطين والوحدة العربية ، ولنبق ممزقين كلَّ ممزَّق ، ولنحمل هذا الذل بأجمعه ، ولنقع فى أخطار المستقبل على بلادنا ، بشرط أن لا يكون فيصل . . .

لا والله لو كنت **ممن يقول** هذا القول ، أو يشعر هذا الشعور ، لكنت نذلاً ، وأجدر بابن سعود **أن** يحتقرني ، ولا يقبلنى له صديقاً .

كل ما أقدر أن أقوله بإزاء أمر كهذا هو أن أشير على فيصل بالاتحاد والعمل يداً واحدة مع ابن سعود . وهذا عملته ولم يعمله أحد بقدر ما عملته أنا . إن كان من أصحاب ابن سعود من يقول له : نحن نفدى العراق ، ونترك الوحدة العربية إذا كنت أنت لا تريدها ياجلالة الملك ، فأنا لست من هؤلاء ، ولا أهنيه بصحبة أناس كهؤلاء يضعون المنافسات الحزبية والأهواء الشخصية فوق المبادىء القومية والقواعد الإسلامية .

على أنى أنا أعهد ابن سعود شهماً تام الشهامة ، فلا أظنه يسخط علىَّ لأجل خدمتى لسورية وللعروبة .

مرارا صرحت لفيصل قائلا : إن كنتم تريدون أن تحركوا الحجاز على ابن سعود لأجل استرجاعه فنحن نكون ضدكم ، لأن العرب والمسلمين يكفيهم هزاهز [١] ، فلا نرضى بحركة هناك ولا فى نجد . فكان جوابه: إنه هو أيضا لا يرضى بالحركات على ابن سعود حباً بالعرب . هكذا كان يقول ، والله يعلم السرائر . ولكنى أنا ضد كل من يقاوم ابن سعود فى الحجاز وغيره ، ولو كان فيصل .

فهذا مجمل ما عندى من هذه المسألة ، وأرجو منك أن تجيبنى على هذا الشرح جوابا صريحا ، لا مبهما ولا مختصراً . ومن حيث تريد أن تأخذ فيجب أن تعطى ، ولك فى كل مقام الموقف الأعلى .

— ٤٠ —

جنيف ٢٧ جمادى الآخرة لا الثانية ١٣٥٠ [٢]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله وأيدَّ به

تشرفت بكتابك الكريم الذى أوَّلهُ : تحية وسلاما . فقلت الحمد لله على أنك أسبقت سلاما بتحية ، فأرجو أن لا أكون ممن يخاطبون بسلاما فقط ، وممن يصح فيهم : (وإذا لقيهم الجاهلون قالوا سلاما) .

وبعد ، فإنى فهمتُ ما ذكرتموه من بحث سياسى ونشرى واقتصادى . فلنجاوب الآن على كل منها ، ولنبدأ بالاقتصادى ، لأن الأزمة عامة ، وهى أشد ما عرف الناس بهذا العصر .

---

(١) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب بين الناس ، وهزهزه : ذلله وحركه .

(٢) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، كل منهما مكتوبة من الصفحتين .

عرفت أنه باقٍ لكم من بعد كل حساب خمسة آلاف وثلاثة وثمانون غرشا عدا العمولة ، ولولا ما نحن فيه من الشدة واللأواء [١] لأرسلناها إليكم دفعةً واحدة، ولكن هذه العُسْرَة أخذتنا على بغتة ، ولقد كانت تَرِدُ إلينا دراهم فانقطعت ، ونحن بمجرد انقطاعها أنزلنا مصاريفنا عما كانت ، وما زلنا ننزلها حتى وصلنا فى الاقتصاد إلى درجة أصبحنا لا نقدر أن ننزل عنها ، أى كنا ننفق ١٠٠ جنيه فى الشهر ، فصرنا ننفق ٤٠ جنيها ، ولولا أجرة البيت وأجرة تعليم غالب وهما ٤٠٠ فرنك سويسرى فى الشهر لربما كنا نزلنا إلى ٣٠ جنيها .

بقينا نأكل برفاهة [٢] ، لكننا تركنا الزوائدَ والفضول ، واقتصرنا فى الملبوس على ما لدينا ، وتركنا لبسَ الجديد ، واطرحنا كل ما ليس بضرورى ، وفى مدة شهر ونصف لم يأكل عندنا إلا أربعةٌ أو خمسة ضيوف بعد أن كانت الناس على سفرتنا بصورة دائمة تقريبا .

وكنا ننفق على الأكل والشرب ٦٠٠ فرنك سويسرى فى الشهر،فلما اضطررنا للتوفير صرنا لا ننفق عليهما أكثر من ٢٥٠ فرنكا . ولقد كنت ألوم البخلاءَ وأقول : قبحهم الله ، ماذا عسى أن يكون مصروف الضيافة ؟ زادُ اثنين يكفى ثلاثة، وزادُ ثلاثةٍ يكفى أربعةً ، وهلمجرا ، ولا أرى مجىء الضيوف مما يزيد المصروفَ شيئا كثيرا ، وكنت أجادل فى ذلك ، ولا أقتنع بعكسه ، إلى أن حصلت هذه الأزمة ، واضطررت بفقد الدراهم من يدى أن اقتصد برغم أنفى ، فعلمت أن البخلاء كانوا عاملين حسابهم جيدا ، وأنهم لم يكونوا يبخلون إلا عن حساب مضبوط .

فأنا الآن عاملٌ بحساب البخلاء ، لكن برغم أنفى ، لأن الوارد لى قليل ؛ ولأن أسعار المحصولات نازلة ، وسعر الزيت من جملتها ، ولأن المطلوب لى من ثمن

---

(١) اللأواء : الشدة .

(٢) الرفاهة . رغد الخصب ولين العيش ، والمترفه : المستريح المتنعم .

مزعجة غير متيسر التأدية ، ولأن علىّ مطاليبُ فى لوزان مجموعها ٤٠٠ جنيه قسم منها أصحابه من ذوى الإنسانية يصبرون علينا ، ولكن القسم الآخر من ألأم الخلق.

عندما علموا أننا انتقلنا إلى جنيف ولم يبق لهم أمل أن نستهلك من دكاكينهم، صاروا يكتبون إلينا مكاتيبَ مزعجة ، وينذروننا بإقامة الدعاوى ، ووصل بنا الأمر إلى أن عرضنا رهن بعض الحلى عند أحد الجوهرية الذين نعرفهم ، ليؤدى عنا بعض المطاليب التى تهدد أصحابها بالدعاوى ، فأدى ذلك عنا ، ولم يقبل الرهن ، ولكنه طلب منا أن نجهز له مطلوبه إلى حد شهرين .

فهذه هى حالتنا ، أفضينا إليك بها حتى تعذرنا فى عدم تسديد بقية حسابك . على أنى أرى لأجل معالجة هذه الخَلَّة[1] الاجتهاد فى تحصيل أثمان الكتب والاعتناء بالتصريف ، ولقد كتبت إلى بنونة لأجل الاهتمام بدفع ثمن المائة والخمسين نسخة من رسالة « لماذا » والمائة والخمسين من « الارتسامات » ، وهذا بدون شك المال عنده مضمون .

وأما الزاهرى فقد كتب لى أنه سيرسل لكم قريباً ثمنَ الأرسال الأخيرة من الكتابيْن . وأما الحاج أديب فلم أعلم ماذا صنع ؟ هل تمكن من استرداد المائة نسخة من « لماذا » ؟ وأما حلمى باشا ونويهض[2] فقد أرسل إليهما ٣٥٠ نسخة من لماذا » ، وجاءنى عنها ثمن ٢٢٠ نسخة .

وأما العقبى . فإن كان لا يثقل عليكم فذكِّروه بثمن السبعين نسخة من «لماذا» وأنا سأكتب له .

وأما النادى العربى بعدن فسأكتب إلى أبناء لقمان بشأن الخمس والعشرين

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر والخصاصة ، وفى المثل : « الخلة تدعو إلى السلة » أى إلى السرقة .

(٢) هما أحمد حلمى باشا ، وعجاج نويهض .

نسخة ، لكنى كتبت إليك من قبل أنهم فى عدن مستعدون لتصريف كمية غير قليلة من الكتب .

وقد فهمت أنكم أرسلتم إلى بانبيله فى جيبوتى ٥٠ نسخة من « لماذا » . فهذه لن يضيع ثمنها ، لأن بانبيله ممن يؤدى ، وقد أرسل إلينا سلفاً ٣٠٠ فرنك فرنساوى ، ثم أرسل لنا ٢٠٠ فرنك أرسلناها لكم عن أجرة إرسال مقدار من الكتب إلى مرسيلية ، لأنه طالب كمية منها بعنوان كتبت إليكم عنه ، وهو فى مرسيلية حيث يوجد ألوف من أبناء العرب مغاربة ويمانية وغيرهم ، فنرجو أن ترسلوا إليه ١٥٠ نسخة أو ٢٠٠ نسخة من « لماذا » ثم ١٠٠ نسخة من « الارتسامات » .

ولقد كتب لى أنه حاضر لبيع ألف نسخة فى مرسيلية ، والرجل الذى يدفع سلفاً فهو مأمون ، هذا فضلا عن كونه أرسل إلينا قفة بُنّ وطاقم شاى وطاقم قهوة من أبدع شغل اليابان على سبيل الهدية . فماذا تريد أحسن من هذا وآمن منه .

بادرْ أثابك الله بإرسال النسخ التى طلبها إلى مرسيلية .

على جودة مأمون أيضاً وقد بعث لى ٥٠ دولاراً سلفاً . وبانبيله وعلى جودة هما مضمونان لحلمى باشا الذى كتب لى أنه وصل إليه مؤخراً ١٤٥ نسخة من « الارتسامات » وأرسل ٤٥ إلى داود طوقان .

وأما الهاشمى بن حميدة فسأكتب إليه بأن يبعث لكم بثمن الخمسين نسخة من رسالة « لماذا » ، وكذلك سأكتب إلى المدنى ، وكذلك سأكتب إلى مكتبة مصطفى نجيب الصباغ فى حلب ، وإلى السيد عبد القادر حسنى الكيلانى .

ولقد كتبت إلى صالح كنج أبى صالح أستحث همته للتصريف فى الأرجنتين ، وأن يرسل الثمن ، وبعدها نرسل إليه كمية ثانية .

فى الماضى كنت كتبت إلى الجميع بأن يرسلوا أثمان الكتب إليكم رأساً ،

لكن لما برز من أصحاب المطاليب بلوزان ما برز من الخسة واللؤم ، حتى أنذرونا بالدعاوى ، ووصلنا إلى عرض الحلى للرهن خوفاً على شرفنا ، صرت أكتب إلى بعضهم بأن يرسلوا إليك رأساً وإلى البعض الآخر بأن يرسلوا لى .

ولا تقدر أن تلومنى ، فإنى من أيام كتبت إلى أخى حسن[1] بأن يبيع كلَّ الذى حصل من الزيت بالسعر الحاضر ، ويرسل الدراهم إلىَّ حوالةً تلغرافية ، وأما إذا دفق علينا المال من هنا ومن هناك فلا عجب فى أن أبعث إليك بمطلوبك ، الخمسة آلاف غرش والألف والتسعمائة غرش عن العمولة بحوالة واحدة أو حوالتين .

أذنت للسيد على باعلوى بترجمة « لماذا » إلى لغة الملايو ، وأن يأخذ نفقات طبعها وتوزيعها أولاً ، وبعد ذلك فيكون الصافى بيننا وبينه مناصفة .

تقول لى إن رسالة « لماذا » كادت تنفد ، والحال أن عدد النسخ المرسلة إلى الآفاق منها هو ١٤٥٣ نسخة لا غير ، فيكون الذى توزع هو النصف ، ويكون بيع منها بواسطة فؤاد بك سليم وإسماعيل بك شيرين وسليم بك عز الدين وجمعية الشبان المسلمين وحافظ بك عوض هو ٣٠٥ نسخ لا غير ، بناء على أن الوارد منهم هو ١٥٢٥ غرشا .

إذاً الذى تصرَّف منها نحو ١٧٦٠ نسخة .

رجوتك قبلا أن ترسل لى ١٠ نسخ من « لماذا » ، و ٧ نسخ أو شيئاً من هذا من « الارتسامات » ، فإنه لم يبق عندى ولا نسخة ، لا من هذه ولا من هذا قسما بالله تعالى ، لأن بعض الزائرين يهجم ويأخذ الكتاب ، فماذا تصنع ؟ .

ونريد إضافة شىء إلى الطبعة الآتية من الرسالة كما لا يخفى ، فأرسلوا لنا بعض نسخ ، أو بالأقل نسخة .

---

(١) الأمير حسن أرسلان .

هذا هو القسم الاقتصادى من الجواب ، وسأبعث إليك بالقسم السياسى وبالقسم المنوى بكتاب آخر ، وبعده بقسم مستقل فى وصف تاريخ الأستاذ الإمام رحمه الله ، هذا الكتاب العجيب الذى لا نظير له ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك
شكيب أرسلان

J. Tvenue Ernest Hentsch Genéve

— ٤١ —

جنيف ٣ صفر ١٣٥١[١]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

جاءنى من عدن أنهم أرسلوا إليك شيئاً من ثمن الكتب ، وأنهم طالبون نسخا أيضاً . وعسى أن لا تكون نسيت إرسالَ ١٥٠ أو ٢٠٠ نسخة من « الارتسامات » إلى السيد محمد الدارد فى تطوان . فأرجو إجابة الطلبين ، وإن لزم أجرة الشحن سلفاً فتقاضوا الداود ذلك .

اعترض بعضهم على لفظة « دعاية » لأنها لم تَرِدْ فى متون اللغة — وهذا نعرفه — وقال إن اشتقوا فعالة من دعا يدعو لزم أن تكون دعاوة لا دعاية ، وقد كتبت إلى صاحب الصفا الذى قال ذلك : إنى أتذكر كونَ هذه اللفظة جاءت فى الأثر . فهل تتذكر أنت أنك قلت لى إنها جاءت فى إحدى مكتوبات النبى صلعم[٢] ؟ وهل تذكر ذلك المكتوب ؟ . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك
شكيب أرسلان

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة على صفحة من ورقة كبيرة الحجم .
(٢) يقصد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنى أدعوك بدعاية الإسلام » .

— ٤٢ —

بودابست ١ سبتمبر ١٩٣٢[1]

سيدى الأخ الأستاذ ، لا عدمته

انتهت سياحتي فى شرق أوربة ، وأنا بعد يومين أبرح بودابست إلى فينا ، ومنها إلى زوريخ فجنيف . أما الذى لقيته من الحفاوة فى بوسنة وهرسك ففوق الوصف ، بل فوق التخيل .

زرت بضعاً وعشرين مدينة وقصبة ، كلها — احتفالاً بهذا العبد العاجز — زينت المنازل بالأعلام ، وكان العلماء والأشراف يخرجون إلى مسافات بعيدة للملاقاة ، وكنا عند الوصول إلى المدن نجد أقواس النصر والألوف من الأهالى ، ونسمع الموسيقات تعزف ، ويبدأون بالخطب ، منها بالسلافية ، ومنها بالألمانية ، ومنها بالتركية ، ومنها بالعربية الفصحى .

وكنا ننزل فى محل مهيأ من قبل ، وتبقى البلدة قائمة قاعدة إلى أن نبرحها ، وكلما مررنا نسمع هتاف الجماهير : « جيفو » أى فليحيي .

وأحسن من كل هذا السرورُ الذى كانت الوجوه به طافحة ، والبشاشة الحقيقية التى نجدها كيفما نظرنا ، وأنه لم يكن فى جميع هذه المظاهر شىء من التكلف . ولماذا يتكلفون ؟ ومن أنا ليتكلفوا لى ؟ وماذا لى عليهم ؟ هم اعتقدوا أن هناك خادماً للإسلام أميناً ، وعلى قولهم مجاهداً فاستقبلوا هذا العبد المملوك ، لا مقابلةَ الأمراء بل مقابلة الملوك ، وكان مئات من الناس يعانقونه كأنه أخ لهم ، ومئات يقبلون يده كأنه والد لهم ، وكادوا مدة ٢٠ يوماً لا يعملون شيئاً سوى الاحتفاء والاحتفال به .

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقة كبيرة الحجم من الجهتين .

وأما عصبيتهم للإسلام وقيام شعائره فى هذه البلاد التى بلادهم فيها أشبه بجزيرة فى بحر ، بما أحاط بها من الأمم النصرانية ، وكيف أن المنائر ضاربة فى السماء كيفما وجهت نظرك ، وكيف أن الأودية تتجاوب بأصوات المؤذنين ، وكلمة الله تعلو الرُّبى و لوهاد ، فكل هذا لا بد له من العيان ، إذ ما راء كمن سمعا .

ما أعظم خطأ المسلمين فى إهمالهم التردد إلى هذه الجهات لمشاهدة إخوانهم ، لا ترى منهم أحداً إلا مطوفاً حجازياً يجمع بدلات حج وما أشبه ذلك . أفلم يكن جديراً أن يزورهم كل سنتين أو ثلاث وفدٌ من علماء مصر والشام والعراق ، ويقضوا عندهم شهراً من أشهر الصيف ، ويدعوهم أن يذهب منهم وفد فى أيام الشتاء لزيارة القاهرة والقدس ودمشق وبغداد ..إلخ ؟. لقد كان سرورهم لا يوصف بما شاهدوه يوم ذهبوا إلى المؤتمر الإسلامى .

لم أكن أحل فى بلدة ونبدأ بالأحاديث الخاصة أو بالأسمار حتى أذكرك بدل المرة مراراً ، فذكراك كانت نقلا [1] لنا ، زيادة على الحلويات الكثيرة التى كانت تتقدم فى جميع الموائد ، ولقد أشرت عليهم أن يترجموا إلى السلافية كتابك فى المرأة ، ووعدوا بذلك .

يا أخى ، أنا لا يمكننى أن أقابلَ بكل هذا الإكرام ولا أعمل شيئاً . هذا غير ممكن أصلا .

ولا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

فرجائى منك أن تبادر بإرسال صندوق كتب ٧٠ نسخة من « الارتسامات اللطاف » يصير شحنها بأقرب وقت ، وترسل لى علم كلفة الشحن ، حتى أبعث بها إليك من جنيف .

---

(١) النقل : ما يتنقل به على الشراب ، ويراد به هنا الفاكهة .

ليكن شحن الكتب باسم :

M. Dizdar Mahammed Emin Sirecteur Gazi Pusrabeg Medresse Saraj'evo Jugalavie.

(وبالعربى التركى) سراى بوسنة غازى خسرو بك مدرسه سى مديرى ديزدار زاده محمد أمين أفندى حضرتليرى

لكن العنوان بالسلافى ضرورى ، وأرجوكم العجلة ، وسأكتب لكم من جنيف ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

(١) الله مع الضعيف حتى يعتبر القوى : فى العام الماضى مرّ سمو الخديوى السابق[1] بسراى بوسنة ، وبقى أياماً وعرف الجميع به ، ولم يسلم أحد عليه ، وإنما هو تحدث من نفسه إلى خوجه اسمه الطيب . فأين مقام خديوى مصر ؟ وأين الملايين ؟ وأين الأبهة ؟ واليوم نرى استقبالات ملوكية من الجميع بدون استثناء لعاجز فقير مثلنا . إذاً لم يقدر أن يقضى على حياتنا السياسية كما زعم سموه[2] . . .

— ٤٣ —

جنيف ٨ محرم ١٣٥٢[1] .

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله :

قد كتبت لك من قبل عن تاريخ « الأوزاعى » . واصل إليك الآن مقدمة الكتاب من قلمى مع حواش عليها من قلمى أيضاً ، ومع بعض تراجم للإمام الأوزاعى فى الكتب الشهيرة .

---

(١) الخديوى عباس حلمى الثانى .

(٢) هذه الحاشية موجودة فى ذيل الرسالة .

(٣) هذه الرسالة مكتوبة على ورقة كبيرة الحجم من الجهتين .

قبل كل شيء أرجو منك أن تضع هذه الأوراق في قمطر خاص ، لا تكون فيه أوراق أخرى . إنك صاحب أشغال كثيرة ، وكثرة الأشغال تحدث السهو ، وهذا يقع لي كل يوم ، فأخشى أن ترمى بأوراق في مكان ، ثم يذهب هذا من بالك ، فتضيع ويضيع على تعبي ، لأني من ثلاثة أشهر أنا مشغول بهذا الكتاب .

فإن كان يمكنك أن تحفظه من الضياع إلى أن أكون بعثت بالكراسين اللذين يتلوان هذه الإضبارة[1] فأرجو انتظارهما ، وبعد اجتماع الكل استدعاء السيد عبد العزيز البابي الحلبي عنوانه في المكاتبة ٣٦ بوستة الغورية ، والاتفاق معه على ثمن الكتاب ، وكم يوافقه أن يؤدي لي به ؟ .

وعلى كل حال أرجو منك تصحيح الطبع ، إلا إذا كان ثمة مانع ، أولا وقت عندك أصلاً ، فيكفي أن تتفق معه على الثمن ، وتسلمه الأوراق ، وتتكرم بتعريفي ما تم ، ونبحث عن مصحح للمسودات .

إذا قر رأيك على تصحيح طبع هذا الكتاب فأرجو أن تطيل بالك فيه ، لأنه صفحة متن وصفحة تعليق ، وأحياناً الصفحة الخاصة بالتعليقات لاتسع التعليقات ، فأضم إليها ورقة طيارة ، أو ورقات أعلقها بها بملقط صغير ، وأكتب على الورقة الطيارة تكملة ما كتبت في صفحة التعليقات المقابلة لصفحة المتن .

ثم كل هذا تحت النمرة ، وفوق النمرة أذكر بين قوسين أن ترجمة هذا الرجل مثلا هي في قفا الصفحة أو في الورقة الطيارة . ولكن لابد من التدقيق ، لئلا يقع خطأ في الترتيب ، أو يند شيء يلزم ذكره .

أظن أن الهوامش هي ثلاثة أرباع أو ثلثان بالنسبة إلى المتن .

فإذا كان المتن ٣٣ أو ٤٣ صفحة من قطع رسالة « لماذا تأخر المسلمون » فيكون

---

(١) الإضبارة : الحزمة من الورق .

مجموع الكتاب ١٢٠ إلى ١٤٠ وينضم إليه المقدمة مع حواشيها فربما بلغ ١٦٠ أو ما يقاربها .

قبلاً أخبرتك أن الكراس الذى بعثت به إلىَّ لم يصلنى ، فهذا لابد من إعادة نسخه .

هذا وترانى منتظراً تعريفك بوصول الأوراق التى طيه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

J. Tvenue Hentsch genéve

— ٤٤ —

زوريخ ٢٧ محرم ١٣٥٢ (١)

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله ، وأيد به .

تناولت رقيمك المؤرخ فى ١٦ المحرم وفهمته ، وكنت على وشك السفر إلى زوريخ لأجل السلام على الصديق الكامل الفاضل عزيز عزة (٢) باشا ، فلذلك ترانى كاتباً لك من زوريخ ، بعد أن أهديت سلامك إلى الباشا المشار إليه ، وذكرت له ماسألت عنه من مسألة إعلان الشكر عما تبرع به لطبع رسالة الوحى (٣) ، فعزيز باشا قال لى إنه هو ما تبرع لأجل أن يذكر اسمه ، فقلت له : إلا أن

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ثلاث ورقات من الحجم الصغير ، كل منها مكتوبة من الوجهين ماعدا الأخيرة ففيها صفحة بيضاء ، والورق مطبوع عليه اسم BAUR AU LAC ZURICH

(٢) فى مصر يكتبونها : « عزت » .

(٣) يقصد كتاب « الوحى المحمدى » لرشيد رضا ، وكان عزيز عزت قد أسهم فى نفقته ، فشكره رشيد على ذلك م

في ذكر ذلك شيئاً من الحث على خدمة الدين . فعندها قال : إن كان هذا فلا مانع . وهو يسأل خاطرك ، ويذكرك بكل إجلال .

مسألة كتاب « الأوزاعى » كنت كتبت لك لتتكرم بتسليم الأوراق إلى الأخ محمد على الطاهر .

وذلك أنى رأيت هؤلاء الجماعة يعتذرون عن الموافقة على التصحيح بواسطتك ، بزعمهم أنه قد يتأخر ، وأنك مشغول ، وأن أشغالك كثيرة . والحقيقة أنى رأيتهم يتجافون عن مراجعة مَنْ عندهم مطابع مثلهم . . . لأنى عرضت عليهم أيضاً لأجل التصحيح السيد محب الدين الخطيب فلم يجيبوا بشأنه ، وعرضوا علىَّ التصحيح بواسطة ابن أخيك السيد محيي الدين رضا ، أو الشيخ خضر حسين . فقلت لهم : إن السيد محيي الدين يقدر أن يصحح مسودات « حاضر العالم الإسلامى » . فأما مسودات الأوزاعى وهو كتاب كله أحاديث ومحدِّثون فإن لم يكن الأستاذ السيد رشيد متولياً تصحيحه فليكن الشيخ خضر حسين ، فهو بعد الأستاذ أدرَى من غيره .

أما ما ذكرته لى عن ترجمة الحافظ الذهبى للأوزاعى فلم أطلع على ذلك، فأرجو منك أن تأمر أحدا بنسخ تلك الورقة من تذكرة الحفاظ ، وإضافتها إلى كتابى ، وإن أمكن أيضا نَسْخُ ما قال الشافعي في " الأم " عن آراء الأوزاعى ، فإن الكتاب الذى سنطبعه ليس فيه عن الأوزاعى إلا بعض أقوال فى العبادات .

ويظهر لى أن مؤلف الكتاب كان حشويا خرافيا (١) ، لأنى اضطررت إلى طى جملَ رأيتها تنقص من قدر الكتاب ، مثل أن الأوزاعى نصح رجلا أن لا يهمل صلاة الجمعة فلم يقبل ذلك الرجل نصحهَ ، وذهب إلى الصيد نهار الجمعة ، فساخت به البغلة ، حتى لم يبق منها فوق الأرض إلا ذنبها ، وما أشبه ذلك .

---

(١) أى يأتى فى كلامه بالحشو والخرافات . فهو لا يدقق ولا يحقق .

إنى حليت الكتاب بتراجم أكثر من ١٠٠ شخص من الأعلام الذين ورد ذكرهم فيه ، وبالاختصار إن كان تحت يدك شىء من مذهب الأوزاعى فى المعاملات فتكرم به ، وإن لم يكن عندك مانع فاجعله تحت إمضائك لتزداد الثقة ، وإنى سأبعث إليك بالكراسين اللذين فيهما الكتاب وحواشيه ، حتى بعد تصفحك إياها ، وتصحيح ما تراه جديرا بالتصحيح ، تدفع الكتاب إلى أبى الحسن ليساوم أولاد البابى عليه .

أبناء البابى عرضوا علىّ بالكتاب ٢٠ جنيها قبل أن رأوه ، فأنا أجبتهم إنى لم أشتغل ثلاثة أشهر بدون انقطاع لأجل ٢٠ جنيها ، ثم إن بيروت وحدها تأخذ من هذا الكتاب من ٥٠٠ إلى ألف نسخة .

لا أزال مكترثا[1] لقضية دارك ، فإن تم شىء مفيد من جهتها فأخبرنى . وأما الهمام[2] فهو نفسه لم تنفك عسرته ، وقد نقص دخل حكومته من مليون جنيه إلى ٢٥٠ ألف جنيه وعليهم ٣٠٠ ألف ، جنيه ديناً فى السوق . وكان المأمول هو استلاف هذا المبلغ من الخديوى بمقابلة امتيازات البنك ، ولكن الذى علمته أن الخديوى — وإن كان أخذ الإذن وتم الاتفاق — لم يبدأ بالعمل ، وربما لم يجد رأس المال اللازم — مليون جنيه — لأنه هو لا يريد أن يدفع هذا المبلغ من كيسه ، وإن دفع فلا أظنه يدفع أكثر من ١٠٠ ألف جنيه ، فلذلك لا تنفعه عسرة صاحبنا إلا إذا تجهز رأس مال البنك .

أرجو أن تخبرنى عن حديث: «زُويت[3] لى الأرض من مشرقها إلى مغربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها» مَنْ رواه ؟ وما درجته بين الأحاديث ؟ .

---

(١) كرثه الغم : اشتد عليه ، وما أكترث به : أى ما أبالى به

(٢) الملك عبد العزيز بن سعود .

(٣) زويت : جمعت ، وفى دعاء السفر : وازولنا البعيد ، أى اجمه واطوه ، وابن الأثير فى النهاية يروى الحديث هكذا : « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها » ج ٢ ص ١٣٥ .

أنا الآن مشتغل بالجزء الأول من الرحلة الأندلسية واسمه « الحلة السندسية في مقام العرب بجبال الألب والبلاد الإفرنسية » وأرجو أن أتم هذا الجزء في ثلاثة أشهر .

لولا كثرة المكتوبات الخصوصية والمقالات لكنت أكمله في شهر ، ولكن أنت أدرى بالحال . سُررت بمساعدة طلعت حرب لك في قضية الديون ، وسأكتب إليه كتاب شكر خاصًا ، ولكن لا يستريح فكري حتى أعلم ماذا جرى بقضية الدار[1] ؟ المهام لن يقصّر إن كان الخديوي وجد رأس مال للبنك ، ودفع عنه الثلاثمائة ألف جنيه . هذا هو اعتقادي ، والله تعالى هو الميسِّر ، لا ربَّ سواه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(١) في كتابي السابق طلبت بعض نسخ من كتبي ، على أن أدفع أنا أجرة شحنها بالبريد[2] .

— ٤٥ —

جنيف ٥ صفر ١٣٥٢[3]

سيدي الأخ الأستاذ ، لا عدمتُه .

من عشرة أيام كتبت لك من زوريخ ، وسألتك عن أشياء أنا منتظر منك الجواب عليها ، ومن خمسة أيام بعثت إليك بالباقي من كتاب « الأوزاعي » ، وهو

---

(١) يقصد دار السيد رشيد : ردا المنار .

(٢) هذه الحاشية جاءت في ذيل الرسالة .

(٣) هذه الرسالة مكتوبة في ورقة متوسطة الحجم من الجهتين ، ومعها ملحق مكتوب مثلها على ورقة متوسطة من الجهتين .

دفتران ومعهما أوراق طيارة تحت النمر معلقة بملاقط بأوراق الدفاتر ، لأن الحواشى لم تسعها الصفحات المقابلة لصفحات المتن ، فاضطررنا لتحرير تكملة الهوامش على أوراق تابعة ، وقد يلزم التدقيق والتحديق للاهتداء ، ولكن يهتدى القارىء إذ كل متن عليه حاشية عليه رقم ومبيّن مكانُ الحاشية .

هل جاءك أبو الحسن وسألك عن هذا الكلام أم لا ؟ .

وصل الدفتر الأول من المنسوخات التى طلبتها ، وسررت به كثيراً ، وترانى منتظراً الدفتر الثانى الذى قد يكون فيه قصيدتى عن حرب طرابلس المتلوة فى الأوبرا :

سَلَا : هل لديهم من حديث لقادم عن الغرب يروى فيه غلةَ هائم (١)

والقصيدة الأخرى :

سراعاً بنى أمى بحثّ ظعونهـــا فما حرّك الآمال غير سكونها (٢)

وكلتاهما فى المؤيد سنة ١٩١١ .

وفى المؤيد أيضاً ردٌّ منى على إبراهيم المويلحى عندما انتقد شوقى ، فهذا أريده

وفى المؤيد أيضاً قصيدة لى فى السلطان عبد الحميد مطلعها :

مشارق أرض لفّها بمغارب (٣)

كذلك أريد نسخها .

المقالة التى عن المرحوم السيد جمال الدين بإمضاء « معرفة الحق » هى منى ، لم تخطىء فراسة الناسخ .

---

(١) أثبت شكيب منها ما عاق بخاطره فى ديوانه ، ص ١٠٨ .
(٢) القصيدة منشورة فى ديوان الأمير ، ص ١٠٤ .
(٣) أثبت شكيب فى ديوانه ما تذكره منها ، انظر ص ٩١ .

عرفونى أجرة الناسخ لأبعث بها .

كنت أرسلت لكم فذلكة[1] بما أريد استنساخه ، فهذه الفذلكة أرجو النسخ بحسبها ، مع الذى أشرت إليه فى هذا المكتوب الواصل .

جاءنى جواب على كتاب كتبته إلى عدن سؤالا عن الكتب التى أرسلتموها إلى هناك مما خصّنى وخصكم .

وهذا الجواب من السيد على إبراهيم نور ، وضمنه فذلكة ما وصل من الكتب وما بيع منها ، وهى طيه واصلة من خط السيد على إبراهيم لقمان .

ولما رأيت أن الرواج على الكتب قليل كتبت إلى السيد نور بأن يرسل ٢٠ نسخة من « الارتسامات » إلى جيبوتى ، ويتبقى ١٠ نسخ فى عدن ، وبعيد المائة والسبعين نسخة إليكم بمصر ، لأنى لم أجد فائدة من إبقائها فى عدن ، أما « آخر بنى سراج » فباقٍ منه ٦ نسخ ، وأما « تاريخ الأستاذ الإمام » فباقٍ منه ٥ نسخ ، وأما « النداء للجنس اللطيف » فباقٍ منه ١١ نسخة ، فهذه كمية جزئية ، قد تباع تدريجاً ، فلم أطلب إعادتها إلى مصر ، ثم إنى كتبت إلى نور ولقمان بأن يرسلوا إليكم ثمنَ الكتب المبيعة .

بلغنى من جعفر باشا أن الخديوى لم يقدر أن يجد رأس المال اللازم لبنكه فى الحجاز ، وذلك أن أصحاب البنوك فى لندن سألوا الحكومة الإنكليزية عن مصير أموالهم ، فأجابتهم بأنها لا تضمن شيئاً ، فلذلك امتنعوا عن الاشتراك فى البنك .

ساءنى هذا الخبر ، ولما جاءنى من الهمام مكتوب من جمعة ومكتوب اليوم — ولابد أن أجاوبه — فإنى سأقول له بأنه يجب أن يلزم الخديوى بدفع رأس المال من كيسه ، لأنه إن لم يقدر على دفع مليون جنيه ، فهو يقدر على دفع ٢٠٠ ألف ألف جنيه وأ كثر . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

---

(١) فذلك الرجل حسابه : أنهاه وفرغ منه ، ويقول القاموس إنها مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا . والمراد هنا بيان أو خلاصة .

جواب كتابك رقم ... غرة صفر الواصل الآن .

سيدى لأخ الأستاذ ، لا عَدِمتُه .

أمس فى نواحى الساعة الثالثة بعد نصف الليل كتبت إليك المكتوبَ الذى بطيه ، وبهذا الصباح جاءنى كتابك الذى معه الحديث الشريف : (إن الله زوى لى الأرض) .

شكراً لك على ما بيَّنت من أسانيد هذا الحديث ، وقد نقلته بهذه الأسانيد بهذه الساعة إلى « الحلة السندسية فى مقام العرب بجبال الألب والبلاد الإفرنسية » .

علمت الآن أن الكراسة التى وصلت هى الثانية التى لم تفقد ، وأنه جارٍ استنساخ بدل الكراسة المفقودة .

سأكتب إلى أبى الحسن بنقل ترجمة الإمام الأوزاعى من طبقات الحافظ للذهبى .

المسائل السياسية التى ذكرتها لى وما علمته من يوسف الياسين ، كل ذلك بغاية الأهمية ، فأما مسألة العقبة ، ومعان ، فسنكتب للهمام ما هو شائع من أنه سيتخلى عنهما لشرق الأردن ، ونحذره من ذلك ، ونكتب فى الجرائد .

أما الأدارسة فأنا لا آمن لهم ، ولا أزال أخشى أن يستجلبوا إيطالية إلى عسير ، وكنت كتبت إلى الهمام ، وسأعيد الكتابة بأن لا يسمح بإقامتهم بتلك البلاد ، فليقيموا بمكة أو بالمدينة ، وأما مقامهم بتلك السواحل فخطر على الجزيرة ، وسأكتب إلى الإمام يحيى فى هذا المعنى .

الهمام فى آخر كتبه لى يذكر أنه قريباً يبشر الإسلام باتفاقه النهائى مع الإمام ، فهذا ما لم أزل أحرضه عليه منذ سبع سنوات ، بينما أعوانه كانوا يغرونه بعداوة الإمام . أما اتحاد سورية والعراق فيكتب أنه لا يتدخل فيه ، وأنا أعلم شدة

مما كتبته لهذا الأمر ، وسأكتب له : يا سيدى أكان الأحسن للعرب أن تبقى حائل إمارة ، والرياض إمارة ، وعسير إمارات ، والحجاز إمارة ، أم تتحد كلها مملكة واحدة ، لها قوة ومجد وذكر كما هى الآن ؟ لاشك أنك تقول : بل الأحسن اتحادها مملكة واحدة . فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يحسن هذا فى جزيرة العرب ، ولا يحسن فى سورية والعراق وشرق الأردن وفلسطين ؟ بل هنا هو أشد ضرورة نظراً لوجود الأجانب .

فهمت ما ذكرتموه بشأن المؤتمر العربى فى بغداد . أنا أرى الاقتصار فيه على عرب سورية والعراق وفلسطين ، أو عدم البحث بشىء سياسى خارج عنها ، لأن توسيع البرنامج يفضى إلى عدم حصول شىء ، ونحن نريد تقرير اتحاد الشام والعراق ، وكل مؤتمر لا يكون هدفه هذا الأمر فلا لزوم له . لا يبدأ اتحاد العرب إلا من هذين القطرين .

كتابك فى إثبات الوحى المحمدى لا يقرأه إلا المستشرقون فى أوربة ، وسنبعث إليك بأسماء أشهرهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

أبو غالب

(١) زميلى الجابرى والأخ جعفر باشا يسألان خاطرك ، ومتى تلاقينا بالطباطبائى أبلغه سلامك ، إنه هو والله من أفراد الإسلام ، وولدى يقبل يديك[1] .

---

(١) هذه الحاشية موجودة فى ذيل ملحق الرسالة .

— ٤٦ —

جنيف ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ [١]

سيدى الأخ الأستاذ ، أطال الله بقاءه

إنى ألقى إلىَّ كتابُك الكريم ، وفهمت أنك بالصحة والنشاط ، ولا أعلم متى نشيخ أنت وأنا ، ونشعر بالتعب ، فإننا كلما تقدمنا فى السن نزداد نشاطاً وتتضاعف محصولات أقلامنا ، ففى هذه المرة جاءنى منك كتاب « الوحى المحمدى » وكتاب « نقض مطاعن فى القرآن الكريم » [٢] ، وفى أول يوم من وصولهما قرأت مقدمتك على « نقض مطاعن » وقرأت ثلثى هذا الكتاب ، ولم أتعجب من شىء من مقدمتك ، فكلامك كلامك ، وكم لهذه الدرة اليتيمة من أخوات أنجبها يراعك ، ولكننى استحسنت جداً كتابة صاحب « نقض مطاعن » وكيف أفحم ذلك الذى أراد نيلَ الشهرة بالتعرض للحقائق المقررة ولو بالباطل .

فليعلم هذا الأخ أن طه حسين عند ما زعم أن السور المكية ليس فيها منطق ، وأنها لا تقبل المناقشة ، وأن السور المدنية هادئة ساكنة ، وما أشبه ذلك مما هو بزعمه من أثر تغير الأحوال ، إنما قرأ ذلك فى كتابات بعض الإفرنج ، فجاء يحكى عنهم هذا الهراء بدون تفكير ، ملتمساً مجردَ الشهرة ، وأن يقول الشبان الأغرار إنه رجل كبير ، لم يجرأ أحد على محاكمة القرآن بمثل محاكمته ، ومن المعلوم أن الشبان لا يعرفون حقائق الأمور ، وهم أتباع لكل ناعق .

وقد أخطأ طه حسين بعدم انتباهه إلى ما يمكن أن تجرّه عليه هذه الدعوى كما جرّت عليه دعوى كون الشعر الجاهلى كله مصنوعاً ، قرأ ذلك فى كلام مرغليوث

---

(١) هذه الرسالة ليست بخط شكيب ، بل من إملائه ، وفى ذيلها توقيعه ، وهى مكتوبة على ورقة كبيرة الحجم من الجهتين . وقد أصلح شكيب بخطه بعض ألفاظها .

(٢) هذا الكتاب من تأليف الأستاذ الشيخ محمد أحمد عرفه يرد به على الدكتور طه حسين .

واتخذه لنفسه ، وصار مضطراً أن يدافع عن قضية أوهى من بيت العنكبوت .

وأوهى منها زعمه أن السور المكية ليس فيها مجادلة ولا مناقشة ، وكل من قرأ القرآن وهم مئات ملايين يعلمون عكس ذلك ، ولكن الفضل للأخ عرفة فى تكذيب طه حسين بإيراد الآيات الشاهدة على كذب دعواه إن كان فيما قاله عن السور المكية أو فيما قاله عن السور المدنية ، فأرجو أن تهدوا هذا الكاتب البليغ والمسلم الصادق أزكى سلامى وثنائى ، أكثر الله من أمثاله .

أما « الوحى المحمدى » فلمَّا أقرأه ، وعند ما أقرأه إن شاء الله أكتب لك عنه ، وإن لزم أكتب شيئاً للنشر بعد إطلاعك عليه .

واصل لك بعض عناوين من عناوين المستشرقين وسأرسل غيرها .

سررت بأنك لحت الجزأين الأولين من « حاضر العالم الإسلامى » ، ولاشك أن مانقلته فيه بشأن السيرة النبوية من كلام الأوربيين لايوجد فى كتاب عربى غيره .

نحن كتبنا هذا الكتاب للناشئة المتشككين فى الغالب ، والذين لاتنشرح صدورهم إلا لكلام علماء الإفرنج ، فغرفنا لهم من ذلك البحر ، فأما كونى نقلت فى مسأله ترجمة القرآن أقوال المراغى وبخيت[1] دون أقوالك ، فإنى يا أخى أكملت ذلك الفصل قبل أن تنشر كلامك فى الموضوع ، وقبل ظهور كتاب مصطفى صبرى أفندى ، ولما ظهر ذلك عدت فكتبت ملحقاً أقول فيه إنه يجب فى هذا مراجعة آرائك ، وأشير أيضاً إلى كتاب شيخ الإسلام السابق ، ولكن كانوا قد طبعوا ما طبعوه وانتهى الأمر ، ولعل الطبعة الآتية تشتمل على كلامك وكلام مصطفى صبرى فى هذه المسألة .

استغربت كيف أن الذى كلفتموه البحث عن مقالاتى القديمة فى « الأهرام » و « المؤيد » لم يظفر بجميعها ، مع أن المكتبة الملوكية[2] تحتوى حسبما سمعت

---

(١) يقصد الشيخين محمد مصطفى المراغى ومحمد بخيت المطيعى .

(٢) يقصد دار الكتب المصرية بالقاهرة .

جميعَ أعداد الجرائد بدون استثناء ، فإن كان البحث لم يقع فى المكتبة العمومية الملوكية فأرجو تعريفى لأتدارك هذا الأمر .

يا أخى ، ما زال بعض الناس يكتبون أنه لا يجوز جمع المصدر ، ويطلقون القول ، وأنا أعلم أنه لا يجوز إلا إذا قصد به تنوع المصدر ، وذلك مثل جمع بيع على بيوع ، لأنه يوجد جملة بيوع فى الفقه ، وقياساً على هذا فإذا قلنا جهود يكون المعنى الجهد بالسيف ، والجهد بالمال ، والجهد بالقلم . . . إلخ .

وإنى أرى المصدر مجموعاً فى كلام كثير من كبار الكتّاب القدماء ، وماذا نقول فى: اجتهادات ، واستدلالات ، واستعمالات ، واصطلاحات ؟ أفليست هذه مصادرَ مجموعة ؟ مع ذلك أريد منك إبداء رأيك فى هذه المسألة .

جاءنى كتاب « الإنجيل والصليب »[1] وشكرتك ، أرسلت قسما من « الحلة السندسية » إلى الأخ أبى الحسن ، وأشرت إليه بمساومة إلياس أنطون فى طبعها، أى الجزء الأول المتعلق بفتوحات العرب فى فرنسة وسويسرة .

ذكرت إلياس أنطون عدولا عن البابى الذى دفع لى ثمن كتاب الأوزاعى خمسين جنيهاً ، ووجدت ذلك ثمناً لا بأس به ، ولكنه عرض على أبى الحسن فى حصتى — ستمائة نسخة من « حاضر العالم الإسلامى » — مئة جنيه فقط مع أنه حدد ثمن النسخة جنيهاً واحداً ، فلو فرضنا أنى بعت النسخ بنصف جنيه الواحدة اجتمع لى من ذلك ثلاثمائة جنيه ، فلما رأيت أن طمعه زائد كتبت إليه بتسليم الستمائة نسخة إلى أبى الحسن ، وكتبت إلى أبى الحسن بأن يتسلمها وينتظر تعليماتى بشأنها ، ولا يساوم البابى بعد الآن ، لأنى لو كنت مرتِّبَ حروف مارضيت أن أشتغل ١٤ شهراً حتى أقبض مئة جنيه . . .

إن شاهدتَ طلعت باشا حرب أشكره ، وأقول له كل مايلزم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

(١) تأليف السيد رشيد رضا .

— ٤٧ —

جنيف ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٥٢[1]

سيدى الأخ الأستاذ ، أطال الله بقاءه

من جمعتين كتبت لك ، وأخبرتك بأنى كنت كتبت ما كتبته فى موضوع ترجمة القرآن قبل اطلاعى على أقوالك فى الموضوع ، فلما اطلعت عليها وعلى كتاب مصطفى صبرى أشرت إلى ذلك فى فصل خاص قد ظهر فى صفحة ٣٦٩ من الجزء الثالث ، ولا شك أنكم اطلعتم على ذلك ، لأن الجزأين الآخرين قد صدرا أيضاً .

اليوم نقلت عن كتابكم « الوحى المحمدى » الفصلَ الذى يتعلق بالرقيق فى الإسلام ، وذلك إلى حواشى كتابى : « الحلة السندسية فى مقام العرب بجبال الألب والبلاد الإفرنسية » ، لأنه ورد فى كلام مؤرخى الإفرنج شىء يتعلق بحكم الرقيق والسبى فى الإسلام ، فأحببت أن أنشر خلاصة أحكام الشرع فى هذه المسألة محررةً بقلم حجة الإسلام فى هذا العصر .

كتابكم « الوحى المحمدى » قرأته كلَّه ، جزاكم الله خيراً ، ولا شك عندى فى أنه سيروج كثيراً ، لا سيا أن الإنسان يقدر أن يقرأه فى يوم أو يومين .

يا أخى جاءنى مكاتيب من أديس أبابا من السيد محمد صادق من أهل الحبشة ، ومن السيد علوى محمد الصافى من أشراف اليمن ، وعلمت أنه وصل إلى هنالك نسختان من رسالتنا « لماذا تأخر المسلمون » وأعجبوا بها كثيراً ، وطلبوا بعض نسخ من مصر ، فأجابوهم بأن الطبعة الأولى نفدت ، ثم علموا بأن الرسالة طُبعت طبعة ثانية ، وجاءوا يطلبون منى أن أبعث إلى مصر حتى يرسلوا إليهم جانباً من

---

(١) هذه الرسالة ليست بخط شكيب ، بل هى من إملائه ، وهى مكتوبة فى ثلاث ورقات من الحجم الكبير ، الأوليان مكتوبتان من الوجهين ، وفى الثالثة نصف صفحة مكتوبة فقط ، وفى آخرها توقيع شكيب ، وقد أصلح بقلمه بعض ألفاظها مما يدل على أنه راجعها .

النسخ ، فأنا أرجو منكم إرسال خمسين نسخة من الرسالة المذكورة إلى أديس أبابا بالعنوان الذى هو بذيل هذا المكتوب .

كنت كتبت لكم أن البابى دفع لى بالخمسمائة[١] نسخة من الطبعة الجديدة من « حاضر العالم الإسلامى » مائة جنيه فقط ، هكذا كتب لى أبو حسن[٢] ، أما البابى فلم يكتب لى شيئاً عن الثمن الذى يريد أن يدفعه بالخمسمائة نسخة ، لأن المئة السادسة ستكون أكثرها هدايا .

سألتك فى كتابى الماضى رأيك فى هذه المسألة ، لأنى رأيت مستحيلاً أن أبيع الخمسمائة نسخة من كتاب ألف وستمائة صفحة بمائة جنيه ، ولا يمكننى أن أبيعها بمئتى جنيه ، ومهما ذهب من ثمن الكتاب فإنى إذا وزعت هذه النسخ على أصحابى فى الجهات يأتينى أكثر من مائتى جنيه بكثير ، لا سيما أن البابى قد قطع ثمنه[٣] جنيهاً واحداً بالنسخة .

من جهة كتاب الأوزاعى بعته إياه بخمسين جنيها ومئتى نسخة ، ولم أجده أظهر الطمع الذى أظهره فى قضية « حاضر العالم الإسلامى » .

بعد أن كتبت لك من جمعتين أصابتنى نوبات كلوية قوية ، مما له عادة أن يصيبنى ، لأنكم تعلمون أنه منذ بضع سنوات يعتادنا مرض الحصى ، فهذه المرة بقيت فى الفراش عشرة أيام ، حتى سقطت الحصيات بتأثير الأدوية ولله الحمد ، والدواء الحقيقى هو إذن الله ، ولكننى بلغ منى الضعف مبلغه .

وكان الملك فيصل وأخوه قد قدما إلى (برن) ، فذهبت للسلام عليهما وأنا

---

(١) كانت فى الأصل : « بالستمائة » وأصلحها شكيب فجعلها « بالخمسمائة » . والمذكور فى الرسالة السابقة هو « الستمائة » ولكن السطور الموجودة هنا بعد الكلمة توضح سبب تغيير العدد ، إذ أن المئة السادسة جعلها شكيب للإهداء .

(٢) هو أبو الحسن الأستاذ محمد على الطاهر .

(٣) أى حدد ثمن النسخة بجنيه .

بحال الضعف الشديد ، قاصدا من جهة القيام بهذا الواجب ، ومن جهة أخرى تبديل الهواء واسترجاع القوى ، وأقمت فى رأس الجبل فى الأوتيل الذى تعرفه وبتنا فيه مرة أنا وإياك ، وبقيت عدة أيام هناك أنا وإحسان بك ، والآن أجدنى أحسن بكثير بعد تبديل الهواء .

وقد رجعت إلى جنيف أمس ، وخطر ببالى أن أكتب لك أنك إذا كنت تقدر أن تبدل الهواء فى سويسرة بهذا الصيف ولو شهرا أو شهرين ، فإننا هنا نقوم بكل شىء لأجل خدمتك . ونأخذ لك غرفة تبيت فيها وتأكل صباحا ، وعند الظهر وفى المساء تأكل فى محلك عندنا ، وهكذا يتيسر أن نشاهدك ونتحدث ، وتكون أنت أفدت صحتك الثمينة ، لأنك محتاج إلى ذلك ، فما قولك فى هذا الرأى ؟ . أرجو أن تجيبنى .

أرسلت إلى أبى حسن عشرة دفاتر من « الحلل السندسية » ، وباقٍ أربعة لتمام الكتاب كلها حاضرة ، وقد أوصيته أن يساوم لى مطبعة إذا شاءت شراء الكتاب ووافقنى الثمن ، وإن لم يوافقنى فإننى معتمد أن أطبعه على حسابى ، وهو قد يقع فى ٣٥٠ صفحة ، فأرجو أن تستدعى الأخ أبا حسن ، وتذاكره فى هذه المسائل كلها ، وتتكرم بالجواب .

عندما كنا فى برن عند جلالة الملك فيصل اجتمعنا مع ياسين باشا ، ولم نكن نعرفه بالوجه من قبل ، ولا شك أنه من الرجال الممتازين بالذكاء والمعرفة والعلم وقوة الإقناع ، ولكن مع الأسف وجدت فيه من العجب والجفاف الواصل إلى حد[1] الجفاء ما يستحيل معه أن يستجاب الناس إلى جهته .

وأنت تعلم أن الله تعالى قال لنبيه : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » يريد تعالى أن يقول إنه لو لم يكن النبى على خُلُقٍ عظيم ما كان نجح ، برغم ما أوتى من النبوة والرسالة والآيات والمعجزات .

---

(١) فى الأصل : « الحد » وهو سبق قلم .

كتب لى الأخ أسعد داغر شيئاً يشعر بالخيبة فى نفسه ، وفى كتابه إشارة إلى شىء وقع مثله فى نفسى ، ولقد تحادثنا أنا وإحسان مع ياسين مدة طويلة ، وتكلم ياسين فى لزوم تأجيل المؤتمر العربى ، والتمهيد له بالدعاية ، وتأليف لجنات وماأشبه ذلك ، ولم يكن كلامه خالياً من سداد وصواب ، ولكن الذى يخيفنى هو كون هذا الرجل جافًّا ، يصعب على الناس أن يمتزجوا معه ، ويا ليت عنده عشر معشار ماعند الملك فيصل من الجاذبية واستجلاب القلوب .

فأما أعمال الملك فيصل السياسية ، فأقول إنها ناجحة ، تتقدم ببطء ، ولكنها تتقدم دائماً ، وقد كانت له أحاديث فى لوندرة مع الجماعة المعهودين ، لم يقدروا أن يجدوا عليها جوابا ، وأظن أنه سيكون لها نتائج حسنة بحق العرب .

أما الفرنسيس فهم محيّرون ، يخشون اتحاد سورية والعراق أن يفضى ذلك إلى تقليص نفوذهم عن سورية ، ثم يعودون فيرون أن سورية بهذه الحالة تبقى تحت خطر غارة تركية تشنها أنقرة بأول فرصة ، فيرجعون عن المعارضة ، ويقولون إن الموضوع يلزم له بحث عميق .

والحقيقة أنهم لا يعرفون ما يريدون أن يعملوا بهذه المسألة .

أما الذين هم يرغون ويزبدون فى معاكسة توحيد العراق وسورية فهم الأتراك ، وقد وصل الأمر بهم إلى التهديد بأنهم إن تم هذا الأمر يمنعونه بقوة السلاح ، وقد صرح سفيرهم فى لوندرة للملك فيصل بأنه إذا تقرر اتحاد العراق وسورية ، يجد العرب فى وجههم تركية وإيران والروسية جبهة واحدة .

وأنا جاوبت الملك فيصل بأن هذه الجعجعة لا تخيفنا ، ولا تثنينا عن عزمنا ، وإننا نعلم أن العراق وسورية غير متروكين لأهواء أنقرة ، وليس بصحيح أن الروسية تتدخل فى هذا الأمر ، بل المسألة بالعكس ، فأما إيران ، فالترك قد كالموها فى معارضة الوحدة العربية ، وربما يكون الإيرانيون أجابوهم بما يرضيهم ، ولكن

إيران لا تدخل فى معارضة فعلية ، وهى تخشى الترك أكثر مما تخشى العرب .

وقد تكلمت مع السيد الطباطبائى فى هذا الموضوع ، وعرفت أنه عارفٌ بدسائس الأتراك ، وأنهم مصممون على أخذ حلب ، فأما إيران فيعتقد الطباطبائى أنها لا تمشى مع تركية إذا عرف العرب أن يسوسوا سياسة حسنة معها ، وقال لى إنه سيكتب إلى إيران ، وينصح بعدم إساءة العرب ، ويعتقد النجاح .

ما كتبت لكم عن المؤتمر الإسلامى الأوربى نظراً لضيق الوقت ، وتحرير الخبر أن محمود بك سالم قام بهذه الفكرة ، ونشر فيها نشرةً ، وجاء إلى جنيف ، وتكلم معنا ، ونحن لم نجد منها مانعاً ، ولكننا أشرنا عليه بأن يتأنى ، وأن لا يلح فى عقد المؤتمر المذكور بهذه السرعة ، لأن مؤتمراً إسلامياً ينعقد فى أوربة ينبغى أن يكون لائقاً بكرامة الإسلام ، ولا نرضى أن يكون عبارة عن اجتماع بسيط ، تُلْقَى فيه بعض كُلمات وينفض الحاضرون .

وكنا جميعاً متفقين : أنا وإحسان بك ، وعبد الباقى بك العمرى ، والشيخ على الغاياتى على هذه الفكرة ، وهى التأنِّى وجمع مبلغ من المال : ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه ، حتى يكون هذا المؤتمر حافلاً لائقاً موفور الأبهة ، لأنه هنا محط أنظار ، وسيحضره صحافيون كثيرون ، ويطيِّرون أخبارَه إلى الآفاق كما هى ، فاقتنع محمود سالم ، وقررنا تأجيل عقد المؤتمر إلى السنة القادمة ، بحيث نكون هيَّأنا له الأسباب المالية الكافية .

وفى هذه المدة جاءتنى الأسئلة من بلاد البلقان عن هذا المؤتمر ، ولا سيما من بوسنة والهرسك ، وأنتم تعلمون شدةَ تعلق مسلمى تلك الأقطار بنا ، فإن شيخ الإسلام فى مملكة يوغوسلافية الذى مركزه بلغراد الحاج إبراهيم أفندى ، ورئيس العلماء فى سراى بوسنة سالم أفندى الذى تعرفونه ، وغيرهما كتبوا لنا أنهم حاضرون أن يرسلوا وفداً إلى هذا المؤتمر ، على شرط أن تكون إدارته بيدنا ، وبروغرامه طبق أفكارنا .

وهكذا جاءنا من المجر ، ومن اسكوب وغيرهما ، ونحن أجبناهم أننا موافقون على مبدأ عقد المؤتمر ، لكننا نريد التأنى فيه ، حتى يكون مجمعاً لائقاً بكرامة الإسلام .

ثم إنه منذ مدة كان جعفر باشا العسكرى سفير العراق فى لوندرة هنا ، ودعانا إلى وليمة دعا إليها جمال حسنى سفير تركية فى سويسرة ، ونجم الدين صادق من كتاب الأتراك وأحد مندوبيهم فى مؤتمر نزع السلاح ، فهؤلاء بمجرد ما جلسنا على على المائدة بادروا بسؤالنا عن قضية هذا المؤتمر الإسلامى الأوربى ، فأخبرتهم بأنى أنا لم أكن صاحب هذه الفكرة ، وإنما بدأ بها محمود سالم المصرى ، ولكننى وافقت عليها ، وسنعقد المؤتمر إن شاء الله ، ولكننا نحب التأنى حتى نتمكن من عقد مؤتمر لائق ، فأخذ سفير تركية يحثنى على بذل الجهد فى جعل المؤتمر لائقاً بشرف الإسلام كما قلت .

ثم سألنى: هل تريدون أن تدعوا تركية ؟ فقلت له : لا . قال : لماذا ، مع أن ولاية أدرنة ونفس اسطنبول هما من أوربة ؟ فقلت له : بأننا رأينا تركية تتجنب الدخول فى المسائل الإسلامية . فقال نجم الدين صادق : ولكن نحن يمكننا الاهتمام بهذا المؤتمر من الوجهة الاجتماعية .

وأخذ يبدى ويعيد فى هذا ، فقلت له مداعباً ، ولكن بصورة قطعية : بالاختصار نحن قد أخرجناكم من دائرة أعمالنا . فأخذوا المسألة بالتبسم ، ولكن فى الحقيقة كانوا فى كرب شديد من كوننا لا نريد إشراك تركية أوربة فى المؤتمر ، وهم يعلمون أننا سنرسل تذاكر دعوة إلى مسلمى تراقية وألبانية ويوغوسلافية وبلغارية ورومانية والمجر وبولونية ، وأننا سنهمل دعوتهم .

والملحوظ أن مسلمى أدرنة — وربما الآستانة — أخذوا يتكلمون فى ضرر إهمال المسلمين لتركية فى الاجتماعات العامة . فبعد مدة دعا سفير تركية دعوة كبيرة

إلى ليلة راقصة كما يقال، ودعانا إنا وإحسان من الجملة، أما إحسان فعلاقته لم تنقطع معهم، وأما أنا فمنذ مدة طويلة ليست لي معهم علاقة كما تعلمون، فذهبت إلى تلك الدعوة، ولم يقع في تلك الليلة كلام بشأن المؤتمر.

ثم بعد أيام عاد السفير التركى فتلفن إلى إحسان طالباً الاجتماع معه ، فذهب إحسان وواجهه .

وخلاصة الكلام أن السفير يلح بوجوب إرسال دعوة لهم أيضاً ، ويتعهد بأن تركية تسمح لمسلمى أدرنة بالحضور ، فإحسان بك وعد السفير بإرسال الدعوة ، وعادفأخبرنى قائلا : إنه شىء لا ضرر منه ، فإن جاءوا كان خيراً ، وإن تخلفوا فاللوم عليهم . فقلت له : يستحيل أن أرضى بدعوة حكومة أنقرة إلى هذا المؤتمر ، نعم يمكننا أن نرسل ورقة دعوة إلى مفتى أدرنة ، وهو حر أن يرسل وفداً ، أو أن لا يرسل .

ولقد سبق أن المؤتمر الإسلامى العام فى القدس دعا تركية ، فرفضت الحضور ، وعدا رفضها لم تهمل وسيلة لمنع عقد المؤتمر المذكور إلا استعملتها ، وذهبت تترجى الإنكليز أنفسهم لمنع عقده ، وتمكنت من منع إيران وأفغانستان من الاشتراك فيه ، ولم تتوقف عن مفاوضة فيصل وابن السعود وملك مصر بعدم الاشتراك ، ثم أهانت المسلمين إهانة محسوسة بكونها عندما رفع المؤتمر الإسلامى العلم التركى من جملة الأعلام الإسلامية التى كانت تخفق فوق المؤتمر ، جاء قنصل تركية فى القدس وأنزل العلم التركى ، فكأنه صفع المؤتمر علناً .

أفبعد هذا نذهب وندعوهم إلى مؤتمر إسلامى ، هو فرع من المؤتمر العام الذى رفضوا قبول دعوته ، وعملوا كل ما قدروا عليه لمنع عقده ؟ لا أرى ذلك موافقاً ، وأنا نفسى كنت ألوم الحاج أمين الحسينى على دعوته إياهم لمعرفتى بأنهم سيرفضون الدعوة ، وهذه المرة أيضا ما أراهم إلا ساعين فى إرسال الدعوة لهم حتى يرفضوها

أيضا قائلين بحسب كبريائهم المعهودة : جاءتنا دعوة ولم نقبل أن نشترك فى هذا المؤتمر ؛ فجميع مساعيهم إنما هى لأجل أن نتنازل لهم مرة أخرى ، ويقابلونا بالرفض مرة أخرى .

فأما إصرارهم على أخذ دعوة منا فالمقصود به إرضاء كبريائهم ، وأن لا يقال بين مسلمى البلقان إنه انعقد مؤتمر إسلامى فى جنيف ، وإنهم أهملوا دعوة تركية ، فهذا يمس نفوذهم .

ومتى اجتمعت لجنة المؤتمر ووجدت أن أكثريتها تريد دعوة تركية فإنى أعترض على ذلك ، وأكتب اعتراضى مع بيان أسبابه هذه ، ولى أمل بإقناع إحسان بك وغيره بإرسال الدعوة إلى مفتى أدرنة ، لا إلى الحكومة التركية ، وقد أردت إطلاعك على ما جرايات هذه المسألة ، لتكون معلومة عندك ، ولإبداء رأيك فيها .
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

— ٤٨ —

جنيف ١٨ ذى الحجة ١٣٥٢[1]

سيدى الأخ الأستاذ ، أيده الله

أخذت كتابك الأخير ، وحمدت الله تعالى على صحتك ، وقد أرسلت بالمقالة التى اقترحتها علىَّ برغم ما أنا فيه من ضيق الوقت وضيق الصدر — وأكثر ما يكون ذا مع ذا — وذلك فى ١٦ مارس ، ولكنى لم أستطع أن أجيبك على

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، من الوجهين ، إلا أن أغلب الصفحة الأخيرة أبيض .

كتابك الخصوصى ، لأنى أريد أن أبثك أشياء لا أحب أن أكتبها إلا بقلمى ، وأنا قد صرت أكتب بقلمى نادرا جداً ، وكل كتاباتى هى إملاء على الكاتب ، فإذا كان لابد من كتابتى بيدى فلابد من فرصة لائحة .

إنى شعرت يوم مات فيصل بعظم الفاجعة ، ولكنى الآن أراها تعظم شيئاً فشيئا عن ذى قبل ، فالاتحاد العراقى السورى أصبح متروكا ، لا يتكلم عنه أحد إلا بأنه مشروع ذهب ، ورجعوا إلى الكلام فى عرش لسورية ، ونَجَمَ الأمير عبدالله يريد عرشاً على فلسطين وشرق الأردن ، مع قبول هجرة اليهود إلى فلسطين ، وظهرت فى العراق بوادر نفض اليد من الوحدة العربية ، وصار ينهى عنها من كان معدوداً من أركان دعاتها ... وظهر أنهم إنما كانوا يتكلمون عنها لأجل سياساتهم الشخصية ، لا لأجل الوحدة من حيث هى . . . كل هذا جرى بعد موت فيصل .

والأخبار الواردة من فلسطين سيئة إلى النهاية ، إذ لم يبق عند العرب أدنى أمل فى إنقاذ فلسطين ، وبينما الأحوال هى ما هى فى العراق والشام وفلسطين ، إذ نشبت الحرب فى الجزيرة بين الإمامين ، فكمل النقل بالزُّعْرور (1) ، ولن يكون لهذه الحرب أدنى فائدة إلا زيادة الخراب والبوار .

وقد نصحنا كلا من الإمامين بالتحكيم ، فأجاب كل منهما ، لكن لم يذكر أنه فاوِ التحكيم ، فالإمام يحيى لا يرضى إلا بنجران ، مع أنه فى الماضى لم يكن يحتلها ، والملك عبد العزيز لا يرضى باحتلال الإمام لنجران ، مع أنها ليست له ، ولم تكن له ، ولا فى وقت ، فهو الآن يحارب لأجل الإسماعيلية . . .

ولو ترك الإمام وشأنه فى نجران ، واشترط اعتراف الإمام له بحدود عسير

---

(1) الزعرور : الرجل السيء الخلق . وزعر الرجل — بوزن خرج — : ساء خلقه وقل خيره .

الحاضرة لأمكن الوئام ، ولم يكن على الملك غضاضة ، فلأمرٍ يريده الله نشبت هذه الفتنة .

فكيف لا يضيق صدر الإنسان بحالة العرب هذه ؟ .

ولو كانت المسألة العمومية هى وحدها الفاتّة فى الأعضاد ، وكانت المسألة الخصوصية مما يُرْضِى لربما كنا أقدر على تحمل المضض ، ولكن الثانية هى شر حالاً من الأولى .

حالة معيشتنا هنا أصبحت بغلاء الأسعار غيرَ ممكنة ، فإننا فى سنة ١٩٣٣ برغم كل الاقتصاد الذى عملناه لم نقدر أن نعيش بأقل من ١٣٠٠ جنيه ، وأنت تدرى أنه ليس عندنا فى السنة ولا نصف هذا المبلغ ، فكيف نصنع ؟ مزرعتنا فى الشام بعناها ، بيتنا فى برلين رهناه ، والآن لا يفضل عن الرهن شىء إن بعناه .

لم يبق إلا أن نبيع زيتونات الشويفات ، وماذا نترك لهؤلاء الأطفال ؟

اضطررنا أن نراجع مصر رأساً ، لعلنا نحصل على إذن بدخولها لننتقل إليها ، فما ظهر شىء يبعث على الأمل .

راجعنا فلسطين ، وتعهدنا بأننا لن نشتغل بالسياسة ما دمنا فيها ، فما ظهر شىء أيضا . فأين نذهب ؟ . وحكومة فرنسة أعادت الكرة على سويسرة لأجل إخراجنا منها ، وحكومة سويسرة رجعت تكتب لنا رسمياً بهذه المدة بأن نمسك عن كل حركة سياسية أو يخرجونا ، لأنهم لا يريدون أن يختلفوا مع دول أجنبية من أجلنا .

نعم نحن أجبنا بجواب سديد شديد ، إلا أننا لا نعلم ماذا تكون النهاية ، لأن الخصم قوى لا سيما بجنيف . وضعت نصب عينى إما فينا أو بودابست ، نظراً لرخصهما عن سويسرة ، وسنرى كيف يحكم القدر ، وإلى الله وحده مرد الأمور . ضاقت علىَّ مذاهبى ، وضيق ذات اليد أشقُّها ، ولكن اتكالى على الله كبير ، لا رب سواه .

وبينا أنا فى هذه الحال أجد الناس لا يرحمون ولا يشفقون ، ولا يحسبون حسابا لحالة جسمنا ، ولا لتقدم سننا ، ولا لضنك معيشتنا ، وهم يقدّرون لنا من القوة والصحة والثروة والراحة أضعاف أضعاف الحقيقة .

أتدرى كم جاءنى مكاتيب سنة ١٩٣٣ ؟ جاءنى ألفا مكتوب خصوصى . وقد أصدرت ١٥١٧ مكتوبا ، عدا المقالات والكتب المطبوعة . ليالى كثيرة . كثيرة جدا — بل أكثر الليالى — أنام الساعة ٤ بعد نصف الليل .

عندى كاتب يأخذ ١٢ جنيهاً فى الشهر ، ويكاد يهلك من التعب .

أديت مصاريف بوسطة سنة ١٩٣٣ نحواً من ٥٠ جنيها ، غير داخل فى ذلك حساب التلغرافات ، فى عشرين يوما أتذكر أنه جاءنى ١٠ اقتراحات ، من مقالات ومقدمات كتب .

أنت لا يقاس بك أحد ، وإن كنت تقترح مقالة لتضمها إلى كتابك فيكون وجودها هناك مشرّفا لها ، ولكن هذا وذاك وذلك وكل إنسان يظن أنى يجب أن أخدمه وأنى رقيق له . فلماذا يا ليت شعرى ؟ . أفلا يحسبون أن وقتى أولى بعيالى وأطفالى .

بعد إيابى من سياحتى باشرت تأليف « الحلة السندسية فى الرحلة الأندلسية » التى ستكون ستة مجلدات فيما أتصوّر ، والبابى يلح بها . فمضى على وصولى شهر وشىء وأنا كل يوم أجلس وكاتبى ثلاث جلسات نهاراً ومساء مجموعها ٨ ساعات ، ومع هذا فلم أقدر أن أسوّد فى هذا الشهر كله أكثر من ١١٠ صفحات ، مع أن هذا الجزء وحده سيكون ٦٠٠ صفحة فأكثر ، فلا أقدر أن أكمله قبل ستة أشهر .

وترانى أشتغل هذه الساعات الطوال كل يوم ، وذلك أملا بالحصول على شىء أستعين به على غلاء هذه الديار . ومن الغريب أن الناس يعتقدون أنى أنا ممن يقدر على تسويد ٤٠ صفحة فى اليوم ، فكتاب ٦٠٠ صفحة لا يأخذ معى أكثر من ١٥ يوما ! لذلك لا يكون قليلا أن آخذ فى مقابلته ١٠٠ جنيه مثلا .

أحد من يراسلنى من مصر كتب لى قائلا : عساك أتممت الجزء الأول ؟ فهو يظن تأليف الكتب كإملاء المقالات بدون مراجعة تقريبا ، وأيضا فأنت سيد من كتب ، وإنك لتعلم أن المقالة ولو عمودين لا غير تأخذ لتحريرها ساعة . وإن كانت أربعة أو خمسة أعمدة تأخذ ثلاث ساعات . لا يعلمون أننا نبحث عن قضية واحدة يوما كاملا .

هذا الجزء هو فى خطط الأندلس ، لأن الجغرافية تتقدم على التاريخ ، فكم يلزم لى من مطالعة كتب عربية وأوربية لتحقيق أحوال بلدة واحدة . قد أردفت وصف كل بلدة أندلسية بسرد أسماء العلماء الذين خرجوا منها لعهد العرب ، أفتدرى كم خرج من علماء وفقهاء وحكماء وأدباء من طليطلة ؟ خرج نحو من ٢٥٠ عالماً . أتدرى كم خرج من سرقسطة ؟ خرج ١٣٤ عالماً . وهذا الذى قيدته إلى الآن ، ويجوز أن أعثر على أسماء أخرى .

وقد أثبت أسماء من خرج من علماء العرب من مجريط — مادريد — وطلمنكه ووادى الحجارة ومدينة سالم وقونكه وقلعة أيوب ودَرُوقة ووشقة ولاريده وبَلَغى وطرطوشة ومربيطر وبربشتر وجزيرة شقر وانده أى شرق الأندلس ، هذا عدا المدن الكبار : طليطلة وسرقسطة وبلنسية .

أتدرى كم خرج من العلماء والأدباء من بلنسية ؟ خرج ١٥٩ عالماً وثلاث نساء من أهل العلم . هذا إن لم يظهر غيرهم .

وكل ماجمعته إلى الآن من أسماء العلماء لا يوازى خُمْس المجموع ، لأن أمامى من الكراسى الكبار قرطبة وأشبيلية وغرناطة ومرسية وجيان ومالقة ؛ وأما مدن الدرجة الثانية والثالثة إلخ فشىء كثير ، ولكن قرطبة وحدها تكفى ، فإنى لا أحرز علماءها بأقل من ٨٠٠ شخص . وترانى الآن أسرد الأسماء سرداً ، إلا أنى بعد إكمال التاريخ — إن فسح الله فى الأجل — سأحضر جزءين لتراجم هؤلاء العلماء باختصار غير مخل .

بكل هذا يظنه الناس مما يسهل علىَّ ، فلذلك يرد لى سؤال من واحد عما إذا كنت أكملت تأليف الجزء الأول فى مدة أسبوعين ، لأنه يحسب أنى أكتب تأليفاً كهذا فى ٢٠ يوماً أو شهرين بالكثير .

أرسلت إلى عدن حتى يعيدوا إليك الكتب التى أرسلناها إلى إبراهيم لقمان ، والتى لم يبيعوا منها إلا نزراً ، فأرجو أن تفيدوا هذا الرجل اسم وكيلكم فى بور سعيد . وجدت إعادتها إلى مصر خيراً من بقائها فى عدن حيث تذهب وينهب ثمنها ، والرجل أرسل لى قائمة حساب البيع منها والباقى وهى واصلة طيه ، وأود لو أمرتم السيد عاصم أن يرسل لى الحساب الذى بينى وبينكم على « الارتسامات » ورسالة « لماذا » . وهذا ما أكتبه إليكم شكوى لأحوال زمنى ، وإن لم أشك إليك فإلى من أشكو ؟ . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

— ٤٩ —

جنيف ١٥ ذى الحجة ١٣٥٣ [١] .

سيدى الأخ الأستاذ ، أمتعنا الله بطول حياته .

أمس كتبت لك بخصوص الديوان ، ووجوب العَجَلة فى طبعه ، وإعادة المائة فرنك سويسرى التى أرسلت بها إليك من كلفة الطبع ، ظناً بأنى سأقوم أنا بهذه الكلفة ، ولكن حيث أن الأستاذ دياب [٢] تعهد بها فالمرجو بعد أخذ

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقة واحدة من الحجم المتوسط ، والوجه الثانى من الورقة فيه ثلاثة سطور فقط . والرسالة ليست بخط شكيب ، بل من إملائه ، وعليها توقيعه .

(٢) الأستاذ محمد توفيق دياب صاحب جريدة « الجهاد » ، وكان شكيب يكتب فيها .

ثمن الكتب التى أوصيتك بإرسالها إلىّ أن تعيد الباقى ، نظراً للأزمة التى نحن فيها .

ثم أرجو أن تعيد لى مكتوب محمد صادق الحبشى ، وقطعة « البيان » التى فيها مديحنا للشهبندر ، ثم إنه خطر لى بيت من قصيدة كنت نسيته ، وهذه القصيدة هى القصيدة الميمية التى قلتها قبل الذهاب إلى حرب طرابلس يوم تمثيل رواية صلاح الدين فى الأوبرا ، فقال شوقى قصيدة ، وقلت أنا قصيدة ، وقال خليل المطران قصيدة . وقد فُـقدت قصيدتى ، فأمليتها فى الديوان عن ظهر قلبى ، لكنى نسيت بيتاً يجب أن يُذْكَر بعد قولى :

وحاشا بلاداً أنتمُ عن يمينها ... يُفَتّ بأعضاد لهـا ومعاصم

تخيلتها شوقاً على بُعد دارها ... تصافحكم بالقلب لا بالبراجم (١)

فالبيت الثانى هو الذى يجب إثباته ، وهذان البيتان قبل آخر القصيدة بأبيات ، هذا ولا تنسوا وضع المقالة التى لى فى الشعر ، وأن تجعلوا محلها فى الديوان إما فى آخره أو فى أوله ، وقول المنفلوطى عنا تذييلا على هذه المقالة (٢) فأما مقدمة الديوان وهى التى يقول أبو الحسن إن الأخ خليل المطران يريد أن يكتبها فهذه بالبديهة ستكون فى صدر الديوان ، والخليل المطران جملة عنى فى مختارات « الزهور » أرسلت بها إليكم ، فلا بأس فى وضعها أيضاً فى الديوان (٣) .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

---

(١) أثبت رشيد البيت الثانى كما أشار شكيب ، انظر ديوان الأمير ، ص ١٠٩ . والبراجم : جمع برجمة ، بضم الباء وسكون الراء وضم الجيم ، وهى المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، والأصبع الوسطى من كل طائر ، وهى مفاصل الأصابع كلها ، أو ظهور القصب من الأصابع ، أو رءوس السلاميات ، إذا قبضت كفك نشزت وارتفعت .

(٢) لم تنشر المقالة فى الديوان ولا قول المنفلوطى .

(٣) لم تنشر فى الديوان هذه الجملة .

— ٥٠ —

جنيف فى ٨ صفر ١٣٥٤[١] .

سيدى الأخ الأستاذ ، لا عَدِمتُه .

كتب لى حبيب أفندى الجاماتى أنه قد اتفق معكم على قضية تصحيح كتاب « البولشفيك[٢] » وكتاب « شوق » فجئت أرجو سيدى الأخ أن يخبرنى ماذا تم من هذه الجهات الثلاث ؟ فإنى أنتظر الإنجاز . ثم ماذا تم من جهة المقدمة التى وعد بها الأخ مطران بك ؟ . ديوان المرحوم أخى فى دمشق قد قارب النجاز .

عسى أن يكون الناس اطمأنوا من جهة تزوير الكتاب الذى نشره ذلك الأحمق المنافق ، لأنه ليست الحماقة فقط هى التى حملته على نشر هذا التزوير ، بل طمعه فى مال اليهود ، فنشره وهو يضمر أنه إذا انطلى على الناس فيكون قد قضى غرضَه: أ كلَ المالَ وشفى صدرَه من رجل كان يحسده فى الباطن ، ويتوددً إليه فى الظاهر كما هو شأن الكثيرين . وإذا عرف الناس حقيقةَ التزويرة تراجعَ إلى الوراء ، وقال : إنه انطلى عليه .

وقد بدأ يتراجع مذ اليوم ويقول : لسنا أنبياء ، وقد أتونا بهذه الوثيقة فصدقناها ، وإذا ثبت أنها تزوير ننشر أيضاً ثبوت تزويرها . فتأمل فى هذا النفاق .

والحق أنهم أقدموا على تزوير نَدَرَ نظيره فى تاريخ العرب ، لا أقول إنه لم يقع أصلاً ، ولكنى أقول إنه ندر جدا ، والآن صرت أقدر أن أخبرك بأنه لولا لطف الله بى لكان قُضى علىَّ من شدة الألم .

---

(١) هذه الرسالة ليست بخط شكيب ، بل من إملائه ، وهى مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، الأولى مكتوبة من الوجهين ، والأخرى من وجه واحد .

(٢) كتاب لشكيب عن رحلته إلى روسية .

فإنى لما رأيت هذا الكتاب المزوَّر ، وكنت أعلم كثرة حسَّادي وأعدائى ، وأعلم أيضاً غباوة الناس ، وأنهم إذا رأوا خطأ يشبه خطِّى أسرعوا بالتصديق ، وأعلم أنه إذا انتشر هذا الزور شرقاً وغرباً قال أكثر الناس عنى : هذا رجل منافق ، بقى يدَّعى خدمةَ الإسلام خمسين سنة ، فإذا به خادمٌ لدولة أجنبية على أمته ؟ .

ولا يكثر على الحساد من جهة ، وعلى الأغبياء من جهة أخرى ، أن يقولوا ذلك ، فقد كوفىء مَنْ هو خير منى فى الإسلام بما هو شر من التزوير ، أو إن لم يكن شراً منه فبمثله .

نعم عند ماتأملت ذلك وتأملت فيما بلغ إليه العرب من قلة الدِّين كدت أصعق ، ويجوز أن تكون حصلت لى سكتةٌ دماغية أو قلبية ، وأن أموت فيحرم أولادى الصغار والدَّهم ، وأهم من هذا أن أموت قبل أن يتيسر لى البرهان عن براءتى ونشر البيانات اللازمة لإثبات تزوير الكتاب المنسوب إلىَّ . فكنت أموت حينئذ موتاً أدبياً وبدنياً معاً .

لكن الله المحيط بكل شىء لم يرد أن أكون مظلوماً بعد نُصْح خمسين سنة وبلايا كثيرة ، فما مضت عشية أو ضحاها حتى ابتدأ الناس يعرفون التزويرة ، وجاء تكذيبى الأول بالبرقيات فاطمأن أكثر الناس ، ولعل المقالات قد انتشرت الآن فازدادوا اطمئناناً ، فإنى كتبت أربع مقالات إلى « الجهاد » قد تبلغ سبعين صفحة ، وكتبت ٣٠ صفحة إلى « الكوكب » ، وكتبت ٣٠ صفحة إلى « الجزيرة » فى الشام ، ومثلها إلى « القبس » ، وكتبت نحواً من ٦٠ صفحة إلى « الجامعة العربية » ، هذا عدا ما كتبته من المكاتيب الخصوصية المسهبة إلى كل الأقطار ، بحيث إذا قدرت ما حبرته فى ١٥ يوماً — أى مذ رأيت الكتاب المزور — يبلغ خمسمائة إلى ستمائة صفحة بالأقل .

ولا تزال صحتى كما كانت ، ونشاطى كما كان ، لأن معرفتى براءة نفسى جعلتنى فى هذه الحملات أسداً عادياً وسيفاً ماضياً .

سألتك فى الكتاب الأخير أن تخبرنى عن أسعد داغر، هل يقول : إن هذا الكتاب مزور أم لا ؟ فقد جاءنى من فلسطين أنه كان من المجتهدين فى إثبات صحة الكتاب .

من جهة الشهبندر ربما لا يتظاهر بما يدسه ، لا سيما أمامك ، وإلا فالناس لا تصدق أن عزت العطار وأمثاله يقدمون على هذه النشريات بدون إشارة منه . وبمناسبة عزت العطار هذا أقول لك إنه قد وقع أمامى بطاقة منه يقول لى فيها بالحرف : « مولاى صاحب السمو زعيم الإسلام حفظه الله تعالى . أقبِّل الأقدام مهنئاً سموكم بحلول عيد الأضحى المبارك ، أعاده الله عليكم باليمن والسعادة والإقبال ، وأبقاكم ذخراً للعالم الإسلامى إنه سميع مجيب » . والإمضاء : « عزت العطار طالب بالجامعة الأزهرية ومؤلف كتاب الرسول العربى . مصر الأزهر رواق الشوام » . فليعلم الشهبندر أن جماعته هم من هذا النمط . . .

وقبلاً أرسلت إليك بكتاب أمين سعيد هذا الذى عمل له الشهبندر حفلةَ تكريم لأنه طوى مآثر أعدائه فى كتابه المكذوب ، المسمى « بالثورة العربية » الذى فيه أشياء لا أصل لها ، والذى سكت عن أشياء هى أحق الحقائق ، فاندعه الآن .

وقد سمعت أنه كتب فى « المقطم » مقالات طعن بى مؤيِّداً التزوير ، ولم أعلم لماذا المقطم انفرد بقبول هذه المطاعن ، مع أن خليل ثابت كان كتب لى منذ أشهر يتوددّ لى من نفسه .

كتبت إلى الدكتور نمر وسألته عن السبب فى كون المقطم أسرع الجرائد إلى الهجوم علىَّ دون غيره ، ولقد أصبتم عند ما قلتم لى إن هذه التزويرة ستكون القاضية على الأعداء والحاسدين المسرِّين منهم والمعلنين ، وأدام الله لى عطفك ، وأدام عمرك . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أخوك

شكيب أرسلان

— ٥١ —

جنيف فى ١٢ صفر ١٣٥٤ (١)

سيدى الأخ الأستاذ ، لا عدمته

تلقيت الآن كتابك الكريم وشكرتك ، لأنه مهما كان بينى وبينك من وحدة الحال فالشكر واجب للمحسن فى زمن أصبح تسعة أعشار الناس هم من قبيل :

يقولون لى : أهــلا وسهلا ومرحباً ولو ظفروا بى ساعةً قتلونى

نعم صارت لى هذه الحادثة درساً ، ولو كنت بلغت العمر الذى لا يتعلم فيه الإنسان ، فما كذب من قال : العلم هو من المهد إلى اللحد .

قضية الكتاب المزوَّر تقولون إن الناس كلهم عرفوا تزويره ، وإننى بالغت فى الدفاع عن نفسى . فهل ترى من باب حب الجدل إذا قلت لك إنه فى أول الأمر كان أكثر الناس مصدِّقين أن هذا المكتوب هو منى ؟ ! .

نعم الخطأ وقع من أخينا الجابرى ، فبدلا من أن يُبْرِق لى نهارَ صدور المكتوب المزوَّر أى ١٨ إبريل أبرق لى برقيةً مبهمة ، معناها أن أنتظر الجرائد ، أى أنتظر ستة أيام حتى تصل جرائد فلسطين إلى جنيف .

كل هذا حتى لا يدفع أجرة برقية مطولة قد تكون جنيهين مثلا . فمضت ستة أيام وأنا لا أعلم بشىء ، والناس لو كانوا من ثانى يوم قرأوا تلغرافاتى لكانوا بالأقل سكتوا وانتظروا مقالاتى ، ولكنهم لبثوا من ١٨ إلى ٢٥ لا يعلمون شيئاً من جوابى ، فرسخ فى أذهان الكثيرين أن الكتاب صحيح ، لا سيما أن الدعاية

---

(١) هذه الرسالة ليست بخط شكيب ، بل من إملائه ، وقد أصلح تركيب بعض ألفاظها ، وأضاف إليها بعض الجمل ، وهى مكتوبة فى ثلاث ورقات من الحجم الكبير ، من الجهتين ، إلا الأخيرة ففيها نصف صفحة أبيض .

اليهودية الإفرنسية — لأن اليهود والإفرنسيس شىء واحداليوم — كانت ملأت الدنيا .

فكيف أسكت أو لا أكتب إلى كل جهة ببراءة نفسى من فظاعة كهذه : أننا صرنا دعاة لإيطالية ! . لا أصير داعياً لإيطالية ، ولا موسولينى يطلب منى أن أكون داعياً لإيطالية ، ولا موسولينى هو ولد صغير حتى يرانى بهذه العين ، أو يجرؤ أن يقول لى : نرجوك أن تبث لنا الدعاية لإيطالية .

أما قولهم إن هذا الذى كتبتُه إنما هو دعاية لإيطالية فليس بصحيح . أنا لى مطالب عند موسولينى تتعلق بمسألة سورية ، وبمسألة فلسطين ، وبمسألة طرابلس ، وليست بالهيِّنة ، فأحببت أن أكتب عن الأريترية شيئاً يسر موسولينى ، حتى يجيب مطالبى ، لأنه إن علم أننا لا نريد أن نقول فيهم إلا ما كنا نقوله من قبل فلا شك أنه لن يفعل شيئاً . ولكنه قد فعل قِسْماً ، وأنا أستنجزه القسم الباقى .

أما أنهم لا يريدون أن يفهموا ذلك ، وأن كل كلمة ليست بشتم تعد دعاية ، فهذا كلام عوام ، ونحن لا يمكننا أن نكون وفداً سورياً نشتغل لإفادة سورية وفلسطين والعرب إجمالا ، ونمشى على رأى العوام .

أنا أخطأت فى كونى لم أنتبه أننى أمام شعوب جاهلة إلا ما ندر ، والنادر لا حكم له . أما القضية من حيث هى فهى صحيحة . كل سياسى يجب أن ينشد مصلحة قومه ، لأن السياسة تتغير من حين إلى حين .

أنا الآن موافق لك على جملة قلتها أنت ، وهو أن جميل مردم بك هو فى غاية الذكاء ، فقد قال فى الشام علناً : نحن فى غاية الاحتياج إلى وفد سورى يتوفق لإيجاد علاقات بينه وبين دولة كبيرة ، لعلها تفيد سورية وفلسطين، ولنفرض أن شكيب أرسلان كتب هذا المكتوب لأجل أن يقنع موسولينى بصداقته ،

فإنما عمل ذلك حتى يقابله موسوليني بتأييد القضايا العربية ، على أن المكتوب ثبت أنه مزوّر .

وقد قال كثير من الناس فى فلسطين وسورية والعراق مثل هذا القول .
ولكننى أنا أقول : لو أن هذا المكتوب كله عبارة عن بسم الله الرحمن الرحيم ، فلا أقبله لأنى ما كتبته ولأنه تزوير محض .

ولنفرض جدلاً أننى قائم بدعاية لإبطالية ، أفيحق لبعض الناس أن يزوروا مكتوباً علينا ؟ . هم يقدرون أن يظهروا بطلان قضيتنا بالبرهان والدليل ، فأما بالتزوير فهذا شيء فظيع جداً ندر وقوع مثله ، وإنك لا تعلم إلى أية درجة هذه المسألة أضرت بالعرب .

كنا نتأفف من أحوال عرب الجاوى إلى أن صرنا لا نريد أن نسمع ذكرهم من شدة ما تشاءموا وما طالت فتنتهم بين العلويين والإرشاديين ، فالآن صرنا فيما هو أشنع ، فإن أهل الجاوى ما وصلوا إلى التزوير بعضهم على بعض .

فلسطين الأمل فيها من قبل كان أصبح ضعيفاً ، فالآن لو قلت لك إن فصل هذه التزويرة قطع كل أمل من إنقاذها لم أكن مبالغاً ، لأن الناس بعد أن اطلعوا على هذه التزويرة وما صحبها من المقالات لتأييدها ، وعرفوا أن الذين قاموا بها هم من أنفس العرب ، وما فعلوها إلا لأجل اليهود وبمال اليهود ، قالوا : هذه أمة بلغ فساد الأخلاق فيها حداً لا ينفع معه شيء .

تأتينى كتب من شمالى أفريقية بهذا المعنى ، وقد رأيت فى جريدة « الحياة » الصادرة فى تطوان مقالا يقول : إنه بعد هذه التزويرة حصل خيبة أمل زائدة فى مستقبل فلسطين .

فالواجب على الذين يهمهم مستقبل العرب — وأنت فى مقدمتهم — أن يبينوا للناس فظاعة هذا العمل ، لأنه أيضاً فتح باب لا ينغلق فيما بعد ، لا سيما

فى فلسطين حيث الشعب من زمان تركية مستعد لهذه الأمور . فقول محب الدين[1] أجبته أنا عليه وقلت له : إننى أدفع بكل قوتى اتهامى بالدعاية لإيطالية ، وإنى أعترف بأنى كتبت ما كتبته ليكون موسولينى مسروراً منى ، لا لأجل أن أحظى عنده بشىء لنفسى ، ولكن لأجل أن يجيب مطالبى فى مسائل عديدة ذات أهمية فإن لم يجب مطالبى فأنا طليق اليد ، حر أن أعود معه إلى العداوة . أنا ما سمعت منطقاً حتى الآن كهذا المنطق .

الروسية البلشفيكية التى كانت فرنسة لا تجد دولة أشد منها عداوة قضت السياسة عليها بأن تحالفها الآن ، رغم كل ما هناك من اختلاف المبادىء . لماذا ؟ الجواب : لأن المصلحة جمعت بينهما ، فكل منهما ضد ألمانية أما أن الناس لايفهمون هذا ، ويظنون أننا نعمل دعاية لإيطالية ضد الحبشة . متى عملنا هذا ؟ لكنهم هكذا فهموا .

أنا لا أدان إلا بكلامى ، وكلامى صريح ، فأما التأويل فكل إنسان يقدر على التأويل بحسب هواه ، ولكنه لا يقدر أن يقلب الحقائق .

قلت للسيد محب الدين : إنك لا تجهل فظاعة هذا التزوير ، وسوء تأثيره فى العالم العربى ، فكونك تبرر قبول التزوير بدعايتى لإيطالية ليس مقبولا أصلاً . ولو فرضنا أن هذه الدعاية صحيحة . ولكنى حاضر لأثبت أن شيئاً منها لم يقع ، فلا يقدر أحد أن يفتئت[1] علىَّ ما لم أقله .

سررت بأن أسعد داغر يعترف بتزوير المكتوب ، لأننى كنت أحب أن أمتحن الناس بهذه المسألة عينها ، فأقول لهم : قضية الدعاية لإيطالية نتركها الآن ، ونريد منكم الجواب : هذا المكتوب مزور أم غير مزور ؟ فبعد أن يجيبوا

---

(١) الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة « الفتح » .

(١) افتأت فلان على فلان الباطل : اختلقه . وافتأت برأيه : استبد .

أنه مزور نعود حينئذ فنقول لهم : أى دليل على أننا عملنا دعاية لإيطالية ؟ وما هى الجملة التى تفهم منها هذه الدعاية ؟ .

نعم يفهم من كلامنا أننا لا نريد استيلاء إيطالية على الحبشة بالصراحة ، ويفهم من كلامنا أننا لا نريد فتح دولة غربية لمملكة شرقية ، ويفهم من كلامنا أننا نتمنى للحبشة صيانة الكيان والسيادة التامة ، وكل ما نتمناه للممالك الشرقية ، وليس من المضامين يستخرج هذا المعنى ، بل هو بغاية الصراحة والفصاحة .

نعم ننصح للحبشة أن يحسنوا معاملة المسلمين ، ويعاملوهم بالمساواة ، لأنهم فى أسوأ حال ، فمسلمو مصر لا يريدون هذا لئلا ينزعج الأقباط . لا يريدون أن نذكر الحبشة بقولنا : أحسنوا معاملة المسلمين ، لئلا ينزعج بذلك خاطر الملك طفرى قوة الثالوث ، وإذا انزعج خاطر الملك طفرى اغبر خاطر الأقباط ، فالمسلمون لا يهمهم من الستة ملايين مسلم الذين فى الحبشة أدنى شىء ، فليبقوا عبيداً فلا بأس ، بشرط أن القبطى يكون راضياً .

نعم أخطأت وأنا معترف بالخطأ . أخطأت فى كونى قلت كلاماً معقولا . تقول لى : إننى أصرح بما أعتقده صواباً ولو خالف ذلك الجمهور . نعم هذا أعترف به ، ولكنى ما وجدت أن الجمهور كان يصيب فى أكثر الأحيان : خالفت الجمهور قبل الحرب ، وكان كثير من العرب يغضبون علىّ ، ويجعلوننى خائناً عندما أقول لهم : نتيجة انشقاقكم عن الترك هى تمكين للانجليز وللفرنسيس من اقتسام البلاد العربية ، وتمكين اليهود من فلسطين . وماذا جرى بعد ذلك ؟ هل صحّ هذا الكلام أم لا ؟ . قولك إن كثرة الحجج مثار للتهم . جوابه : لا أقدر مع شعب كهذا أن أتكل على كثيرين مثل السيد رشيد رضا يعلم أن المكتوب مزوّر بدون أن يرى خطه بالزنكوغرافيا . فالناس يمشون على العمياء ، وقليل منهم من يفهم أن هذا المكتوب لا يمكن أن يصدر منى إذا كنت أنا لا أبادر بنفيه من كل الجهات .

ياسيدى ، أنا اتفقت فى السنة الماضية مع السيد توفيق دياب على أننى أكتب للجهاد أربعاً أو خمس مقالات فى الشهر ، ويؤدى عنها مائة فرنك سويسرى أدفعها للكاتب الذى عندى من أصل أجرته ، فالسيد توفيق دياب دفع عن شهر واحد ، وذهبت إلى جزيرة العرب ، فغبت من أول إبريل إلى أواسط أغسطس ، ثم عدت إلى مكاتبة « الجهاد » بعد رجوعى ، فأنا كتبت إلى الجاماتى [1] من أيام أقترح عليه أن يتكلم مع دياب بحل المسألة بينى وبينه على أحد وجهين : إما أن يؤدى مائة فرنك فى الشهر عن ثلاثة عشر شهراً ، وإما أن يحصى عدد المقالات التى كتبتها من أغسطس إلى الآن ، مستثنياً مقالات الدفاع عن نفسى ، ويؤدى عن كل خمس مقالات مائة فرنك سويسرى .

وأنا أعفيه مما وعد به من طبع ديوانى ، وكذلك أعفيه من طبع رسالة البلاشفة وكتاب شوقى ، والرحلة الألمانية ، فأطبع هذه الكتب كلها على نفقتى ، بالغة كلفتها ما بلغت .

إننى وجدت يا سيدى أن لا خلاص من هذه القضية ، وإذا بقيت أنتظر همتهم فى إدارة الجهاد فى طبع هذه الكتب فتمضى سنتان وثلاث وأربع ولا ننتهى . فأنا الآن منتظر جواب الجاماتى ، وقد استنجزته الجواب القطعى ، وقلت له إننى أعد وعد الأستاذ دياب فى دفع كلفة ديوانى كأنه نجز ، وأشكره كأنه دفع ، ولكن فى الحقيقة أرجو منه العدول عن تأدية كلفة ديوانى أو تأدية شىء منها .

غاية ما أرجوه أن يقوم بموجب الاتفاق الذى اتفقنا عليه فى السنة الماضية ، وأن يؤدى ما تعهد به ، ويسلّم هذه الكتب بأجمعها إلى السيد رشيد رضا . رسالة البلاشفة كلها ٧٠ أو ٨٠ صفحة ، مضى عليها عشرة أشهر ، وكل جمعة يأتى مكتوب أنها صارت منتهية ، فكيف يمكننى أن أصدق كون الكتب الأخرى ستطبع

(١) الأستاذ حبيب جاماتى .

بواسطتهم ؟ . رأيت الأولى َ أن يكون كل إنسان حرًا ، وأن أطبع كتبي كما أريد وأن آخذ أيضا الحق الذى لى بحسب ما اتفقنا . قصدت أن تكونوا واقفين على الحقيقة ، وإن أمكنكم أن تؤيدوا هذا الاقتراح . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

شكيب أرسلان

— ٥٢ —

جنيف ١٠ ربيع الثانى ٣٥٤[١]

سيدى الأخ الأستاذ ، لاعدمته

أخذت اليوم كتابك رقم ٤ ربيع الآخر ، وسررت به ، وإنى أعتذر إليك أننى حمّلتك فى ترتيب الديوان تعباً ، مع كثرة أشغالك ، وأنا منتظر الكراسة التى ذكرت أنك سترسلها ، حتى أصحح ما عساه وقع فيها من خطأ .

« رسالة البلاشفة » يمكننى أن أكتب لها مقدمة صغيرة عن أسباب نشرى إياها ، وأرسل ذلك إليك . لا ينبغى أن تتعب نفسك أكثر من اللازم فى تصحيح هذه الرسالة مع الديوان بما قد يضر بصحتك ، فإن صحتك أثمن من هذه الكتب كلهـــا .

وأما رسالة « رحلتى فى ألمانية » ، فقد كنت وضعت فى رأسها بعضَ جمل ، هى أننى كنت أكتب هذه المذكرات عن رحلتى يوماً فيوما ، وذلك عفو الساعة [٢] ، وأننى نشرتها لما فيها من تصوير لحالة أيام الحرب الكبرى ، بحيث يعرف القارىء

---

(١) هذه الرسالة مكتوبة فى ورقتين من الحجم الكبير ، كل ورقه مكتوبة من وجهيها ، وهى ليست بخط شكيب ، بل من إملائه .

(٢) أى بلا كد للذهن .

اليوم ما كان عليه مشهد أوربة فى أثناء المعمعة ، وكذلك من عوامل نشر هذه الرحلة ما يتخللها من فوائد اجتماعية وتاريخية وسياسية ، وإن شئتم فإننى أكتب أيضا مقدمة صغيرة لهذه الرسالة .

قضية ما قاله أسعد داغر أفندى لإحسان بك ذكرتها لك عرَضاً ، لأنها شهادة من أسعد أفندى على صاحبه الدوكتور(١) بأنه كان يسعى فى حَلِّ الوفد السورى ، وربما وجد هذه الفرصة موافقة لذلك ، كما أن النشاشيبى أراد أن ينتهز الفرصة نفسها ، وعلى كل حال فقد كان مرادى أن أقول لك إن الدكتور هو مصدر هذه الدسائس، سواء اعترف بذلك أمامك أم لا ، وقد علمت أنه يدس كل ما يدسه ، ثم إذا وجد يخشى أن يذكروا عنه شيئا من ذلك يجتهد فى التظاهر بعكس ما يكيده فى الخفاء .

ولا يلزم أن أكرر لك أننى لو شئت أن أشتغل فى أعماله الشخصية لكان لى مجال واسع ، ولكنى لا أجد ذلك موافقاً ، ولو كان من باب المقابلة بالمثل ، فإن الاشتغال بعورات الناس — وإن عمله هو وكان دأبه — فلا أراه لائقاً بى .

وأنا فى حياتى ما كنت إلا مدافعاً ، وإن هاجمنى مهاجم ، وأراد أن يبغى علىَّ ، أتحمله مرة ومرتين وثلاثاً ، ولكننى فى الآخر أرد مهاجماته وأنتصر لنفسى ، وقد أذكر خصمى بأشياء أفهمه بها أننى أعلم عنه أكثر مما يعلم عنى . ولكن، إن عملت هذا فلا أعمله ، إلا مكرها ، لأنى مشغول بغير عورات الناس ، وبما هو أهم وأنفع لهذه الأمة .

على أن الدكتور إذا عمل حسابه — بعد أن شغل نفسه وشغل رفاقه أبناء النشاشيبى وغيرهم من أمثالهم — لا يجد العشرة رجعت معه عشرين بل رجعت اثنين ، ولم تكن هذه الحملات علينا بالتى نقصت من مقدارنا ، بل كان العكس

---

(١) هكذا تكرر رسمها فى الرسالة .

على خط مستقيم ، ويكفيه أن جميع الصحف الوطنية فى جميع الأقطار العربية كانت إلى جانبنا ، وأن الصحف التى كابرت فى المِحَال [١] هى بعض جرائد معدودات ، منها ما هو من أذناب فرانسة ، ومنها ما هو من أذناب اليهود ، أو ممن أدى إليه اليهود سِراً بدلَ الطعن بنا .

فهذه الفئة هى التى تلاقت مع الدكتور فى نقطة واحـدة ، وأما بقية الناس فـكانوا مع شكيب أرسلان ، لا لأهميته بنفسه ، بل لأنه مظلوم ، ولأنه بيده سيف من الحقيقة يَقُدُّ كل ما يواجهه . لا بد أن يكون بلغـكم أن الـكتلة الوطنية فى سورية قد أيدت الوفد السـورى ، ونشرت الجرائد ذلك ، وجاءنى به كتاب طويل من الأتاسى .

أشكرك على إعطائك جريدة « الضياء الهندية » إلى أبى الحسن ، أو صورة ما ورد فيها عن أخيك ، هذا لأجل نشره فى « الجهاد » ، والحقيقة أن أعظم رجل خدم الإسلام بالقلم فى هذا العصر هو رشيد رضا ، وأن أعظم مجاهد جاهد بالسيف وقاوم مقاومة فائقة للمعقول برغم قلة وسائله هو عبد الـكريم [٢] .

من جهة « غالب » [٣] لايخلو من عقل وذكاء ، ولـكنه مع الأسف لا يعرف العربية ، وليس براغب فى تعلمها ، وإن رغب فى ذلك فلا نجده راضياً بأن يكب على درسها ، وأنا من هذا الأمر فى ألم شديد ، وقد أفهمته أنه إن لم يتعلم العربية ويتقنها ، وإن لم يكن عربياً تاماً فليس له من تركتى قليل ولا كثير ، وبالفعل شرعت فى وقف أملاكى بحيث له ولأمه وشقيقتيه أن يعيشوا من ريع هذه العقارات ، وأما التصرف بالبيع والشراء فلن يكون لهم .

---

(١) المحال : الـكيد ، وروم الأمر بالحيل ، والمـكر ، والعداوة .
(٢) الأمير عبد الـكريم الخطابى ، بطل الريف ، زعيم المغرب .
(٣) ابن شـكيب .

فإن بقى غالب على ماهو عليه الآن فلست براض عنه . نعم شعوره إسلامى عربى ، هذا لا أنكره ، ولكنه لا يكفى ، بل أريده يترك كل شىء ويتعلم العربية .

وقد ذهبت العائلة إلى لبنان ، وسررت بذلك حتى يعرف غالب وطنه وعائلته ، ولعله يميل إلى البقاء هناك . وقد أخذنا الرخصة للعائلة بالذهاب إلى سورية بواسطة ابن عمنا أمين مصطفى ، وعند ما كالم المفوضية الإفرنسية لم يتوقفوا عن إعطاء الرخصة ، بل قالوا له هكذا : ابن عمك عدوّنا ، ولكنه عدوّ شريف ، ونحن نعارض فى مجيئه إلى سورية ، لكن لا نعارض فى مجىء عائلته وأولاده . سررت بنجاح « شفيع » فى الامتحان ، وليس بضرورى مجيئه إلى أوربة مادامت فى مصر مدرسة للهندسة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

9 , Tv. Hentsch Genéve

— ٥٣ —

جنيف ١١ ربيع الثانى ٣٥٤[١] .

سيدى الأخ الأستاذ ، لا عَدِمتُهُ :

كنت فى هذه الصبيحة كتبت لك أننى نزولا عند إرادتك سأبعث إليك بمقدمة لرسالة البلشفيك ، والآن قد كتبت هذه المقدمة ، فيمكنك أن تطالعها وتجعلها فى صدر الرسالة .

قرأت فى كتابك الواصل لى اليوم أنك لا تريد أن أضيف إلى عنوان الكتاب لقب « أمير البيان » ، وأنت خوفاً من أن يظن القارئ كونى أنا وضعت هذه الجملة

---

(١) هذه الرسالة ليست بخط شكيب ، بل من إملائه ، وهى مكتوبة فى ورقة من الحجم الكبير ، من الوجهين .

تريد أن تجعل الطابع من قبلك لا من قبلي ، حتى يُعرف أن الذى وضع هذه الجملة (أمير البيان) هو أنت لا أنا . فأنا لا أرى ضرورة لوضع كلمة « أمير البيان » . لا سيما أنك ستكتب بعد ذلك أنه تولى تصحيحه السيد رشيد رضا . فنحن مع اعترافنا بأننا بأجمعنا عيال عليك نرى فى هذه الجملة ما يوهم القراء أننا إنما نطبع كتبنا عندك لا لتصحيح مسوداتها ، بل لتصحيحها هى من أصلها . وهذا ينقص من منزلتنا فى أعين قراء هذه الكتب كما لايخفى . ولو قلتم : « جرى طبعه تحت إشراف السيد رشيد رضا » لكان المعنى هو نفسه ، ولكن لا يتوهم القارئ أننا إنما نطابع عندكم حتى تصححوا لنا أخطاءنا اللغوية . لاندعى أننا لا نخطئ ، ولايوجد من لايخطئ ، ولكننا نجد هذه الجملة أولى من الجملة الأولى .

ولا أزال فى انتظار الكراسة الأولى من الديوان ، حتى أرى كيفية طبعها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك

شكيب أرسلان

— ٥٤ —

جنيف ٩ جمادى الأولى ٣٥٤[1] .

سيد الأخ الأستاذ ، لا عَدِمتُهُ :

تناولت رقيمك الكريم ، وحمدت الله على صحتك ، وقولك لى إنها أحسن مما كانت من قبل ، وإنك تكثر من أكل الفاكهة ، وهذا هو نعم الرأى لمن كان

---

(١) هذه الرسالة ليست بخط شكيب ، بل من إملائه ، وهى مكتوبة فى ورقتين ، من الحجم الكبير ، الأولى مكتوبة من الوجهين ، والثانى مكتوب فيها ستة أسطر .

مثلك ، وقد رووا عنك أنك تقول إن الرفيق محمود فى كل شىء إلا فى أكل البطيخ ، وسارت كلمتك هذه كالمثل ، فلا تزهد فى هذا المشرب .

علمت أن أبا الحسن استخلص رسالة البلشفيك من مطبعة سكر ، ومن إدارة الجهاد ، ولم يكن هذا العمل سهلا ، فإن من الجهاد تخليص الأوراق من إدارة « الجهاد » ، وقد بقى علينا استرجاع الدراهم التى دفعها صاحب الجهاد لمطبعة سكر ، وذلك حتى نؤديها لكم ، وتطبعوا الرسالة عندكم .

ثم بقى علينا الرحلة الألمانية التى يجب أن تستخلص من الجهاد أيضاً ، وأن تطبع عندكم على نفقة صاحب الجهاد ، لأنه نشرها فى جريدته ، وتعهد بطبعها على حدة ، ومثل ذلك كتابنا عن شوقى ، فقد كتبت إلى أبى الحسن أن يستخلص من الأخ الأستاذ دياب ما يمكن استخلاصه من أجرة هذا الكتاب الذى نُشر ثلثاه فى الجهاد ، وأن يوقف نشرَ الثلث الباقى ، وذلك حتى لا تكون أزيلت بكارةُ هذه الرسالة ، وصارت ثَيِّباً فقلَّتْ الرغبة فيها ، وبعد أن يستخلص أبو الحسن مبلغاً مناسباً لما نشر من هذه الرسالة ، يباشر أيضاً بطبعها بمطبعة « المنار » . وبالاختصار نريد أن نطبع بمطبعة المنار رسالة البلاشفة مع الرحلة الألمانية كتاباً واحداً ، ورسالتنا عن شوقى كتاباً آخر ، والديوان كتاباً ثالثاً ، وأن نأخذ من دياب ما تعهد به ، ونؤديه إليكم تحت الحساب .

الملزمة الأولى من الديوان فيها سقوط الواو من « تحدونه » ، وفيها « تغز » بدلا من « تغر » وليس شىء من ذلك بمهم ، ولكن لفظة « إسئاد[1] » أنا لم أجعلها « إيساد » حتى تصححها لى ، وتخطِّئنى ظلماً ، وتقول لماذا جعلها الأستاذ « إيساد » ، فأنا ما جعلتها « إيساد » ، بل تصحفت عليك « بإيساد » ، فأسرعتَ أنت — أطال الله عمرك — بالتخطئة . ولذلك سأكتب فى آخر الكتاب أنها

(١) الإسئاد : الإغذاذ فى السير ، أو سير الليل بلا تعريس ، أو سير الإبل الليل مع النهار .

تصحفت عليك وأنها من الأصل « إسناد » . نعم إن الكاتب قد يخطىء ، والنساخ ليسوا جميعاً معصومين عن الغلط ، ولكن الغلط الذى تقوم القرينة على كونه محض غلط يجب على المصحح العلامة تصحيحه . وقد تناولت اليوم الملزمتين الأخريين وقرأتهما ، ووجدت فيهما أيضاً خطأ ، مثل ما ورد فى صفحة ١٩ سطر ٩ وهو :

فتى خطب العلى وحباً إليها

فهى مكتوبة « العلا » وهذا خطأ ، وذلك لأننا لو كتبنا العلا بالألف — أى مقصور العلاء — فلا يجوز أن نقول بعد ذلك : « وحبا إليها » ، لأن العلاء مفرد مذكر ، فأما وقد قلنا : « وحبَا إليها » فيجب أن نكتب « العلى » بالألف المقصورة ، وهى جمع عليا ، ويعود الضمير فى « إليها » إلى « العلى » .

وقد تكررت هذه الغلطة فى صفحة ٢١ سطر ١٧ . ولعلك تقول لى : هكذا جاء فى الأصل . والجواب : نعم الناسخ أخطأ ، وأنا سهوت عن تصحيح هذا الخطأ ، ويظهر أنك أنت أيضاً سهوت عن تصحيحه .

وهناك فى صفحة عشرين فى سطر ١٧ لفظة « التمذيب » وهى « التعذيب » ، فالطابع جعل العين ميما . وفى صفحة ٢٣ سطر ٢٠ :

حتى كأنْ موهومَها محسوها

محركة بفتح ميم « موهومها » مع أنه يجب ضمها لأن « كأنْ » ساكنة هنا ، وعليه فباطلٌ عملها . وفى صفحة ٢٥ :

وعاطفة فى النفس تُدْرَى ولا تُدْرَى

رأيتها مصححة « تَدْرِى » ولا تُدْرَى » وليس هذا بخطأ ، ولكن الأول أحسن ، لأن هذه العاطفة يشعر بها الإنسان ولا يعرف كنهها ، فمن هذه الجهة قلت « تدُرى ولا تُدرى » . يعزز ذلك قوله فيما بعد :

لقد غاب عنا كنهها ومكانها ولكن على الأكوان آثارها تترى

ولفظه « عنها » أصلها « عنا » .

وفى صفحة ٣٠ سطر ٣ لفظة « ففات » وقد جاءت « ففاث » وليس له معنى .
وهناك بعض حركات صححتها ، والكراسة مرتجعة حتى تنظروا أماكن التصحيح ،
ومعه جدول إصلاح غلط ، أرجو نشره ، فى الآخر ، مع الأغلاط القليلة التى
فى الملزمة الأولى .

اجتمعت مع الأمير سعود مدة ثلاثة أو أربعة أيام أولا فى « كو » ، ثم فى
مونترو ، ثم شرف جنيف ، وصعدنا معه إلى الجبل المشرف عليها ، وفى كل مكان
كنا نذكركم ، وقد دعاه السيد الطباطبائى وقدم له سيارته ، ولازمه معنا ، وسررنا
جداً بمعرفة الأمير ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، فهو حقاً على جانب عظيم من السراوة
والتواضع وكرم الأخلاق وطيب السريرة .

ويوم سفره ذهبت إلى مونترو إلى وداعه ، فوصلت بعد سفر القطار بدقيقتين ،
فأبرقت إليه فى جنوة ، وجاءنى جوابه الآن حال تحرير هذه الصحيفة . فأما
ما ذكرتموه لى من أريحية والده فلا عجب فيه فهو الرجل الفذ .

كانوا يتذاكرون مرة أمامنا ونحن فى « الحديدة » مناقبَ الأمير فيصل ،
فقال السيد عبدالله بن الوزير : لا تعجبوا فهو ابن عبدالعزيز ، وكل مكرمة هى قليلة
فى جانب همته ، والله لو آتاه الله من المال ما أتى بنى أمية وبنى العباس لفاقهم
فى الكرم .

وإنى لا أزال أتذكر يوم كنا جالسين فى البرية بالطائف ، وكنا نحن أنا ورفاقى
الحاج أمين وعلوبة باشا والأتاسى ، وكان نحو من خمسين شخصاً من رجال الملك
وأعيان المملكة ، فقال الملك : إن السيد رشيد لا يوجد مثله اليوم فى علماء الشرع
فى كل العالم الإسلامى . وأخذ يطنب فى مزاياكم ، فقلت له : ومع ذلك فبعد هذه
الخدمة الطويلة بيته مرهون ، ويكادون يطرحونه للبيع . فعلت وجهه غبرة لا أنساها ،

لأنه سريع التأثر ، وقد سرني أنه قام — أطال الله عمره — بتفريج كربتكم ، وهو في الحقيقة الآن ملجأ العرب .

جرت لي مع فؤاد حمزة مذاكرات مهمة هي في إجمالها سارة . ولدي غالب وعائلتي كلها في صوفر ، وسيدتي الوالدة قد جبر الله خاطرها برؤية حفيدها والطفلتين الصغيرتين ، وسر بي ذلك بما لا مزيد عليه ، وأهلنا وأصحابنا وأهل بلادنا فرحوا كثيراً بمشاهدة ولدنا ، وقد وصلوا منذ عشرين يوما إلى خمسة وعشرين ، والوفود متقاطرة للسلام على غالب ، وإني مسرور بأنه يعرف وطنه وأبناء وطنه ، لأنه لما خرج من هناك كان ابن ثلاث سنوات . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم
شكيب أرسلان

Tvenue Hensch Genéve

— ٥٥ —

آخر بني سراج (١)

لم يصلني إلى هذه الساعة سوى كراس ، وهو الذي من صفحة ٧٣ إلى صفحة ١٢٠ وأظن أن الكراريس الأخرى ستأتي قريباً .

وإليكم جدولَ إصلاح الخطأ الذي بدا لي في هذا الكراس . اطلعوا عليه ومُروا بطبعه في آخر الكتاب مع بقية الجدول الذي سنعمله . على أن هذه الغلطات أكثرها ظاهر أنه من الطبع ، مثل الأفسط أي الأفطس ، وأمارة أي إمارة ، وصالحين وهي هناك الصالحين ، وأمثالها .

(١) يظهر أن هذا كان ملحقا لرسالة من الرسائل ، ولكنا لم نجدها ، فوضعنا الملحق مكانها لما فيه من حديث لغوي وأدبي ، وهو مكتوب في أربع ورقات من الحجم الصغير ، وكل ورقة مكتوبة من الوجهين ، والأوراق مطبوع عليها اسم : Genéve les Bergues

وإنما هناك واردة لفظة فى صفحة ٧٦ سطر ٢٠ وهى « بواسل » وأنا لا أخفى عنك أنكر استعمال بواسل ؛ وسبق لى أننى نبهت إلى كونها خطأ ، هى وألفاظا أخرى يستعملها الكتاب ، ونشرت ذلك فى بعض الجرائد .

فورود هذه اللفظة فى الحاشية على أنها من كلامى قد أدهشنى ، ورجحت كونكم أنتم وضعتموها هناك على ذهابكم إلى كونها ليست خطأ . فأنا الآن أعدها خطأ، وأضع مكانها لفظة « بُسَّل » إلا إذا أقنعتمونى بكونها غير خطأ ، فعند ذلك أعود عن رأيى ، وبدون ذلك لا أعود عن رأيى .

أما وجهى فى تخطئة « بواسل » فهو أن القاعدة أن لا يُجْمَع فاعل على فواعل من العاقل، وإنما فواعل هى جمع فاعلة ، فيقال : شواعر العرب ، أى النساء الشاعرات، ولا يقال شواعر بمعنى شعراء ؛ وقد قالوا فى « فوارس » و « نواكس الأبصار » إنه شاذ ، وهذا مما يؤيد القاعدة . أما غير العاقل فيجمع فيه فاعل على فواعل ، فيقال فى مانع موانع ، وحاجز حواجز ... إلخ .

هذا الذى أعلمه ، فإن كان عندكم نص مقبول على كون القاعدة ليست كذلك أو على كون بواسل هى من الشاذ ، مثل فوارس ، بشرط أن يكون لها شاهد من كلام العرب ، فتفضلوا بذلك .

وعلى كل حال أرجوكم أن تقبلوا بواسل فى جـــدول إصلاح الغلط إلى أن تكونوا كتبتم لى رأيكم فى هذه المسألة وفكرت فيه وجاوبتكم ، وإن أوردتم لى النصوصَ أو الشواهد فنى الحال أذعن .

ثم إنه فى صفحة ١٠٩ سطر ١٩ كلمة « لا ثبيه » وأنا أظنها « لأُثْبته » ، إلا إذا كان هناك وجه لا أعرفه ، أو كانت مرت عليكم فلم تنتبهوا لها ، لأن الإنسان لا يقدر أن ينتبه لكل شىء .

كذلك فى صحيفة ١٠٨ سطر ٢٠ واردة لفظة : الدُّبا مضبوطة بالضم ، وأنا على

ثقة أنها بالفتح ، ولما كنت اليوم بجنيف ، وليس عندى قاموس هنا ، وإنما عندى « أقرب الموارد » فى لوزان ، فأرجو أن تتثبَّتوا ضبطها ، فإن كانت لا ترد إلا بالفتح فالإصلاح واجب ، وإن كانت تَرِد بالوجهين فلا حاجة إلى وضعها فى الجدول .

ثم إن هناك ألفاظا أخرى أنا غير جازم بها ، فأرجو أن تعيدوا عليها النظر ، فإن استحسنتم فيها رأيى فلكم ذلك ، وإلا فتتكرموا بإفادتى رأيكم .

وهذه الألفاظ هى ماورد فى صفحة ١٠٨ سطر ٩ : فى كل شارقة إلمام بارقة . فأنا كنت أروى : فى كل شارقة إلمام بائقة . فإن كان يوجد وجه مقبول « لبارقة » فأبقوها ، وإلا فالأولى أن نضيفها إلى الجدول ، ويكون « بائقة » محل « بارقة » .

كذلك فى صحيفة ١١٧ سطر ١٧ كلمة لم أفهمها وهى « ووادِيا من غدت بالكفر عامرة » إذ لا أعلم فى الأندلس بلدة أسمها « واديا » . وإن قيل إنها « وادياً » أى واد ، وقد وردت هنا منصوبة ، فإننى لم أجد قبلها منصوبا يمكن عطفها عليه ، وفوق ذلك فإنها نكرة وبعدها « مَنْ » بدل منها وهى معرفة ، فلا يستقيم الكلام ، فأرجو منك أن تراجع النظر فى هذه اللفظة ، وتضع محلها ما لا يختل به النظم ، أو تصحيحها على وجهها الأصلى إن كان هناك ظاهرا .

ثم إن هناك جملة لا أعلم : هى من سهوى أنا عندما كتبت قديماً ، أو من أثر تقديم وتأخير منكم ، وأرجح أنها من سهوى ، ولكن لا بد من إصلاحها لأنها خطأ فى المعنى .

فى صفحة ٩٨ سطر ٢٩ يقول هكذا :

« أجاز إلى طريف وحصر شلب وطرش وغيرهما من الحصون فافتتحها ، ودانت له البلاد ، فقفل إلى المغرب ، خصوصا لما بلغه من ثورة ابن غانية الذى كان واليا على ميورقة ، فلم تكد قدمه تستقر هناك حتى بلغه من أمر الأندلس وكرة العدوّ ماأقض مضجعه فاستأنف الإجازة ... إلخ » .

فهنا تناقض ، إذ كيف يمكن أن يكون أجاز إلى طريف ، وفتح الحصون فى الأندلس ، ودانت له البلاد ، وأن يقفل إلى المغرب خصوصا لما بلغه من ثورة ابن غانية الذى كان والياً فى ميورقة ؟ .

هذا يستقيم معناه فيما لو كانت ميورقة من المغرب ، ويكون أنه بعد أن مهد الأندلس رجع إلى المغرب ، خصوصا بعد أن بلغه ثورة ابن غانية الوالى على أحد أعماله بالمغرب . ولكن ميورقة هذه جزيرة فى بحر الأندلس ، وإذا كان واليها ابن غانية ثار فيها ، فأولى بذلك الفاتح أن لا يقفل إلى المغرب . وهكذا مقتضى سياق العبارة التى هو : « فافتتحها ودانت له الحصون ، فقفل إلى المغرب » .

والذى أراه أن هذه الجملة متزحلقة عن محلها ، وأنها كانت قبل ذلك ، وأنه كان ينبغى أن يكون السياق هكذا من سطر ١٧ :

« وبعد مدة بلغه خروج العدو وإيقاعه بالمسلمين وتغلبه على شلب ، فأعمل فى النفير ، وزحف إلى قصر مصمودة (هذا فى المغرب) ، ومنها أجاز إلى طريف (طريف فى الأندلس) خصوصاً لما بلغه من ثورة ابن غانية الذى كان والياً على ميورقة ، وحصر شلب وطرش وغيرها من الحصون ، فافتتحها ودانت له البلاد ، فقفل إلى المغرب ، فلم تكد قدمه تستقر هناك حتى بلغه من أمر الأندلس وكرة العدو ما أقض مضجعه ، فاستأنف الإجازة ... إلخ » .

هكذا يستقيم المعنى بعض الشىء ، فأما أن نقول إنه افتتح الحصون ، ودانت له البلاد — أى بلاد الأندلس — وقفل إلى المغرب خصوصا عند ما بلغه ثورة ابن غانية والى ميورقة التى هى من الأندلس ، فهذا خلاف المنطق .

وليست بيدى نسخة « ابن سراج » الطبعة الأولى حتى أعيد النظر فيها ، وأرى هل هى هناك أيضاً كما هى فى الكراس الذى أرسلتم به ، فعلى كل الأحوال أرجو

مع ضيق وقتكم أن تنظروا فى أمر هذه الجملة ، وتعرفونى رأيكم ، وإن أعجبكم رأيى هذا تجعلوا فى جدول إصلاح الخطأ هكذا :

صفحة	سطر	خطأ :
٩٨	١٩	إلى طريف وحصر شلب .. إلخ
		صواب :
		إلى طريف خصوصاً لما بلغه من ثورة ابن غانية الذى كان والياً بميورقة وحصر شاب .. إلخ .
٩٨	٢٠	خطأ :
		فقفل إلى المغرب خصوصاً لما بلغه من ثورة ابن غانية الذى كان والياً بميورقة
		صواب :
		فقفل إلى المغرب فلم تكد قدمه تستقر هناك .. إلخ[1] .

انتهينا من خطب هذه الجملة الواردة فى غير موضعها ، أما الأبيات التى زدتموها على القصيدة النونية المنسوبة إلى أبى البقاء الرندى فتسمحون لى بإبداء ملاحظاتى الآتية :

أولا : الأبيات التى زيدت ليست من نسج القصيدة الأصلية ، وفيها حشو ، وفيها تكرار قوافٍ ، وفيها ركاكة .

ثانياً : تلزم مراجعة التاريخ ، حتى نعلم متى عاش الرندى المذكور ، فأنا أظن أنه لما نظم الرندى هذه المرثية لم تكن سقطت غرناطة ، وإلا لكان ذكرها وذكر المرية ومالقة وبسطة ووادى آش وغيرها . وأنا أذهب

---

(١) بالرجوع الى الطبعة الثانية لرواية آخر بنى سراج — وهى المطبوعة فى مطبعة المنار — لا نجد قائمة للخطأ والصواب .

إلى أن هذه الأبيات المتعلقة بغرناطة ومالقة وبسطة والمرية من القصيدة قد نظمها بعض الشعراء فيما بعد بزمن طويل ، وألحقوها بالقصيدة النونية ، ليتم بها رثاء الأندلس ، وأنا لا أرى على كل الأحوال ضرراً من نشرها ، لكن لو علمت أنكم ستضمون إليها هذه الأبيات لراجعت : متى عاش الرندى . وإن ثبت أنه عاش قبل سقوط غرناطة بقرون أو أقل مثلا لزم أن أقول فى الحاشية إن هذه الأبيات مضافة فيما بعد ، وبدون ذلك نكون نسبنا كلاماً إلى قائل لم يقله .

ثالثاً : تقولون إن القصيدة عزاها بعضهم إلى السيد يحيي القرطبي ، فهل تعلمون شيئاً عن حياة هذا الرجل ومتى عاش ؟ . فإنه إن كان عاش فى أيام السلطان سليمان فيكون هناك وجه للقول إنه : استنجد بها الدولة العثمانية فى أيام السلطان سليمان . وإلا فإن كان يحيي القرطبي عاش أيام سقوط غرناطة فتكون غلطة تاريخية فظيعة ، لأن بين سقوط غرناطة وأيام السلطان سليمان مدة طويلة جداً ، وذلك أن غرناطة سقطت فى أيام جده بايزيد بن محمد الفاتح ، فأرجوكم النظر فى هذه القضية .

الملحق الثانى

قصائد وأبيات لشكيب

لم تنشر فى ديوانيه . .

قصائد وأبيات لشكيب
لم تُنشر فى ديوانيه

بعد أن أصدر شكيب ديوانه سنة ١٩٣٥م لم ينقطع عن قول الشعر، وإن كان شعره قد أصبح نادراً أو قليلا، وقد تتبعتُ ما ظهر لشكيب من شعر بعد صدور هذا الديوان، مما لم يكن منشوراً فيه، ولا فى ديوانه الأول «باكورة» واستطعت أن أجمع قدراً من هذا الشعر لا بأس به، وهو يضم تعزيةَ شكيب للبارودى فى ابنته، ورثاءَ شكيب للرافعى، وقصيدةً فكاهية تتعلق بالمرض والشفاء، ونحو عشرين مقطوعة كانت متناثرة من نظم شكيب.

ولعلّ هذا القدر من الشعر يكون نواةً لاستكمال ما لم يُنشر من شعر شكيب فى ديوانيه توطئةً لنشره مجتمعاً.

وقد قمتُ بجمع هذا القدر منذ شرعت فى إعداد بحثى عن شكيب وأدبه، وتحدثت عن هذه القصائد والمقطوعات فى اثنى عشر عدداً من أعداد جريدة «منبر الشرق» خلال سنة ١٩٥٥، وفى بدء سنة ١٩٥٦ (١).

وفيما يلى هذه المجموعة، مع بعض التعليقات اللغوية التى وضعتُها عليها:

تعزية شكيب للبارودى

فى سنة ١٩٠٢ كان أمير البيان شاتياً فى (طبرية) عند عمه الأمير أمين المصطفى أرسلان الذى كان قائمقام تلك البلدة، ووصل إلى شكيب أن البارودى قد فقد

---

(١) منبر الشرق سنة ١٩٥٥، أعداد ١٣ مايو، و ٣ و ١٠ و ١٧ يونيه، و ١ و ٨ و ١٥ يوليه، و ١٢ أغسطس، و ٣٠ سبتمبر، و ٢ و ٩ ديسمبر ١٩٥٥. ثم عدد ١٣ يناير ١٩٥٦.

إحدى كرائمه ، فكتب له قصيدةً ميمية طويلة من بحر الخفيف ، جعلها تعزية له وتسلية ، ولما طبع شكيب ديوانه سنة ١٩٣٥ قال إن هذه القصيدة فقدت من بين أوراقه ، ولم يذكر منها إلا ستةَ أبيات أثبتها فى ديوانه ، كما أثبت ردَّ البارودى عليها [١] .

وقد وجدتُ هذه القصيدة منشورة فى السنة الرابعة من مجلة « الزهور » التى كان يصدرها الأستاذ أنطون الجميل ، وهى فى الجزء السابع من هذه السنة ، بتاريخ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩١٣ ، فى ص ٣٦٥ .

ومن العجيب أن الأبيات الستة التى ذكرها شكيب فى الديوان لم يَرِدْ منها إلا بيتان فى القصيدة المنشورة بالزهور ، وأما الأبيات الأربعة التى لم ترد فيها ، فهى قوله فى وصف طبرية وغورها :

فى ضِفاف الأُرْدُنِّ يجرى على الغَوْ ... ر كساقٍ يدير كأسَ المدام
وتباشير للربيع أضاءت ... فى عرار من زهره وبشام [٢]

وقوله :

وسلامى على « الخليل » و« شوقى » ... وعلى « حافظ » بديعِ النظام
الثريا التى قدمت عليها ... بضئيل السُّها وشبه القتام [٣]

وفيما يلى أثبت نص القصيدة :

أىُّ رِىٍّ بالصحف والأقلامِ ... لفؤاد إلى لقائك ظامِ
وتناجى الأرواح بُعْدًا وفى القر ... ب تلاقى الأرواح والأجسام

---

(١) ديوان الأمير ، ص ١٤ و ١٥ .

(٢) الغور : منخفض بين القدس وحوران ، مسيرة ثلاثة أيام فى عرض فرسخين (القاموس) ، والعرار والبشام نوعان من الشجر الطيب الرائحة .

(٣) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى ، ويسمى الصيدق . والقتام : الغبار .

كلما شئتُ شـد رحلى إلى مصـ ـر نبتْ بى عـوائقُ الأيام
تمتفى سـيرتى وبينى وبين النيـل لم يبق غير سهم لرام
ولقـد طالما تمثلت ذلك المـا ء يجرى ، وكنتُ فى الأوهام
كم أرانى الخيال لُقْيا ، وهـذا غير ما جاد طيفكم من لمام
وجـذبنا من الحديث غُصوناً وسهرنا إلى نُحُول الظـلام
وروينا من القريض الذى يَسـ ـكر منه العقولَ من دون جَام(١)
ونجزنا إلى القـلوب عهوداً قد تمادت كذاك شأن الذِّمَام
سـيقول الأمير : ماذا الذى عا قَ ؟ وماذا يحول دونَ المرام ؟
ما نأت دارُ من تُحِبُّ ، وعيبٌ نقصُ ذى قدرة على الإتمام
بيننا ليلتان ، لـكن مع الغيـ ـب سواء يومان أو ألف عام
وعزيزٌ اللقاء — والإلف لم تَشْـ ـحَط به الدار — زائدٌ فى الهيام(٢)
ليس ما بيننا سـوى البحر يوميـ ـن ، ولـكن سواه بحرٌ طام
دون مصر بحران منه ومن آ خر بحرُ الوشـاة والنمـام
ذاك بحر تسـير فيه سفَـينٌ من حظوظ اللئـام كالأعـلام
وكلام يدرون أنه الإفـ ـك ، لـكن يبغون صيدَ الحطام
ومقال إنا من العصبة الفتـ ـيان والطاعنين فى الأحكام
أنا أرجو فى مصر لقيـا عظام ودُّهم باتَ سـارياً فى عظامى
صـلة الآل بيننا ، وأرى الآ دابَ أقوى فينـا من الأرحام
وحنينى إلى الذى طالما اشتقـ ـت بعيداً ، فـكيف وهو أمامى ؟
الأمـيرْ « المحمود » بالإسم والفعـ ـل ، وكم خالف الفعالُ الأسامى

---

(١) الجام : إناء من فضة ، ويراد به وعاء الشراب .

(٢) تشحط : تبعد .

سيد إن تحجَّ كعبةَ عليا ۞ تجد ما نسيتَ منه الموامى(١)
باهرُ القَدْر ، إن تزِنْه مع الأقـ ـوام فى الفضل مَالَ بالأقوام
مُفْرَدٌ ، خافه الزمانُ فنالوا ۞ ، كذاك العظامُ حربُ العظام
جِدٌّ فى حصر بأسه ، وهو لو جا ل لقِيدُوا طُرًّا بغير خزام
كحسام خَبا سناه بغمد وسواه غمد بغير حسام
ولع الدهر بالغرائب ، والبخـ ـت أحلَّ الليوثَ تحت النعام
أيها السيد الهمام ، ومن يكفـ ـيه أن قيل فيه : « محمود سامى »
لك ذكر قد طار فى الشرق والغر ب ، وفضل أدناه فوقَ الهام
هل تراهم أخفوا علاك ؟ وهل تخـ ـفَى فعالُ الليوث فى الآجام
ولعمرى ذَكاك مثل ذُكاء هل تغيب الشموس طَيَّ الغمام(٢) ؟
ولأنت الذى نشرت بذا العصـ ـر قريضاً طَوَى « أبا تمَّام »
مَنْ رَوَاه ولم يَخَلْ رَبَّه قد عاصر الوحيَ والتقى بالتِّهَامِى ؟
أدب حُزْتَه ، وليس كذا القسـ ـم من الحظ سائر الأقسام
ولعمرى مع ذاك أى علاء لم تكن منه فى الذرى والسنام ؟
أخَّر الدهر منك شهماً تَسَامَى أن ينال الجوزاءَ بالإبهام
ولئن جزتَ عن وزارةِ أمرٍ لم تزل صدرَ دولةِ الأفهام
إن صلاك الزمان حرباً عواناً فقديمٌ عدوانُه للكرام(٣)
ولعمرى الذى دهاك أخيراً كان وقع السهام فوق السهام
لا تخل كنتَ فى الفجيعة فرداً كلُّ قلب لجرح قلبك دامى

---

(١) الموامى : جمع موماة ، وهى الفلاة ، أى الصحراء .
(٢) الذكاء : (بالفتح) سرعة الفطنة ، وذكاء : (بالضم) اسم للشمس .
(٣) صلاه : شواه وألقاه فى النار للاحتراق . والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة .

قد سكبنا نظيرَ شعرك دمعاً في نُواح كنَوْح وُرْقِ الحَمام(١)
إن بكينا فقد بكينا على حز نك ، والثكلُ أعظمُ الآلام
والذى راح فليهنأ على فر قةِ دارٍ وليست بدار مقام
هذه سُنَّة الليالى ، فأدعو ك إلى الصبر سنةِ الإسلام !

رثاء شكيب للرافعى

أبى وفاءُ أمير البيان وتقديره إلا أن يرثى الرافعى بقصيدة من عيون شعره ، وهذه القصيدة ليست فى ديوان الأمير شكيب المطبوع سنة ١٩٣٥ م ، لأنها نُشرت بمجلة « الشباب » بتاريخ ٩ يونيه سنة ١٩٣٧ م ، وقد سطرها الأمير شكيب فى جنيف ، بتاريخ ١٤ ربيع الأنور سنة ١٣٥٦ ھ ، وقد جعل عنوان القصيدة هكذا : « رثائى لجاحظ العصر ونادرة الدهر ، السيد مصطفى صادق الرافعى أكرم الله مثواه » ، ووضعت الصحيفة تحت العنوان هذه العبارة : « لعطوفة أمير البيان وأديب العصر الأمير شكيب أرسلان » .

قال الأمير شكيب عليه رحمة الله :

إن الذى قد حطَّ جسمكَ فى الثرى قد حطَّ فيه العبقرىَّ الأكبرا
« الجاحظ » الثانى الذى فى شخصه رُدَّ « ابن بحر » للحياة مُكَرَّرا(٢)
كان ابن بحر واحداً ، ففَضَلْتَهُ بأوائل كانوا جميعا أَبْحُرا
« الرافعيين » الأُلَى فَرَعُوا العُلَى وتدبروا فى كل فن عبقرا(٣)
لا غور أن يرقى شَنَاخِيبَ الذرى مَنْ كان من ذاك النِّجَار تحدرا(٤)

---

(١) ورق : جمع ورقاء ، وهى الحمامة .
(٢) ابن بحر : هو الجاحظ .
(٣) فرع فلان القوم : أى علاهم بالشرف ، أو بالجمال .
(٤) الشناخيب : جمع شنخوب ، وهو أعلى الجبل ، كالشنخوبة ؛ والشنخب : الطويل والنجار : الأصل .

هى عزة أبقى « أبو حفص » لها | مجداً يتيه على السِّمَاك ومفخرا (١)
جمعت إلى أنسابها أحسابَها | وغدت تجر من الأئمـة عسكرا
مَنْ مثلُ نادرةِ الزمان « المصطفى » | سلطانُ مَنْ وَشَّى الطروس وحبَّرا ؟
إلا تكن قد أنجبت إلا « أبا | سام » كفاها أن تسود وتظهرا (٢)
قد كان فى جيش البيان مكانه | ما كان يوما تُبَّعاً فى حميرا
ما إن رأى العصرُ الحديث نظيرَه | فَحْلاً يبارى الأولين ، ولن يُرَى
قل للمحاول أن يرى أندادَه :
أقصر ، فكلُّ الصيد فى جوف الفَرَى (٣)
ملأ الزمان بدائعا وروائعا | بقريحة تحكى الغمامَ الممطرا
تلك القريحة تَمْتَرِى أخلافها | أبداً ، وليس بفيضها ما يمترى (٤)
تدع الخيالَ لدى العيون مجسَّما | مهما توارى شخصُه وتنكرا
وترى المعانىَ كالشياه مُقَادَةً | بينا تكون من الجآذر أنفرا
شأو يشق على الجميع لحاقُه | من ذا يشق له لعمرى عِثْيَرَا ؟
هيهات يطمع طامع فى « المصطفى » | إن صال فى يوم العراك وهدَّرا
تتضاءل الأقرانُ دون بِرازه
مثل السباع تَكَعُّ عن أُسْد الشرى (٥)
كثر التفيهق فى الجديد ونهجه | كم مَنْ تكلم بالجديد وما دَرَى

---

(١) أبو حفص : كنية عمر بن الخطاب ، وإليه تنتسب أسرة الرافعى . والسماك : نجم .
(٢) أبو سامى : كنية الرافعى .
(٣) الفرى : الحمار الوحشى ، والمثل يضرب لمن يفضله الناس على أقرانه .
(٤) امترى الشىء : استخرجه . والأخلاف . حلمات الضروع .
(٥) تكع : تجبن وتضعف .

وعـــدا رجال يحلمون بأن يروا شمـــلَ العروبة فى البيان مبعثرا
حرجت صدورهمُ بأن يجدوا من الـ ـقرآن موردَ أمـــة والمصدرا
فتقصدوا أن يطفئوا ذاك الضِّيَا وتعمدوا أن يفصموا تلك العرَى
وتغفـــلوا قوما أبت أحـــلامهم أن تستبين الرشـــدَ أو تتدبرا
فمحا بنور الحـــق آيـــةَ ليلهم وأراهمُ عنـــه النهارَ المبصرا
ورماهمُ بـكتائب من كُتْبه فتطايروا كالحمْر لاقت قَسْوَرا
وافـــاهمُ ببـــلاغة مُضَرِيَّة ما كان معجزُها حـــديثا يفترى
فغـــدت سفاسفهم لدىَ آياتـــه نارَ الحُبَاحِب ناوحت نارالقِرَى (١)
من ذا يضارع فى البيان عصابةً قـــد أوضحوا نهج البـــلاغة نَيِّرا
هم ذلك السلف الذين لسانهـــم تنحط عنـــه جميعُ ألسنةِ الوَرَى
من ذا يطاول فى البلاغة أحمـــدا وصحابَه ، وأبا تراب حيدرا ؟ (٢)
الُمعْربـــين إذا أجالوا خاطراً عنه بأعذبَ ما يـكون وأقصرا
والمـــانعين المسكراتِ ، وقولُهم ما دارَ فى الألباب إلا أسـكرا
تلك العصابة من يَحِدْ عن سُبْلها حَقاً يقال لمثله : أطرقْ كَرَا (٣)
زعم الأُلَى نَحَوُا الجديدَ بأنه عصر تحتَّم أن يخالفَ أعصُرَا
حسبوا التدنِّىَ فى البيان تقدما رأوا الركاكةَ بالثقافة أجدرا
عمدوا إلى التغيير حتى يُحْدِثوا حدثـــاً يبلِّغهم مراداً مُضْمَرَا

---

(١) الحباحب : ذباب يطير بالليل . له شعاع كالسراج ،أو ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة .

(٢) أبو تراب : كنية الإمام على ، وحيدر لقب من ألقابه .

(٣) من أمثال العرب : أطرق كرا ، ان النعامة فى القرى . والـكرا . مرخم الـكروان ، وهو طائر لا ينام بالليل ، والمثل يضرب للذى ليس عنده غناء ويتكلم . فيقال له : اسكت وتوق انتشار ما تلفظ به ، كراهة ما يتعقبه .

واستظهروا بمقالة تلخيصها أن القديم مضى ، وولّى مدبرا
قد فاتهم أن الحلاوة سرْمد ومذاقُ طعمِ الشهدِ لن يتغيرا
كم من قديم لا يزال رواؤه متألقاً يحكى الصباحَ المسفرا
مهما تقادم جوهرٌ فى عتْقه فهو الثمين ، وليس يبرح جوهرا
من حادَ عن حب الجمال تعنتا يتبدل الأدنى ، ويبغى الأحقرا
لغة قَلَوْا أسلوبها ، وتخيروا عنها كلاماً مثلَ أحلام الكرى
يرتد واردُه وما ذاق الرِّوَى ويعود قارئه اللبيب وما قرا
أخنى « أبو السامى » على غُلَوَائهم وأذاقهم مرَّ الكفاح الممقرا (١)
وذَرَا دعاويهم كما نُثِر الهبَا وأعاد خُفْرتهم هشيماً أغبرا (٢)
زحفت بلاغتُه تجر جيوشها فانقاد طوعاً مَنْ أَبَى واستكبرا
قد يحرقون عليه من حسد، ومن بغض ، ولكن يحرقون العنبرا
ما زال فى الأدب النزيه مبرِّزا حتى إذا شهد السفاهةَ قصَّرا
أعزز « أبا السامى » علىَّ بأن أرى ذلك اليراعَ الجاحظى مكسَّرا
من أسرة القصب الضعيف ، وفعلُه فى الخطب يهزأ بالحديد مُعصْفَرا
لك فى البيان رئاسة أزلية أبدية ، ليست تباع وتُشترى
ما إن دعوتُك جاحظاً إلا وقد رُزْتُ الرجالَ مقدَّماً ومؤخَّرا (٣)
ما قلتُ فيك سوى الذى أيقنته ما كنت من كَذَلَ الرجال فأخْسَرا
أحييت آدابَ اللسان ، ولم يزل فيها مؤلَّفك السراجَ الأزهرا

---

(١) الممقر : الحامض المر .
(٢) الخفرة : اسم من المنعة والأمن .
(٣) رزت : جربت واختبرت .

ورفعت للقرآن أرفع « راية » فلذا غدوت « الرافعى » الأشهرا[1]
أنشأت أمثالَ النسيم رقائقا كانت على الحساد ريحاً صرصرا
ولَّيْتنا طولَ الحياة لآلئا واليوم نبكيك العقيقَ الأحمرا
ألبستني بثناك فضلا ضافيا فيه ابستُ الطيلسان مجرَّرا
فأنا عليك إلى نزولى فى الثرى أذكى الأنام أسًى ، وأبكى محجرا
سِرْ نحوَ ربك تاركاً فى خَلْقه ذكراً كما أججت مسكاً أذْفَرا[2]
واستودع الدارَ التى فارقتها لجوار ربك ضاحكاً مستبشرا
فلأَنت أجدرُ أن تهنَّأ بالذى من أجله نبكى عليه تحسرا
فتملَّ من رضوان ربك جَنَّةً سبغت ، ومن غفرانه لك مغْفرا
أنت الدخيل عليه فى ملكوته حاشا كريمُ ذِمامه أن يُخْفَرا
لا تبعدن وأنت وافدُ خُلْده لا تظمأن وقد وردتَ الكوثرا !

قصيدة فكاهية

أقام شكيب فترةً طويلة من حياته فى سويسرة ، يدافع عن القضايا العربية والإسلامية بما يستطيع ، وأصابه فى أثناء إقامته بسويسرة مرض اشتد عليه ، وقام بعلاجه طبيب يسمى « بيكل » ، وهو أحد الأطباء المشهورين فى جنيف حينذاك ، ونشأت صداقة بين شكيب وبين الطبيب خلال هذا العلاج ، ولما شُفى شكيب نظم قصيدةً يثنى فيها على الدكتور « بيكل » لعنايته به ونجاحه فى علاجه ، ثم ضمنها أشياءَ أخرى من باب التسلية ، وأعطى شكيب هذه القصيدة لصديقه عبد العزيز

---

(١) يشير إلى كتاب الرافعى « تحت راية القرآن » .
(٢) المسك الأذفر : الجيد إلى الغاية .

عزت (باشا) الذى كان يقيم بسويسرة ، ويتلاقى كثيراً وشكيب ، وكان شكيب يتحفه بالفكاهة والدعابة من حين لحين ، وحينما بعث شكيب بالقصيدة إلى صديقه ليطلع عليها ويترجمها ، كتب له فى صدرها هذه العبارة .

« سيدى لا عدمته . أريد أن أسليك ، وأن أفكهك من وقت إلى آخر ، فإن اللذات العقلية لها دَوْر لا ينكر ، فهذه أبيات نظمتها لتطربك ، فيها نكات ومُلَح ، وفيها مواعظ وحِكَمْ ، وفيها تحميد وتوحيد ، والله المستعان » .

وهذه القصيدة لم تُنشر بين شعر شكيب المطبوع فى ديوانيه ، ونشرت بعد ذلك فى مجلة « الرسالة » بتاريخ ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ .

وهذه هى قصيدة أمير البيان :

أقول (لبيكل) مُذْ قد غدَا ... يساوره دائى المعضلُ
قضى بك ربى شفاء لسقمى ... وربى لما شاءه يفعل
تفردتَ فى حكماء الزمان ... فأنت — بحقٍ — لهم أول
وأحسنت ترقيعَ شيخوختى ... فللّه دَرُّك (يا بيكل)
وكنتُ قليلَ الرجا فى الحياة ... فعادت حياتى كما أومل
وذقت لعمرى لذيذ الرقاد ... وهل للكرى مثَلٌ يَعْدِل ؟
وزاد اشتهائى لقَضْم الطعام ... فقد صلح النوم والمأكل
وقد كان لى نَفَس ضيِّقٌ ... إذا بات يصعد أو يسفل
فقد رجعت رئتى حرةً ... يجول بها النَّفَس الأطول
وقد كنت أمشى ببطء عظيم ... كمن قد غدا جبلا يحمل
وما كان خطوى خطواً ، ولكن ... خُطًى سحبتنى بها الأرجل
فهأنذا صرت أمشى سريعاً ... على قدر ما شئت أستعجل

وقد كنت أرجف بَرْدا ، وإن تلك النــار فى جانبى تُشْعَل
فقد صرت مستغنياً عن صَلاَها(١) وأخرج لهــلا ولا أسأل
نعم قد أتانى أخـيراً زكام وهــذا بكُلِّ الورى ينزل
وهــذا سُعَال ، ومن ذا الذى يمر الشــتاء ولا يســعل ؟
على أنه قــد مضى كلُّه وعاد إلى صــفوه المنهــل
ومهما يــك المرء مستقصياً فلا بد من أنه يغفــل
وينسى ولا سيما إن غــدت هناك الخطوبُ التى تُذهــل
فأســتغفر اللهَ ، إنى نسيت فللثُّوْم فى صحتى مدخــل
وما فى النبات لعمرى نبات أجلُّ من الثوم ، أو أمثــل
كريهُ الروائح ، لــكنما ثَنَاه هو المسك والمنــدل
وإن الشرايين عنــد الشيوخ لتَيْبَس من فرط ما تذبــل
فبالثوم يمكن تليينُهــــا ومجرى الدماء بها يسهل
فحُيِّيتَ يا ثومُ من بقــلةٍ خيوطُ الحيــاة بها توصَل
معيدُ الشــباب ، وفى أكله يطول الشــبابُ ولا يأفل
(وبيكل) للثــوم مستحسن ومن ذا الذى فضـله يجهل ؟
فحمــداً لربى على صحتى ألا إنه وحــدَه الموئل
عليــه توكلت ، وهو اللطيف الذى من يرجِّيـه لا يُخذل
ولا بد من معــادٍ ، ولــكن معادٌ إلى الحق لا يثقــل
ومن حلَّ يوماً بدار الــكريم فيا ليت شـعرى هل يُهْمَل ؟
نحب الحيــاة ، ولسنا لندرى لعلَّ الذى بعــدها أفضــل

---

(١) صلا الإنسان النار : قاسى حرها .

ولكن عمراً طويلا يلذ ويحلو لكل امرىء يعقل
وإنا برغم كروب الحياة لنرغب فى أنها تمهل
وإن حياة الرجال العظام حياة لغيرهم تشمل
وإن حياة الرجال الكرام دوامُ الدعاء لها يَجْمُل
فأبقاك ربىَ يا سيدى بثوب الهنا دائماً ترفل
وأبقى ذويك جميعاً بخير سحائبُه أبداً تهطل
عملت من الخير شيئاً كثيراً فأنعم ، فذا خير ما يُعْمَل !

***

ولما اطلع الشيخ عبد القادر المغربى على هذه القصيدة نظم لصديقه شكيب قصيدةً يشير فيها إلى مرضه واسمه (كف الأسد) ، وقد نُشرت هذه القصيدة فى مجلة « الرسالة » بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٤٦ ، وهى خمسة وعشرون بيتاً ، ومطلعها :

كفكفت كفَّك يا أسد يا أيها الخصم الألد
بالله ثم البنسلين و « قل هو الله أحد »
وآويت من ربى ورحمته إلى ركن قوى أشد . . إلخ

مقطوعات وأبيات

— ١ —

فى رواية « آخر بنى سراج » — وهى القصة التى كتبها شاتوبريان بالفرنسية وترجمها شكيب أرسلان سنة ١٨٩٧ م — نجد أمير البيان يورد خلالَ الترجمة كثيراً من الأشعار العربية ، وذلك نوع من التصرف فى الترجمة نلاحظه عليه ، إذ أنه يوجد نوعاً من التوسع فى الترجمة ، وأغلب هذه الأشعار لشعراء سابقين سالفين ، وبعضها من شعر شكيب الذى لانجده فى ديوانه ، ومن حق هذه أن تُضَم إلى ديوان شكيب .

ففى صفحة (٢٨) من رواية «آخر بنى سراج» نجد لشكيب هذين البيتين ، وهو يصف فتاة أسبانية بالجمال :

من بنات الملوك تخطر فى الرو ... ض كغصن عليه بدر تجلَّى
قلدت جيدَها اللآلى ، وما كا ... ن المحلِّى — والله — غير المحلَّى

— ٢ —

وفى صفحة (٣٨) من الرواية المذكورة نجد لشكيب هذين البيتين :

وأفرطتُ من وجدى به ، فَدَرَى بنا ... على ساعة اللقيان مَنْ لم يكن يدرى
وما الحب ما وَرَّيْت عنه تسترا [١] ... ولكنه ما ملتَ فيه إلى الجهر

---

(١) ورى عن كذا : أى أراده وأظهر غيره .

— ٣ —

وفى صفحة (٤٨) يورد لنا قصيدة يقول عنها : « أصله شعر فرنسى حوله المعرّبُ إلى شعر عربى » ، والقصيدة هى :

لله كَمْ عنـدى من الذكر لقشيب عمرى فى ذكرى وَ كِرى

لله يا أختـاه ما أحـلى أيـام أنس فرنسة تجـلى

كونى بلادى عاق الأغلى

والأمَ تجذبنا إلى الصـدر منها تقبـل أبيض الشعر

هـل تذكرين ليالى القصر ؟ يا حسنه قصرا على النهر

والبرج ذاك البالى العربى ناقوسه المسموع عن كثب

يُنْبِى بفجر غير ذى كذب

هـل تذكرين بحيرةً تجرى قد ظـلّ يمسح وجهها الخدرى

تلوى اليراع الريح إذ تمرى يحلو غروب الشمس فى البحر

من ذا يرد علىّ أترابى تلك الجبال وسرحة الغاب (١)

تذكارها شجنى وأوصابى

لا غرو فى بثى من الهجر وطنى به وطرى مدى العمر

— ٤ —

وفى صفحة (٤٩) من الرواية نفسِها يورد موشحةً يقول عنها إنه راعى فيها مطابقةَ الشعر الأصلى بقدر الإمكان ، ومعنى هذا أن الموشحة فرنسية ، وقد

---

(١) السرحة : الأشجار العظيمة .

ترجمها شكيب شعراً ، وقدمها بقوله : « فغنىَّ ابن حامد هذه الموشحة التى حفظها من أحد شعراء بنى سراج » . وهى :

إنما الطاغى (جوان) قدما طالعاً من فوق أجرى فرس
ارتقى فـوق الرياض عَلَمَا فرأى غرناطة الأندلـس

* * *

بلد قـال له إذ خطبـه للولا : يا حبذا من بلد
اجعـل المهر لديك قرطبه وأوليك فـؤادى ويـدى
وكـذا أشبيلية وشاطبـة وسـواها من حلى وعـدد
زينـة فاخـرة وأنعمـا دررا زاهيـة فى الملبس
كل ذا أبغى به مقـدما للهـوى وحليـة للعرس

* * *

جاوبت غرناطة قولا متين : أيها الأعظم ملك المغربِ
كن على عـلم بأحوالى يقين أنـنى قرينـة المغـربى
دع هداياك مـع الحَلْى الثمين الموشَّى والطراز المذهَب
إننى أغـنى وأسـنى مغـنما وطراز من نفيس أنفس
إن لى أبنـاءَ صدقٍ كَرَمَا وحـوالىَّ نطـاق الحرس

* * *

قد كذبت وحنثت فى اليمين وجعلت خيبـة فى نفس راج
وتركت اليوم ذا العـلج اللعين حاكما فى ملك أبنـاء سراج
هـكذا قدَّر ربُّ العـالمين ليس فيما قـدر الله عـلاج

لن ترى بعد القياق الرُّسما   في طريق الحرم المقدس (١)
حاملات الحج عادوا للحمى   وهو من أوبتهم في أنس

* * *

حقاً الماج قد استولى على   أرض أبناء سراج غلبا
إيه يا حمراء يا أفقَ العلى   أيها القصر المسامى الشهبا
جنة العيون والعين ولا   مثل نهر باللجين انسكبا
إن علجاً مارقاً لجَّ ، وما   زال حتى صار وسط المجلس
نال ميراثَ سراج قسما   خطَّ ذا في اللوح بارى النفس

— ٥ —

وفى صفحة (٥٠) يورد شكيب قصيدةً أخرى فرنسيةَ الأصل ، ترجمها شعراً ، وهى على لسان أسبانى يتغنى بجده الأعلى ، وهى :

تأهب السيد يبغى   في الغرب غزوَ السواحل
وقد تلألأ بدراً   في مطلع البدر كامل
أمسك عوداً يغنى   أمام شيمان زاجل
شعراً غدَا وحيُه من   سَمَا الشهامة نازل
أوحته شيمان قالت :   للغرب فاذهب وقاتل
قاتل عداتك وارجع   للنصر والغنم نائل
لو كنت آثرت حباً   على العلا والفضائل

---

(١) الرسيم : سير الإبل ، ورسمت الناقة رسيما : أثرت في الأرض ، والرسوم : الذى يبقى على السير يوما وليلة .

أسكنت تعبد حُسْنى ولست تسمع عاذل
هات الأسنةَ والبيـ ـض وزُرْق المناصل[1]
سيعلم القوم قلبى وما به من شواغل
وفى القتال إذا ما ضججت بالسيف صائل
يكون صوتى لعرضى وللعلا إذ أنازل
يا مغربياً تباهى برقةٍ فى الشمائل
ضجيج صوت النصارى على لحونك دائل
يكون يوماً لأهل أسـ ـبانية أى خابل
فالحب والمجد فيه كلاهما بات مائل
غداً بأعطاف وادى أندلس فى المحافل
ترى شيوخ النصارى يروون عنى الجلائل
جعلت روحى فداء أوردت عمرى الغوائل
لله ، والملك ، والمجـ ـد ، وتاج المقائل
فقال : ألا فى سبيـ ـل الكمال ما أنا فاعل

ويقول الأمير شكيب عن هذه القصيدة والتى قبلها : « هاتان القصيدتان هما تعريب قصيدتين فرنسيتين فى الأصل بقلم المعرِّب » .

(١) المناصل : جمع منصل (بضم فسكون فضم) وهو السيف .

— ٦ —

وفى ص (٥٥) يقول على لسان ابن حامد :

ومن يستبن أصلى ونَجْرى فدونَه   خلائق مثل الروض كُلِّلَ بالزهر [١]
نقاء كماء المُزْن فى صلب سيرتى   وعفـة نفس دونها عفـة الزهر [٢]
وإن حياتى كيف حاولت كلها   لمعـترك بين الشهـامـة والفخر
فـذا بحـر أنسابى ، فعَالى دليلُه   وليس يـكون الدُّرُّ إلا من البحر

* * *

ولـكى نعرف جوَّ هذه الأشعار يحسن أن نعرف أن رواية آخر بنى سراج تدور حول فتى من آل سراج الغرناطيين العرب الذين كانوا بالأندلس لعهد خلوها من الإسلام ، وقد زار الأندلسَ بعد مصرع أهله فيها ، وأحب فتاة من سلالة آل بيفار الذين فتكوا بآباء هـذا الشاب ، وبادلته الفتاة حبُّاً بحب ، ولـكن اختلاف الدين مع وجود هذه الثارات بينهما كان السببَ فى بقاء هذا الحب بلا ثمرة.

— ٧ —

كانت هناك مساجلات شعرية بين أمير البيان شكيب أرسلان ، والأديب الـكبير خليل مردم ، وقد ذكر شكيب جانباً من هذه المساجلات فى ديوانه [٣] ، ولـكن أمير البيان لم يستوعب فى الديوان كلَّ ما وقع بينه وبين خليل مردم من مساجلات .

---

(١) النجر : الأصل .

(٢) المزن . السحب .

(٣) الديوان ، ص ٢٢ — ٢٧ .

ومما لم يذكر فيه ما نشرته مجلة « الزهراء » الغراء فى الجزء الثانى من المجلد الثالث بتاريخ صفر سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م حيث يقول الأستاذ خليل مردم هذه الأبيات :

أنا ما حَيِيتُ فقد وقفت لأمتى　　نفسى ومالى فى سبيل بلادى
فإذا قُتلت — وتلك أقصى غاية　　لى — فالوصيةُ عندها أولادى
بِنتٌ لتضميد الجراح ، ويافعٌ　　يُعْنَى بتثقيف القَنَا المَيَّاد (١)
حتى إذا بلغ الأشدَّ رأت به　　ذُخْراً ليوم كريهة وجلاد

فساجَلَه أميرُ البيان بالأبيات التالية :

قل للخليل مفدِّياً أوطانَه　　وموصِّياً إن راح بالأولاد
هذا لتثقيف القناة ، وهذه　　وقْفٌ لأَسْوِ جِراحة وضِماد (٢)
فى مثل هذا يا ابن (مردم) يلتقى　　عِظَمُ الجدود وسؤددُ الأجداد
إن كان فى الشبان مثلك جملة　　فلنا الرجاء بأمة وبلاد
أفديك بالروح العزيزة ، إنها　　لفداء مثلك من عزيز فاد

ولا يبعد أن تكون هناك مساجلات أخرى من هذا الباب ، وقد نصل إليها مع اتصال البحث ومداومة التنقيب .

— ٨ —

وللأمير شكيب قصيدة طويلة النَّفَس فى رثاء الشيخ عبد العزيز جاويش ، وهى منشورة فى الديوان وقد صدَّرها شكيب بهذه العبارة : « مرثيتى للأخ الأبر

---

(١) القنا : جمع قناة ، وهى الرمح . والمياد : الكثير التحرك .
(٢) أسا الطبيب الجرح : داواه .

والأستاذ الأشهر الشيخ عبد العزيز جاويش أرسلتها من لوزان إلى مصر ، وتُليت في حفلة الأربعين لوفاته رحمه الله سنة ١٣٤٧ » .

وقد وجدتُ هـذه المرثية منشورةً في جريدة « الشورى » الغراء ، عدد ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٩ م كما نقلتها عن « الشورى » مجلةُ « الفتح » الغراء في العدد ١٣٧ من السنة الثالثة بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٩ م .

وقد خطر لي أن أقابل ما في الصحيفتين بما في الديوان ، فتبين لي من هذه المقابلة أن هناك أبياتاً مفقودة من الديوان ومذكورة في الصحيفتين ، فبعد قول شكيب في المرثية : « لم يعلم الآداب كيف تجسمت . . » إلخ

سقط قوله :

خلت الفضائل كلها لك شمـلة ما تمش تسحب من وراك ذيولا

وبعد قوله : « يا راحلا أبقى فراغاً هائلا . . . » سقط قوله :

سـيظل مأتمُك العظيم مخلَّدا عن هوله جيلٌ يحـدِّث جيلا

وبعد قوله : « غادرت لي قلباً عليك مقطَّعا . . . » سقط قوله :

أبدلتني بالغمض نَوْحاً دائماً تتعـلم الورقاء منـه هـديلا

وبعد قوله : « إني أحنُّ إلى اجتماع الشمل . . » سقط قوله :

خِلٌّ فقدت بفقده طِيبَ الـكرى حتى الوجود غـدا عليَّ ثقيلا

عزَّ العزاء عليَّ ، إلا إذ أرى في كل دار مأتماً وعويلا

وجاء في الديوان بيت ليس في « الشورى » وهو :

يا أيها المولى بحبـك قد مضى عبـد العَزيز متيما متبولا

وهناك تقديم وتأخير في الأبيات ، كما أن هناك تغييراً في بعض الألفاظ ، وأعتقد أن رواية الصحيفتين أصح ، لأنها أقرب من وقت النظم ، ولأن أمير البيان

كان يعتمد على ذاكرته أحياناً فى إثبات قصائده بديوانه ، وأغلب هذه القصائد قد نُشرت فى الصحف والمجلات قبل جمعها فى الديوان ، ولذلك يحسن بنا حين ننشر شعر شكيب مجتمعاً أن نرجع إلى هذه الصحف والمجلات لنستكمل منها مافات .

— ٩ —

كانت بين أمير البيان وأمير الشعراء أحمد شوقى صداقة متينة ظلت عهداً طويلا ، وفى كتاب شكيب عن شوقى وهو المسمَّى « شوقى أو صداقة أربعين سنة » يذكر شكيب أن الألفة انعقدت بينه وبين شوقى بلا كلفة فى باريس ، وأن أمير البيان هو الذى اقترح على شوقى اسمَ « الشوقيات » لديوانه ، ونفذ شوقى الاقتراح ، وقد أشار شوقى إلى صداقته مع شكيب بالأبيات التالية وهى فى (ص ١٠) من كتاب شكيب عن شوقى :

صحبتُ شكيباً برهةً لم يفز بها سواى ، على أن الصحابَ كثيرُ
حرصت عليها آنةً بعد آنة كما ضنَّ بالماس الكريم خبير
فلما تساقينا الوفاء ، وتمّ لى ودادٌ على كل الوداد أمير
تفرّق جسمى فى البلاد وجسمُه ولم يتفرَّق خاطر وضمير

كما يحدثنا شكيب فى الكتاب المذكور (١) أنه أرسل من بيروت صورةَ الفوتوغرافية إلى شوقى هدية منه ، وكتب تحتها بيتين ليسا فى ديوان شكيب المطبوع ، وهما :

لئن كنت أحمد شوقى إلىَّ فما زلت أحمد شوقى إليك
رعى لك قلبى وداداً به أضن على الكل ، إلا عليك

---

(١) كتاب شوقى ، ص ١٣ .

— ١٠ —

ثم يحدثنا شكيب عن جفوة وقعت بينهما[١] ، وبدأ بها شوقى ، وذلك فى أثناء مرور شكيب على مصر سنة ١٩١١ م فى طريقه إلى طرابلس الغرب ، للاشتراك فى حربها ضد الطليان ، ويتساءل عن سر هذه الجفوة وسببها قائلا :

« أغُصَّ شوقى بمكانى من الجناب الخديوى وكثرة ما رأى من إحتفال سيده بى ؟ أم جاء مَنْ ألقى فى أذنه أنى سأزاحمه فى محله من القُرْب للجناب العالى ؟ أم هو رجل له بدوات وغفلات ، بينما هو حَفِىٌّ بخلانه ، وَفِىٌّ مع إخوانه ، إذ هو معرض عنهم ، متهاون بحقوق المودة التى بينه وبينهم ؟ أم هو شاعر لا يتقيد بشىء ، ولا يريد أن يكون خاضعاً لتكاليف الحياة حتى مع أعز أصحابه ؟ أم هناك عذر آخر لا أعرفه ، ولا يهمنى أن أعرفه ؟ » .

ومكث شكيب فى مروره ذلك أربعين يوماً فى مصر ، ولما أبطأ عليه شوقى — وهو الصديق العزيز الحميم — تعجب شكيب وعتب ، وأخذ القلم فسطّر به أربعةَ أبيات غير موجودة فى ديوانه أيضاً ، وبعث بها إليه معاتباً ، وهى :

أحنُّ إلى « شوقى » وأهوى لقاءه وأصبو ، ولكن ما إليه وصول
ويخبرنى قلبى بأن فؤاده كما كان ، لكن يعتريه ذهول
ووالله ما يمتُّ مصر وفوقها يدانيه عندى صاحب وخليل
فشوقى إلى « شوقى » بقدر محبتى وعندى حساب للعتاب طويل

ومن العجيب أن شوقى لم يجب صديقه على هذا الشعر ، ثم جاء الشاعر الكبير خليل مطران فسعى بين الأميرين : أمير البيان وأمير الشعراء ، حتى التقيا ، وتعاتبا وتصافيا ، وزال ما بينهما .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

— ١١ —

فى سنة ١٣٤٨ هـ زار المرحوم أمير البيان أرض الحجاز المقدسة لأداء فريضة الحج ، وأصيب هناك بمرض من جراء اشتداد الحر ، وعدم تعوده إياه ، فذهب إلى الطائف مصيف الحجاز مستشفياً ، وقد كتب شكيب عن رحلته هذه كما عرفنا كتابه : « الارتسامات اللِّطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف » .

ومن الأماكن التى زارها شكيب موضع يقال له « جبل السكارى » ، وبعضهم يسميه « أم السكارى » ، وقيل إنما سُمِّىَ بذلك لاجتماع الناس فيه للنزهة والشرب فى الجاهلية ، ويقال إن أبا سفيان بن حرب اجتمع مع سُمَيَّة أم زياد فى هذا الجبل .

وهذا الجبل يوجد على طرف « الطائف » إلى جهة « المثناة » ، وهى رابية لا تعلو أكثر من ستين متراً عن سطح الأرض ، ولكنها لشدة قربها من الطائف يستطيع مرتقيها أن يُشرف على جميع الطائف ورياضها وبساتينها ، ولذلك يُهْرَع إليها الناس متنزهين .

وقد كانت لشكيب هناك جلسات يذكرها بالثناء والحمد ، وكانت هذه الزيارات بدعوة من الشيخ عبد القادر الشيبى كبير سَدَنة البيت الحرام يومئذ ، وهو رجل يُثْنى عليه شكيب كثيراً ، ويذكره مراراً فى كتابه « الارتسامات » حيث وصفه بأنه « المثل البعيد فى الكرم وحسن الوفادة » .

وقد قال بعض الأصدقاء لشكيب حينما رآه يكثر من ذكر الشيخ عبد القادر : « تالله تفتأ تذكر الشيبى » على حد قوله تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم فى القرآن الكريم : « تالله تفتأُ تذكرُ يوسف » ، فأجابهم شكيب بالأبيات المرتجلة الآتية التى لا توجد فى ديوان شكيب ، وتوجد فى « الارتسامات » مع أن

الديوان قد طُبع بعد طبع الكتاب بأربع سنوات ، لأن الديوان قد طبع عام ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م ، والارتسامات طبعت سنة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م .

ويظهر أن شكيب قد نسى أن يضمها إلى شعره فى الديوان ، وقد ذكرها مع مناسبتها فى الارتسامات[1] ، ونحن نذكرها هنا لضمها إلى المبعثر من شعر شكيب ، تمهيداً لجمعه وطبعه ، وهى :

يقولون لى : نبغى جوابَ سؤالنا ... ويسألنى عن ذاك صحبى وجلاّسى
لماذا نرى « الشيبى » عندك أولا ... وتؤثره فى كل شىء على الناس ؟
فقلت : أرى الشيبى ينــدر مثلهُ ... ببر ، وإكرام ، ولطف ، وإيناس
وفى خدمة الإسلام قد شاب مفرقى ... لذاك أرى الشيبى تاجاً على راسى !

* * *

ومن العجيب أن أمير البيان يقول بعد ذكر القصة : « وبعد أن برحت الحجاز بقيت المكاتبةُ بينى وبين الشيخ المشار إليه متصلة ، يتخللها النظم والنثر ، ومقابلة الشىء بمثله من القافية والبحر ، ولا عجب فى فصاحة بنى شيبة وهم لباب قريش وخلاصة العرب ، والمقصِّر فيهم سابق » .

فليت شعرى أين ذهبت هـذه المراسلات والمكاتبات ؟ . وهل يتطوع أحد من نسل الشيبى الكريم ليخبرنا عن مصير هـذه المراسلات التى يشير إليها الأمير ؟! .

— ١٢ —

ومن شعر شكيب الذى لم يَـرِدْ فى ديوانه بيتان قالهما فى إسعاف النشاشيبى عليه رحمة الله ، فقد ألقى الأستاذ النشاشيبى خطبة بليغة عن اللغة العربية ، وطبعها

(١) الارتسامات ، ص ١٩٩ .

فى كتاب ، ولما اطلع عليه شكيب أعجب به وقال فيه : « إنه كتاب مع وجازته قد زخر عبابه ، ومع قلة قراطيسه قد قرطس نشابه[1] . . . ولتهنأ العربية بهذا النصير قليل النظير ، والعاشق الساهر الليالى فى رعى نجوم التحقيق والتنقير » .

ثم يقول شكيب : « ومع أنى هجرت الشعر فلم أملك نفسى أن قلت :

قد قالت اللغة الفصحى بغربتها : قد أحسن الله إسعافى « بإسعاف »

هو المجيب لمن قد بات ينشده : انصر أخاك لدى ظلم وأسْ عافِى » !

وقد نُشر هذان البيتان فى مجلة « الزهراء » صفحة (٥٢٧) من المجلد الثانى ، فى عدد رمضان سنة ١٣٤٤ هـ .

وقول شكيب : « واس عافى » كلمتان ، الأولى فعل أمر من « أسا » ، واللغة تقول : أسا الجرح داواه ، وأسا بينهم أصلح بينهم . والعافى : هو الطالب للفضل أو الرزق كالمعتفى ، والمعنى : وأصلحْ أمرَ السائل بإعطائه ومعاونته .

— ١٣ —

ومن شعر شكيب بيتان كتبهما تحت صورة الشهيد عادل بك النكدى اللبنانى المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ ، وهذان البيتان لم يَرِدَا فى الديوان ، وهما منشوران فى مجلة « الزهراء » الغراء ، عدد شعبان سنة ١٣٤٥ هـ من المجلد الثالث ، صفحة (٥١٥) ، وقد جعلهما شكيب على لسان الشهيد عادل وهما :

بالله لا تندبوا قتلى ، ولا تَهِنُوا بعدى ، ولا تغرقوا فى النوح والحزن

إن الشهيد لحىٌّ عند خالقه وإنما الميت حقًا خائنُ الوطن !

---

(١) يقال : رمى فقرطس ، أى أصاب القرطاس ، والنشاب . النبل ، وواحدة نشابة .

— ١٤ —

في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٩ م مر شكيب أرسلان بمصر في عودته من أداء فريضة الحج، وقضى يومين في مدينة بور سعيد، وذهب للقائه فيمن ذهب الأستاذ محمد على الطاهر، صاحب جريدة «الشورى»، وخطر له أن يداعب الأمير فقال له: «إن عطوفة الأمير جاء ديار مصر وكأنه لم يرها، لأنه لم يسمع أم كلثوم. فقال أحد الحاضرين: ولكنه سيسمعها إن أراد، لأن أم كلثوم وصلت الآن، وستغنى الليلة».

وحجز أحد الأصدقاء للأمير وصحبه مقصورةً خاصة في مكان الغناء، وكان في مقدمتهم السيد محمد رشيد رضا، صاحب «المنار»، فقال الأستاذ الطاهر له: وهل يجوز سماع أم كلثوم؟. فقال السيد رشيد: كيف لو أنت ترانى هنا؟. فقال الأمير شكيب: هذه فتوى!!..

وغنت أم كلثوم وأبدعت، وكان شكيب قد سمع منذ ثلث قرن أمثالَ المرحومين عبد الحامولى، والشيخ يوسف المنيلاوى، والست ألمظ، فلما سمع في تلك الليلة صوتَ أم كلثوم أعجب به، وارتجل الأبيات الآتية، وهى ليست من المطبوع في ديوانه، مع أن مناسبتها سابقة لطبع الديوان بسنوات، والأبيات هى:

رؤوس تغطَّى بثلج المشيب ... ولكنما النار من تحتها

تميل مع الطرب المستمر ... لدى أم كلثوم مع «تختها»

أتيح لنا سمعُ آياتها ... فعدَّته نفسى من بختها

وقد نُشرت في «الشورى» بتاريخ ٦ جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ — ٩ أكتوبر ١٩٢٩ — العدد ٢٤٤. وانظر إلى براعة شكيب في إتيانه بالكلمات الثلاث «تحت» و «تخت» و «بخت» وهى في رسم الخط دون النقط متحدة الشكل، ولكنها مع النقط اختلفت في المعنى.

— ١٥ —

وكان المجاهد السورى المعروف إحسان الجابرى زميلا لأمير البيان فى جهاده بأوربة ، وقد قال شكيب يداعب صديقه وزميله — وهو يراه يركض وراء عمله السياسى مستخدما « المسرة » فى ذلك —

يقضى الليالىَ والأيام « تلفنةً » حتى يجلّىِّ من الأشياء خافيها
والمشكلات التى باتت تحيرنا لولا « تلافينهُ » صعبٌ تلافيها
إحسان مع « تلفون » وسط غرفته كأن فى يده الدنيا وما فيها !

وقد نُشرت الأبيات فى جريدة « الشورى » بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٣٤٧ هـ — ٥ يونيه ١٩٢٩ — العدد ٤٢٨ .

وانظر إلى شكيب وقد استعمل لفظة « التليفون » وهى كلمة أفرنجية ، واشتق منها كلمة « تلفنة » ، وكلمة « تلافينه » وهى جمع « تليفون » .

واستعمالُ مثل هذه الكلمات والاشتقاقُ منها مذهبٌ لبعض الأدباء ، ومنهم الشاعر العراقى معروف الرصافى ، إذ يرى مع آخرين أن مثل هذا التطعيم للعربية يزيدها اتساعا واقتدارا .

وقد اتبع شكيب فى الأبيات السابقة طريقة « لزوم ما لا يلزم » ، فالتزم قبل حرف القافية حروفا أخرى متماثلة ، كما فى الكلمات « خافيها » و « تلافيها » و « ما فيها » إذ تكررت حروف الفاء والياء والهاء والألف فى آخر كل منها .

وهذه الأبيات المذكورة لم تنشر ضمن شعر شكيب المطبوع .

— ١٦ —

وكذلك كتب الأمير شكيب بتاريخ أول ذى الحجة ١٣٤٨ هـ — ٣٠ إبريل ١٩٣٠ م فى العدد ٢٧٢ من « الشورى » مقالا بعنوان : « لطفاً وعطفاً » ، وفى

هـذا المقـال يتحدث عن كثرة أشغاله ، وتزاحم أعماله ، وثقل الثقلاء عليه بمطالب لا تنتهى ، مع أنه كبير السن قد بلغ الستين ؛ ويجب أن يقدِّر الناس ظروفَه ، وأن يتذكروا أن طاقته مهما اتسعت محدودة ، ثم يقول :

« وقد قال الشاعر :

وماذا تبتغى الشعراء منى   وقد جاوزت حد الأربعين

وأنا أضيف إليه :

وقد جاوزتها عشرين عاماً   وحق لى التقاعدُ من سنين »

وهذا البيت غير موجود فى ديوانى شكيب .

* * *

وفى السطر السابع من الصفحة الثامنة عشرة من ديوان شكيب ورد بيتان موجّهان من الأمير شكيب إلى الشاعر عبد الله فكرى ، ولهذين البيتين ثالث ذكره شكيب فى كتابه عن شوقى ، فى الصفحة الرابعة ، وأنا أذكر البيتين اللذين فى الديوان وبعدهما الثالث وهى :

إذا ما رمت من مهديك كفؤا   لقد أنفدت لؤلؤ كل بحر

فكيف يقوم عنـدك نزرُ شعر   يذيب الرعبُ منه كلَّ شطر

بذذتَ الناسَ فى نظم ونـثر   وفُقت الخلق من بدو وحضر

وهناك بقية لهذه الأبيات هى فى حكم المفقودة ، وقد أشار شكيب إلى ذلك فى ديوانه .

— ١٧ —

كان الأمير شكيب مشهوراً بحبه لمعارفه ، ووفائه لأصدقائه ، وتمجيده لإخوانه ، وطالما قال فيهم الشعر أحياء وأمواتا . وفيما يلى أبيات صاغها بعنوان : « بينى

وبينك صحبة » ، وقد أهداها إلى « الأخ الأفضل ، السرى الوفى الحاج شافع عبد الهادى ، أطال الله بقاءه » .

وهذه الأبيات ليست فى ديوان الأمير ، ولقد نشرتها جريدة « الشباب » بتاريخ ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٧ م ، وقد صاغها شكيب كما جاء فى ذيلها فى (صوفر) بتاريخ ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م .

قال رحمه الله :

يا شافعاً ، ومشفَّعا وسمِّى سيدنا محمد
من آل عبد الهادى ، مجد هُمُ على الأحقاب سرمد
كم همة علياء قد نهضوا بجُمْلتها ، وكم يد
قوم نماهم كلُّ أشو سَ فى الرجال ،وكل أصْيَدَ(١)
لو لم يكن فيهم سوا ك كفاهمُ شرفاً وسؤدد
أهديتنى غُرَرَ الثنا ء ، ففزتُ بالشرف المؤبد
حسبى شهادتُك التى أزهو بها فى كل مشهد
دُرَرٌ بها جيدى غَدَا متقلداً عقداً منضَّد
أحسست فيها الفرقَ ما بين المعطَّل والمقلَّد(٢)
بينى وبينك صحبة أقوى من البرج المشيَّد
هى قد أرتك محاسنى لا شك طرفُ الحب أرمد

---

(١) الأشوس : الذى ينظر بشق العين ، أو يصغر عينه ويضم الأجفان ، أو ينظر بمؤخر العين تكبرا ، وهذا فى الفارس كناية عن شجاعته وجراءته . والأصيد : الملك ، أو رافع رأسه كبرا ، أو الأسد .

(٢) المعطل : الذى ليست عليه حلية ، والمقلد . لابس الحلية .

إنى أرى باهى وجو دِكَ نعمةً ليست تُحَدَّد
أبقاك ربى مُمْتَعاً بسعادة ليست تُنَكَّد
لو كان يَخْلُدُ بالوفا • فتًى إذن كنتَ المخلَّد

— ١٨ —

بتاريخ ١٨ ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م نظم الشاعر محمد حسن النجمى (من نجع حمادى) قصيدة يحيِّى فيها أميرَ البيان ، ويرحب بعودته إلى لبنان ، ويشيد بعبقريته وآثاره ، وعنوانها : « تحية العروبة لأميرها » .

وقد نُشرت هذه القصيدة فى صحيفة « الشباب » بتاريخ ٧ يوليه سنة ١٩٣٧ م ، وفى ٤ أغسطس من السنة المذكورة نشرت « الشباب » أبياتاً للأمير شكيب يرد بها على الشاعر ، ويشكر له أريحيتَه وعاطفته ، وفيما يلى ننشر القصيدةَ والمقطوعة ، إذ أن هذه المقطوعة الأرسلانية لم تظهر فى ديوان الأمير شكيب لأنها صيغت بعد طبعه .

قال الأستاذ النجمى :

أرأيتـه فى آله وقَبِيـله كالليث عاد من الفلاة لغيله ؟
أهـلا بمقدمِ عبقرىٍّ زمانه وحياةِ أمتـه ، ومفخرِ جيله
آب الأمـير ، فمرحباً بإيابه وركابه العـالى ، ويوم وصوله
خفقت لعودتك القلوبُ ، وطالما خفقت لقربك قبلَ يوم حصوله
وهفت إليك جوانحٌ لم يتَّرِك [(١)] صبراً لها هـذا الغيابُ بطوله
عرفت بعودتك العروبةُ عيدَها بضجيج موكبه ، وقرع طبوله

(١) يترك : بفتح الياء وتشديد التاء المفتوحة وكسر الراء ، أى يتركه ويدعه ، يقال : ترك واترك .

ومشى إليك الشرقُ ينفض رُدْنَه ... من قَالِ حاسدِك الحقير وقيله[١]

انزع ثيابَ الجَهْد عنك وحيِّه ... مجداً بذلت الجُهْد فى تأثيله[٢]

وضع السلاحَ ، فقدعبرتَ لشاطىء ... يُغنيك ما شيدت من أسطوله

إن الأُلَى عاقوا البـلادَ بغدرهم ... عن مجدها المـاضى وعن تحصيله

وأتوا على الميثاق نقضاً ، وانثنوا ... يتمحـلون العـذرَ فى تعليـله

عرفوه حلماً إن همُ سـكنوا له ... ان يبلغوا يوماً مـدى تأويله

فتقهقروا يتـلاومون[٣] ، وإنه ... للفوز يدعونا إلى تسـجيله

وكذاك يمضى الحق حراً بعـد ما ... تعبت يدُ الطغيان فى تكبيله

والدَّيْن إن رضى النسيئة ربُّه ... دبَّ الضياعُ إليـه من تأجيله

بلغ الجمود من القوى مكانة ... لم يروها التـاريخ فى منقوله

أقرأت فى أخباره عمن مضى ... فى الـكون بين زنوجه ومغوله

ما تنقـل الأخبار من أسـبانيا ... عن شعبها فى حقـده وذحوله

لولا التفـاف المغرضين به لما ... ضرب الفناء كثيرُه بقليـله

حرب يكاد الموت يلقى حتفَـه ... فيها ، ويغنى السيفُ عن عزريله

يُردى الشقيقُ بها الشقيقَ ، وينتحى ... بالرمح فيها الخلُّ صدرَ خليـله

أفلا ترى لو آن للتـاريخ أن ... تتعاون الأقـلام فى تـكميـله

فتناولت قسمَ التوحش منه أن ... يستغرق التمدين كل فصوله

بلغ القوى من الضعيف بضعفه ... ما جاوز المعقول من مأموله

---

(١) الردن : أصل الـكم . والقال والقيل : اسمان للقول للمفترى .

(٢) الجهد : (بالفتح) التعب والمشقة ، والجهد : (بالضم) الطاقة . والتأثيل : التزكية والتعظيم .

(٣) يتلاومون : يلوم بعضهم بعضا .

أو ما رآه يهز سيفَ سيادة   سقط الضعيف أمامه من طوله
ويصول من سلطانه فى سابغ   غَشِىَ الضعيفَ فضلَّ تحت ذيوله
ضعفُ الضعيف أشدُّ عصفاً من قوى   أعدائه ، برجائه وميوله
فليعرف الشرقُّ أين مكانُه   من عصره فى غصبه وغلوله
ياصاح ، شطَّ بى الحديث ، وإنه   لشجون محزون الفؤاد عليله
وغفلت عن ذكر الأمير ، وإن أكن   لمَّا أزلْ من ذكره بسبيله
أو ليس فى قصص الجهاد لمثله   ذكرٌ يسيل له لعابُ عذوله
ملأ الأمير من الحياة مكانَه   فاضطر حاسدُه إلى تبجيله
أو ما ترى للعصر كيف تواردت   آراء عِلْيته على تفضيله ؟
فإذا أصاب من العروبة شكرَها   وحَبَتْهُ تاجَ الغار يوم قفوله
وتزاحمت بشفاهها لتصيب من   كفٍّ جِماعُ الخير فى تقبيله
فبما أصاب من العناء خيرها   مذ كان ، لا بقعوده وخموله

فأجابه الأمير شكيب من البحر والقافية :

أن كان يُعرف سيِّدٌ من قِيله[1]   فالسيد «النجمى» نخرُ قبيله
أثنى علىَّ بلطفه ، ولشخصه   حقُّ الثناء عريضه وطويله
جئنا نعالج واجباً من شكره   أما السِّجال فلم نكن بسبيله[2]
أتخيَّرُ الإيجازَ عند لقائه   فالقِرْن يبرز عادةً لمثيله
فأقبل ثناء مقصِّرٍ بلغ المنى   إن كان مثلك مُنْعِماً بقبوله

---

(١) من قيله . من كلامه .
(٢) السجال : التعادل بين الطرفين . يقال : الحرب بينهما سجال ، أى يغلب هذا مرة وذاك أخرى .

— ١٩ —

فى رسالة من شكيب إلى السيد رشيد رضا بتاريخ ٢٩ إبريل سنة ١٩٣١ يتحدث شكيب عن انقطاع العلاقة بينه وبين الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كان يدفع لشكيب ثلاثين جنيهاً شهرياً كمساعدة على جهاده فى سبيل القضايا العربية والإسلامية ، ثم رفضها شكيب .

ويذكر شكيب طائفة من المتاعب المؤلمة التى سببها له الخديوى ، وأنه أرسل إلى شكيب سفيراً من عنده هو « عبد الله البشرى » ليحاول إعادة العلاقة كما كانت ، فرفض شكيب رفضاً باتاً .

يقول فى الرسالة : « فذهب البِشْرى خائب الأمل من استئناف العلاقة ، وأخبرت الجابرى[1] بما جاوبت به البشرى ، وارتجلت قائلاً فى السمر — وضحكنا كثيراً — :

« أذاه أربَى على نداه .. براه أربى على قِراه
هجرتُه هجرَ من تولَّى وليس مستشرقاً وراه
فارقتـهُ ما بقيت حياً فلا يرانى ولا أراه »

— ٢٠ —

كان الأمير شكيب كما عرفنا رجل جهاد وكفاح ، قد استأثرت السياسة بأغلب جهوده ونشاطه ، واستبدت القضيتان الإسلامية والعربية بوقته وعنايته ، ولكنه مع ذلك كان يعطى الأدبَ حقه ، ويحفظ للفن نصيبه ، وكان يطرب للموسيقى ويشيد بها وبأهلها .

---

(١) هو السيد إحسان الجابرى زميل شكيب فى الكفاح .

وفى منتصف مارس سنة ١٩٣٩ كان شكيب بمصر ، وزار ذات ليلة دار جريدة « الشورى » ، وجاء الأستاذ سامى الشوا الذى يلقبونه بأمير الكمان ، وعزف قطعة مصرية سُرَّ منها شكيب ، فارتجل البيتين التاليين :

أمير « الكمنجة » قد حملت إمارة لها ، وغدا فيها لواؤك معقودا
فلو سمعتْها منك « نجدٌ » وأهلُها أجازوا الكمنجةَ ، والمزمار ، والعودا

ثم عاد سامى إلى عزف قطعة سورية ، وكان الأستاذ كامل كيلانى بين الحاضرين ، وشهدَ طربَ الأمير شكيب بالموسيقى ، فارتجل الأبيات التالية :

يا مبدعاً يشدو لمبدعْ الفن فى يمناك أجمعْ
شعر الأمير غدا لفنِّك درةَ التاج المرصَّع
ما بعد تقريظ الأمير لراغب فى الخلد مطمع

فأُعجب الأمير بالأستاذ كامل ، وقال له : « أنت أديب كامل الأدوات » .

وعاد سامى الشوا إلى عزف قطع مختلفة ، منها البلدى ، ومنها الغربى ، فزاد طرب شكيب ، وارتجل قوله :

فلست لعمرى مالكاً لرصانة وإن أبلغ السبعين أن أترنما
إذا لعبت فى كف سامى « كمنجةٌ » فما أجدر الأوتارَ أن تتكلما

وثارت حماسة الشوا للعزف ، فعاد يعزف قطعاً من مبتكراته جعلت شكيباً يطرب ويهتز فى مجلسه ، وارتجل قوله :

أمير « الكمنجة » ما رأى العصرُ مثلَه ولا عرفت أمثالَه قبلُ أعصرُ
وقالوا أمير « للكمنجا » ، وما دروا فأنت لها — والله — كسرى وقيصرُ

ولما سمع الأستاذ كيلانى هذا الشعر من الأمير ارتجل قولَه على الطريقة البلدية :

سحرك ياسامى خلاّنا حَ نْطيرْ
فنَّك أطربنَا إحْنَا والأميرْ

وقد ذكرت هذه الجلسةَ صحيفة « الشباب » الغراء ، الصادرة بتاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩٣٩ م . وهى تعطينا صورة خاطفة عن موقف الأمير شكيب من الموسيقى .

— ٢١ —

ونشرت جريدة « الشباب » فى عدد ١٥ إبريل سنة ١٩٣٩ أن شكيب قال فى الأستاذ سليمان أبو الإقبال اليعقوبى (حسان فلسطين) هذين البيتين :

باهت فلسطينُ بيعقوبيها وغدت تُبَثُّ بنظمه أحزانُها
ماذا أقول به وحسبى جملة : هذى فلسطين ، وذا حسانُها

أشـــعار مفقودة

تحدث شكيب فى كتابه عن السيد رشيد رضا (ص ٧٥ -- ٧٧) عن الشيخ يوسف النبهانى ، فذكر ماله وما عليه ، ثم قال : « وكان النبهانى كما تقدم مشهوراً بالشعر ، وكنت أستحسن كثيراً من شعره ، ولا سيما قوله من قصيدة امتدح بها السيد أبا الهدى الصيادى :

ويممتُ دارَ الملك أحسب أنهـا ... إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سُلَّمَا

فألفيتُها قد أقفرت من كِرامها ... ولم يبق فيها الفضلُ إلا توهمَّا

وألفيت مثلى أمةً عربيـة ... يرى القوم فيها أمةَ الزَّنْج أكرما

وما نقموا منا بنى العرب خلةً ... سوى أن خير الخلق لم يك أعجما

وله يتائم أقوال سائرة فى الآفاق غير هذه ، فأحببت وأنا إذ ذاك فى ريعان صباى أن أساجله فى الشعر ، لعلى أظفر منه بشىء يؤثر ، فنظمتُ له أبياتاً لم أحفظ صورتها عنـدى ، ولا بقى منها فى خاطرى إلا بيت أو بيتان ، فأجابنى عنها بهذه الأبيات :

راقنى يا شكيب منك قصيد ... باتفاق هو البليغ الفصيحُ

قيل درٌّ ، وقيل زهر ، وبعضٌ ... قال سحر ، والكل قول صحيح

نظمته أفـكارُك الغرُّ عقداً ... أى عقـد لو تَمَّ جيدٌ مليح

من نسيب كصِنْوك الماجد اسما ... وسموا فهو النسيب الصريح(١)

ومديح لو كنت أنت مراداً ... فيه عنى لقلتُ : جَلَّ المديح

---

(١) الصنو : الأخ الشقيق ، وهو يقصد الأمير نسيب شقيق شكيب .

لست أجزيك حقَّ طَوْلك فى الشـ
ـعر ، وفكرى كما علمت طليح(١)
وسأجزيك عن ودادك وداً أنا فيه على كثيرٍ شحيح ،

فأين إذن هذه الأبيات التى قالها شكيب فى مساجلة النبهانى ؟ . وليت شكيب ذكر لنا البيتين اللذين بقيا فى ذاكرته من هذه الأبيات الشكيبية فيخبرنا عنه .

* * *

وكذلك كتب شكيب فى جريدة « الشورى » بتاريخ ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٦ هـ — ١٥ ديسمبر ١٩٢٧ م كلمة بعنوان : « نعم العربى الصميم مثلى يبكى » . يتحدث فيها عن بكاء الملك فيصل ، حينما شاهد رواية سقوط غرناطة ، ودخول فرديناند وإيزابلا قصر الحمراء ، ثم يقول شكيب : « ولعمرى إن هذه الدموع هى التى تؤمننا على بقاء النخوة العربية ، وتؤذن بحسن مآل هـذه الأمة ، فما دمنا نبكى على الماضى فلا شبهة فى أننا سنضحك فى المستقبل ، ولى من قصيدة :

إذا بكت الأقوام حان ابتسامها وعند بكاء المُزْن ضحكُ الحدائق »

هذا ما قاله شكيب ، وقد راجعتُ ديوانه فلم أجد فيه هـذه القصيدة ، ولا ذاك البيت ، ومعنى هذا أن هناك قصيدة مفقودة من شعر شكيب ، وليس بين يدىَّ منها إلا هذا البيت السابق .

* * *

وبتاريخ ٢٥ ذى الحجة ١٣٤٩ هـ — ١٣ مايو ١٩٣١ م كتب الأمير شكيب فى « الشورى » مقالا بعنوان : « الشعر العربى استأنف ديباجته الأولى » ، وفيه يذكر بيتين للشاعر إبراهيم طوقان فى القطار ، ثم يقول : « وقد ذكَّرنى هذان

---

(١) الطول : (بفتح الطاء) الفضل والقدرة والسعة . والطليح : المهزول المتعب .

البيتان قصيدة نظمتها يوم بوشر العمل بسكة الحجاز منذ ثلاث وثلاثين سنة ، مطلعها :

ألا يا بَنِي الإسلام هل من مساعد   بفعلٍ سماوىٍّ المثوبة ماجد
أطل على شأو التقى بفريقه   وسنمه فى البر أرقى المصاعد

ومنها فى وصف القطر الحديدية فيما أتذكر — لأن النسخة الآن غارقة فى لجج خضر من الأوراق — :

إذا ما غدتْ تطوى الفلاةَ ظننتها   نعائمَ يستأكلن جمرَ المواقد

ومنها فيما أتذكر : « تبطنت الأحشاء من جسم عاند » إشارة إلى الأنفاق تحت الأرض . ومنها : « تدور مع الوادى انسياب الأساود » . وغير ذلك مما أذكره لفائدة تاريخية ، وإن كان ذكره فى الواقع مع أبيات إبراهيم طوقان فضيحة لى » .

فأين استقرت هذه القصيدة ؟ .

المصادر والمراجع(1)

١ـ الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث : تأليف أنيس الخورى المقدسى ، من منشورات كلية العلوم والآداب بجامعة بيروت الأميركية الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٢ م – ١٣٧٢ هـ ، جزآن .

٢ـ الآداب العربية فى القرن التاسع عشر : تأليف الأب لويس شيخو اليسوعى ، مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول سنة ١٩٠٨ م – ١٣٢٦ هـ . والثانى سنة ١٩١٠ م – ١٣٢٨ هـ .

٣ـ الأديب : مجلة أدبية تصدر فى بيروت فى مطلع كل شهر ميلادى ، صاحبها البير أديب ، (عددا كانون الثانى وشباط) ١٩٤٧ - ١٣٦٧ هـ .

٤ـ الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف : تأليف شكيب أرسلان ، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م .

٥ـ أساس البلاغة : تأليف جار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، عام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م . جزآن .

٦ـ أسرار البلاغة : تأليف عبد القاهر الجرجانى ؛ مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الرابعة ، عام ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .

٧ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : تأليف مصطفى صادق الرافعى ، ضبط

---

(1) جمعت بين المصادر والمراجع ، لأن بعض المصادر كان ضمن المراجع ، وجريت على ذكر اسم الكتاب ، فالمؤلف ، فالمطبعة ، فرقم الطبعة ، فسنة الطبع ، فالأجزاء إن وجدت . ورتبت المصادر والمراجع حسب الحروف الهجائية . وأسقطت فى الترتيب (أل) التى للتعريف . وإذا كانت سنة الطبع المذكورة سنة هجرية قابلتها بالسنة الميلادية ، وإذا كانت السنة المذكورة ميلادية ذكرت عقبها السنة الهجرية .

وتحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، الطبعة الرابعة .
عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

٨ ــ الأعلام ، تأليف خير الدين الزركلي ، مطبعة كوستاتوماس وشركاه
بالقاهرة ، عام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م . عشرة أجزاء .

٩ ــ أعمال الوفد السوري الفلسطيني : الظاهر أنه من عمل شكيب أرسلان .
المطبعة السلفية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ؛ عام ١٩٢٢ م - ١٣٤٢ .

١٠ ــ الأمير شكيب أرسلان ، حياته وآثاره : تأليف سامي الدهان ، مطبعة
دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٦٠ م - ١٣٨٠ م .

١١ ــ أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح : تأليف أحمد الشرباصي ، مطبعة
الاعتصام بالقاهرة ؛ الطبعة الأولى ، عام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .

١٢ ــ أناتول فرانس في مباذله : تأليف جان جاك بروسون ، نقله إلى العربية
وقدم له وعلق عليه شكيب أرسلان ، المطبعة العصرية بالقاهرة ،
الطبعة الأولى ، لم تذكر سنة الطبع ، ولكنها ـ كما جاء في البحث ـ
سنة ١٩٢٦ م - ١٣٤٥ هـ .

١٣ ــ الأهرام : جريدة يومية تصدر بالقاهرة ، (المراجع منها في عام ١٩٤٦ م
- ١٣٦٦ هـ) .

١٤ ــ باكورة : ديوان نظم شكيب أرسلان ، المطبعة الأدبية ببيروت ، الطبعة
الأولى ، سنة ١٨٨٧ م - ١٣٠٥ هـ .

١٥ ــ التاج الجامع للأصول : جمع الشيخ منصور على ناصف ، مطبعة عيسى
البابي الحلبي وشركاه بمصر ، سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ هـ ، الطبعة الأولى ،
أربعة أجزاء .

١٦ ــ تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : تأليف السيد محمد الشيد رضا ،
مطبعة المنار بمصر ، الجزء الأول ، سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م ، والجزء

الثانى الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ، والجزء الثالث الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .

١٧ — تاريخ ابن خلدون : تأليف عبد الرحمن بن خلدون ، تعليق شكيب أرسلان ، الجزآن الأول والثانى فى مطبعة النهضة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م . والجزء الثالث فى المطبعة الرحمانية بالقاهرة فى السنة السابقة .

١٨ — تاريخ بيروت : تأليف صالح بن يحيى ، نشر وتعليق الأب لويس شيخو اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، الطبعة الأولى . سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م .

١٩ — تاريخ غزوات العرب فى فرنسة وسويسرة وإيطالية وجزائر البحر المتوسط : تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

٢٠ — تحت راية القرآن : تأليف مصطفى صادق الرافعى ، المطبعة الرحمانية بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م .

٢١ — التذكرة التيمورية : تأليف أحمد تيمور ، نشر لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، مطابع دار الكتاب العربى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ .

٢٢ — الثقافة : مجلة أسبوعية كانت تصدر بالقاهرة ، صاحب امتيازها أحمد أمين ، ورئيس تحريرها محمد عبد الواحد خلاف ، صدر العدد الأول فى ١٢ ذى القعدة ١٣٥٧ هـ — ٣ يناير ١٩٣٩ . ووقفت بعد عدد ٥ يناير ١٩٥٣ م

٢٣ — حاضر العالم الإسلامى : تأليف لوثروب ستودارت الأمريكى نقله إلى العربية عجاج نويهض ، علق عليه شكيب أرسلان ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م . أربعة أجزاء .

٢٤ ـ الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية : تأليف شكيب أرسلان. المطبعة الرحمانية، الطبعة الأولى مابين سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٤٧ — ١٣٥٥ و ١٣٦٧ هـ . ثلاثة أجزاء .

٢٥ — دائرة معارف القرن العشرين : وضع محمد فريد وجدى، مطبعة دائرة المعارف، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م .

٢٦ — الدرة اليتيمة : تأليف عبد الله بن المقفع، نشر وتقديم وتعليق شكيب أرسلان، مطبعة الرغائب بالقاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م .

٢٧ — ديوان ابن دراج القسطلى : تحقيق الدكتور محمود على مكى، من منشورات المكتب الإسلامى بدمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

٢٨ — ديوان الأمير شكيب أرسلان : تأليف شكيب أرسلان، طبع وتصحيح السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .

٢٩ — ذكرى الأمير شكيب أرسلان : جمع وطبع محمد على الطاهر، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .

٣٠ — ذكرى موقعة حطين : تأليف محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م .

٣١ — رسائل شكيب أرسلان إلى السيد محمد رشيد رضا : مجموعة رسائل مخطوطة بين يدىّ .

٣٢ — رسائل الرافعى : جمع وترتيب محمود أبو رية، طبع دار إحياء الكتب

العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م .

٢٣ — الرسالة : مجلة أسبوعية كانت تصدر بالقاهرة ، صاحبها أحمد حسن الزيات ، صدر العدد الأول منها يوم ١٨ رمضان ١٣٥١ — ١٥ يناير ١٩٣٣ م . ووقفت في نهاية سنتها العشرين ، بعد عدد ٢٩ ديسمبر ١٩٥٢ م — ١٣٧٢ هـ .

٢٤ — رواد النهضة العربية : تأليف مارون عبود ، مطبعة دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٢ م — ١٣٧٢ هـ .

٢٥ — رواية آخر بني سراج : تأليف الكونت دي شاتو بريان الفرنسي ، ترجمة شكيب أرسلان ، مطبعة المنار بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م . ومع الرواية خلاصة تاريخ الأندلس لشكيب ، وكتاب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر ، لمؤرخ مجهول ، وآثارة تاريخية رسمية في أربعة كتب سلطانية أندلسية .

٢٦ — روض الشقيق في الجزل الرقيق : شعر نسيب أرسلان ، جمعه وقدّم له وعلق عليه وأردفه بنسب الأسرة الأرسلانية شكيب أرسلان ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٢ هـ (١) — ١٩٣٥ م .

٢٧ — الزهراء : مجلة شهرية كانت تصدر بالقاهرة ، لصاحبها محب الدين الخطيب (المراجع منها سنتا ١٩٢٥ و ١٩٢٦ — ١٣٤٥ و ١٣٤٦ هـ)

٢٨ — سركيس : مجلة شهرية كانت تصدر بالقاهرة ، لصاحبها سليم سركيس (المراجع منها سنة ١٩١٠ — ١٣٢٨ هـ) .

---

(١) هكذا في أول الديوان . وصحتها ١٣٥٤ هـ توافق السنة الميلادية ١٩٣٥ م .

٣٩ — السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة : تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م .

٤٠ — الشباب: مجلة أسبوعية كانت تصدر بالقاهرة ، أصدرها محمد على الطاهر من فبراير سنة ١٩٣٧ إلى أوائل إبريل سنة ١٩٣٩ ، بدلا من جريدة الشورى الموقوفة .

٤١ — الشورى : جريدة أسبوعية كانت تصدر بالقاهرة ، لصاحبها محمد على الطاهر ، صدر العدد الأول منها فى ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هـ — ٢٢ أكتوبر ١٩٢٤ م . ووقفت عن الصدور بعد عدد ٥ أغسطس ١٩٣١ — ١٣٥٠ هـ .

٤٢ — شوقى أو صداقة أربعين سنة : تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .

٤٣ — صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : تأليف أبو العباس القلقشندى ، المطبعة الأميرية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٣٧ هـ — ١٩١٨ م .

٤٤ — العرفان : مجلة لبنانية شهرية ، تصدر فى بلدة صيدا ، صاحبها أحمد عارف الزين ، (المراجع منها سنتا ١٩٢٩ و ١٩٤٦ م — ١٣٤٨ و ١٣٦٦ هـ) .

٤٥ — العروبة أولا : تأليف ساطع الحصرى ، مطبعة دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٥ م — ١٣٧٥ هـ .

٤٦ — عروة الاتحاد بين أهل الجهاد : مجموعة مقالات لشكيب أرسلان ، جمعت وطُبعت على نفقة جريدة (العَلَم العربى) التى صدرت فى بونس إيرس لصاحبها عبد اللطيف الخشن ، الطبعة الأولى فى رجب ١٣٦٠ — آب ١٩٤١ ، لم يُطبع غير الجزء الأول .

٤٧ — العَلَم : جريدة أسبوعية كانت تصدر بالقاهرة ، أصدرها محمد على الطاهر فى ٢٦ إبريل ١٩٣٩ ، بدلا من جريدته (الشورى) الموقوفة . (المراجَع منها ما صدر سنة ١٩٣٩ — ١٣٥٨ هـ) .

٤٨ — على هامش التاريخ المصرى القديم : تأليف عبد القادر حمزة . ضمن سلسلة (كتاب الشعب) . الكتاب الحادى عشر ، مطابع الشعب بالقاهرة ، سنة ١٩٥٧ م — ١٣٧٧ هـ .

٤٩ — الفتح : مجلة أسبوعية كانت تصدر بالقاهرة ، لصاحبها محب الدين الخطيب ، ظلت تصدر سبعة عشر عاما .

٥٠ — فقه اللغة وسر العربية : تأليف أبى منصور الثعالبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م .

٥١ — فقه اللغة ، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية : تأليف محمد المبارك ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

٥٢ — فى الأدب الجاهلى ، تأليف طه حسين ، مطبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٢٧ م — ١٣٤٦ هـ

٥٣ — فى الأدب الحديث ، تأليف عمر الدسوقى ، مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .

٥٤ — فى الشعر الجاهلى ، تأليف طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .

٥٥ — القاموس المحيط : تأليف مجد الدين الفيروزاباذى ، المطبعة العصرية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

٥٦ — الكاتب المصرى : مجلة شهرية كانت تصدر بالقاهرة ، رئيس تحريرها طه حسين ، (المراجع منها سنة ١٩٤٦ م - ١٣٦٦ هـ)

٥٧ — الكتاب : مجلة شهرية كانت تصدر بالقاهرة . رئيس تحريرها عادل الغضبان (المراجع منها عدد فبراير ١٩٤٧ وعدد يونيه ١٩٥٠ م - ١٣٧٠ هـ)

٥٨ — الكتاب الذهبى ليوبيل المقتطف الخمسينى : لمجموعة كتاب ، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٢٦ م - ١٣٤٥ هـ .

٥٩ — لبنان الشاعر : تأليف صلاح لبكى ، مطابع المرسلين اللبنانيين ببيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٤ م — ١٣٧٤ هـ . ولكن غلاف الكتاب مطبوع فى مطبعة بالقاهرة .

٦٠ — لسان العرب : تأليف أبى الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى ، طبعة دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت ، سنة ١٩٥٥ م — ١٣٧٤ هـ . خمسة عشر مجلدا .

٦١ — لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم ؟ : تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م .

٦٢ — مجلة المجمع العلمى العربى : مجلة شهرية يصدرها المجمع العلمى العربى بدمشق .

٦٣ — مجمع الأمثال : لأبى الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى الميدانى ، مطبعة السنة المحمدية ، سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م . جزآن .

٦٤ — محاسن المساعى فى مناقب الإمام الأوزاعى : تأليف ابن زيد الموصلى الحنبلى ، قدم له وعلق عليه ونشره شكيب أرسلان ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

٦٥ — المحاضرة الافتتاحية : ألقاها ابن خلدون ساطع الحصرى فى افتتاح معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة مساء ٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥٣م طبع دار مصر للطباعة بالقاهرة ، سنة ١٩٥٤ م — ١٣٧٤ هـ .

٦٦ — محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان : تأليف سامى الدهان ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٨ م — ١٣٧٨ هـ .

٦٧ — محاضرات عن حافظ إبراهيم : تأليف أحمد الطاهر ، مطبعة دار مصر للطباعة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٣ م — ١٣٧٣ هـ .

٦٨ — محاضرات عن سورية من الاحتلال حتى الجلاء : تأليف نجيب أرمنازى ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٤ م — ١٣٧٤ هـ .

٦٩ — محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة فى بلاد الشام ، من أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين : تأليف أحمد الطرابلسى ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٧ م — ١٣٧٧ هـ .

٧٠ — محاضرات فى الأدب ومذاهبه : تأليف محمد مندور (اسم المطبعة غير مذكور) ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٥ م — ١٣٧٥ هـ .

٧١ — محاضرات فى نشوء الفكرة القومية : تأليف ساطع الحصرى ، مطبعة الرسالة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥١ م — ١٣٧١ هـ .

٧٢ — المختار من رسائل أبى إسحاق الصابى : تأليف أبى إسحاق الصابى ، تحقيق وتعليق شكيب أرسلان، المطبعة العثمانية فى بعبدا بلبنان ،الطبعة الأولى، سنة ١٨٩٨ م — ١٣١٦ هـ (لم يطبع غير الجزء الأول) .

٧٣ — مختارات المنفلوطى : انتقاها وجمعها مصطفى لطفى المنفلوطى ، مطبعة كرم بدمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩١٢ م — ١٣٣١هـ . (من مكتبة الدكتور إسحق موسى الحسينى) .

٧٤ — المشرق : مجلة كاثوليكية تصدر مرتين فى الشهر بإدارة آباء كلية القديس يوسف ، صاحب امتيازها لويس شيخو اليسوعى ، بدأت الصدور سنة ١٨٩٨ م — ١٣١٦ هـ .

٧٥ — مصادر الدراسة الأدبية : تأليف يوسف أسعد داغر ، مطابع لبنان ، الطبعة الأولى ، الجزء الثانى ، سنة ١٩٥٦ م — ١٣٧٦ هـ .

٧٦ — مطالعات فى اللغة والأدب : تأليف خليل سكاكينى ، مطبعة القدس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٢٥ م — ١٣٤٤ هـ (من مكتبة الدكتور إسحق موسى الحسينى) .

٧٧ — معجم مقاييس اللغة : تأليف أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٦ م ، ستة أجزاء .

٧٨ — المفردات فى غريب القرآن : تأليف أبو القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل الراغب الأصفهانى ، المطبعة الميمنية بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م .

٧٩ — المقتبس : مجلة شهرية كانت تصدر فى دمشق ، اصاحبها محمد كرد على . بدأ صدورها سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م .

٨٠ — المقتطف ، مجلة شهرية كانت تصدر بالقاهرة ، لصاحبها يعقوب صروف ، بدأت فى الصدور سنة ١٨٧٦ م — ١٢٩٣ هـ ، توقفت عن الصدور فى نهاية سنة ١٩٥٢ م — ١٣٧٢ هـ .

٨١ — المنار : مجلة شهرية كانت تصدر بالقاهرة ، لصاحبها السيد محمد رشيد رضا ، بدأت الصدور سنة ١٣١٥ هـ — ١٨٩٧ م . وتوقفت سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .

٨٢ — مناهل الأدب العربى — رقم ٢٨ — الأمير شكيب أرسلان : مقطوفات من كتابة شكيب أرسلان ، نشر مكتبة صادر ببيروت ، مطبعة المناهل ببيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٠ م - ١٣٧٠ هـ .

٨٣ — منبر الشرق : جريدة أسبوعية كانت تصدر فى القاهرة ، لصاحبها على الغاياتى .

٨٤ — النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ، تأليف زكى مبارك ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، جزآن .

٨٥ — النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى : تأليف محمد أحمد الغمراوى ،

وباوله مقدمة طويلة لشكيب أرسلان فى ٥٦ صفحة ، المطبعة السلفية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م .

٨٦ — النهاية فى غريب الحديث والأثر : تأليف مجد الدين أبى السعادات المبارك محمد بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير ، المطبعة العثمانية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م .

٨٧ — النهضة العربية فى العصر الحاضر : محاضرة ألقاها شكيب أرسلان فى دار المجمع العلمى العربى بدمشق فى أكتوبر سنة ١٩٣٧ ، وطبعتها مطبعة دار النشر بمصر ، وقد عنيت بطبعها ونشرها إدارة جريدة الجزيرة بدمشق ، وليس على الكتاب سنة الطبع ، ولكن يظهر أنها سنة ١٩٣٧ م - ١٣٥٦ هـ .

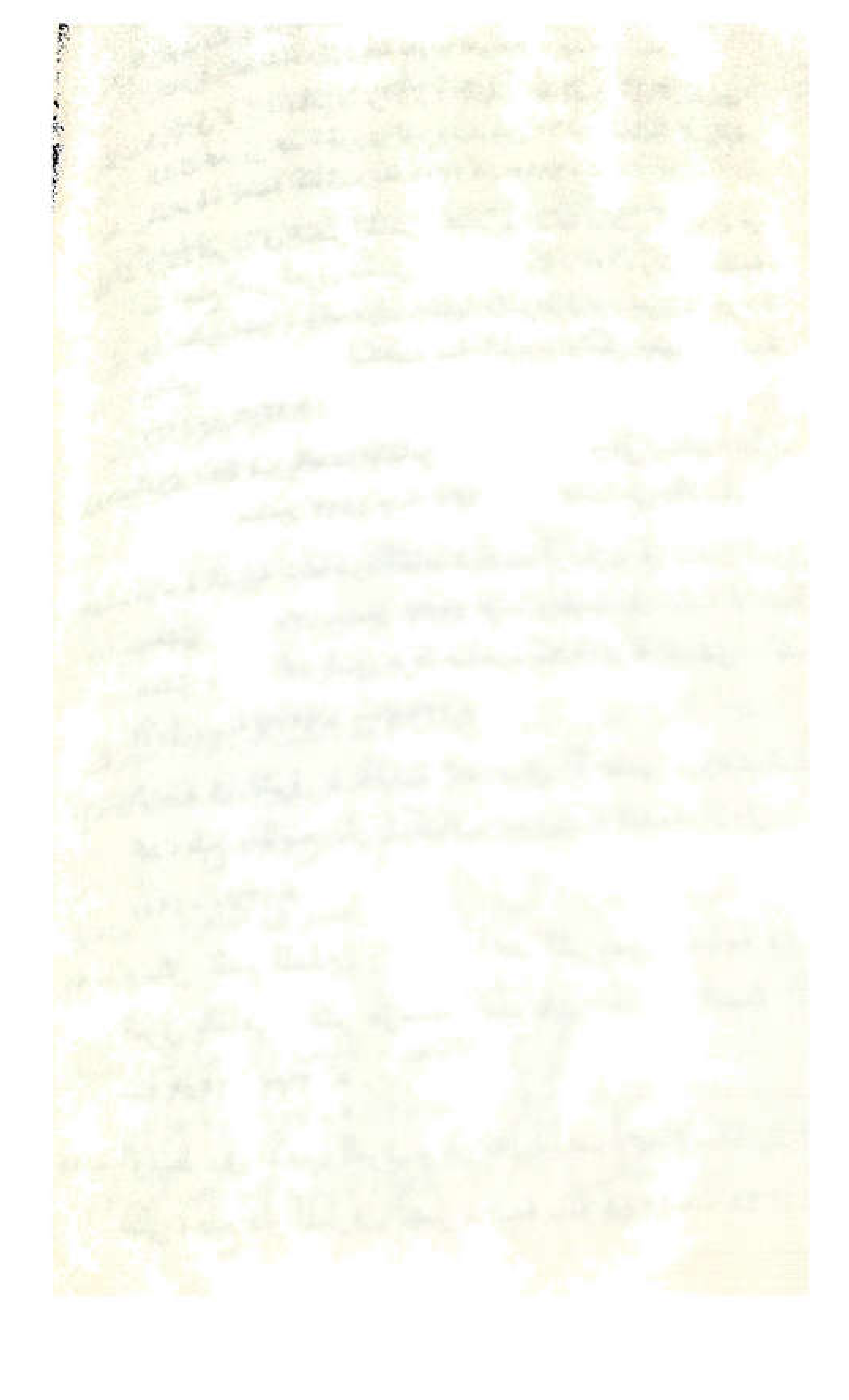
٨٨ — الهلال : مجلة شهرية تصدر بالقاهرة ، لمؤسسها جورجى زيدان ، بدأت الصدور فى سبتمبر ١٨٩٢ م - ١٣١٠ هـ (روجعت حتى وفاة شكيب) .

٨٩ — الوحدة العربية : محاضرة ألقاها شكيب أرسلان فى النادى العربى بدمشق ، فى ٢٠ سبتمبر ١٩٣٧ م ، وطبعت فى مطبعة الاعتدال بدمشق ، نشر محمد ياسين عرفة صاحب مكتبة عرفة بدمشق ، الطبعة الأولى . سنة ١٩٣٧ م — ١٣٥٦ هـ .

٩٠ — الوحدة فى الشرق : تأليف محمد حسن الأعظمى ، وعبد الكريم محمد ، طبع مطابع دار الكشاف ببيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٠ - ١٣٧٠ هـ .

٩١ — وسائل تقدم المسلمين : تأليف أحمد الشرباصى ، مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة ، نشر مؤسسة المطبوعات الحديثة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٩ - ١٣٧٩ هـ .

٩٢ — الوسيط . فى الأدب العربى وتاريخه : تأليف أحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى ، طبع دار المعارف بمصر ، طبعة سنة ١٩٤٨ م - ١٣٦٨ هـ .



فهرس الأعلام[1]

حرف الألف

---

(١) جريت فى هذا الفهرس على حذف الألقاب من أوائل الأسماء مثل (السيد، الشيخ، الدكتور) وقد أذكر اللقب بعد ذلك إذا احتاج تعيين الاسم إليه، وكذلك حذفت « ال » التى هى للتعريف، وألف « ابن » فى الترتيب.

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

ص

حرف الفاء

ص

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

٢

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

ص

حرف الياء

صواب الخطأ

ندت عن النظر عند المراجعة هفوات مطبعية لا يصعب على القارئ ملاحظتها عند التأمل ، ومن هذه الأخطاء ما يلي :

ص	س	خطأ	صواب
٣٣	١	فى هذا	وقد نظم شكيب فى هذا
٥٦٢	٩	الحلل السندسية	(١٩) الحلل السندسية
٧٠٣	٩	— ١٤ —	— ١٥ —
٧١٥	١	عبد المجيد	عبد الحميد
٧٦٤	١٤	بردى وكوثرها	بردى كوثرها

فهرس موضوعات الجزء الثانى

---

(١) سأشير الى أهم ما فى كل رسالة دون استقصاء .

الموضوع — الصفحة

الموضوع — صفحة

الصفحة | الموضوع

الملحق الثانى :

مقطوعات وأبيات :

مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى
تليفون : ٩٠٩٠١١ — ٩٠٩٨٦٧ — ٩٠٩١٣٩